

الكتاب (٢٧) و من عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلده مصر: فَأَخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ وَ أَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ - وَ ابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَ آسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَ النَّظَرَةِ - حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ - وَ لَا يِيَّاسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ - فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعَشَرَ عِبَادِهِ - عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَ الْكَبِيرَةِ وَ الظَّاهِرَةِ وَ الْمُسْتَوْرَةِ - فَإِنْ يُعَذِّبُ فَاَنْتُمْ أَظْلَمُ وَ إِنْ يُعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ - وَ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ - أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَ آجَلَ الْآخِرَةِ - فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ - وَ لَمْ يُشَارِكُهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ - سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سَكَنْتَ وَ أَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أَكَلْتَ - فَحَظُّوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتَرَفُّونَ - وَ أَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ - ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبْلَغِ وَ الْمُتَجَرِّ الرَّابِحِ - أَصَابُوا لَذَّةَ

زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ - وَ تَبَيَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللَّهِ عَدَاً فِي آخِرَتِهِمْ - لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَ لَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ - فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللَّهِ الْمَوْتَ وَ قُرْبَهُ - وَ أَعِدُّوا لَهُ عِدَّتَهُ - فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَ خَطْبٍ جَلِيلٍ - بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا - أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا - فَمَنْ أَقْرَبَ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا - وَ مَنْ أَقْرَبَ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا - وَ أَنْتُمْ طُرْدَاءُ الْمَوْتِ - إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ - وَ هُوَ الزَّمُّ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ - الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَ الدُّنْيَا تُطَوَّى مِنْ خَلْفِكُمْ - فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَ حَرُّهَا شَدِيدٌ وَ عَذَابُهَا جَدِيدٌ - دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ - وَ لَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَ لَا تُفْرَجُ فِيهَا كُرْبَةٌ - وَ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللَّهِ - وَ أَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا - فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنْمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ - عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْهُ - وَ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ ظَنًّا بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ خَوْفًا لِلَّهِ - وَ اعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ بِنِ أَبِي بَكْرٍ؟ - أُنِّي قَدْ وَكَلَيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلًا؟ مِصْرًا؟ - فَانْتَ مَحْفُوقٌ أَنْ تُخَالَفَ عَلَى نَفْسِكَ - وَ أَنْ تُتَفَاحَ عَنْ دِينِكَ - وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ - وَ لَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بَرِيضًا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ - فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ - وَ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ أَقُولُ: رواه الشيخان في (أماليهما)، و رواه الثقفى في (غاراته الثقفى - الغارات - ج ١ ص ٢٢٨ تا ٢٤٤)، و رواه ابن أبي شعبة الحلبي في (تحفه ابن أبي شعبة الحلبي - تحف العقول - ص ١٧٦ تا ١٨٠) و رواه الطبري في (تاريخه الطبرى - تاريخ الطبرى - ج ٤ ص ٥٥٦).

أما الشيخان فرويا بإسنادهما إلى كتاب إبراهيم الثقفى عن عبد الله بن محمد بن عثمان بن علي بن محمد بن أبي سعيد عن فضيل بن الجعد عن أبي إسحاق الهمداني قال: ولى علي عليه السلام محمد بن أبي بكر مصر و أعمالها و كتب له كتابا و أمره أن يقرأه على أهل مصر و ليعمل بما أوصاه به، فكان الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل مصر و محمد بن أبي بكر، سلام عليكم فإنني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

أما بعد: فإنني أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤولون و إليه تصيرون، فإن الله تعالى يقول: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»^١ و يقول:

«وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ»^٢ و يقول: «فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلَنَّهٗمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^٣.

و اعلموا عبادا! الله أن الله عز و جل سائلكم عن الصغير من عملكم و الكبير فإن يعذب فنحن أظلم و إن يعف فهو أرحم الراحمين، يا عباد الله! إن أقرب ما يكون العبد من المغفرة و الرحمة حين يعمل لله بطاعته و ينصحه في التوبة، عليكم بتقوى الله فإنها تجمع الخير- و لا خير غيرها- و يدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها من خير الدنيا و خير الآخرة، قال الله عز و جل: «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ»^٤.

اعلموا يا عباد الله! أن المؤمن من يعمل لثلاث: إما لخير فإن الله يشبهه بعمله في دنياه. قال سبحانه لإبراهيم: «وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ»^٥ فمن عمل لله تعالى أعطاه أجره في الدنيا و الآخرة و كفاه المهم فيهما و قد قال تعالى «يا عبادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ»

ص: ٤

«بِغَيْرِ حِسَابٍ»^٦، و ما أعطاهم لم يحاسبهم به في الآخرة قال تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةٌ»^٧ و الحسنى هي الجنة و الزيادة في الدنيا، و إن الله تعالى يكفر بكل حسنة سيئة، قال عز و جل «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ»^٨ حتى إذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم ثم أعطاهم بكل واحدة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، قال عز و جل: «جَزَاءٌ

^١ (١) المدثر: ٣٨.

^٢ (٢) آل عمران: ٢٨.

^٣ (٣) الحجر: ٩٢-٩٣.

^٤ (٤) النحل: ٣٠.

^٥ (٥) العنكبوت: ٢٧.

^٦ (٦) الزمر: ١٠.

^٧ (٧) يونس: ٢٤.

^٨ (٨) هود: ١١٤.

مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا»^٩ وقال: أولئك «لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ»^{١٠} فارغبوا في هذا رحمكم الله و اعملوا له و حاضوا عليه.

و اعلّموا يا عباد الله! أنّ المتّقين حازوا عاجل الخير و آجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم و لم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، أباحهم الله ما كفاهم و أغناهم، قال عز اسمه: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»^{١١}، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون و شربوا من طيبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون و سكنوا من أفضل ما يسكنون و تزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون و ركبوا من أفضل ما يركبون، أصابوا لذّة الدنيا مع أهل الدنيا و هم غدا جيران الله، يتمنّون عليه فيعطيهما ما تمنّوه و لا يردّ لهم دعوة و لا ينقص لهم نصيبا من اللذّة، فإلى هذا

ص: ٥

يا عباد الله يشتاق من كان له عقل و يعمل له بتقوى الله، و لا حول و لا قوة إلا بالله.

يا عباد الله! إن اتّقيتم الله و حفظتم نبيّكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد، و ذكّرتموه بأفضل ما ذكر و شكرتموه بأفضل ما شكر، و أخذتم بأفضل الصّبر و الشّكر، و اجتهدتم بأفضل الاجتهاد، و ان كان غيركم أطول منكم صلاة و أكثر منكم صياما فأنتم أتقى لله عزّ و جلّ منهم و أنصح لأولى الأمر.

احذروا عباد الله! الموت و سكرته، فإنّه يفجأكم بأمر عظيم بخير لا يكون معه شرّ أبدا أو بشرّ لا يكون معه خير أبدا، فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها و من أقرب إلى النار من عاملها، إنّّه ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أيّ المنزلتين يصير إلى الجنّة أم النار و عدوّ الله أم وليّ، فان كان وليا فتحت له أبواب الجنّة و شرع له طرقها و نظر إلى ما أعدّ الله له فيها، ففرغ من كلّ شغل و وضع عنه كلّ ثقل، و إن كان عدوا لله فتحت له أبواب النار و شرع له طرقها و نظر إلى ما أعدّ الله فيها فاستقبل كلّ مكروه و ترك كلّ سرور، كلّ هذا يكون عند الموت و عنده يكون اليقين، قال الله تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ»^{١٢}.

عباد الله! إنّ الموت ليس منه فوت فاحذروه قبل وقوعه و أعدّوا له عدّته، فإنّكم طرد الموت، إنّ أقمتم له أخذكم و إن فررتم منه أدرككم، و هو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصيكم و الدنيا تطوى خلفكم عند ما تنازعكم إليه

^٩ (٤) النبا: ٣٤.

^{١٠} (٥) سبأ: ٣٧.

^{١١} (٦) الأعراف: ٣٢.

^{١٢} (١) النمل: ٢٨ - ٢٩.

ص: ٦

أنفسكم من الشهوات، فكفى بالموت واعظا، و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم كثيرا ما يوصى أصحابه بذكر الموت فيقول: «أكثرُوا ذكر الموت فإنه هادم اللذات حائل بينكم و بين الشهوات».

يا عباد الله! ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشد من الموت، القبر، فاحذروا ضيقه و ضنكه و ظلمته و غربته، إن القبر يقول كل يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود و الهوام، و القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، إن العبد المؤمن إذا دفن قالت الأرض مرحبا و أهلا قد كنت ممن أحب أن يمشى على ظهري، فإذا وليتكم فستعلم كيف صنيعي بك فتتسع له مد البصر، و إن الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا مرحبا بك و لا أهلا، لقد كنت من أبغض من يمشى على ظهري، فإذا وليتكم فستعلم كيف صنيعي بك، فتضمه حتى تلقى أضلاعه، و إن المعيشة الضنك التي حذر الله منها عدوه، عذاب القبر، إنه يسלט على الكافر في قبره تسعة و تسعين تينا فينهش لحمه و يكسرن عظمه يترددن عليه كذلك إلى يوم يبعث، لو أن تينا منها تنفخ في الأرض لم تنبت زراعا.

يا عباد الله! إن أنفسكم الضعيفة و أجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تنزعوا أجسادكم و أنفسكم مما لا طاقة لكم به و لا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحب الله و أتركوا ما كره الله.

يا عباد الله! إن بعد البعث ما هو أشد من القبر، يوم يشيب فيه الصغير و يسكر فيه الكبير و يسقط فيه الجنين و تذهل كل مرضعة عما أرضعت، يوم عبوس قمطير، يوم كان شره مستطيرا، إن فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم، و ترد منه السبع الشداد و الجبال الأوتاد و الأرض المهاد، و تنشق السماء فهي يومئذ واهية و تتغير فكأنها كالدهان، و تكون الجبال

ص: ٧

كتيبا مهيبا بعد ما كانت صمًا صلابا، و ينفخ في الصور فيفرع من في السماوات و الأرض إلّا ما شاء الله، فكيف من عصى بالسمع و البصر و اللسان و اليد و الرجل و الفرج و البطن، إن لم يغفر الله له و يرحمه من ذلك اليوم لأنه يصير إلى غيره، إلى نار قعرها بعيد و حرها شديد و شرابها صديد و عذابها جديد و مقامها حديد لا يفتر عذابها و لا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة و لا تسمع لأهلها دعوة.

و اعلموا يا عباد الله! ان مع هذا رحمة الله التي لا تقصر عن العباد، جنه عرضها كعرض السماء و الأرض اعدت للمتقين، لا يكون معها شر أبدا، لذاتها لا تمل و مجتمعها لا يتفرق، ساكنها قد جاوروا الرحمن و قام بين أيديهم الغلمان بصحاف من ذهب فيها الفاكهة و الريحان.

ثم اعلم يا محمد بن أبي بكر! أنى قد وليتكم أعظم أجنادى في نفسى، أهل مصر، فإذا وليتكم ما وليتكم من أمر الناس فأنت حقيق أن تخاف منه على نفسك و ان تحذر منه على دينك، فإن استطعت إلّا تسخط ربك برضا أحد من خلقه فافعل، فإن في

اللّه عز و جل خلفا من غيره و ليس فى شىء سواه خلف منه، إشتدّ على الظالم و خذ عليه، و لن لأهل الخير و قربهم و اجعلهم بطانتك و أفرانك - إلى أن قال :-

يا محمد بن أبى بكر! اعلم أن أفضل العفة الورع فى دين الله و العمل بطاعته، و إنى أوصيك بتقوى الله فى أمر سرّك و علانيتك و على أىّ حال كنت عليه، و الدّنيا دار بلاء و دار فناء و الآخرة دار الجزاء و دار البقاء، و اعمل لما بقى و اعدل عمّا يفنى و لا تنس نصيبك من الدنيا.

أوصيك بسبع هن جوامع الاسلام: تخشى الله عز و جل فى الناس و لا تخش الناس فى الله، و خير القول ما صدّقه العمل، و لا تقض فى أمر واحد

ص: ٨

بقضاء بين مختلفين فيختلف أمرك و تزيغ عن الحق، و أحبّ لعامة رعيتك ما تحبّ لنفسك و أهل بيتك و اكره لهم ما تكره لنفسك و أهل بيتك فإنّ ذلك أوجب للحجّة و أصلح للرعية، و خض الغمرات إلى الحقّ و لا تخف فى الله لومة لائم، و انصح المرء إذا استشارك و اجعل نفسك اسوة لقريب المسلمين و بعيدهم.

جعل الله مودّتنا فى الدين، و حلّانا و إياكم حلية المتقين، و أبقى لكم طاعتكم حتى يجعلنا و إياكم بها اخوانا على سرر متقابلين.

أحسنوا أهل مصر! مؤازرة محمد أميركم و اثبتوا على طاعته تردوا حوض نبيكم، أعاننا الله على ما يرضيه و السلام و رحمة الله و بركاته^{١٤١٣}.

و أمّا ما رواه الثقفى، فروى عن يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الأسدى عن الحسن بن إبراهيم عن عبد الله بن الحسن قال: كتب علىّ عليه السلام إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبى بكر إليهم يخاطبهم فيه و يخاطب محمدا أيضا فيه:

أمّا بعد، فإنى أوصيكم بتقوى الله فى سرائركم و علانيتكم و على أىّ حال كنتم عليها، و ليعلم المرء منكم أنّ الدنيا دار بلاء و فناء و الآخرة دار جزاء و بقاء فمن استطاع أن يؤثّر ما بقى على ما يفنى فليفعل فإنّ الآخرة تبقى و الدنيا تفنى، رزقنا الله و إياكم بصرا لما بصرنا و فهما لما فهمنا حتى لا تقصر عمّا أمرنا و لا نتعدى إلى ما نهانا.

و اعلم يا محمد! أنّك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فان عرض لك أمران أحدهما للآخرة و الآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة، و لتعظم رغبتك فى الخير و لتحسن فيه نيّتك، فإنّ الله عز و جل يعطى العبد على قدر نيّته، و إذا أحبّ الخير

^{١٣} (١) أمالى الشيخ المفيد - الأمالى - ص ٢٦٠ ح ٣ المجلس ٣١ المفيد: ٢٦٠ ح ٣ المجلس ٣١.

^{١٤} (٢) أمالى الشيخ الطوسى - الأمالى - ج ١ ص ٢٤ الجزء ١ الطوسى ١: ٢٤ الجزء ١.

و أهله و لم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله، فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال حين رجع من تبوك «إنَّ بالمدينة لأقواما ما سرتهم من مسير و لا هبطتم من دار إلَّا كانوا معكم ما حبسهم إلَّا المرض»- يقول كانت لهم نية- ثم اعلم يا محمدا! أني وليتكم أعظم أجنادي، أهل مصر، و وليتكم ما وليتكم من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف على نفسك و تحذر فيه على دينك و لو كان ساعة من نهار فإن استطعت أن لا تسخط ربك لرضى أحد من خلقه فافعل، فإن في الله خلفا من غيره و ليس في شيء خلف منه، فاشتد على الظالم و لن لأهل الخير و قريبهم إليك و اجعلهم بطانتك و اخوانك^{١٥}.

و عن يحيى بن صالح أيضا بالإسناد قال: كتب عليّ عليه السلام إلى محمد و أهل مصر: أمّا بعد فإنني أوصيكم بتقوى الله و العمل بما أنتم عنه مسئولون و أنتم به رهن و إليه صائرون، فإن الله عز و جل يقول: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»^{١٦} و قال: «و يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ»^{١٧} و قال «فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِنَّهُم أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ»^{١٨}.

فاعلموا عباد الله! أن الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم و الكبير، فإن يعذب فنحن الظالمون و إن يغفر و يرحم فهو أرحم الراحمين.

و اعلموا أن أقرب ما يكون العبد إلى الرحمة و المغفرة حين ما يعمل بطاعة الله و مناصحته في التوبة، فعليكم بتقوى الله تعالى فإنها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها و يدرك بها من الخير ما لا يدرك غيرها، خير الدنيا و خير الآخرة، يقول سبحانه: «و قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا»

«لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ»^{١٩}.

و اعلموا عباد الله! أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير و آجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم و لم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، يقول الله عز و جل «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^{٢٠}، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون و شربوا من أفضل ما يشربون و لبسوا من أفضل ما يلبسون، أصابوا لذّة أهل الدنيا مع أهل الدنيا مع أنهم غدا جيران الله يتمنون عليه لا يردّ لهم دعوة و لا ينقص لهم لذّة أما في هذا ما يشتاق إليه من كان له عقل؟

^{١٥} (١) الغارات ١: ٢٢٨-٢٣٠.

^{١٦} (٢) المدثر: ٣٨.

^{١٧} (٣) آل عمران: ٢٨.

^{١٨} (٤) الحجر: ٩٢-٩٣.

^{١٩} (١) النحل الأعراف: ٣٠.

^{٢٠} (٢): ٣٢.

و اعلموا عباد الله! أنكم إن اتقيتم ربكم و حفظتم نبيكم في أهل بيته، فقد عبدتموه بأفضل ما عبد و ذكروا به بأفضل ما ذكر و شكرتموه بأفضل ما شكر و أخذتم بأفضل الصبر و جاهدتم بأفضل الجهاد، و إن كان غيركم أطول صلاة منكم و أكثر صياما إذ كنتم اتقى لله و أنصح لأولياء الله من آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم و أخشع.

و احذروا عباد الله الموت و نزوله و خذوا له فإنه يدخل بأمر عظيم، خير لا يكون معه شر أبدا و شر لا يكون معه خير أبدا، ليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أي المنزلين يصير، إلى الجنة أم إلى النار، أعدو هو لله أم ولي، فإن كان وليا فتحت له أبواب الجنة و شرع له طريقها و نظر إلى ما أعد الله عز و جل لأوليائه فيها، فرغ من كل شغل و وضع من كل ثقل، و إن

ص: ١١

كان عدوا فتحت له أبواب النار و سهّل له طريقها و نظر إلى ما أعد الله لأهلها و استقبل كل مكروه و فارق كل سرور، قال تعالى: «خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَنُوعَى الْمُتَكَبِّرِينَ»* ٢١.

و اعلموا عباد الله! أن الموت ليس منه فوت فاحذروه و أعدوا له عدته، فانكم طرداء الموت، إن أقمتم أخذكم و إن هربتم أدرككم و هو أزم لكم من ظلكم معقود بنواصيكم و الدنيا تطوى من خلفكم. إلى آخر ما مر عن الاماليين مع أدنى اختلاف، ففيه بدل قوله «من ذلك اليوم ...» و اعلموا عباد الله! أن ما بعد ذلك اليوم أشدّ و أدهى» ٢٢.

و أما الحلبي فقال في (تحفه): «و منه إلى محمد بن أبي بكر و أهل مصر:

أما بعد فقد وصل كتابك و فهمت ما سألت عنه و أعجبتني اهتمامك بما لا بدّ لك منه و ما لا يصلح المسلمين غيره، و ظننت أنّ الذي أخرج ذلك منك نيّةً سالحةً و رأى غير مدخول، أما بعد فعليك بتقوى الله في مقامك و مقعدك و سرّك و علانيتك، و إذا أنت قضيت بين الناس فاخفض لهم جناحك و لّين لهم جانبك، و ابسط لهم وجهك و آس بينهم في اللحظ و النظر، حتى لا يطعم العظماء في حيفك لهم و لا يبأس الضعفاء من عدلك عليهم، و أن تسأل المدعى البيّنة و على المدعى عليه اليمين، و من صالح أخاه على صلح فأجز صلحه إلّا أن يكون صلحا يحرم حلالا أو يحلل حراما، و آثر الفقهاء و أهل الصدق و الوفاء و الحياء و الورع على أهل الفجور و الكذب و الغدر، و ليكن الصالحون الأبرار إخوانك و الفاجرون الغادرون أعداؤك، و إن أحبّ اخواني إلى أكثرهم لله ذكرا و أشدهم منه خوفا، و أرجو أن تكون منهم إن شاء الله. و إنّي أوصيكم بتقوى الله فيما

ص: ١٢

أنتم عنه مسئولون و عمّا أنتم إليه صائرون، فإنّ الله تعالى قال في كتابه:

٢١ (١) الزمر: ٧٢.

٢٢ (٢) الغارات ١: ٢٣١ - ٢٤٤.

«كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ»^{٢٣} وقال «وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ»^{٢٤}. مثل ما مر مع أدنى اختلاف و الأصل في الجميع واحد.

و أما الطبرى فروى عن أبى مخنف عن الحارث بن كعب الوالى عن أبىه قال: كنت مع محمد بن أبى بكر حين قدم مصر فقراً عليهم عهده «هذا ما عهد عليه عبد الله على أمير المؤمنين إلى محمد بن أبى بكر حين ولّاه مصر، أمره بتقوى الله فى السرّ و العلانية و خوف الله عز و جل فى المغيب و المشهد، و باللين على المسلمين و بالغلظة على الفاجرين، و بالعدل على أهل الذمة و بانصاف المظلوم و بالشدة على الظالم، و بالعفو عن الناس و بالاحسان ما استطاع، و الله يجزى المحسنين و يعذب المجرمين، و أمره أن يدعو من قبله أهل الطاعة و الجماعة، فإنّ لهم فى ذلك من العاقبة و عظيم المثوبة ما لا يقدرّون قدره و لا يعرفون كنهه، و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينقص منه و لا يبتدع فيه، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل، و أن يلبّين لهم جناحه و أن يواسى بينهم فى مجلسه وجهه، و ليكن القريب و البعيد فى الحق سواء، و أمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالقسط و لا يتبع الهوى و لا يخاف فى الله عزّ و جلّ لومة لائم، فإنّ الله جلّ ثناؤه مع من اتقى و آثر طاعته و أمره على ما سواه»^{٢٥}.

و رواه الثقفى فى (غاراته) كما مرّ فى سابقه، و مرّ خبر أنّ أن محمدا لما قتل أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية و فيها كتاب كتبه عليه السّلام له فيه أدب

ص: ١٣

و سنّة و أن معاوية كان ينظر فيه و يتعجب منه و قال لجلسائه: نقول للناس: إنّه كان من كتب أبى بكر، و أنه عليه السّلام تأسف على وصول ذلك الكتاب إلى معاوية.

و الظاهر عدم نقل ذلك الكتاب لنا لأنّ المفهوم من الخبر الثانى أنّه كان مشحونا من سنن لا يعرفها الناس، و الكتاب الواصل ليس فيه إلّا مختصر من الوضوء و الصلاة.

قول المصنف (و من عهد له عليه السّلام إلى محمد بن أبى بكر) زادهم (ابن ميثم)^{٢٦} و (الخطبة) «رحمه الله» و (ابن أبى الحديد)^{٢٧} «رضى الله عنه».

(حين قلّده مصر) جميع ما نقله المصنف لم يكن حين التقليد بل حينه و بعده كما عرفت من روايات غارات الثقفى، قلّده بعد قيس بن سعد بن عباد.

^{٢٣} (١) المدثر: ٣٨.

^{٢٤} (٢) تحف العقول: ١٧٦ - ١٨٠. و الآية ٢٨ من آل عمران.

^{٢٥} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٥٥٦.

^{٢٦} (١) شرح ابن ميثم ٤: ٤١٩.

^{٢٧} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١٦٣.

قوله عليه السّلام «**و اخفض لهم جناحك**» خفض الجناح كناية عن التواضع و يعبر عنه بالفارسية «**بشكسته بالي**» و الأصل فيه قوله تعالى لنبيه: «**وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**»^{٢٨}.

في (تاريخ بغداد): كان موسى بن إسحاق القاضي لا يرى متبسّمًا قطّ، فقالت له امرأة: أيّها القاضي! لا يحلّ لك أن تحكم بين الناس، فإنّ النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «لا يحلّ للقاضي أن يحكم بين اثنين و هو غضبان» فتبسّم^{٢٩}.

«**و ألن لهم جانبك**» قال تعالى لنبيه: «**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**»^{٣٠}.

«**و ابسط لهم وجهك**» قال لقمان لابنه: «**وَ لَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ**» «**وَ لَا تَمْشِ**»

ص: ١٤

«**فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا**»^{٣١}.

«**و آس**» أي: ساو، و في النهاية أي: اجعل كل واحد منهم اسوة خصمه.

«**بينهم في اللحظة**» أي: النظر بمؤخر العين.

«**و النظرة**» أي: تأمل الشيء بالعين.

في الخبر كان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يقسم لحظاته بين جلسائه^{٣٢}، و قال خالد بن صفوان لوال دخل عليه: قدمت فأعطيت كلًّا بقسطه من نظرك و مجلسك و صلاتك و عدلك حتى كأنك من كلّ أحد أو كأنك لست من أحد.

«**حتى لا يطمع العظماء في حيفك**» أي: جورك.

«**لهم و لا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم**» و قال عليه السّلام لشريح: ثمّ و اس بين المسلمين بوجهك و منطقتك و مجلسك حتى لا يطمع قريبيك في حيفك و لا ييأس عدوك من عدلك^{٣٣}.

روت العامّة عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خلا عمر لبعض شأنه و قال:

^{٢٨} (٣) الشعراء: ٢١٥.

^{٢٩} (٤) تاريخ بغداد ١٣: ٥٣.

^{٣٠} (٥) آل عمران: ١٥٩.

^{٣١} (١) الاسراء: ٣٧-٣٨.

^{٣٢} (٢) معاني الاخبار: ٨٢.

^{٣٣} (٣) الكافي ٢: ٤١٣ ح ١: الفقيه ٣: ٨ ح ١٠: التهذيب ٦: ٢٢٦ ح ١.

أمسك على الباب، فطلع الزبير، فكرهته حين رأيته، فأراد أن يدخل، فقلت: هو على حاجة، فلم يلتفت إليّ و أهوى ليدخل، فوضعت يدي في صدره، فضرب أنفي فأدماه، ثم رجع، فدخلت على عمر فقال: ما بك؟ قلت: الزبير، فأرسل إليه، ثم دخل الزبير، فجئت لأنظر ما يقول له، فقال له: ما حملك على ما صنعت أدميتني للناس. فقال الزبير - يحكيه و يمحط في كلامه - «أدميتني»، أتحجب عنا يا ابن الخطاب، فوالله ما احتجب عنّي النبي صلى الله عليه وآله و سلم و لا أبو بكر. فقال عمر

ص: ١٥

كالمعتذر: إنّي كنت في بعض شأنى، فلما سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لى بحقّى منه، و خرج الزبير، فقال عمر: إنّه الزبير و آثاره ما تعلم^{٣٤}.

«فان الله تعالى يسألكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم و الكبيرة» «وكلُّ صغير و كبير مُستطَرٌّ»^{٣٥}، «و يقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صغيرةً و لا كبيرةً إلّا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضراً»^{٣٦}، «يومئذٍ يصدرُ الناسُ أشتاتاً ليرُوا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره و من يعمل مثقال ذرّة شراً يره»^{٣٧}.

«و الظاهرة و المستورة» قال لقمان لابنه: «يا بُنى إنّها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيفٌ خبيرٌ»^{٣٨}، «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ و ما تُخْفِي الصُّدُورُ»^{٣٩} «و لا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ و من يَكْتُمها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ»^{٤٠}، «إِنَّ السَّمْعَ و الْبَصَرَ و الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُلاً»^{٤١}.

و عن أبى جعفر عليه السلام: كان في بنى إسرائيل قاض كان يقضى بالحق فيهم، فلما حضره الموت قال لامرأته: إذا أنا مت فاعسلينى و كفنينى و ضعينى على سريرى و غطى وجهى، فإنك لا ترين سوء، فلما مات فعلت ذلك، ثم مكثت بذلك حيناً، ثم إنّها كشفت عن وجهه لتنظر إليه، فإذا هى بدودة

ص: ١٦

تقرض منخره، ففزعت من ذلك، فلما كان الليل أتاها فى منامها فقال لها:

^{٣٤} (١) رواه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ١٢١: ٤٥-٤٦. بتصرف.

^{٣٥} (٢) القمر: ٥٣.

^{٣٦} (٣) الكهف: ٤٩.

^{٣٧} (٤) الزلزلة: ٦.

^{٣٨} (٥) لقمان: ١٦.

^{٣٩} (٦) غافر: ١٩.

^{٤٠} (٧) البقرة: ٢٨٣.

^{٤١} (٨) الاسراء: ٣٦.

أفزعك ما رأيت؟ قالت: أجل لقد فزعت. فقال لها: أما لئن كنت فزعت ما كان الذى رأيت إلّا فى أخيك فلان، أتانى و معه خصم له، فلمّا جلسا إلىّ قلت: اللهم اجعل الحق له و وجه القضاء على صاحبه، فلمّا اختصما كان الحق له و رأيت ذلك بيّنا فى القضاء، فوجّهت القضاء له على صاحبه، فأصابنى ما رأيت لموضع هواى مع موافقة الحق^{٢٢}.

«فإن يعذب» قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم لا ينقضى كلام شاهد الزور بين يدى الحاكم حتى يتبوا مقعده من النار^{٢٣}.

«فأنتم أظلم» قال ابن أبى الحديد: أفعل ها هنا بمعنى فاعل^{٢٤}.

قلت: يمكن أن يكون من باب «و جزاء سيئة سيئة مثلها»^{٢٥} و يمكن أن يكون المراد: إنكم أظلم من كل عبد عصى سيده.

«و إن يعف فهو أكرم» من كل سلطان يعفو عن رعيته: «و ما أصابكم من مصيبه فبما كسبت أيديكم و يعفوا عن كثير»^{٢٦}.

«و اعلموا عباد الله! أن المتقين ذهبوا بعاجل الدنيا و آجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا فى دنياهم و لم يشاركهم أهل الدنيا فى آخرتهم» قد عرفت فى أسانيده أنه عليه السلام استشهد لكلامه بقوله تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ»

ص: ١٧

«كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»^{٢٧}.

«سكنوا من الدنيا بأفضل ما سكنت و أكلوها بأفضل ما اكلت فحظوا» يقال:

حظى فلان عند السلطان، و حظيت المرأة عند الزوج.

«من الدنيا بما حظى به المترفون» قال ابن دريد: رجل مترف: منعم^{٢٨}.

«و أخذوا منها ما أخذه الجبارة المتكبرون» قد عرفت من روايات الثقفى أنه بدّل قوله «فحظوا- إلى- المتكبرون» بقوله «فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون، و شربوا من طيبات ما يشربون، و لبسوا من أفضل ما يلبسون، و سكنوا من أفضل ما

^{٢٢} (١) الكافى ٧: ٤١٠ ح ٢، التهذيب ٦: ٢٢٢ ح ٢١، أمالى الطوسى ١: ١٢٦-١٢٧ الجزء ٥.

^{٢٣} (٢) الكافى ٧: ٣٨٣ ح ٣.

^{٢٤} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١٦٥.

^{٢٥} (٤) الشورى: ٤٠.

^{٢٦} (٥) الشورى: ٣٠.

^{٢٧} (١) الاعراف: ٣٢.

^{٢٨} (٢) جمهرة اللغة ١: ٣٩٣.

يسكنون، و تزوجوا من أفضل ما يتزوجون، و ركبو من أفضل ما يركبون»^{٤٩}، و ما هنا إجمال و ثمة تفصيل، فاللذائذ الدنيوية منحصره في هذه الستة من المآكل و المشارب و الملابس و المساكن و المناكح و المراكب.

«ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلّغ» أى: زاد التقوى الذى وصفه تعالى بكونه خير زاد.

«و المتجر الرابع» و هو الايمان و عمل الصالحات.

«أصابوا لذة زهد الدنيا فى دنياهم» لأن الزهد فيها ليس بترك نعيمها بل بعدم العلقه بها كما قال تعالى «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»^{٥٠}، و أما الحريص فدائما متألم بفوت ما فات من دنياه و عدم حصول زيادة له.

ص: ١٨

«و تيقنوا أنّهم جيران الله غدا فى آخرتهم» «سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ»^{٥١}، «و الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ»^{٥٢}، «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ»^{٥٣}.

«لا تردّ لهم دعوة» «وَأَلْهَمُ مَا يَدْعُونَ»^{٥٤}.

«و لا ينقص لهم نصيب من لذة» «وَ إِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَ مُلْكًا كَبِيرًا عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَ إِسْتَبْرَقٌ وَ حُلُوفٌ أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا»^{٥٥}.

«فاحذروا عباد الله الموت و قربه» «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ»^{٥٦}.

«و أعدوا له عدته» «وَ أَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»^{٥٧}.

«فإنه يأتى بأمر عظيم و خطب» أى: شأن.

^{٤٩} (٣) الغارات باختلاف يسير ١: ٢٣٦، و أمالى المفيد: ٢٦٣، أمالى الطوسى ١: ٢٦.

^{٥٠} (٤) الحديد: ٢٣.

^{٥١} (١) يس: ٥٨.

^{٥٢} (٢) الرعد: ٢٣-٢٤.

^{٥٣} (٣) القيامة: ٢٢-٢٣.

^{٥٤} (٤) يس: ٥٧.

^{٥٥} (٥) الإنسان: ٢٠-٢٢.

^{٥٦} (٦) الاعراف: ٣٤.

^{٥٧} (٧) المنافقون: ١٠-١١.

«جليل، بخير لا يكون معه شرّ أبداً أو شرّ لا يكون معه خير أبداً» قال ابن أبي الحديد: نص في مذهب أصحابنا في الوعيد، أن من دخل النار فليس بخارج منها، ولو كان خارجاً منها لكان الموت قد جاءه بشرّ معه خير...^{٥٨}.

ص: ١٩

قلت: يمكن حمل كلامه عليه السّلام على القرآن و أكثر الأخبار في الاقتصار على ذكر المؤمنين المخلصين و الكافرين دون المؤمنين المسرفين.

و في (اعتقادات الصدوق): قيل لأمر المؤمنين عليه السّلام: صف لنا الموت.

فقال: على الخير سقطتم، هو أحد ثلاثة أمور ترد عليه: إمّا بشارة بنعيم الأبد و إمّا بشارة بعذاب الأبد، و إمّا تحزين و تهويل و أمر مبهم لا يدري من أى الفرق هو، فأما وليّنا المطيع لأمرنا فهو المبشّر بنعيم الأبد، و أمّا عدونا المخالف علينا فهو المبشّر بعذاب الأبد، و أمّا المبهم أمره الذى لا يدري ما حاله فهو المؤمن من المسرف على نفسه يأتيه الخير مبهما محزنا ثم لن يسويّه الله تعالى بأعدائنا و لكن يخرجهم من النار بشفاعتنا، فاعملوا و أطيعوا و لا تتكلموا و لا تستصغروا عقوبة الله عزّ و جلّ، فإنّ من المسرفين ما لا يلحقه شفاعتنا إلّا بعذاب ثلاثمئة ألف سنة.

و سئل الحسن عليه السّلام عن الموت فقال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا انقلبوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، و أعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد و لا تنفد.

و لما أشدّ الأمر بالحسين عليه السّلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنهم كلّما اشتدّ الأمر بهم تغيّرت ألوانهم و ارتعدت فرائضهم و وجلت قلوبهم و وجبت جنوبهم، و كان الحسين و بعض خصائصه تشرق ألوانهم و تهدأ جوارحهم و تسكن نفوسهم، و قال بعضهم لبعض: انظروا إليه ما يبالي الموت، فقال عليه السّلام لهم: صبرا بنى الكرام فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم من البؤس و الضراء إلى الجنان الواسعة و النعيم الدائم، فأيكم يكره أن ينقل من سجن إلى قصر و ما هو لأعدائكم إلّا كمن ينقل من قصر إلى سجن و عذاب أليم.

ص: ٢٠

و قيل لعلى بن الحسين عليه السّلام: ما الموت؟ فقال: للمؤمن كنز ثياب و سخة قملة أو فك قيود ثقيلة و الاستبدال بأفخر الثياب و أطيبها روائح و أوطأ المراكب و آنس المنازل، و للكافر كخلع ثياب فاخرة و النقل عن منازل أنيسة و الاستبدال بأوسخ الثياب و أخشنها و أوحش المنازل و أعظم العذاب.

^{٥٨} (٨) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٦٦.

و قيل لمحمد الباقر عليه السّلام: ما الموت؟ قال: هو النوم الذي يأتيكم كلّ ليلةٍ إلّا أنّه طويل لا ينبه منه إلّا يوم القيامة، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره و رأى في منامه من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرحه في النوم و وجله فيه، هذا هو الموت فاستعدوا له.

و قيل للصادق عليه السّلام: صنف لنا الموت. فقال: هو للمؤمن كأطيب ريح يشم فينعس لطيبه و ينقطع التعب و الألم كلّ عنه، و للكافر كلسع الأفاعي و لدغ العقارب و أشد. قيل له: فإنّ قوما يقولون: إنّهُ أشدّ من نشر بالمناشير و قرض بالمقاريض و رضخ بالحجارة و تدوير قطب الأرحية في الأحداق. فقال عليه السّلام:

كذلك هو على بعض الكافرين و الفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ قيل: فما بالناس نرى كافرا يسهل عليه النزاع فينطفئ و هو يضحك و يتحدّث و يتكلّم، و في المؤمنين من يكون كذلك، و في المؤمنين و الكافرين من يقاسى عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال عليه السّلام: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، و ما كان من شدة فتحميحه من ذنوبه ليرد الآخرة نفيضا نظيفا مستحقا لثواب الأبد لا مانع له دونه، و ما كان من سهولة هناك على الكافر فليتوفّى أجر حسناته ليرد الآخرة و ليس له إلّا ما يوجب العذاب، و ما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عقاب الله عند نفاذ حسناته، ذلكم بأن الله عدل لا يجور.

و دخل موسى بن جعفر عليه السّلام على رجل في سكرات الموت لا يجيب

ص: ٢١

داعيا. فقالوا: يا ابن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف الموت و كيف حال صاحبنا فقال: الموت هو المصفاة يصفى المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم و كفارة آخر وزر عليهم، و يصفى الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذة أو نعمة أو رحمة تلحقهم و هو آخر ثواب حسنة تكون لهم، و أما صاحبكم هذا فقد نخل من الذنوب نخلا و صفى من الآثام تصفية، و خلص حتى تقى كما يتقى الثوب و صلح لمعاشرتنا في دار الأبد.

و مرض رجل من أصحاب الرضا عليه السّلام فعاده فقال له: كيف تجدك؟

فقال: لقيت الموت بعدك - يريد شدة المرض - فقال: إنّما الناس رجالان:

مستريح بالموت و مستراح به منه، فجدد الإيمان بالله و بالنبوة و بالولاية تكن مستريحا ففعل الرجل ذلك.

و قيل للجواد عليه السّلام: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنهم جهلوه فكرهوه و لو عرفوه - و كانوا من أولياء الله حقًا - لأحبّوه و لعلموا ان الآخرة خير لهم من الدنيا. ثم قال عليه السّلام: ما بال الصبي أو المجنون يمتنع من الدواء المنقى لبدنه و النافى الألم عنه. فقالوا، لجهلهم بنفع الدواء. فقال: و الذي بعث محمدا بالحق إنّ من قد استعدّ للموت حق الاستعداد هو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه أشدّ مما يستدعى العاقل الحازم الدواء لرفع الآفات و اجتلاب السلامة.

و دخل الهادي عليه السلام على مريض من أصحابه و هو يبكي من الموت فقال له: تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أ رأيتك لو تقدّرت و اتّسخت من كثرة الوسخ و القذر عليك و أصابك قروح و جرب و علمت أن الغسل في الحمام يزيل ذلك عنك أما تريد أن تدخله فتزيل ذلك كلّ عنه؟ قال: بلى. قال: فذلك الموت هو ذلك الحمام و هو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك، فاذا أنت وردت عليه

ص: ٢٢

فقد نجوت من كلّ هم و غم و أذى و وصلت إلى كلّ فرح و سرور، فسكن الرجل و نشط و استسلم و غمض عين نفسه و مضى لسبيله.

و سئل الحسن العسكري عليه السلام عن الموت ما هو، فقال: التصديق بما يكون، ان أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه عن الصادق عليه السلام قال: ان المؤمن إذا مات لم يكن ميتا و ان الكافر هو الميت، ان الله عز و جل يقول «يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ»^{٥٩} يعني المؤمن من الكافر و الكافر من المؤمن.

و جاء رجل إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال: ما لي لا أحبّ الموت. فقال: أ لك مال؟

قال: نعم. قال: قد قدمته؟ قال: لا. قال: فمن ثمّ لا تحبّ الموت.

و قال رجل لأبي ذر: ما بالنا نكره الموت، فقال: لأنكم عمّرتم الدنيا و خرّبتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. فقيل له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، و أمّا المسيء فكالأبق يقدم على مولاه. قيل: فكيف حالنا عند الله؟ فقال: أعرضوا أعمالكم على كتاب الله، إن الله عز و جل يقول: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ»^{٦٠} قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»^{٦١}.

«فمن أقرب إلى الجنة من عاملها» «و أمّا من خاف مقام ربّه وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ»^{٦٢}، «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ»

ص: ٢٣

«كَانَ تَقِيًّا»^{٦٣}، «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^{٦٤}.

^{٥٩} (١) يونس: ٣١.

^{٦٠} (٢) الانفطار: ١٤.

^{٦١} (٣) الاعتقادات: ١٤-١٨. و الآية ٥٦ من سورة الأعراف.

^{٦٢} (٤) النازعات: ٤٠-٤١.

^{٦٣} (١) مريم: ٦٣.

و مرّ في رواية النقي ذكره عليه السلام لقوله تعالى: «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^{٦٥}.

«و من أقرب إلى النار من عاملها» «فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ وَ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ»^{٦٦}، «و من يعص الله و رسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها»^{٦٧}.

و مر في رواية النقي ذكره عليه السلام لقوله تعالى «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ»^{٦٨}.

«و أنتم طرداء» جمع طريد، قال الجوهري الطرد الابعاد، تقول طردته فذهب، و لا يقال منه انفعل و افتعل إلّا في لغة رديئة، و الرجل مطرود و طريد^{٦٩}.

(الموت ان أقمتم له أخذكم و ان فرتم منه أدرككم) قال تعالى «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ»^{٧٠}، «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ»

ص: ٢٤

«بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^{٧١}.

«و هو أزم لكم من ظلكم» في (الكافي): ان ملكا كان له عند الله منزلة عظيمة فتعبت عليه فأهبطه من السماء إلى الأرض فأتى إدريس عليه السلام فقال: ان لك من الله منزلة فاشفع لي عند ربك. فصلّى ثلاث ليال لا يفتر و صام أيامها لا يفطر، ثم طلب إلى الله تعالى في السحر في الملك، فقال له الملك: إنك قد أعطيت سؤالك و قد أطلق جناحي و أنا أحب أن أكافئك فاطلب إليّ حاجة. فقال: تريني ملك الموت لعلّي أنس به فإنه ليس يهنا مع ذكره شيء، فبسط جناحه ثم قال:

اركب! فصعد به يطلب ملك الموت في السماء الدنيا فقيل له: اصعد، فاستقبله بين السماء الرابعة و الخامسة، فقال الملك يا ملك الموت ما لي أراك قاطبا. قال:

^{٦٤} (٢) النحل: ٣٢.

^{٦٥} (٣) النحل: ٣٢.

^{٦٦} (٤) النازعات: ٣٩.

^{٦٧} (٥) الجن: ٢٣.

^{٦٨} (٦) الغارات: ١: ٢٣٧. و الآيات ٢٨ - ٢٩ من سورة النحل.

^{٦٩} (٧) جوهري ٢: ٥٠١.

^{٧٠} (٨) النساء: ٧٨.

^{٧١} (١) الجمعة: ٨.

العجب أنّى تحت ظل العرش فأمرت أن أقبض روح آدمى فى السماء الرابعة و الخامسة، فسمع إدريس عليه السلام ذلك فامتعض فخرّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه، و قال عز و جل: «وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا»^{٧٢}.

«الموت معقود بنواصيكم» فى (اللهوف): لما عزم الحسين عليه السلام على الشخوص إلى العراق من مكة قام خطيباً فقال: خطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة^{٧٣}.

«و الدنيا تطوى من خلفكم» «مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ»^{٧٤}.

«فاحذروا نارا قعرها بعيد و حرّها شديد» و زاد فى رواية التنقى

ص: ٢٥

«و شرابها صديد»^{٧٥}.

«و عذابها جديد» «كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ»^{٧٦}، «و نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبُكْمًا وَ صُمًّا مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا»^{٧٧}.

و زاد فى رواية التنقى «و مقامها حديد»^{٧٨}.

«دار ليس فيها رحمة» «وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَ زَفِيرًا وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَ ادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا»^{٧٩}.

«و لا تسمع فيها دعوة» «و نَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ»^{٨٠}.

^{٧٢} (٢) الكافى ٣: ٢٥٧ ح ٢٦. و الآية ٥٧ من سورة مريم.

^{٧٣} (٣) اللهوف: ٢٦.

^{٧٤} (٤) الكهف: ٤٥.

^{٧٥} (١) الغارات ١: ٢٤١.

^{٧٦} (٢) النساء: ٥٦.

^{٧٧} (٣) الاسراء: ٩٧.

^{٧٨} (٤) الغارات ١: ٢٤١.

^{٧٩} (٥) الفرقان: ١١ و ١٤.

^{٨٠} (٦) الزخرف: ٧٧.

«و لا تفرج فيها كربة» «و قال الذين في النار ليخزنه جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا أ و لم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا و ما دعاء الكافرين إلا في ضلال»^{٨١}، «ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون قال أحسوا فيها و لا تكلمون»^{٨٢}.

«و إن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله و أن يحسن ظنكم به فاجمعوا بينهما، فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه على قدر خوفه من ربه، و إن أحسن الناس ظناً

ص: ٢٦

بالله أشدهم خوفا لله».

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام كان في وصية لقمان الأعاجيب، و كان أعجب ما فيها أن قال لابنه: خف الله خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك، و ارج الله رجاء لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك، ثم قال عليه السلام كان أبي يقول: ليس من عبد مؤمن إلا و في قلبه نوران نور خيفة، و نور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا.

و عنه عليه السلام: ارج الله رجاء لا يجرك على معاصيك، و خف الله خوفا لا يؤيسك من رحمته»^{٨٣}.

و قال ابن أبي الحديد: قال علي بن الحسين عليه السلام: لو أنزل الله تعالى كتاباً أنه معذب رجلاً واحدا رجوت أن أكونه أو أنه راحم رجلاً واحدا لرجوت أن أكونه، أو أنه معذبي لا محالة ما ازدت إلا اجتهادا لئلا أرجع إلى نفسي بلائمة»^{٨٤}.

«و أعلم يا محمد بن أبي بكر! أنني قد وليتك أعظم أجنادي» كل مدينة يحصل منها عسكر هي جند.

«في نفسي أهل مصر» فكانت أعظم مدينة بيده عليه السلام.

«فأنت محقوق» أي: خليق.

«أن تخالف على نفسك» قال يوسف الصديق: «إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي»^{٨٥}.

^{٨١} (٧) غافر: ٤٩ - ٥٠.

^{٨٢} (٨) المؤمنون: ١٠٧ - ١٠٨.

^{٨٣} (١) الكافي ٢: ٦٧ ح ١.

^{٨٤} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٦٧.

^{٨٥} (٣) يوسف: ٥٣.

«و أن تنافح» أى: تخاصم عن دينك.

«و لو لم يكن لك إلا ساعة من الدهر» فى الولاية، و لقد فعل رحمه الله

ص: ٢٧

ما أمره فجاهد حتى قتل.

و فى (الطبرى)- بعد أسره بيد العدو- قال له معاوية بن حديج: أ تدرى ما أصنع بك؟ أدخلك فى جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار. فقال له محمد: إن فعلتم بى ذلك فطال ما فعل ذلك بأولياء الله، و إنى لأرجو هذه النار التى تحرقنى بها أن يجعلها الله على بردا و سلاما كما جعلها على خليله إبراهيم، و أن يجعلها عليك و على أوليائك كما جعلها على نمرود و أوليائه، ان الله يحرقك و من ذكرته قبل- يعنى عثمان- و امامك- يعنى معاوية- و هذا- و أشار إلى عمرو بن العاص- بنار تلظى عليكم كلما خبت زادها الله سعيرا. قال له معاوية بن حديج: انى انما اقتلك بعثمان. قال له محمد: و ما أنت و عثمان، ان عثمان عمل بالجور و نبذ حكم القرآن و قد قال تعالى «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» فنقمنا ذلك عليه فقتلناه، و حسنت أنت له ذلك و نظراؤك فقد برأنا الله من ذنبه و أنت شريكه فى إثمه و عظم ذنبه و جاعلك على مثاله، فغضب معاوية ابن حديج فقدمه فقتله ثم ألقاه فى جيفة حمار ثم أحرقه بالنار^{٨٦}.

«و لا تسخط الله برضا أحد من خلقه فان فى الله خلفا من غيره و ليس من الله خلف فى غيره» فى (العقد): قال ابن هبيرة للحسن البصرى- و عنده الشعبى:-

ما ترى فى كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان أنفذتها وافقت سخط الله و ان لم أنفذها خشيت على دمي؟ فقال له: هذا الشعبى فقيه الحجاز عندك، فسأله فقال: قارب و سدد فانما أنت عبد مأمور. فالتفت ابن هبيرة إلى الحسن و قال له: أنت ما تقول. قال: ابن هبيرة خف الله فى يزيد و لا تخف يزيد فى الله، يا ابن هبيرة ان الله مانعك من يزيد و ان يزيد لا يمنعك من

ص: ٢٨

الله، يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، فانظر ما كتب اليك يزيد فاعرضه على كتاب الله فما وافقه فأنفذه و ما خالفه فلا تنفذه، فان الله أولى بك من يزيد و كتاب الله أولى بك من كتابه. فضرب ابن هبيرة يده على كتف الحسن و قال: هذا الشيخ صدقنى و رب الكعبة^{٨٧}.

٥

^{٨٦} (١) تاريخ الطبرى ٥: ١٠٤-١٠٥.

^{٨٧} (١) العقد الفريد:

الكتاب (٧٢) و من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس:

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجْلِكَ - وَ لَأَ مَرزُوقٌ مَا لَيْسَ لَكَ - وَ اعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ - يَوْمٌ لَكَ وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ - وَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُولٍ - فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ - وَ مَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ «أَمَا بَعْدُ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقِ أَجْلِكَ» حتى يتخلف عنك، قال تعالى: «وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ»^{٨٨}.

«و لا مرزوق ما ليس لك» «أ هُمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا»^{٨٩}.

«و اعلم بأن الدهر يومان: يوم لك و يوم عليك» ملكا كنت أم سوقة.

«و ان الدنيا دار دول» «وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»^{٩٠}.

«فما كان منها لك أتاك على ضعفك» لأنه لا مانع لما أعطى.

«و ما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك»

ص: ٢٩

«لَهُ إِذَا هُوَ وَ إِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ»^{٩١}.

و فى (اليتيمة) قال الميكالى:

بأن الذى لم يقضه لن يصيبكا

تق الله لا الأعداء و اعلم يقينا

و إنك تعدوا حين تعدو نصيبكا

و حظك لا يعدوك ان كان قاعدا

^{٨٨} (٢) الاعراف: ٣٤.

^{٨٩} (٣) الزخرف: ٣٢.

^{٩٠} (٤) آل عمران: ١٤٠.

^{٩١} (١) يونس: ١٠٧.

الكتاب (٧٤) و من وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة:

سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَ مَجْلِسِكَ وَ حُكْمِكَ - وَ إِيَّاكَ وَ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ - وَ اعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ - وَ مَا بَاعَدَكَ مِنَ اللَّهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ أَقُولُ: رواها ابن قتيبة في (خلفائه ابن قتيبة - الإمامة و السياسة - ج ١ ص ٨٥) فقال: ذكروا أنّ عليّاً عليه السلام لما سار من البصرة بعد فراغه من الجمل استعمل عليها ابن عباس و قال له: أوصيك بتقوى الله عزّ و جل و العدل على من و لآك الله أمره. سع الناس بوجهك و علمك و حلمك، و إيّاك و الإحن فإنّها تميت القلب و الحق، و اعلم أنّ ما قَرَّبَكَ مِنَ اللَّهِ بَعَدَكَ مِنَ النَّارِ، و ما قَرَّبَكَ مِنَ النَّارِ بَعَدَكَ مِنَ الْجَنَّةِ، اذكر الله كثيراً و لا تكن من قول المصنّف: (و من وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة) قد عرفت أنّه كان بعد الجمل عند شخوصه إلى الكوفة.

ص: ٣٠

قوله عليه السلام: «سع الناس بوجهك و مجلسك و حكمك» لأنّه من عدل الوالىّ الواجب عليه أو من كرائم أخلاقه المندوب إليها.

و قال النبي صلى الله عليه و آله و سلّم لبني عبد المطلب: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم^{٩٢}.

و كان النبي صلى الله عليه و آله و سلّم يساوى بين أهل مجلسه فى النظر إليهم.

«و إيّاك و الغضب فإنّه طيرة» أى: خفّة يريد أن يطير بها، قال العماني:

و أحلم عن طيراته كلّ ساعة إذا ما أتانى مغضبا يتهدّم

و الطيرة فى مقابل الحلم، قال الكميّ:

و حلمك عزّ إذا ما حلمت و طيرتك الصّاب و الحنظل

^{٩٢} (٢) الامامة و السياسة ١: ٨٥.

^{٩٣} (١) اخرجّه الحاكم فى المستدرک، و أبو نعيم فى حلية الأولياء، عن الجامع الصغير ١: ١٠١، و النقل بتصرّف فى اللفظ.

«من الشيطان» فى (الكافى) عن الباقر عليه السّلام: إنّ هذا الغضب جمره من الشيطان توقد فى قلب ابن آدم، و إنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه و انتفخت أوداجه و دخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليزلم الأرض فإنّ رجس الشيطان يذهب عند ذلك.

و عن الصادق عليه السّلام فى (التوراة): يا ابن آدم! اذكرنى حين تغضب أذكرك حين غضبى فلا أمحك فيمن أمحك، و إذا ظلمت بمظلمة فإرض بانتصارى لك فإنّ انتصارى لك خير من انتصارك لنفسك.

و عنه عليه السّلام قال رجل للنبي صلّى الله عليه و آله و سلّم: علّمنى. قال: اذهب و لا تغضب. فقال الرجل قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قاموا صفوفًا لابسى السّلاح، فلمّا رأى ذلك لبس سلاحه و قام معهم ثم ذكر قول النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لا تغضب، فرمى السّلاح ثم مشى إلى قوم عدوّ قومه فقال: يا هؤلاء! ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب فعلى فى مالى. فقالوا: نحن أولى بذلك فما

ص: ٣١

كان فهو لك، فاصطلحوا فذهب الغضب^{٩٤}.

«و اعلم أنّ ما قربك إلى الله» و هو طاعته و طاعة رسوله.

«بباعدك من النار» و يدخلك الجنة قال تعالى: «و من يطع الله و رسوله يدخله جنّات تجري من تحتيها الأنهار خالدين فيها و ذلك الفوز العظيم»^{٩٥}.

«و ما باعدك من الله» و هو عصيانه و عصيان رسوله.

«بقربك من النار» «و من يعص الله و رسوله و يتعدّد حدوده يدخله ناراً خالدًا فيها و له عذاب مهين»^{٩٦}.

٧

الكتاب (٦٩) و من كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمداني:

و تمسك بحبل؟ القرآن؟ و استنصحه- و أحلّ حلاله و حرّم حرامه- و صدّق بما سلف من الحقّ- و اعتبر بما مضى من الدنّيا لما بقى منها- فإنّ بعضها يشبه بعضاً- و آخرها لاحق بأولها- و كلّها حائل مفارق- و عظم اسم الله أن تذكره إلا على حقّ- و أكثر ذكر الموت و ما بعد الموت- و لا تتمنّ الموت إلا بشرط و تيق- و احذر كلّ عمل يرضاه صاحبه لنفسه- و يكره لعامة

^{٩٤} (١) الكافى ٢: ٣٠٤ ح ١٠-١٢.

^{٩٥} (٢) النساء: ١٣.

^{٩٦} (٣) النساء: ١٤.

المُسْلِمِينَ - وَ اخْذِرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ - وَ يُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ - وَ اخْذِرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وَ اعْتَدَرَ مِنْهُ - وَ لَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِئِبَالِ الْقَوْلِ - وَ لَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ - فَكْفَى بِذَلِكَ كَذِبًا - وَ لَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلِّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ - فَكْفَى بِذَلِكَ

ص: ٣٢

جَهْلًا - وَ اكْظِمِ الْغَيْظَ وَ تَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ وَ احْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ - وَ اصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ - وَ اسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَيْكَ - وَ لَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عِنْدَكَ - وَ لِيَرَّ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ - وَ اعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ - أَفْضَلُهُمْ تَقْدِيمُهُ مِنْ نَفْسِهِ وَ أَهْلِهِ وَ مَالِهِ - فَإِنَّكَ مَا تَقْدِمُ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَى لَكَ ذُخْرُهُ - وَ مَا تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لغيرِكَ خَيْرُهُ - وَ اخْذِرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ - وَ يُنْكَرُ عَمَلُهُ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ - وَ اسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ - وَ اخْذِرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَ الْجَفَاءِ - وَ قَلَّةَ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ - وَ اقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ - وَ إِيَّاكَ وَ مَقَاعِدِ الْأَسْوَاقِ - فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَ مَعَارِضُ الْفِتَنِ - وَ أَكْثَرَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فَضَّلْتَ عَلَيْهِ - فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ - وَ لَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ - إِلَّا فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذِرُ بِهِ - وَ اطَّعِ اللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ - فَإِنَّ طَاعَةَ اللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا - وَ خَادِعٌ نَفْسَكَ وَ ارْتَفُقَ بِهَا وَ لَا تَقْهَرُهَا - وَ خُذْ عَفْوَهَا وَ نَشَاطَهَا - إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ - فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَ تَعَاهُهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا - وَ إِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ - وَ أَنْتَ أَبْقَى مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا - وَ إِيَّاكَ وَ مُصَاحِبَةَ الْفُسَّاقِ - فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ - وَ وَقَّرِ اللَّهَ وَ أَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ - وَ اخْذِرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ؟ - وَ السَّلَامُ أَقُولُ: وَ نَقَلَ رِوَايَتَهُ عَنِ الْآمِدِيِّ فِي (غُرَرِ الْآمِدِيِّ - غُرَرِ الْحِكْمِ - الْغُرَرِ لِلْخَوَانَسَارِيِّ ج ٣ ص ٣١٣) مَعَ اخْتِلَافٍ يَسِيرٍ فِي بَعْضِ الْفَقَرَاتِ^{٩٧}.

قول المصنف: (إلى الحارث الهمداني) فإنه - كما في (ذيل الطبري) -

ص: ٣٣

الحارث بن عبد الله بن كعب بن أسد بن يخلد بن حوث بن سبيع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان.

قال الطبري: كان من متقدمي أصحاب علي عليه السلام في الفقه و العلم بالفرائض و الحساب، قال الشعبي: تعلّمت منه الفرائض و الحساب، مات أيام ابن الزبير^{٩٨}.

و روى (أمالى المفيد): مسندا عن الأصمغ قال: دخل الحارث الهمداني في نفر من الشيعة و كنت فيهم، فجعل الحارث يتأوّد في مشيته و يخبط الأرض بمحجنه - و كان مريضا - فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام - و كانت له منه منزلة - فقال: كيف تجددك يا حارث؟ فقال: نال الدهر مني - إلى أن قال - فقال عليه السلام له: أبشرك يا حارث! تعرفني عند الممات و عند

^{٩٧} (١) الغرر للخوانساري ٣: ٣١٣.

^{٩٨} (١) ذيل المذيل: ١٤٤.

الصراف و عند الحوض و عند المقاسمة. قال الحارث: و ما المقاسمة؟ قال: مقاسمة النار، أقاسمها قسمةً صحيحةً، أقول هذا وليّ فاتركيه و هذا عدوّى فخذيه^{٩٩}.

و روى الكشى عن الشعبي قال: سمعت الحرث الأعور و هو يقول: أتيت أمير المؤمنين عليه السّلام ذات ليلة فقال: يا أعور! ما جاء بك؟ قلت: جاء بى و الله حبّك.

فقال: أما إنى سأحدثك لتشكرها، أما إنّه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يرانى حيث يحبّ، و لا يموت عبد يبغضنى فتخرج نفسه حتى يرانى حيث يكره. ثم قال الشعبي بعد روايته: أما إن حبّه لا ينفعه و بغضه لا يضره^{١٠٠}.

ص: ٣٤

قوله عليه السّلام «و تمسك بحبل القرآن» فالقرآن أحد الحبلين اللّذين أمر الناس التمسك بهما حتى لا يضلّوا و الآخر هو أهل بيته عليهم السّلام.

روى أحمد بن حنبل فى (مسنده) عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم إنى قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى، ألا و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض^{١٠١}.

و عن زيد بن ثابت عن النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: إنى تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض^{١٠٢}.

و رواه الثعلبى فى (تفسيره) فى قوله تعالى: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا»^{١٠٣} و فيه: انى تارك فيكم الثقلين خليفتين ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدى أحدهما أكبر من الآخر ...^{١٠٤}.

و روى الحميدى فى (الجمع بين الصحيحين) من مسند زيد بن أرقم من عدة طرق قال زيد: قام النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فىنا خطيباً بماء يدعى خمّا بين مكّة و المدينة فقال: أيّها الناس! إنّما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربّى فأجيب، و أنا

^{٩٩} (٢) أمالى المفيد: ٣ ح ٣ المجلس ١.

^{١٠٠} (٣) رجال الكشى: ٨٨ ح ١٤٢.

^{١٠١} (١) حديث أبى سعيد أخرجه أحمد فى مسنده ٣: ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩.

^{١٠٢} (٢) و حديث زيد بن ثابت أخرجه فى مسنده ٥: ١٨٧ - ١٨٩.

^{١٠٣} (٣) آل عمران: ١٠٣.

^{١٠٤} (٤) الطرائف ١٦٠: ١٢٢، عن الثعلبى.

تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي. ورواه مسلم في (صحيحه) مع زيادات^{١٠٥}.

ص: ٣٥

ثم معنى قول النبي: «إن أهل بيته و القرآن لن يفترقا» أن غيرهم يفترون عن القرآن و يقطعون حبله كما فصلوا و صلة عترته. و قال أبو عبد الله عليه السلام فيما أخبر عن الملاحم: لا و الله لا يرجع الأمر و الخلافة إلى آل أبي بكر و عمر أبدا و لا إلى بني أمية أبدا و لا في ولد طلحة و الزبير أبدا، و ذلك انهم نبذوا القرآن و أبطلوا السنن و عطلوا الأحكام. «و استنصحه» هكذا في (المصرية) و الصواب: «و انتصحه» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٠٦} (و الخطية)، أى: عده و اعتقده نصيحا لك.

قال الزهري قال علي بن الحسين عليه السلام: لو مت بين المشرق و المغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي. كان عليه السلام إذا قرأ «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ»^{١٠٧} يكررها حتى كاد أن يموت.

«و أحل حلاله و حرّم حرامه» و لا تحلل حرامه و لا تحرم حلاله، قال تعالى «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَ هَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ»^{١٠٨}.

«و صدق بما سلف من الحق» من كتبه و رسله، قال تعالى في كتابه في موضعين «وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ»^{١٠٩} و في موضع «مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ»^{١١٠} و في رسوله «ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ»^{١١١}، و قال تعالى في قوم «و يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ يَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ»

ص: ٣٦

«بِبَعْضٍ وَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا»^{١١٢}.

^{١٠٥} (٥) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣-١٨٧٤ ح ٣٦-٣٧، الطرائف ١: ١٢٢ ح ١٨٦.

^{١٠٦} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤٣، شرح ابن ميثم ٥: ٢١٩.

^{١٠٧} (٢) الفاتحة: ٤.

^{١٠٨} (٣) النحل: ١١٦.

^{١٠٩} (٤) يوسف: ١١١.

^{١١٠} (٥) الانعام: ٩٢.

^{١١١} (٦) آل عمران: ٨١.

^{١١٢} (١) النساء: ١٥٠-١٥١.

و قال ابن أبي الحديد أى: صدق بما فى القرآن من أيام الله فى الامم السالفة...^{١١٣} و هو كما ترى.

«و اعتبر بما مضى من الدنيا لما بقى منها» فى (وزراء الجهشياري): وجد فى ثنى مصلى الفضل بن يحيى لما نقل من محبس إلى آخر رقعة فيها:

لو لم تكن هذه الدنيا لها دول
بين البرية بالآفات و العطب
إذن صفت لاناس قبلنا و بهم
كانت تليق ذوى الأخطار و الحسب
و لم نلها و فيما قد ذكرت أسى
و عبرة لذوى الألباب و الأدب

«فإن بعضها يشبه بعضا و آخرها لاحق بأولها و كلها حائل مفارق» فى الخبر عن أبى جعفر عليه السلام: ينادى مناد كل يوم: يا ابن آدم لد للموت و اجمع للفناء و ابن للخراب^{١١٤}.

و عن أبى عبد الله عليه السلام: جاء جبرئيل إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم فقال: عش يا محمد ما شئت فانك ميت، و أحب من شئت فانك مفارقه، و اعمل ما شئت فانك لاقيه.

و قال ابن أبي الحديد: قال عليه السلام فى غير هذا الفصل: الماضى للمقيم عبرة، و الميت للحى عظة، و ليس لأمس عودة، و لا المرء من غد على ثقة، الأول للأوسط رائد، و الأوسط للأخير قائد، و كل بكل لاحق، و الكل للكل مفارق^{١١٥}.

«و عظم اسم الله أن تذكره إلا على حق» عن أبى عبد الله عليه السلام: من أجل الله أن يحلف به أعطاه خيرا ممّا ذهب عنه.

و عنه عليه السلام اجتمع الحواريون إلى عيسى فقالوا: يا معلم الخير! أرشدنا.

ص: ٣٧

فقال لهم: إن موسى نبى الله أمركم ألا تحلفوا بالله كاذبين و أنا أمركم ألا تحلفوا بالله كاذبين و لا صادقين.

و عنه عليه السلام: من حلف بالله كاذبا فقد كفر، و من حلف بالله صادقا أتم، إن الله عزّ و جلّ يقول: «و لا تجعلوا الله عرضةً لإيمانكم».

^{١١٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤٣.

^{١١٤} (٣) الكافى ٢: ١٣١ ح ١٤.

^{١١٥} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤٤.

و عنه عليه السّلام: من حلف على يمين و هو يعلم أنّه كاذب فقد بارز الله، و من قال «علم الله ما لم يعلم» اهتزّ العرش إعظاماً له.

و عنه عليه السّلام قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ لله ملكاً رجلاه في الأرض السفلى مسيرة خمسمائة عام و رأسه في السماء العليا مسيرة ألف سنة يقول: «سبحانك سبحانك حيث كنت فما أعظمك» فيوحى تعالى إليه: ما يعلم ذلك من يحلف بي كاذباً.

و في كتاب علي عليه السّلام: اليمين الكاذبة و قطيعة الرحم تدران الديار بلاقع من أهلها و تنغلّ في الرحم - يعني انقطاع النسل.

و عنه عليه السّلام: إذا ادّعى عليك مال و لم يكن له بيّنة فأراد أن يحلفك فإنّ بلغ مقداره ثلاثين درهما فأعطه و لا تحلف، و إن كان أكثر فاحلف و لا تعطه.

«و أكثر ذكر الموت و ما بعد الموت» حتّى تكون أفطن الناس، و قال أبو عبيدة الحذاء لأبي جعفر عليه السّلام: حدثني بما انتفع به. فقال له: أكثر ذكر الموت فإنّه لم يكثر انسان ذكر الموت إلّا زهد في الدنيا.

«و لا تمنّ الموت إلّا بشرط و وثيق» روى أنّ رجلاً جاء إلى الصادق عليه السّلام فقال: قد سئمت الدنيا فأتمنّى على الله الموت. قال: تمنّ الحياة لتطيع لا لتعصى، فلئن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت.

و الشرط الوثيق معلومية كونه من الأبرار و من أولياء الله تعالى، قال

ص: ٣٨

عزّ و جلّ «و ما عند الله خيرٌ للأبرار»^{١١٦} و قال لليهود المدّعين كونهم من أولياء الله «فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^{١١٧} و قد حكى تمنّى كثير من أوليائه تعالى و موتهم عقيب تمنّيهم.

«و احذر كلّ عمل يرضاه صاحبه لنفسه و يكرهه» هكذا في النسخ^{١١٨} و الظاهر كونه محرف «و يكرهه».

«لعمامة المسلمين، و احذر كلّ عمل يعمل به في السر و يستحى منه في العلانية» من القبائح لا ما ورد أصله سرّاً كالمناكح^{١١٩}.

^{١١٦} (١) آل عمران: ١٩٨.

^{١١٧} (٢) البقرة: ٩٤.

^{١١٨} (٣) شرح ابن ميثم ٥: ٢١٩.

^{١١٩} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤١.

«و احذر كلَّ عملٍ إذا سئل عنه صاحبه أنكره و اعتذر منه» قال ابن أبي الحديد: الثلاثة التي أمر عليه السلام بالحذر منها متقاربة في المعنى، و يشملها معنى قول الشاعر:

لا تنه عن خلق و تأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

و قال تعالى حاكيا عن أحد أنبيائه: «وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَأَكُمُ عَنْهُ»^{١٢٠}، و من كلام الجنيد: ليكن عملك من وراء سترك كعملك من وراء الزجاج الصافي. و في المثل «إيّاك و ما يعتذر منه»^{١٢١}.

قلت: بل البيت و الآية في معنى الأول، و كلام الجنيد في معنى الثاني، و المثل في معنى الثالث، لا أنّ كلّها يشمل الجميع.

«و لا تجعل عرضك غرضا» أي: هدفا.

ص: ٣٩

«لنبال القول» أي: سهام أقوالهم، قال الشاعر:

مقالة السوء إلى أهلها
و من دعا الناس إلى ذمّه
أسرع من منحدر سائل
ذمّوه بالحقّ و بالباطل

أيضا:

لا تستتر أبدا ما لا تقوم له
إن الزنابير إذا حرّكتها سفها
و لا تهيجنّ من عرينه الأسد
عن كورها أوجعت من لسعها الجسدا

^{١٢٠} (٥) هود: ٨٨.

^{١٢١} (٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤٤ - ٤٥.

فى (سنن أبى داود) عن السجّاد عليه السّلام قالت صفيّة: كان النبى صلّى الله عليه وآله معتكفا فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معى ليقلبنى - و كان مسكنها فى دار اسامة - فمر رجلان من الأنصار فلمّا رأيا النبى صلّى الله عليه وآله و سلّم أسرعا فقال: على رسلكما أنّها صفيّة بنت حى. قالوا: سبحان الله يا رسول الله! قال: إنّ الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدّم فخشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا.

«و لا تحدّث الناس بكل ما سمعت به» بأن تقول لهم الأمر الفلانى كذا و كذا استنادا إلى سماعك.

«فكفى بذلك كذبا» لأنّ أكثر ما يسمع الإنسان كذب و حينئذ فالواجب ألاّ يحدّث إلاّ بما رأى بعينه أو كروية العين من السماع عن الثقة.

و هذا نظير قوله عليه السّلام فى موضع آخر: «بين الحق و الباطل أربع أصابع» و أراد بالحق ما رآه بعينه و بالباطل ما سمعه بأذنه.

و قال ابن أبى الحديد: قد نهى عليه السّلام أن يحدّث الإنسان بكلّ ما رأى من العجائب، فضلا عمّا سمع، لأنّ الحديث الغريب المعجب تسارع النفس إلى تكذيبه، و إلى أن تقوم الدلالة على صدقه قد فرط من سوء الظن فيه ما فرط،

ص: ٤٠

و يقال إنّ بعض العلوية قال فى حضرة عضد الدولة ببغداد: عندنا فى الكوفة نبق، وزن كلّ نبقة متقالان، فاستظرف الملك ذلك و كاد يكذّبه الحاضرون، فلمّا قام ذكر ذلك لأبيه، فأرسل حماما كان عنده فى الحال إلى الكوفة يأمر وكلاءه بإرسال مئة حمام فى رجلى كلّ واحد نبقتان من ذلك النبق، فجاء النبق، فجاء النبق فى بكرة الغد و حمل إلى عضد الدولة، فاستحسنه و صدّقه، ثم قال له:

لعمرى لقد صدقت، و لكن لا تحدّث فيما بعد بكل ما رأيت من الغرائب، فليس كلّ وقت يتهيأ لك إرسال الحمام^{١٢٢}.

قلت: هو كما ترى، فكلامه عليه السّلام أنّه لا يجوز للإنسان أن يحدّث بجميع مسموعاته ممّا لا شاهد لصدقه لأنّ أكثرها كذب فإذا حدث كذب، و ما قاله شيء آخر و هو أنّه لا ينبغي للعاقل أن يحدّث بكل ما رأى من الغرائب مخافة أن يكذّبه الناس مع صدقه فيحصل له استصغار كما هو مفاد تحديث العلوى.

«و لا تردّ على الناس كلّ ما حدّثوك به» و لو كان غريبا فى مخلوقاته تعالى عجائب.

«فكفى بذلك جهلا» فى العالم أشياء لم ترها أصلا فكيف تنكر وجودها بعدم رؤيتك، و إنّما قال عليه السّلام لا تردّ كلّ ما حدّثوك لأنّ من الأمور أمورا ممكنة و منها أمورا ممتنعة قد قام البرهان على استحالتها، فيجوز لك ردّ الممتنع دون الممكن كما فى ردّ حضار مجلس العضد لكلام العلوى الممكن.

^{١٢٢} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤٥ - ٤٦.

«وأكظم الغيظ» قال ابن أبي الحديد: روى أن عبداً لموسى بن جعفر عليه السلام قدم إليه صحيفة فيها طعام حارّ، فعجل فصّبها على رأسه ووجهه، فغضب، فقال العبد: «وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ»^{١٢٣} قال: قد كظمت، قال «وَ الْعَافِينَ عَنِ»

ص: ٤١

«النَّاسِ»^{١٢٤}. قال: قد عفوت. قال: «وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^{١٢٥}. قال: أنت حرّ لوجه الله، و قد نحلّتك ضيعتي الفلانية^{١٢٦}.

قلت: و روى المفيد في (إرشاده): أن رجلاً من أهل بيت علي بن الحسين عليه السلام وقف عليه فأسمعه و شتمه فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: لقد سمعتم ما قال هذا الرجل و أنا أحبّ أن تبلغوا معي إليه حتّى تسمعوا منّي ردّي عليه. فقالوا له: نفع، و لقد كنّا نحبّ أن نقول له و نقول، فأخذ نعليه و مشى و هو يقول: «وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^{١٢٧}، فعلموا انه لا يقول له شيئاً، فلما أتى بابه قال: قولوا: له هذا علي بن الحسين، فخرج متوتّباً للشرّ و هو لا يشكّ أنّه إنّما جاء مكافئاً له على بعض ما كان له، فقال عليه السلام له: يا أخي! كنت قد وقفت على أنّا و قلت و قلت، فإن كنت قلت ما فيّ، فأستغفر الله منه، و إن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك. فقَبِلَ الرجل بين عينيه و قال: بل قلت فيك ما ليس فيك و أنا أحقّ به. قال الراوى: و الرجل هو الحسن بن الحسن^{١٢٨}.

«و تجاوز عند المقدرة، و احلم عند الغضب» هكذا في (المصرية) و الصواب:

(و احلم عند الغضب و تجاوز عند المقدرة) كما في (ابن أبي الحديد)^{١٢٩} و (ابن ميثم)^{١٣٠} و (الخطبية).

في (تاريخ يعقوبى): قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: أوصنى. فقال له:

ص: ٤٢

أوصيك بتقوى الله و اجتناب الغضب و ترك الأمانى، و أن تحافظ على ساعتين من نهار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس و من العصر إلى غروبها، و لا تفرح بما علمت و لكن بما عملت فيهما^{١٣١}.

^{١٢٣} (٢) آل عمران: ١٣٤.

^{١٢٤} (١) آل عمران: ١٣٤.

^{١٢٥} (٢) آل عمران: ١٣٤.

^{١٢٦} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤٦.

^{١٢٧} (٤) آل عمران: ١٣٤.

^{١٢٨} (٥) الإرشاد: ٢٥٧.

^{١٢٩} (٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤٦.

^{١٣٠} (٧) شرح ابن ميثم ٥: ٢٢٠.

^{١٣١} (١) تاريخ يعقوبى ٢: ٢٠٩.

«و اصفح مع الدولة» أى: الغلبة، قال تعالى: «وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ»^{١٣٢} أى: مرة لهؤلاء و مرة لهؤلاء، و قال الشاعر:

استدل الايام و الدهر دول

«تكن لك العاقبة» فى (ذيل الطبرى): قال سالم مولى أبى جعفر: كان هشام بن اسماعيل يؤذى على بن الحسين عليه السلام و أهل بيته، يخطب على المنبر و ينال من على، فلما ولى الوليد بن عبد الملك عزله، و أمر به أن يوقف للناس - كان هشام يقول لا و الله ما كان أحد من الناس أهم إليّ من على بن الحسين، كنت أقول رجل صالح يسمع قوله - فوقف للناس، فجمع على بن الحسين ولده و حامته، و نهاهم عن التعرض له، و غدا عليه السلام ماراً لحاجة، فما عرض له، فناداه هشام «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»^{١٣٣}.

و قال ابن أبى الحديد: قوله: «اصفح مع الدولة» هذه كانت شيمه النبي صلى الله عليه و آله و سلم و شيمه على، أما النبي فظفر بمشركى قريش و عفا عنهم، و أما على فظفر بأصحاب الجمل و قد شقوا عصا الاسلام عليه، و طعنوا فيه و فى خلافته، فعفا عنهم مع علمه بأنهم يفسدون عليه أمره فيما بعد، و يصيرون إلى معاوية إما بأنفسهم أو بآرائهم و مكتوباتهم، و هذا أعظم من الصفح عن أهل مكة لأن أهل مكة لم يبق لهم لما فتحت فته يتحيزون

ص: ٤٣

إليها، و يفسدون الدين عندها^{١٣٤}.

«و استصلح كلّ نعمة أنعمها الله عليك» لأنه تعالى يسلب نعمته إذا أفسدها العبد «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»^{١٣٥}.

«و لا تضيعنّ نعمة من نعم الله عندك» فمن ضيع نعمته تعالى فسلبت عنه ثم دعا لعودها كان من طوائف لا يستجيب دعاءهم.

و يمكن أن يراد بتضيع النعمة أن لا يتمتع هو منها و لا يمتّع الناس منها، كمن عنده فاكهة فلا يأكلها و لا يعطيها غيره حتى تفسد فيكون من المفسدين.

«و لير عليك أثر ما أنعم الله به عليك» فإن كتمانها كفران يوجب السلب، و لا يرتضى هذه الخلة المخلوق فكيف الخالق.

^{١٣٢} (٢) آل عمران: ١٤٠.

^{١٣٣} (٣) ذيل المذيل: ١٢٠. و الآية ١٢٤ من سورة الأنعام.

^{١٣٤} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤٧.

^{١٣٥} (٢) الرعد: ١١.

قال أبو هلال العسكري في (ديوان معانيه): قال ابن قتيبة: أراد جعفر حاجةً كان طريقه إليها على باب الأصمعي، فدفع إلى خادم له ألف دينار و قال:

إني سأنزل في رجعتي إلى الأصمعي ثم يحدثني و يضحكني فإذا ضحكت فضع الكيس بين يديه فلما رجع دخل عليه فرأى حبًا مكسور الرأس و جرةً مكسورة العنق و قصعةً مشعبةً و جفنةً أعشار، و رآه على مصلى بال و عليه بركان أجرد، فغمز غلامه ألا يضع الكيس بين يديه، فلم يدع الأصمعي شيئاً مما يضحك الثكلان و الغضبان إلا أوردته عليه فما تبسم، ثم خرج فقال لرجل يسايره: من استرعى الذئب ظلم، و من زرع سبخةً حصد الفقر، إني و الله لو علمت أن هذا يكتنم المعروف بالفعل ما حفلت له بنشره له باللسان، و أين يقع مديح اللسان من آثار الإنسان، إن اللسان قد يكذب و الحال لا يكذب،

ص: ٤٤

و لله در نصيب حيث يقول:

فعاوجوا فأتوا بالذي أنت أهله و لو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ثم قال: أما علمت ان طاق أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان^{١٣٦}.

«و اعلم أن أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمه من نفسه و أهله و ماله» قال تعالى:

«وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ»^{١٣٧}، «وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ»^{١٣٨}، «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»^{١٣٩}.

و في (مقاتل أبي الفرج): قال العباس بن علي يوم الطف لأخيه من أبيه و امه عبد الله بن علي: تقدم بين يدي حتى أراك قتيلًا و أحتسبك^{١٤٠}.

^{١٣٦} (١) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري

^{١٣٧} (٢) البقرة: ٢٢٣.

^{١٣٨} (٣) الحشر: ١٨.

^{١٣٩} (٤) التوبة: ١١١.

^{١٤٠} (٥) مقاتل الطالبين: ٥٤.

و فى (الطبرى): قال عابى بن شبيب الشاكرى لشوذب مولى شاكى يوم الطف: ما فى نفسك أن تصنع؟ قال: اقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتى اقتل. قال: ذلك الظن بك، فتقدم بين يدي أبى عبد الله عليه السلام حتى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه و حتى أحتسبك أنا، فإنه لو كان معى الساعة أحد أنا أولى به منى بك لسرنى أن يتقدم بين يدي حتى أحتسبه، فإن هذا يوم ينبغى أن نطلب الأجر فيه بكل ما قدرنا عليه، فإنه لا عمل

ص: ٤٥

بعد اليوم و إنما هو الحساب^{١٤١}.

«فإنك» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (و إنك) كما فى (ابن أبى الحديد)^{١٤٢} و (ابن ميثم)^{١٤٣} و (الخطيه).

«ما تقدم من خير يبقى لك ذخره» «و ما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً و أعظم أجراً»^{١٤٤}.

«و ما تؤخره يكن لغيرك خيره» و لذا قيل: إن الناس مال غيرهم أحب إليهم من مالهم لأنه ليس مالهم إلا ما قدموه و أنفقوه فى سبيله تعالى، و أمّا ما ادخروه فهو مال وراثتهم.

«و احذر صحابه من يفيل» أى: يضعف.

«رأيه» قال جرير:

و جربت الفراسه كنت فالاً

رأيتك يا أخبطل إذ جرينا

«و ينكر عمله فإنّ الصاحب معتبر بصاحبه» قال الصادق عليه السلام: لا تصحبوا أهل البدع و لا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم.

قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: المرء على دين خليله و قرينه، و قال ابن أبى الحديد^{١٤٥}:

قال طرفه:

^{١٤١} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٤٤٣.

^{١٤٢} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤١.

^{١٤٣} (٣) شرح ابن ميثم ٥: ٢٢٠.

^{١٤٤} (٤) المزمّل: ٢٠.

^{١٤٥} (٥) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤٨.

عن المرء لا تسأل و سل عن قرينه

فكلّ قرين بالمقارن يقتدى

«و اسكن الأمصار العظام فإنّها جماع» بالضم و التشديد، أى: الاخلاط و الإشابة، قال أبو قبيس بن الأسلت:

ص: ٤٤

ثمّ تجلّت و لنا غاية

من بين جمع غير جماع

و جماع الثريا كواكبها المجتمعة، قال ذو الرمة:

و نهب كجماع الثريا حويته

بأجرد محتوت الصفاقين خيفق

«المسلمين» و لأنّ فيها كلّ ما يحتاج إليه.

«و احذر منازل الغفلة و الجفاء و قلة الأعوان على طاعة الله» و لذا يكون التعرّب بعد الهجرة كبيرة، و كانت الهجرة قبل الفتح فريضة.

«و اقصر» أى: أحصر.

«رأيك على ما يعينك» أى: يهّمك و إلّا فمن تابع الفضول فاتته الاصول.

«و إياك و مقاعد الأسواق فإنّها محاضر» أى: أمكنة حضور.

«الشيطان و معاريض» أى: مواضع عروض.

«الفتن» عن أبي جعفر عليه السّلام: جاء أعرابي من بني عامر إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فسأله عن خير بقاع الأرض و شرّ بقاع الأرض. فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ خير بقاع الأرض المساجد و أحبّ أهلها إلى الله أولهم

دخولا و آخرهم خروجاً، و إنَّ شرَّ بقاع الأرض الأسواق و هى ميدان ابليس يغدو برايته و يضع كرسيه و بيت ذرّيته فيبين مطّفّ في قفيز أو طائش في ميزان، أو سارق في ذرع أو كاذب في سلعة، فلا يزال مع أوّل من يدخل و آخر من يخرج.

«و أكثر أن تنظر إلى من فضّلت عليه فإنّ ذلك من أبواب الشّكر» يمكن أن يراد بإكثار النظر إلى المفضّل عليه التّفكّر في نعمه الله عليك بتفضيلك فتشكره تعالى على ذلك، و يمكن أن يراد به إكثار مساعدته ليكون شكرا لنعمة تعالى عليه.

و فى (وزراء الجهشياري): قال ابن المعتمر: كنت أسير مع يحيى

ص: ٤٧

البرمكى و هو بين ابنه الفضل و جعفر، فإذا ابن طرخان واقف على الطريق، فنادانى فاستشرفت له فقال:

صحبت البرامك عشرا ولاء و بيتى كراء و خبزي شراء

فسمعه يحيى فالتفت إلى ابنه فقال: أفّ لهذا العقل فلان ممّن يحاسب، فلما كان من الغد جاء ابن طرخان فقلت له: ويحك ما هذا الذى عرضت له نفسك بالأمس. فقال: اسكت ما هو إلّا أن انصرفت إلى منزلى حتّى جاءنى من قبل الفضل بدره و من قبل جعفر بدره، و وهب لى كلّ واحد منهما دارا و أجرى لى من مطبخه ما يكفينى.

و كان يحيى يقول: ما وقع غبار مركبى على لحيه رجل قطّ إلّا أوجبت له على نفسى حفظه و ألزمتها حقّه.

«و لا تسافر فى يوم جمعة حتّى تشهد الصلاة» «إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله»^{١٤٦} و قبل النداء إذا سافر فوّت على نفسه فضلا كثيرا.

«إلّا فاصلا فى سبيل الله» فى الجهاد الواجب.

«أو فى أمر تعذر به» من السفر الاضطرارى.

«و اطع الله فى جميع» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (فى جمل) كما فى (ابن أبى الحديد)^{١٤٧} و (ابن ميثم)^{١٤٨} و (الخطية).

«أمورك فإنّ طاعة الله فاضلة على ما سواها» «و من يطع الله و رسوله فقد فاز فوزاً عظيماً»^{١٤٩}

^{١٤٦} (١) الجمعة: ١٠.

^{١٤٧} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤٢.

^{١٤٨} (٣) شرح ابن ميثم الاحزاب ٥: ٢٢٠.

«مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّالِحِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا»^{١٥٠}، «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَى اللَّهَ وَ يَتَّقَهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ»^{١٥١}، «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»^{١٥٢}.

«وَ خَادِعَ نَفْسِكَ فِي الْعِبَادَةِ» روى (إرشاد المفيد) عن سعد بن كلثوم قال:

كنت عند جعفر بن محمد عليه السلام فذكر عليًا فقال: و الله ما أكل من الدنيا حرامًا قطّ حتّى مضى لسبيله، و ما عرض له أمران قطّ هما لله رضى إلّا أخذ بأشدهما عليه فى دينه، و ما نزلت بالنبي صلى الله عليه و آله نازلة قطّ إلّا دعاه ثقةً به، و ما أطاق عمل النبي من هذه الأمة غيره، و إن كان ليعمل عمل رجل كأن وجهه بين الجنة و النار يرجو ثواب هذه و يخاف من عقاب هذه، و لقد أعتق من ماله مئة ألف مملوك فى طلب وجه الله و النجاة من النار ممّا كدّ بيده و رشح منه جبينه، و إن كان ليقوت أهله بالزيت و الخلّ و العجوة، و ما كان لباسه إلّا الكرابيس، إذا فضل شيء عن يده من كمه دعا بالجلم فقصّه.

و ما من أهل بيته أحد أقرب شبيهاً به فى لباسه و فقهه من على بن الحسين عليه السلام، و لقد دخل أبو جعفر ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه، فرآه قد اصفرّ لونه من السهر و رمضت عيناه من البكاء، و دبّرت جبهته و انخرم أنفه من السجود، و رمت ساقاه و قدماه من القيام فى الصلاة، فلم يملك نفسه من البكاء حين رآه بتلك الحال فبكى رحمةً له و إذا هو يفكر، فالتفت إليه بعد هنيهة و قال له: يا بنى! اعطنى بعض تلك الصحف التى فيها عبادة على

بن ابى طالب، فأعطاه فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجراً و قال:

من يقوى على عبادة على عليه السلام^{١٥٣}.

و روى (أمالى الشيخ): أن فاطمة بنت على عليه السلام لما نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها على بن الحسين بنفسه من الدأب فى العبادة أتت جابر الأنصارى فقالت له: يا صاحب النبى! إن لنا عليكم حقوقاً. و منها إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكروه الله و تدعوه إلى البقى على نفسه - و هذا على بن الحسين بقيقه أخى الحسين قد انخرم أنفه و ثفنت جبهته و ركبته و راحتاه إدآباً منه لنفسه فى العبادة. فأتى جابر إليه عليه السلام و قال له: أما علمت يا ابن رسول الله أن الله تعالى إنمّا خلق

^{١٤٩} (٤): ٧١.

^{١٥٠} (١) النساء: ٦٩.

^{١٥١} (٢) التور: ٥٢.

^{١٥٢} (٣) النساء: ١٣.

^{١٥٣} (١) الإرشاد للمفيد: ٢٥٥ - ٢٥٦.

الجنة لكم و لمن أحبكم و خلق النار لمن أبغضكم و عاداكم، فما هذا الجهد الذى كلفته نفسك؟ فقال عليه السلام: أما علمت يا صاحب النبي أن جدى رسول الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر فلم يدع الاجتهاد له و تعبد- بأبى هو و امى - حتى انتفخ الساق و ورم القدم؟ و قيل له:

أ تفعل هذا و قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر؟ قال: أ فلا أكون عبدا شكورا؟ فلما رأى جابر أنه ليس يعنى فيه قوله قال له: يا ابن رسول الله! البقيا على نفسك فإنك من اسرة بهم يستدفع البلاء و يستكشف اللأواء و بهم يستمطر السماء. فقال عليه السلام له: يا جابر! لا أزال على منهاج أبوى صلوات الله عليهما مؤتسيا بهما حتى ألقاهما. فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: و الله ما أرى فى أولاد الأنبياء بمثل على بن الحسين إلا يوسف بن يعقوب، و الله لذرية على بن الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب إذ منهم لمن يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا»^{١٥٤}.

ص: ٥٠

«و ارفق بها و لا تقهرها، و خذ عفوها و نشاطها» فى (الكافى) عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم:

إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، و لا تكرهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبت الذى لا سفرا قطع و لا ظهرا أبقى^{١٥٥}.

«إلا ما كان مكتوبا عليك من الفريضة فإنه لا بد من قضائها» أى: أدائها كقوله تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ»^{١٥٦}.

«و تعاهدها عند محلها» أى: عند وقتها سواء كان لك نشاط أم لا بخلاف النافلة.

و فى (الكافى) عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم: إن للقلوب إقبالا و إدبارا، فإذا أقبلت فتنبّلوا و إذا أدبرت فعليكم بالفيضة.

و روى أن أبا الحسن موسى عليه السلام كان إذا همّ ترك النافلة^{١٥٧}.

«و إياك أن ينزل بك الموت و أنت آبق من ربك فى طلب الدنيا» قيل لأبى ذر:

كيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أمّا المحسن فكالعائب يقدم على أهله و أما المسىء فكالآبق يقدم على مولاه. قيل له: فكيف حالنا عند الله؟ قال: اعرضوا أعمالكم على كتاب الله إنه تعالى يقول: «إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ»^{١٥٨}. قيل له: فأين رحمة الله؟ قال: «إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ»^{١٥٩}.

^{١٥٤} (٢) أمالى الطوسى ٢: ٢٤٩، المجلس ١٣.

^{١٥٥} (١) الكافى ٢: ٨٦ ح ١.

^{١٥٦} (٢) الجمعة: ١٠.

^{١٥٧} (٣) الكافى ٣: ٤٥٤، ح ١٥ و ١٦.

«وإياك و مصاحبة الفساق فإن الشرّ بالشرّ ملحق» روى (الكافي): أن الهادي عليه السلام قال للجعفرى: مالى رأيتك عند عبد الرحمن بن أبى يعقوب؟ فقال

ص: ٥١

له: إنه خالى. فقال عليه السلام: إنه يقول فى الله تعالى قولاً عظيماً يصف الله تعالى و لا يوصف فإمّا جلست معه و تركتنا و إمّا جلست معنا و تركته. فقال الجعفرى:

هو يقول ما شاء، أى شىء علىّ منه إذا لم أقل بقوله؟ فقال: أما تخاف أن تنزل به نعمة فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت الذى كان من أصحاب موسى عليه السلام و كان أبوه من أصحاب فرعون، فلما لحق خيل فرعون موسى تخلف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسى، فمضى أبوه و هو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر ففرقا جميعاً و أتى موسى الخبر فقال: هو فى رحمة الله و لكنّ النعمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع.

و روى عن محمد بن مسلم قال: مرّ بى أبو جعفر عليه السلام و أنا جالس عند قاض بالمدينة، فدخلت عليه من الغد فقال لى: ما مجلس رأيتك فيه أمس؟ قلت له: جعلت فداك! إن هذا القاضى لى مكرم فرّبما جلست إليه. فقال لى: و ما يؤمنك أن تنزل اللعنة عليه فتعمّ من فى المجلس^{١٦٠}.

«و قر الله» فإنه لازم الإيمان به و لازم المعرفة بعظمته و قدرته، قال نوح لقومه: «ما لكم لا ترجون لله وقاراً و قد خلقكم أطواراً»^{١٦١}.

«و أحب أحبائه» فى (الكافي) عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال لأصحابه: أى عرى الإيمان أوثق؟ فقال بعضهم: الصلاة، و قال بعضهم: الزكاة، و قال بعضهم:

الصيام، و قال بعضهم: الحج و العمرة، و قال بعضهم: الجهاد، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: لكلّ ما قلتم فضل، و لكنّ أوثق عرى الإيمان بالله الحبّ فى الله، و البغض فى الله و توالى أوليائه و التبرّى من أعدائه.

و عنه صلى الله عليه و آله و سلم قال: ودّ المؤمن للمؤمن من أعظم شعب الإيمان، ألا و من

ص: ٥٢

أحبّ فى الله و أبغض فى الله و أعطى فى الله و منع فى الله فهو من أصفياء الله.

^{١٥٨} (٤) الانفتار: ١٣-١٤.

^{١٥٩} (٥) الاعراف: ٥٦.

^{١٦٠} (١) الكافي ٢: ٣٧٤ ح ٢.

^{١٦١} (٢) نوح: ١٣-١٤.

و عن السجاد عليه السلام قال: إذا جمع الله الأولين و الآخرين قام مناد يسمع الناس فيقول: أين المتحابون في الله؟ فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنة بغير حساب، فتتلقاهم الملائكة فتقول لهم: فأىّ ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله، فيقولون: أىّ شيء كانت أعمالكم؟

قالوا كنا نحبّ في الله و نبغض في الله، فيقولون لهم: نعم أجر العاملين^{١٦٢}.

«و احذر الغضب فإنه جند عظيم من جنود إبليس» روى (الكافي): أن رجلا بدويًا أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: إنني أسكن البادية فعلمني جوامع الكلم. فقال: آمرك ألا تغضب، فأعاد عليه المسألة ثلاث مرّات حتى رجع الرجل إلى نفسه فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني النبيّ إلّا بالخير.

و كان أبى يقول: أىّ شيء أشدّ من الغضب؟! إن الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرّم الله و يقذف المحصنة.

و عن أبى جعفر عليه السلام: إن الرجل ليغضب فما يرضى أبدا حتى يدخل النار، فأیما رجل غضب على قوم و هو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، و أيما رجل غضب على ذى رحم فليدن منه و ليمسه فإنّ الرحم إذا مسّت سكنت^{١٦٣}.

٨

الخطبة (٢٢) و من خطبة له ع أما بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض - كقطرات المطر إلى كل

ص: ٥٣

نفس بما قسم لها - من زيادة أو نقصان - فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة - في أهل أو مال أو نفس - فلا يكونن له فتنه - فإنّ المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر - فيخشع لها إذا ذكرت و تغرى بها لئام الناس - كان كالفالج اليباس الذي ينتظر أول فوزه - من قداحه توجب له المغنم و يرفع بها عنه المعرم - وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة - ينتظر من الله إحدى الحسنين - إما داعى الله فما عند الله خير له - و إما رزق الله فإذا هو ذو أهل و مال - و معه دينه و حسبه - إن المال و البنين حرث الدنيا - و العمل الصالح حرث الآخرة - و قد يجمعهما الله تعالى لأقوام - فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه - و أخشوه خشية ليست بتعذير - و اعملوا في غير رياء و لا سمعة - فإنه من يعمل لغير الله يكلفه الله لمن عمل له - نسأل الله منازل الشهداء و معايشة السعداء - و مراقبة الأنبياء - أيها الناس إنّه لا يستغنى الرجل - و إن كان ذا مال عن عشيرته - و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم - و هم أعظم الناس حظة من ورائه و المهّم لشعبه - و أعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به - و لسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس - خير له من المال يورثه غيره - و منها ألا لا يعدلن عن القرابة يرى بها الخصاصة - أن يسدها بالذى لا يزيدُه إن أمسكه - و لا ينفسه إن أهلكه - و من يقبض يده عن عشيرته - فإنما يقبض منه عنهم يد واحدة - و يقبض منهم عنه أيدي

^{١٦٢} (١) الكافي ٢: ١٢٥ - ١٢٦ ح ٣ و ٦ و ٨ بتصرف في بعض الألفاظ.

^{١٦٣} (٢) الكافي ٢: ٣٠٢ - ٣٠٣ ح ٢ و ٤.

كَبِيرَةٌ - وَ مَنْ تَلِنَ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِرُّ مِنْ قَوْمِهِ الْمَوَدَّةَ قَالَ الشَّرِيفُ: أَقُولُ: الْغَفِيرَةُ هُنَا الزِّيَادَةُ وَ الْكَثْرَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْجَمْعِ الْكَثِيرِ «الْجَمَّ الْغَفِيرِ وَ الْجَمَاءُ الْغَفِيرُ»، وَ يَرَوِي «عَفْوَةٌ مِنْ أَهْلِ أَوْ

ص: ٥٤

مال» وَ الْعَفْوَةُ الْخِيَارُ مِنَ الشَّيْءِ، يُقَالُ: أَكَلْتُ عَفْوَةَ الطَّعَامِ، أَيْ خِيَارَهُ، وَ مَا أَحْسَنَ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَوْلِهِ «وَ مَنْ يَقْبِضُ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ» إِلَى تَمَامِ الْكَلَامِ - فَإِنَّ الْمَمْسُكَ خَيْرُهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يَمْسُكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةً فَإِذَا احتَاجَ إِلَى نَصْرَتِهِمْ وَ اضْطُرَّ إِلَى مَرَادَتِهِمْ قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ وَ تَنَاقَلُوا عَنْ صُرُوتِهِ، فَمَنْعَ تَرَافُدِ الْأَيْدِي الْكَثْرَةَ وَ تَنَاهَضَ الْأَقْدَامَ الْجَمَّةَ.

وَ قَالَ فِي فَصْلِ غَرِيبِ حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ (٢٦٠) فِي الثَّامِنِ: «وَ مِنْ حَدِيثِهِ كَالْيَاسِرِ الْفَالَجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فُورَزَةٍ مِنْ قَدَاحِهِ» الْيَاسِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَنْتَظِرُونَ بِالْقَدَاحِ عَلَى الْجَزُورِ، وَ الْفَالَجُ الْقَاهِرُ وَ الْغَالِبُ، يُقَالُ:

فَلَجَ عَلَيْهِمْ وَ فَلَجَهُمْ، قَالَ الرَّاجِزُ:

لَمَّا رَأَيْتَ فَالِجًا قَدْ فَلَجَا

أَقُولُ: الثَّانِي كَمَا تَرَى جِزْءَ الْأَوَّلِ فَهُوَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي قَالَ: «وَ رَبِّمَا بَعْدَ الْعَهْدِ» بِمَا اخْتِيرَ أَوَّلًا فَأَعِيدَ بَعْضُهُ سَهْوًا وَ نَسْيَانًا، وَ رَوَى الْأَوَّلُ نَصْرَ بِنِ مَزَاحِمٍ فِي (صَفِينَةَ نَصْرَ بِنِ مَزَاحِمٍ - وَقَعَةُ صَفِينٍ - ص ١٠) وَ الدِّينُورِيُّ فِي (طَوَالِهِ الدِّينُورِيُّ - الْإِخْبَارِ الطَّوَالِ - ص ١٥٢ وَ ١٥٣) وَ ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي (خُلَفَاءِ ابْنِ قَتَيْبَةَ - الْإِمَامَةُ وَ السِّيَاسَةُ - ج ١ ص ١١٤) وَ الْبِيعُوقِيُّ فِي (تَارِيخِهِ الْبِيعُوقِيُّ - تَارِيخِ الْبِيعُوقِيِّ - ج ٢ ص ٢٠٧) وَ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ فِي (كَافِيهِ الْكَلِينِيِّ - الْكَافِي - ج ٢ ص ١٥٤) بِزِيَادَةٍ وَ نَقْصَانٍ وَ اخْتِلَافٍ، وَ كَذَا ابْنُ عَسَاكِرِ ابْنِ عَسَاكِرٍ - تَارِيخِ دِمَشْقٍ - ج ٣ ص ٢٦٩ تَا ٢٧١ ح ١٢٩١ وَ ١٢٩٢ فِي تَرْجُمَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِطَرِيقَيْنِ عَنْ يَحْيَى بْنِ مَعْمَرٍ، وَ فِي طَرِيقِ الثَّانِي سَفِيَانَ بْنَ عَيِّنَةَ وَ قَالَ قَالَ مِنْ يَحْسَنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَذَا الْكَلَامِ إِلَّا عَلَى^{١٦٤}!؟

وَ رَوَى الْأَوَّلُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: خُطِبَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي الْجُمُعَةِ بِالْكُوفَةِ وَ الْمَدِينَةِ، أَنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ وَ أَسْتَعِينُهُ وَ أَسْتَهْدِيهِ، وَ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مَضَلَّ لَهُ، وَ مَنْ يَضِلُّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ، انْتَخَبَهُ لِأَمْرِهِ وَ اخْتَصَّهُ

ص: ٥٥

بِالنَّبِوَةِ أَكْرَمَ خَلْقِهِ عَلَيْهِ وَ أَحَبَّهُمْ إِلَيْهِ، فَبَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ وَ نَصَحَ لِأُمَّتِهِ وَ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ وَ أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ خَيْرٌ مَا تَوَاصَى بِهِ عِبَادُ اللَّهِ وَ أَقْرَبُهُ لِرِضْوَانِ اللَّهِ وَ خَيْرُهُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ، وَ بِتَقْوَى اللَّهِ أَمْرَتُمْ وَ لِلْإِحْسَانِ وَ الطَّاعَةِ خَلَقْتُمْ،

^{١٦٤} (١) ابن عساكر ٣: ٢٦٩ - ٢٧١ ح ١٢٩١ - ١٢٩٢.

فاحذروا من الله ما حذرکم من نفسه، فإنّه حذرّ بأساً شديداً، و اخشوا الله خشيةً ليست بتعذير، و اعملوا بغير رياء و لا سمعةً، فإنّه من عمل لغير الله و كله الله إلى ما عمل له، و من عمل الله مخلصاً تولّى الله أجره، و أشفقوا من عذاب الله فإنّه لم يخلقكم عبثاً و لم يترك شيئاً من أمرکم سدى، قد سمى آثارکم و علم أعمالکم و كتب آجالکم، فلا تغتروا بالدنيا فإنّها غرارةٌ بأهلها مغرور من اغترّب بها و إلى فناء ما هي، إنّ الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون، أسأل الله منازل الشهداء و مرافقة الأنبياء و معيشة السعداء فانما نحن له و به^{١٦٥}.

و منله الثاني إلّا أنّه قال: و إنّ أول جمعة صلّى بالكوفة خطب فقال ...^{١٦٦}.

و قال الثالث: ذكروا أن عليّاً عليه السّلام قام خطيباً فقال: أيّها النّاس! ألا إنّ هذا القدر ينزل من السماء كقطر المطر على كلّ نفس بما كتب من زيادة أو نقصان في أهل أو مال، فمن أصابه نقصان في أهل أو مال فلا يغشّ نفسه، ألا و إنّما المال حرث الدنيا و العمل الصالح حرث الآخرة و قد يجمعهما الله لأقوام. و قد دخل في هذا العسكر طمع من معاوية فضعوا عنكم همّ الدنيا بفراقها و شدة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها، فإن نازعتكم أنفسكم إلى غير ذلك فردّوها إلى الصبر و وطنوها على العزاء، فو الله إنّ أرجى ما أرجوه الرزق من الله من حيث

ص: ٥٦

لا يحتسب، و قد فارقكم مصقلة بن هبيرة فآثر الدنيا على الآخرة، و فارقكم بسر ابن أرطأة فأصبح ثقیل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال، و فارقكم زيد ابن عدی بن حاتم فأصبح ليسأل الرجعة، و أيم الله لودّت رجال مع معاوية أنّهم معى فباعوا الدنيا بالآخرة، و لودّت رجال معى أنّهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا^{١٦٧}.

و ما فيه من فراق بسر عنه كمصقلة و زيد غريب، فلم يذكر أحد أنه كان معه عليه السّلام أولاً.

و قال أيضاً- بعد ذكر بيعته عليه السّلام- و ذكروا أن البيعة له عليه السّلام لما تمّت بالمدينة خرج إلى المسجد فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و وعد الناس خيراً ثم قال: لا يستغنى الرجل و ان كان ذا مال و ولد عن عشيرته و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم، هم أعظم الناس حيطه من ورائه و ألهم لشعته و أعظفهم عليه إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الامور، و من يقبض يده عن عشيرته فإنّه يقبض عنهم يدا واحدة و تقبض عنه أيد كثيرة، و من بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله ما أنفق في دنياه و يضاعف له في آخرته.

و اعلموا أنّ لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس، خير له من المال، فلا يزدادنّ أحدكم كبرياء و لا عظمة في نفسه، و لا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصلها بالذى لا يزيده إن أمسكه و لا ينقصه إن أهلكه.

^{١٦٥} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٠.

^{١٦٦} (٢) الأخبار الطوال: ١٥٢-١٥٣.

^{١٦٧} (١) الامامة و السياسة: ١: ١١٤.

و اعلموا أنّ الدنيا قد أدبرت و الآخرة قد أقبلت. ألا و إنّ المضمار اليوم و السابق غدا، ألا و إنّ السابق الجنة و الغاية النار، ألا إنّ الأمل يسهى القلب و يكذب الوعد و يأتي بغفلة و يورث حسرة فهو غرور و صاحبه فى عناء،

ص: ٥٧

فافزعوا إلى قوام دينكم و إتمام صلاتكم و أداء زكاتكم و النصيحة لإمامكم، و تعلّموا كتاب الله و أصدقوا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و أوفوا بالعهد إذا عاهدتم و أدّوا الأمانات إذا أئتمنتم و اربحوا ثواب الله و ارهبوا عذابه و اعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدّم الخير^{١٦٨}.

و قال الرابع: خطب عليه السلام فتلا قوله عزّ و جلّ: «إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَ نَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ»^{١٦٩} ثم قال: إنّ هذا الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كلّ نفس بما كتب الله لها من نقصان فى نفس أو أهل أو مال، فمن أصابه نقص فى أهله و ماله و رأى عند أخيه عفو فلا يكون ذلك عليه فتنة، فإن المرء المسلم ما لم يأت دناءة يخشع لها و ذلة إذا ذكرت و تغرى به لثام الناس كالباسر الفالنج الذى ينتظر أول فوزه من قداحه يوجب له المغنم و يدفع عنه المغرم، كذلك المرء البرىء من الخيانة و الكذب يترقب كل يوم و ليلة إحدى الحسينيين إمّا داعى الله فما عند الله خير له و اما فتحا من الله فإذا هو ذو أهل و مال و معه حسبه و دينه، المال و البنون حرث الدنيا و العمل الصالح حرث الآخرة و قد يجمعهما الله لأقوام^{١٧٠}.

و روى الخامس مسندا عن الحسن قال: خطب عليه السلام فحمد الله و أثنى عليه و قال: أما بعد فإنه إنّما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصى و لم ينههم الربانيون و الأحبار عن ذلك، و إنهم لما تمادوا فى المعاصى و لم ينههم الربانيون و الأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر. و اعلموا أنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لن يقربا

ص: ٥٨

أجلا و لن يقطعوا رزقا، إنّ الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قدّر الله لها من زيادة أو نقصان، فإن أصاب أحدكم مصيبة فى أهل أو مال أو نفس و رأى عند أخيه غفيرة فى أهل أو مال أو نفس فلا يكون له فتنة، فإن المرء المسلم لبرئ من الخيانة ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت و يغرى بها لثام الناس، كان كالفالنج الباسر الذى ينتظر أول فوزه من قداحه حتى توجب له المغنم و يدفع عنه بها المغرم، و كذلك المرء المسلم البرىء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسينيين إمّا داعى الله فما عند الله خير له، و إمّا رزق الله فإذا هو ذو أهل و مال و معه دينه و حسبه، إنّ المال و البنين حرث الدنيا و العمل الصالح حرث الآخرة و قد يجمعهما الله لأقوام، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه و اخشوه خشية

^{١٦٨} (١) الإمامة و السياسة ١: ٥٠ - ٥١.

^{١٦٩} (٢) يس: ١٢.

^{١٧٠} (٣) تاريخ يعقوبى ٢: ٢٠٧.

ليست بتعذير و اعملوا في غير رياء و لا سمعة، فإنه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له، نسأل الله منازل الشهداء و معايشة السعداء و مرافقة الأنبياء.

و عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: لن يرغب المرء عن عشيرته و إن كان ذا مال و ولد عن مودّتهم و كرامتهم و دفاعهم بأيديهم و ألسنتهم، هم أشدّ الناس حيطةً من ورائه و أعطفهم عليه و ألمهم لشعته ان أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأمور، و من يقبض يده عن عشيرته فإنما يقبض عنهم يدا واحدة و يقبض عنه منهم أيد كثيرة، و من يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودة و من بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه و يضاعف له في آخرته، و لسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خيرا من المال يأكله و يورثه، و لا يزدادن أحدكم كبرا و عظما في نفسه و نأيا عن عشيرته إن كان موسرا في المال، و لا يزدادن أحدكم في أخيه زهدا و لا منه بعدا إذا لم ير منه مروة و كان معوزا في المال، لا يغفل أحدكم عن

ص: ٥٩

القرابة بها الخصاصة أن يسدها بما لا ينفعه إن أمسكه و لا يضره إن استهلكه^{١٧١}.

و ظهر لك ممّا نقلنا من المدارك و الأسانيد مع اختلافهما أنّ ما عنوانه المصنف جمع بين روايتين كما أنه جمع بين موضوعين، فمن أوّله إلى قوله:

«و مرافقة الأنبياء» رواية و كانت الخطبة بعد صفين، و من قوله بعده: «أيها الناس! إنه لا يستغنى الرجل...» خطبة اخرى خطب عليه السلام بها أوّل بيعة الناس له، و لا وجه لجمع المصنّف بينهما سوى ربط يسير بين قوله في الأولى: «فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة...» و قوله في الثانية: «لا يستغنى الرجل و إن كان ذا مال عن عشيرة...»، لكنّه كما ترى فالأول دستور للمسلم في سيرته مع المسلمين، و الثاني حتّى على صلة الأرحام.

و ممّا ذكرنا يظهر لك ما في تكلف الخوئي للربط بينهما لعدم تفضّنه لكونهما كلامين كغيره ممّن سبقه من الشّراح، فقال عند قوله عليه السلام «أيها الناس» لمّا أشار إلى تأديب الفقراء بالنهي عن التعرض للأغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد و نحوه، أردف ذلك بتأديب الأغنياء و استدراجهم في حقّ الفقراء ذوى الأرحام...^{١٧٢}.

«أما بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء كقطرات...» هكذا في (المصرية) و الصواب: «كقطر» كما في (ابن أبي الحديد)^{١٧٣} و (ابن ميثم)^{١٧٤} و (الخطية) بل و في مداركه.

^{١٧١} (١) الكافي ٢: ١٥٤.

^{١٧٢} (٢) شرح الخوئي ١: ٢٨٨ و ٣٩٦.

^{١٧٣} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٢.

^{١٧٤} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

«المطر إلى كل نفس بما قسم لها من زيادة و» هكذا في (المصرية)

ص: ٦٠

و الصواب: (أو) كما في (ابن أبي الحديد)^{١٧٥} و (ابن ميثم)^{١٧٦} و (الخطيب) بل و في مداركه.

«تقصان» قال تعالى: «وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ»^{١٧٧}، «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْثَاءً وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَ إِنْثَاءً وَ يَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا»^{١٧٨}، «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^{١٧٩}، «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ»^{١٨٠}.

«فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة» أى: كثرة و زيادة.

«في أهل أو مال أو نفس فلا تكونن» تلك الغفيرة أو رؤيتها له.

«فتنة» بأن يحسده عليها فيهلكه الحسد لأن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب، كما كانت تلك الغفيرة لمن هي عنده فتنة هل يشكرها أم لا، قال تعالى لنبية: «وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَ رِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَ أَبْقَىٰ»^{١٨١}.

ص: ٦١

«فإن المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت» قالت ليلي الأخيلية:

إذا لم تصبه في الحياة المعابر

لعمرك ما بالموت عار على امرىء

^{١٧٥} (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٢.

^{١٧٦} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

^{١٧٧} (٣) الحجر: ٢٠-٢٢.

^{١٧٨} (٤) الشورى: ٤٩-٥٠.

^{١٧٩} (٥) آل عمران: ٢٦-٢٧.

^{١٨٠} (٦) الرعد: ٢٦.

^{١٨١} (٧) طه: ١٣١.

فى (الأغانى): مرّ مالك بن الرىب بلىلى الأخىلىة فجلس إليها يحادثها طويلا و أنشدها، فأقبلت عليه و أعجبت به حتّى طمع فى وصلها ثم إذا هو بفتى قد جاء إليها كأنه نصل سيف فجلس إليها فأعرضت عن مالك و تهاونت حتّى كأنه عندها عصفور، و أقبلت على صاحبها مليّا من نهارها فغاظه ذلك من فعلها و أقبل على الرجل فقال: من أنت؟ فقال، توبة بن الحمير. فقال: هل لك فى المصارعة؟ قال: و ما دعاك إلى ذلك و أنت ضيفنا و جارنا. قال: لا بدّ منه. فظنّ أنّ ذلك يخوفه منه فازداد لجاجا، فقام توبة فصارعه فصرعه، فلمّا سقط إلى الأرض صدرت منه ريح ذات صوت، فضحكت لىلى منه فاستحى مالك فاكتتب بخراسان و قال: لا أقيم ببلد العرب أبدا و قد تحدثت عنى بهذا الحديث، فأقام ثمة حتّى مات و قبره هناك معروف^{١٨٢}.

و كان المخبل السعدى خطب- كما فى (الأغانى)- إلى الزبرقان بن بدر أخته خليدة فمنعه ثم زوجها بآخر فقال المخبل:

مشقّ إهاب أوسع السليخ ناجله

فأنكحته زهوا كأنّ عجانها

ثم مر المخبل بعد ما أسن و ضعف بصره بخليدة فأنزلته و قربته و أكرمه و وهبت له وليدة قالت له: إني آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها. فقال:

و من أنت حتّى أعرفك و أشكرك. قالت: لا عليك. قال: بلى و الله. قالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظلما أنا خليدة بنت بدر. فقال: و اسواتاه منك فإنّي استغفر الله و أستقيلك، ثم قال:

ص: ٦٢

سأعتب نفسى بعدها و أتوب

لقد ضلّ حلمى فى خليدة إننى

و جرت عليها و الهجاء كذوب^{١٨٣}

فأقسم بالرحمن إننى ظلمتها

«و تغرى» من الإغراء أو التغرية أى: تولع.

^{١٨٢} (١) الأغانى ٢٢: ٢٩٧، دار احياء التراث العربى - بيروت.

^{١٨٣} (١) الاغانى ١٣: ١٩٦.

«به لثام الناس» فى (المعجم): اجتاز القاضى التنوخى يوما فى بعض الدروب فسمع امرأة تقول لأخرى: كم عمر بنتك يا اختى؟ فقالت لها: رزقتها يوم شهر بالقاضى التنوخى و ضرب بالسياط فرفع رأسه إليها و قال: يا بطراء! صار صفعى تاريخك ما وجدت تاريخا غيره.

و فى (العيون): دخل اعرابى على المساور الضبى و هو بندار الرى فسأله فلم يعطه فقال:

أتيت المساور فى حاجة	فما زال يسعل حتىّ شرط
و حكّ قفاه بكرسوعه	و مسحّ عثونه و امتخط
فأمسك عن حاجتى خيفة	لاخرى تقطّع شرح السفت
فأقسم لو عدت فى حاجتى	للطّخّ بالسلح و شى النمط
و قال غلطنا حساب الخراج	فقلت من الضراط جاء الغلط

فكان مساور كلّما ركب صاح به الصبيان: «من الضراط جاء الغلط» فهرب من غير عزل إلى بلاد أصبهان^{١٨٤}.

«كان كالفالج الياسر» هكذا فى النهج بتقديم «الفالج» فى الاول و بتقديم الياسر بلفظ «كالياسر الفالج» فى الثانى، و الظاهر أنّه أخذ الأول من رواية (الكافى) و أخذ الثانى من كتب عريب الحديث، بدليل أنّ النهاية أيضا نقله

ص: ٦٣

كالثانى^{١٨٥} و هو الصحيح لأن الفالج صفة الياسر و الصفة لا تتقدم على الموصوف و كذلك نقله اليعقوبى كما مر.

و أما قول ابن أبى الحديد- و لم يتفطن للإختلاف بين لموضعين كغيره-: إنّه من باب تقديم الصفة على الموصوف كقوله تعالى: «و غرّابيبٌ سودٌ»^{١٨٦} ...^{١٨٧}، ففى غير محله، فإنّ المواضع التى تتقدّم فيها الصفة تجعل مضافة لا موصوفة، كأن يقال فى «الليالى

^{١٨٤} (٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٥٤.

^{١٨٥} (١) النهاية ٥: ٢٩٦.

^{١٨٦} (٢) فاطر: ٢٧.

^{١٨٧} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٣١٤.

السود» «سود الليالى»، و أما «غرايب سود» فقال الجوهرى «سود» بدل من «غرايب» لأن توكيد الألوان لا تتقدم^{١٨٨}، مع أنه بعد وجود الرواية الصحيحة لا نحتاج إلى تأويل.

ثم إنَّ المصنّف فى الأوّل لم يتعرّض لتفسير الكلمتين، و إنّما فسّرهما فى الثانى بأنّ الياسرين هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور، و الفالج القاهر الغالب، و اعترض عليه ابن أبى الحديد ثمةً فى تفسير الفالج بأنّ الغالب لا ينتظر كما قد وصف به بعد و إنّما يعنى بالفالج الميمون النقيبة الذى له عادة مطّردة أن يغلب. و قلّ أن يكون مقهوراً^{١٨٩}، مع أنه نفسه فى الأوّل فسره بما فسّره المصنّف ثمةً فقال: الفالج الظافر الفائز^{١٩٠}، فالاعتراض عليه نفسه، مع أنّه لم يفسّر أحد الفالج بالميمون النقيبة، و كان عليه أن يقول ليس المراد بالغالب، الغالب فعلا بل شأنًا، و هو الذى يغلب غالبًا. و فسّره ابن ميثم^{١٩١} بأن

ص: ٦٤

المراد الفائز الذى ينتظر قبل فوزه أول فوزه من قداحه.

«الذى ينتظر أول فوزه من قداحه» بالكسر جمع القدح بالكسر، و أمّا القدح بفتححتين فجمعه أقداح للشرب، و القداح للميسر.

«توجب له المغنم» أى: الغنيمه.

«و يرفع بها عنه» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (و يرفع عنه بها) كما فى (ابن أبى الحديد)^{١٩٢} و (ابن ميثم)^{١٩٣} و (الخطية).

«المغرم» أى: الغرامة، قال ابن دريد فى (جمهرته)، أسماء قداح الميسر ممّا اتفق عليه الأصمعى و غيره من أهل العلم الفائز منها سبعة و هى الفذ و التوأم و الضريب- و هو المصفح- و الحلس و النفاس و المسبل و المعلى، فهذه سبعة و منها ما لا نصيب له الفسيح و المنيح و الرقيب و الوغد^{١٩٤}.

و قال ابن ميثم: المنقول أنّ الخشبّات المسمّيات قداحا- و هى التى كانت لايسار الجزور- سبعة: أولها الفذ و فيه فرض واحد، و الثانى التوأم و فيه فرضان، و ثالثها الضريب و فيه ثلاثة فروض، و رابعها الحلس و فيه أربعة، و الخامس النفاس و فيه خمسة، و السادس المسبل و فيه ستة، و السابع المعلى و له سبعة، و ليس بعده قدح فيه شىء من الفروض إلّا أنّهم يدخلون مع هذه السبعة أربعة اخرى تسمى أو غادا لا فروض فيها و إنّما تنقل بها القداح و أسماؤها: المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم

^{١٨٨} (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

^{١٨٩} (٥) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١١٥.

^{١٩٠} (٦) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣١٤.

^{١٩١} (٧) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

^{١٩٢} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣١٢.

^{١٩٣} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

^{١٩٤} (٣) جمهرة اللغة ١: ٥٠٤.

السفيح، فإذا اجتمع أيسار الحى أخذ كلّ منهم قدحا و كتب عليه اسمه أو علّمه بعلامة ثم أتوا بجزور فينحرها صاحبها و يقسمها عشرة أجزاء على الوركين و الفخذين و العجز

ص: ٦٥

و الكاهل و الزور و الملجأ و الكتفين، ثم يعمد إلى الطفاطف و خرز الرقبة فيقسمها على تلك الأجزاء بالسوية، فإذا استوت و بقى منها عظم أو بضعة لحم انتظر به الجازر من أراده ممن يفوز قدحه، فإذا أخذه عير به و إلّا فهو للجازر. ثم يؤتى برجل معروف أنّه لم يأكل لحما قط بثمن إلّا ان يصيبه عند غيره- و يسمى الحرضة- فيجعل على يديه ثوب و يعصب رءوس أصابعه بعصاة كيلا يجد مس الفروض، ثم يدفع إليه القداح و يقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع إليها قدحا منها من غير أن ينظر إليها، فمن خرج قدحه أخذ من أجزاء الجزور بعدد الفروض التي فى قدحه، و من لم يخرج قدحه حتى استوفيت أجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كأجزاء تلك الجزور من جزور اخرى لصاحب الجزور الذى نحرها، فإن اتفق أن خرج المعلى أوّلا فأخذ صاحبه سبعة أجزاء من أجزاء الجزور، ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه إلّا ثلاثة أجزاء أخذها و غرم له من لم يفز قدحه ثلاثة أجزاء من جزور اخرى.

و أمّا القداح الأربعة الأوغاد فليس فى خروج أحدها غنم و لا من عدم خروجه غرم، و المنقول عن الأيسار أنّهم كانوا يحرمون ذلك اللحم على أنفسهم و يعدونه للأضياف^{١٩٥}.

«و كذلك المرء المسلم البرىء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسينين إمّا داعى الله فما عند الله خير له) «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»^{١٩٦}، «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي»

ص: ٦٦

«كُنْتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ»^{١٩٧}.

و عنهم عليهم السلام: ما بين أحدكم و بين الجنة إلّا أن تبلغ نفسه حلقه.

و لما انتهى الحسين عليه السلام إلى عذيب الهجانات فإذا هم بأربعة قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم و معهم دليلهم الطرمّاح بن عدى على فرسه و هو يقول:

^{١٩٥} (١) شرح ابن ميثم ٢: ٦.

^{١٩٦} (٢) النحل: ٣٢.

^{١٩٧} (١): (١) ٣٠-٣٢.

يا ناقتي لا تدعري من زجري

و شمري قبل طلوع الفجر

بخير ركبان و خير سفر

حتى تحلى بكريم النجر

أتى به الله لخير أمر

ثمّة أبقاه بقاء الدهر

فقال الحسين عليه السلام: و الله أرجو أن يكون ما أراد الله بنا خيرا قتلنا أم ظفرنا.

«و إِمَّا رَزَقَ اللَّهُ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَ مَالٍ وَ مَعَهُ دِينُهُ وَ حَسْبُهُ» روى (الكافي): أن الصادق عليه السلام قال لسفيان الثوري و أصحابه الصوفية- لما رأى عليه ثيابا بيضا كأنها غرقى البيض و أنكره- فيما ردّ عليه: إن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن إنه إن قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيرا له، و ان ملك ما بين مشارق الأرض و مغاربها كان خيرا له، و كل ما يصنع الله عز و جل به فهو خير له. و أخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود عليه السلام حيث سأل الله ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله تعالى ذلك و كان يقول الحق و يعمل به، و داود النبي قبله في ملكه و شدة سلطانه، ثم يوسف النبي حيث قال لملك مصر فصلت

ص: ٦٧

«عَلِيمٌ»^{١٩٨}، ثم ذو القرنين عبد أحبّ الله فأحبه و طوى له الأسباب و ملكه مشارق الأرض و مغاربها و كان يقول الحق و يعمل به ثم لم نجد أحدا عاب عليه ذلك...^{١٩٩}.

و روى (روضة الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عابد في بني اسرائيل- و كان محارفا لا يتوجه في شيء فيصيب فيه شيئا- فأنفقت عليه امرأته حتى لم يبق عندها شيء، فجاعوا يوما من الأيام فدفعت إليه فضلا من غزل و قالت له بعه و اشتر شيئا نأكله، فانطلق به فوجد السوق قد أغلقت فقال لو أتيت هذا الماء فتوضأت منه و صببت عليّ منه و انصرفت، فجاء إلى البحر فإذا هو بصياد قد ألقى شبكته فأخرجها و ليس فيها إلّا سمكة رديّة قد مكثت عنده حتى صارت رخوة منتنة، فقال له بعنى هذه السمكة و أعطيك هذا الغزل تنتفع به في شبكتك. قال: نعم، فأخذ السمكة و دفع إليه الغزل و انصرف بالسمكة إلى منزله، فلما شقت امرأته السمكة بدت في جوفها لؤلؤة فأرتها زوجها فانطلق بها إلى السوق فباعها بعشرين ألف درهم و انصرف إلى منزله بالمال، فإذا سائل يدقّ الباب و يقول: يا أهل الدار تصدّقوا على المسكين. فقال له الرجل: ادخل فدخل، فقال له: خذ

^{١٩٨} (١) يوسف: ٥٤.

^{١٩٩} (٢) الكافي ٥: ٦٥-٧٠.

أحد الكيسين فأخذ أحدهما و انطلق، فقالت له امرأته: بينما نحن مياسير إذ ذهب بنصف يسارنا، فلم يكن ذلك بأسرع من أن دق السائل الباب و وضع الكيس مكانه ثم قال له: كل هنيئًا مريئًا إنَّما أنا ملك أراد ربِّك أن يبلوك فوجدك شاكراً^{٢٠٠}.

«إن المال و البنين حرث الدنيا» في (العقد الفريد): من قبائل مذحج سعد

ص: ٦٨

العشيرة بن مالك بن أدد، و إنَّما سمَّى سعد العشيرة لأنَّه لم يمت حتَّى ركب معه من ولده و ولد ولده ثلاثمئة رجل^{٢٠١}.

«و العمل الصالح حرث الآخرة» قال تعالى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»^{٢٠٢}.

«و قد يجمعهما الله لأقوام» قال تعالى: «وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا»^{٢٠٣}.

و روى الكشي: إن الصادق عليه السَّلام إذا رأى اسحاق بن عمَّار، و إسماعيل بن عمَّار قال: قد يجمعهما الله لأقوام- يعني الدنيا و الآخرة-^{٢٠٤}.

هذا، و قالوا: دخل أبو ورق على هارون و بين يديه جارية حسناء فقال له: صفها و إنَّ اسمها دنيا، فقال:

تملك القلب قاهره

ان دنيا هي التي

فهى دنيا و آخره

ظلموا شطر اسمها

و لما قتل طاهر ذو اليمينين الأمين كتب إلى المأمون: و جهَّت إليك بالدنيا و هو رأس المخلوع و بالآخرة و هى البردة و القضيبي.

^{٢٠٠} (٣) الكافي ٨: ٣٨٥ و ٣٨٦ ح ٥٨٥.

^{٢٠١} (١) العقد الفريد ٣: ٣٠٧.

^{٢٠٢} (٢) الشورى: ٢٠.

^{٢٠٣} (٣) البقرة: ٢٠٢.

^{٢٠٤} (٤) رجال الكشي: ٤٠٢ ح ٧٥٢.

«فاحذروا ما حذرکم الله من نفسه» «لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً»

ص: ٦٩

«وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ»^{٢٠٥}، «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ»^{٢٠٦}.

و في (الارشاد): لما عاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من تبوك قدم إليه عمرو بن معد يكرب فقال له النبي: أسلم يا عمرو! يؤمنك الله من الفرع الأكبر. قال: يا محمد! ما الفرع الأكبر؟ فإني لا أفزع. فقال: يا عمرو! أنه ليس كما تظنّ و تحسب، إن الناس يصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميّت إلا نشر و لا حيّ إلا مات إلا ما شاء الله، ثم يصاح بهم صيحة أخرى فينشر من مات و يصفون جميعا و تنشق السماء و تهدأ الأرض و تخرّ الجبال هدأ، و ترمى النار بمثل الجبال شرارا فلا يبقى ذو روح إلا انخلع قلبه و ذكر ذنبه و شغل بنفسه إلا ما شاء الله^{٢٠٧}.

«و اخشوه خشية» عن الحقيقة.

«ليست بتعذير» أي: بإظهار العذر و ليس له عذر، و لكن قال الجوهري:

كان ابن عباس يقرأ «وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ»^{٢٠٨} من أعذر و يقول: و الله لهكذا أنزلت، و يقول لعن الله المعذرين - كان الأمر عنده أن المعذر هو المظهر للعذر اعتلالا من غير حقيقة له في العذر، و المعذر من له عذر^{٢٠٩}.

في الخبر: ان الله تعالى أنزل كتابا من كتبه على نبي من أنبيائه أنه يكون من خلقى لمحسّنون الدنيا بالدين يلبسون مسوك الضأن على قلوب كقلوب الذئاب أشدّ مرارة من الصبر و ألسنتهم أحلى من العسل و أعمالهم الباطنة

ص: ٧٠

أنتن من الجيف، بي يغترون أم إياي يخادعون أم علىّ يجتروون؟ فبعزّتي حلفت لأبعثن عليهم فتنة تطأ في خطامها حتى تبلغ أطراف الأرض، تترك الحليم منها حيران^{٢١٠}.

^{٢٠٥} (١) آل عمران: ٢٨.

^{٢٠٦} (٢) آل عمران: ٣٠.

^{٢٠٧} (٣) إرشاد المفيد: ٨٤.

^{٢٠٨} (٤) التوبة: ٩٠.

^{٢٠٩} (٥) الصحاح للجوهري ٢: ٧٤١١.

^{٢١٠} (١) الجوهري ٢: ٧٤١.

«و اعملوا في غير رياء و لا سمعة فإنه من يعمل لغير الله يكله الله» أى: يدعه.

«لمن» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (إلى من) كما فى (ابن أبى الحديد)^{٢١١} و (ابن ميثم)^{٢١٢} و (الخطبة).

«عمل له» روى (الكافى): أن الصادق عليه السلام قال لعباد البصرى: ويلك يا عبادا! إياك و الرياء فإنه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له.

و قال عليه السلام: قال تعالى: «أنا خير شريك، من أشرك معى غيرى فى عمل عمله لم أقبله إلا ما كان لى خالصا».

و قال عليه السلام فى قوله تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»^{٢١٣} هو الرجل يعمل شيئا من الثواب لا يطلب به وجه الله إنما يطلب تزكية الناس يشتهى أن يسمع به الناس، فهذا الذى أشرك بعبادة ربه. ثم قال عليه السلام: ما من عبد ستر خيرا فذهبت الأيام أبدا حتى يظهر الله له خيرا، و ما من عبد يستر شرا فذهبت الأيام حتى يظهر الله له شرا.

و قال عليه السلام فى قوله تعالى: «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ»^{٢١٤} ما يصنع الإنسان أن يتقرب إلى الله تعالى بخلاف ما يعلمه الله، ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم كان يقول: من أسر سريرة رداه الله رداها ان خيرا

ص: ٧١

فخير و ان شرا فشر^{٢١٥}.

و روى (عقاب الأعمال) عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم: إن الرياء الشرك بالله، و إن المرائى يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك، و بطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له^{٢١٦}.

و قال ابن أبى الحديد: قال على عليه السلام: ليست الصلاة قيامك و قعودك، إنما الصلاة إخلاصك و أن تريد بها الله وحده.

و توصل ابن الزبير إلى امرأة ابن عمر- و هى أخت المختار- فى أن تكلم بعلمها أن يبايعه، فكلمته فى ذلك و ذكرت قيامه و صيامه، فقال لها: أما رأيت البغلات الشهب التي كنا نراها تحت معاوية بالحجر إذا قدم مكة. قالت: بلى.

^{٢١١} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣١٢.

^{٢١٢} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

^{٢١٣} (٤) الكهف: ١١٠.

^{٢١٤} (٥) القيامة: ١٤-١٥.

^{٢١٥} (١) الكافى ٢: ٢٩٣-٢٩٥، ٤، ١، ٦، ٩.

^{٢١٦} (٢) عقاب الأعمال: ٣٠٣ ح ١.

قال: فإياها يطلب ابن الزبير بصومه و صلاته^{٢١٧}.

هذا، و ذكروا أن رجلا من قريش قال لأشعب الطمّاع: ما شكرت معروفى عندك. فقال له: ان معروفك كان من غير محتسب فوقع عند غير شاكر.

«نَسَأَلُ اللّٰهَ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَ مَعَايِشَةَ السَّعْدَاءِ وَ مِرَافِقَةَ الْأَنْبِيَاءِ» إشارة إلى قوله تعالى: «وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا»^{٢١٨}.

«أيها الناس! إنّه لا يستغنى الرجل و إن كان ذا مال عن عشيرته» و فى (القاموس): قال على عليه السّلام «من يطل هن أبيه ينتطق به» أى: من كثر بنو أبيه

ص: ٧٢

يتقوى بهم، و قال غيلان بن سلمة التقفى:

و إن ابن عمّ المرء مثل سلاحه
يقيه إذا لاقى الكميّ المقنعا

و قال:

لم أر عزا لامرء كعشيرة^{٢١٧}
و لم أر ذلا مثل نأى عن الأهل^{٢١٩}

«و دفاعهم عنه بأيديهم و ألسنتهم» فى (العقد الفريد): كان مهلهل صار إلى قبيلة من اليمن يقال لهم جنب فخطبوا إليه فزوجهم و هو كاره لاغترابه عن قومه، و مهرها ابنته أدما، فقال:

أنكحها فقدّها الأراقم فى
لو بأبائين جاء يخطبها
جنب و كان الحباء من آدم
رمل ما أنف خاطب بدم^{٢٢٠}

^{٢١٧} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٥-٣١٦.

^{٢١٨} (٤) النساء: ٦٩.

^{٢١٩} (١) القاموس ٣: ٣٨٥.

«وهم أعظم الناس حيلة» أى: رعاية.

«من ورائه» فى (كامل المبرد): قال ذو الرمة لهلال بن أحوز المازنى:

رفعت مجد تميم يا هلال لها
حتى نساء تميم وهى نازحة
لو يستطعن إذا ضافتك مجحفة
رفع الطرف على العلياء بالعمد
بقلة الحزن فالصمان فالعقد
وقينك الموت بالآباء و الولد^{٢٢١}

و فى (الأغانى): قال الشمردل فى أخيه حكم لما أتاه نعيه:

و كنت سنان رمحى من قناتى
و كنت بنان كفى من يمينى
و ليس الرمح إلا بالسنان
و كيف صلاحها بعد البنان

و كان يرى فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط فأتاه نعى أخيه وائل، فقال:

ص: ٧٣

و تحقيق رؤيا فى المنام رأيتها
فكان أخى رمحا ترقص عامله^{٢٢٢}

^{٢٢٠} (٢) العقد الفريد ٦: ٧٧.

^{٢٢١} (٣) الكامل للمبرد ١: ٥٠.

^{٢٢٢} (١) الأغانى ١٣: ٣٥٣ و ٣٥٦.

«وَأَلْمَهُمْ» أَي: أَجْمَعُهُمْ.

«لشعثه» أَي: تفرّقه.

«وَأَعْطَفَهُمْ» أَي: أَشْفَقَهُمْ.

«عليه عند نازلة» أَي: شديدة نازلة.

«إذا» هكذا في (المصرية و ابن أبي الحديد) و لكن في (ابن ميثم)^{٢٢٣} و (الخطبة) (ان)^{٢٢٤} و هو أحسن.

«نزلت به» في (العقد): قال عليّ عليه السّلام: عشيرة الرجل خير للرجل من غير العشيرة فإنّ كفّ عنهم يدا واحدة كفّوا عنه أيديا كثيرة مع مودتهم و حفاظهم و نصرتهم، ان الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه إلّا بنسبه. و سأتلوا عليكم من ذلك آيات من كتاب الله قال عزّ و جلّ فيما حكاه عن لوط: «لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»^{٢٢٥} يعني العشيرة و لم يكن للوط عشيرة، فو الذي نفسى بيده ما بعث الله نبيا من بعده إلّا في ثروة من قومه و منعة من عشيرته، ثم ذكر شعيبا و قال له قومه «إِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ»^{٢٢٦} و كان مكفوفًا و الله ما هابوا إلّا عشيرته^{٢٢٧}.

في (الطبري) - بعد ذكر قتل أصحاب معاوية لحجر و ستة من أصحابه - فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي و كريم بن عفيف الخثعمي: إبعثوا بنا إلى

ص: ٧٤

معاوية فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا إلى معاوية يخبرونهما بمقاتلتهما فأجاز، فأدخلا عليه فقال معاوية للخثعمي: ما تقول في عليّ؟ قال:

أقول فيه قولك، أتبرأ من دين عليّ الذي كان يدين الله به، فسكت معاوية و كره أن يجيبه فقال شمر بن عبد الله من بني قحافة: هب لي ابن عمي. فقال: هو لك.

قال: فخلي سبيله على أن لا يدخل الكوفة ما كان له سلطان. فقال له: تخيّر بلدا، فاختر الموصل، و كان يقول: لو قد مات معاوية قدمت مصر، فمات قبل معاوية بشهر، ثم أقبل معاوية على العنزي فقال له: يا أخا ربيعة! ما قولك في عليّ؟ قال: دعني

^{٢٢٣} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ٤.

^{٢٢٤} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٣.

^{٢٢٥} (٤) هود: ٨٠.

^{٢٢٦} (٥) هود: ٩١.

^{٢٢٧} (٦) العقد ٢: ٢٠٨.

و لا تسألني. قال: لا أدعك. قال: أشهد أنه كان من الذاكرين لله كثيرا و من الآمرين بالحق و القائميين بالنسط. قال: فما قولك في عثمان؟ قال:

هو أول من فتح باب الظلم و أرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك. قال: بل إياك قتلت «و لا ربيعة بالوادي»، قال ذلك لأن شمر الخثعمي كَلَّم معاوية في كريم الخثعمي و لم يكن له أحد من قومه يكلمه فيه، فبعث به إلى زياد و قال له: إن هذا شرهم فاقتله شر قتلة، فدفنه زياد حيا بقسّ الناطف^{٢٢٨}.

و فيه: كان عبد الله بن خليفة الطائي شهد مع حجر فطلبه زياد فتواري، فبعث إليه الشرط فأخذه فقالت أخته: يا معشر طي! أ تسلمون سنانكم و لسانكم عبد الله بن خليفة؟ فشد الطائيون عليهم و انتزعوه، فرجعوا إلى زياد فأخبروه فوثب على عدى بن حاتم و هو في المسجد فقال: إئتني باين خليفة.

فقال: هذا شيء كان في الحي لا علم لي به. قال: و الله لتأتيني به. قال: أجيئك باين عمي تقتله، و الله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فأمر بعدى إلى السجن فلم يبق بالكوفة يمانى و لا ربي إلا أتاه و كلمه و قالوا تفعل هذا بعدى بن حاتم صاحب النبي صلى الله عليه و آله و سلم؟ قال: فإنى أخرجه على أن يخرج ابن عمه عنى

ص: ٧٥

فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان. فقال عدى لعبد الله: إن هذا لجّ في أمرك فالحق بالجبلين^{٢٢٩}.

و مرّ في الفصل في وصيته عليه السلام إلى ابنه قوله: «و أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذى به تطير و يدك التى بها تصول...»، مع شروح مفيدة.

«و لسان الصدق يجعله الله للمرء فى الناس خير له من المال يورثه غيره» قال إبراهيم عليه السلام: «و اجعل لى لسان صدق فى الآخريين»^{٢٣٠} أى: ثناء حسنا، و قال تعالى فى نوح و إبراهيم و موسى و هارون و إلياس: «و تركنا عليه فى الآخريين سلاماً على نوح فى العالمين»^{٢٣١}، «و تركنا عليه فى الآخريين سلاماً على إبراهيم»^{٢٣٢} «و تركنا عليهما فى الآخريين سلاماً على موسى و هارون»^{٢٣٣} «و تركنا عليه فى الآخريين سلاماً على إيلياسين»^{٢٣٤} أى: تركنا قول «سلام عليهم» فى الآخريين.

^{٢٢٨} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٢٧٦.

^{٢٢٩} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٢٦٧.

^{٢٣٠} (٢) الشعراء: ٨٤.

^{٢٣١} (٣) الصافات: ٧٨ - ٧٩.

^{٢٣٢} (٤) الصافات: ١٠٨ - ١٠٩.

^{٢٣٣} (٥) الصافات: ١١٩ - ١٢٠.

^{٢٣٤} (٦) الصافات: ١٢٩ - ١٣٠.

و فى (الكافى): قال الصادق عليه السلام لأبى كهمس: اقرأ عبد الله بن أبى يعفور السلام و قل له: إن جعفر بن محمد يقول لك: أنظر ما بلغ به علىّ عند النبى فالزمه و إن عليّا إنّما بلغ ما بلغ به بصدق الحديث و أداء الامانة^{٢٣٥}.

و روى: أن الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقا. و فى (كامل المبرد):

قال ابن حلزة اليشكرى:

ص: ٧٦

و قد خبا من دوننا عالج

قلت لعمر و حين ارسلته

انك لا تدري من الناتج

لا تكسع الشول بأغبارها

فإن شر اللبن الوالج

و أصب لأضياك ألبانها

و فيه: قال معاوية لابن الأشعث بن قيس: ما كان جدك قيس بن معد يكرب أعطى الأعشى؟ فقال: أعطاه مالا و ظهرا و رقيقا و أشياء أنسيتهها. فقال معاوية: لكن ما أعطاكم الأعشى لا ينسى.

هذا، و فى (نسب قريش مصعب الزبيرى): أتى عمرو بن سعيد الأشدق فتى من قريش يذكر حقا له فى كراع من أديم بعشرين ألف درهم على أبيه بخط مولى أبيه و شهادة أبيه بخطه على نفسه، فقال له: و ما سبب مالك؟ قال:

رأيت و هو معزول يمشى وحده، فقمتم فمشيت معه حتى بلغ إلى باب داره ثم وقفت فقال: هل لك من حاجة؟ فقلت: لا إلّا أنّى رأيتك تمشى وحدك فأحببت أن أصل جناحك. قال: وصلتكم رحم يا ابن أخى، فكتب هذا الكتاب و قال: ليس اليوم عندنا شيء فإذا أتانا شيء فأتنا به، فمات قبل أن يصل إليه. فقال له عمرو: لا جرم، لا تأخذها إلّا وافية.

قول المصنّف: «و منها» هكذا فى (المصرية) و نسخة (ابن أبى الحديد) و لكن فى (ابن ميثم و الخطيب) «منها»^{٢٣٦} و هو الأحسن فلم تتقدمها اخرى.

قوله «ألا لا يعدلن» هكذا فى (المصرية) و الصواب: «ألا لا يعدلن أحدكم» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٢٣٧}.

^{٢٣٥} (٧) الكافى ح ٢: ٥١٠٤.

^{٢٣٦} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣١٣.

«عن القرابة يرى بها الخصاصة» أى: الفاقة.

«ان يسدّها بالذى لا يزيدُه إن أمسكه و لا ينقصه إن أهلكه».

روى (الكافى) عن البرزطى قال: قرأت فى كتاب أبى الحسن الرضا عليه السّلام

ص: ٧٧

إلى ابنه أبى جعفر الجواد: بلغنى أن الموالى إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، فإنّما ذلك من بخل منهم لثلاثين مال منك أحد خيرا، و أسألك بحقى عليك لا يكن مدخلك و مخرجك إلّا من الباب الكبير، فإذا ركبت فليكن معك ذهب و فضة ثم لا يسألك أحد شيئا إلّا أعطيته، و من سألك من عمومته ان تبرّه فلا تعطه أقلّ من خمسين دينارا و الكثير إليك، و من سألك من عمّاتك فلا تعطها أقلّ من خمسة و عشرين دينارا و الكثير إليك، إنّما أنا اريد بذلك أن يرفعك الله، فأنفق و لا تخش من ذى العرش إقتارا.

و روى أن الباقر عليه السّلام قال للحسين بن أيمن: أنفق و أيقن بالخلف من الله، فإنّه لم يبخل عبد و لا أمة بنفقة فيما يرضى الله عزّ و جلّ إلّا أنفق أضعافها فيما يسخط الله.

و روى أنه عليه السّلام قال: ان الشمس لتطلع و معها أربعة أملاك ملك ينادى يا صاحب الخير أتمّ و أبشر، و ملك ينادى يا صاحب الشرّ انزع و أقصر، و ملك ينادى أعط منقفا خلفا و ممسكا تلفا، و ملك ينضحها بالماء و لو لا ذلك اشتعلت الأرض.

و روى عن الصادق عليه السّلام قال: من يضمن أربعة بأربعة أبيات فى الجنة:

انفق و لا تخف فقرا، و أنصف الناس من نفسك، و أفش السلام فى العالم، و اترك المرء و إن كنت محقّا^{٢٣٨}.

«و من يقبض يده عن عشيرته فإنّما تقبض منه عنهم يد واحدة و تقبض منهم عنه أيد كثيرة» روى (أمالى المفيد) عن الشعبى قال: قال صعصعة: عادنى أمير المؤمنين عليه السّلام فى مرضى ثم قال: أنظر فلا تجعلنّ عيادتى إيّاك فخرا على قومك، و إذا رأيتهم فى أمر فلا تخرج منه فإنّه ليس بالرجل غنى عن

ص: ٧٨

قومه، إذا خلع منهم يدا واحدة يخلعون منه أيدى كثيرة، فإذا رأيتهم فى خير فأعنهم عليه، و إذا رأيتهم فى شر فلا تخذلهم، و ليكن تعاونكم على طاعة الله فإنّكم لن تزالوا بخير ما تعاونتم على طاعة الله تعالى و تناهيتهم عن معاصيه^{٢٣٩}. و من الشعر فى ذلك:

^{٢٣٧} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣١٣.

^{٢٣٨} (١) الكافى ٤: ٤٢-٤٤ ح ١ و ٥ و ٧ و ١٠.

أخاك أخاك إنَّ من لا أخا له
وإنَّ ابن عم المرء فاعلم جناحه

كساع إلى الهيجا بغير سلاح
و هل ينهض البازى بغير جناح

أيضا:

إن كان ذا عضد يدرك ظلامته
تنبو يدها إذا ما قلَّ ناصره

إنَّ الذليل الذى ليست له عضد
و يأنف الضيم إن أثرى له عدد

أيضا:

تناس ذنوب الأقربين فإنَّه
له هفوات فى الرخاء يشوبها
تراه عدوًا ما أمنت و يتقى
لكل أمرىء اخوان بؤس و نعمة

لكلِّ حميم ركب هو راكبه
بنصرة يوم لا توارى كواكبه
بجبهته يوم الوغى من يحاربه
و أعظمهم فى النائبات أقاربه

أيضا:

ألم تر أن جمع القوم يخشى
و أن القدح حين يكون فردا
و إنك ان قبضت بها جميعا

و ان حريم واحد هم مباح
فيهصر لا يكون له اقتداح
أبت ما سمت واحدها القداح

و عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: حافتا الصّراط يوم القيامة الرحم و الأمانة، فإذا مرّ الوصول للرحم المؤدى للأمانة نفذ إلى الجنّة، و إذا مرّ الخائن للأمانة القطوع

ص: ٧٩

للرحم لم ينفعه معه عمل فتكفى به الصراط في النار.

هذا، و قال ابن أبي الحديد: قال عثمان: إنّ عمر كان يمنع أقرباه ابتغاء وجه الله، و أنا أعطيتهم ابتغاء وجه الله^{٢٤٠}.

قلت: ما قاله عثمان مغالطة، فإعطاء الأقرباء إن كان من مال المعطى فلا يمكن أن يكون منعه كما فعل عمر ابتغاء وجه الله، لأنّه قطع الرحم المذموم الذى فاعله ملوم، و إن كان من مال الله و كان المعطى غير مستحقه فإعطاؤه كما فعل عثمان و نهب بيت المال و وهبه لبني الشجرة الملعونة في القرآن كيف يكون ابتغاء وجه الله، لقدمنى الناس لعمر الله من هؤلاء بخبط و شماس.

«و من تلن حاشيته يستدم من قومه المودة» هو نظير قوله عليه السّلام: «من لان عوده كثفت أغصانه».

في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السّلام: لما خرج أمير المؤمنين عليه السّلام يريد البصرة نزل بالرّبذة فأتاه رجل من محارب فقال: إنى تحمّلت في قومي حمالة و إنى سألت في طوائف منهم المواساة و المعونة فسبقت إلىّ ألسنتهم بالنكد فمرهم بمعونتى. فقال: أين هم؟ فقال: هؤلاء فريق منهم حيث ترى، فنصّ عليه السّلام راحلته فأدلفت كأنّها ظليم فدلف بعض أصحابه في طلبها فلاى بلاى ما لحقت، فانتهى إلى القوم فسلمّ عليهم و سألهم ما يمنعهم من مواساة صاحبهم، فشكوه و شكاهم فقال عليه السّلام «وصل امرؤ عشيرته فأنهم أولى بیره و ذات يده و وصلت العشيرة أباها إن عثر به دهر و أدبرت عنه دنيا فإنّ المتواصلين المتبازلين مأجورون و ان المتقاطعين المتدابرين موزورون» ثم بعث راحلته^{٢٤١}.

ص: ٨٠

^{٢٤٠} (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٠.

^{٢٤١} (٢) الكافي ٢: ١٥٣، ١٨.

قول المصنف فى الأول (قال الشريف أقول) هكذا فى (المصرية) و إنما فى (ابن أبى الحديد) قال الرضى، و فى (ابن ميثم)^{٢٤٢} قال السيد^{٢٤٣}، و هو دليل على أن أصله من كلام الشراح و أن «أقول» زائدة (الغفير هاهنا) إنما قال ههنا لأن الغفيرة تأتي فى موضع آخر بمعنى آخر، قال الجوهري يقال «ما فيهم غفيرة» أى: لا يغفرون ذنبا لأحد، قال الراجز:

يا قوم ليست فيهم غفيرة فامشوا كما تمشى جمال الحيرة^{٢٤٤}

و قال ابن دريد: و كل شىء غطيته فقد غفرتة، و منه المغفرة و الغفيرة^{٢٤٥} (الزيادة و الكثرة من قولهم للجمع الكثير، الجم الغفير و الجماء الغفير) المفهوم من الجوهري انهما يأتیان بالوصفية معرفة و نكرة و بالاضافة، فقال و قولهم «جاءوا جماء غفيرا و الجماء الغفير و جم الغفير و جماء الغفير» أى: جاءوا بجماعتهم: الشريف و الوضع^{٢٤٦}.

(و يروى: عفو من أهل أو مال) هو رواية البيهقي، فقد عرفت أن فى خبره «فمن أصابه نقص فى أهله و ماله و رأى عند أخيه عفو فلا يكون ذلك عليه فتنة» و الغفيرة رواية (الكافي) كما مر و كذا (النهاية)^{٢٤٧}.

(و العفو الخيار من الشىء، يقال عفو الطعام أى: خياره) و قال الجوهري و قال بعضهم العفاوة بالكسر أول المرق و أجوده، و العفاوة بالضم آخره يردها مستعير القدر مع القدر يقال منه «عفو

ص: ٨١

القدر» إذا تركت ذلك فى أسفلها^{٢٤٨}.

(و ما أحسن المعنى الذى أراده عليه السلام) إلى (و اضطر إلى مرافقتهم) أى:

معاونتهم (قعدوا عن نصره و تناقلوا عن صوته).

^{٢٤٢} (١) شرح ابن ميثم ٢: ١١.

^{٢٤٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣١٣.

^{٢٤٤} (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١١.

^{٢٤٥} (٤) الصحاح للجوهري ٢: ٧٧١.

^{٢٤٦} (٥) جمهرة اللغة ٢: ٧٧٨.

^{٢٤٧} (٦) تاريخ البيهقي ٢: ٢٠٧، و النهاية ٣: ٣٧٤.

^{٢٤٨} (١) الصحاح الجوهري ٦: ٢٤٣٢.

فى (الأغانى): كان عقيل بن علفة قد اطرء بنىه فتنفرقوا فى البلاد و بقى وحده، ثم إن رجلا من بنى صرمة يقال له بجيل - و كان كئير المال و الحاشية - حطم بيوت عقيل بماشيتته و لم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل إلا لقى شرا، فطردت أمة له الماشية فضرىها بجيل بعضا كانت معه فشجها، فخرج إليه عقيل وحده و قد هرم يومئذ فزجر بجيلا فضرىه بجيل بعضاه و احتقره فجعل عقيل يصيح يا علفة يا عملس يا فلان يا فلان - بأسماء أولاده - مستغيثا بهم و هو يحسب لهرمه أنهم معه، فقال له أرطأ بن سهية:

وجدت مرارة الأكل الوبيل

أكلت بنيك أكل الضب حتى

منعت فناء بيتك من بجيل

و لو كان الأولى غابوا شهودا

و بلغ خير عقيل إلى ابنه العملس و هو بالشام، فأقبل حتى نزل عليه ثم عمد إلى بجيل فضرىه ضربا مبرحا و عقر عدّة من أهله و أوثقه بحبل و جاء به يقوده حتى ألقاه بين يدي أبيه، ثم ركب راحلته و عاد من وقته لم يطعم لأبيه طعاما و لم يشرب شرابا^{٢٤٩}.

قول المصنّف فى الثانى (الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور) أى: الابل الذكر و الانثى، ثم لفظ الخبر «الياسر» و هو قال «الياسرون» و كأنه أراد أن يقول: إن اللّام هنا للجنس.

(و الفالج القاهر و الغالب) هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (القاهر

ص: ٨٢

(الغالب) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٢٥٠} (يقال فلج عليهم و فلجهم) لم أقف على من جوّز فلجهم، ففى (الجمهرة): فلج الرجل على خصمه و أفلج إذا ظهر عليه^{٢٥١}، و فى (الصحاح): فلج على خصمه و أفلجه الله عليه^{٢٥٢}، و فى (الأساس): فلجت على خصمك و فلجت حجتك^{٢٥٣}.

^{٢٤٩} (٢) الاغانى ١٢: ٢٦٩.

^{٢٥٠} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١١٥.

^{٢٥١} (٢) جمهرة اللغة ١: ٤٨٧.

^{٢٥٢} (٣) صحاح اللغة للجوهرى ١: ٣٣٥.

^{٢٥٣} (٤) أساس البلاغة: ٢٤٦.

(و قال) هكذا فى (المصرية) و الصواب: (قال) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{٢٥٤} و لأنه قال ذلك شاهدا (الراجز) فى الصحاح الرجز داء يصيب الإبل فى أعجازها فإذا ثارت الناقة ارتعشت فحذاها ساعة ثم تنشط و منه سمى الرجز من الشعر لتقارب أجزائه و قلّة حروفه.

(لما رأيت فالجا قد فلجا) ان ذكره شاهدا لكون معنى الفالج القاهر الغالب فصحيح و ان ذكره لصحة (فلجهم) فهو أعم.

هذا، و لفظ خبرى ابن عساكر فى العنوان «الأول» هكذا: خطب فقال: أيها الناس! إنّما هلك من هلك ممّن كان قبلكم بركوبهم المعاصى، و لم ينههم الربّانيون و الأحبار، فأنزل الله بهم العقوبات، ألا فمروا بالمعروف، و انهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذى نزل بهم، و اعلموا أنّ الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر لا يقطع رزقا، و لا يقرب أجلا، إنّ الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قدر الله لها من زيادة أو نقصان فى أهل أو مال أو نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان فى أهل أو مال أو نفس فى الآخرة عقوبة فلا يكون ذلك له فتنة - إلى آخره «و قد يجمعهما الله لأقوام».

ص: ٨٣

و الثانى قريب منه لكن أول من قوله «إنّ الأمر ينزل من السماء» و فيه أيضا «فمن رأى نقصا فى أهله أو نفسه أو ماله و رأى لغيره عشرة فلا يكون ذلك له فتنة»^{٢٥٥}.

و ما فيه هو الصحيح و يصدقه نقل اليعقوبى و (الكافى) كما مرّ دون ما فى المتن و باقى الأسانيد، لكن «عشرة» فى هذا مصحف عفوّة أو غفيرة.

و لله الحمد أولا و أخيرا.

ص: ٨٤

[تتمّة فى خرافات العرب]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على محمد و آله الطاهرين.

و بعد: فقد ذكر ابن أبى الحديد فى شرحه على نهج البلاغة مقدارا من خرافات العرب و الأصل فيه الخالع فى كتابه «آراء العرب و أدبانها»، ذكر ذلك فيما تفرّد به من نسبته إلى النهج أنّ فيه «و قال عليه السلام: العين حقّ، و الرقا حقّ، و السحر حقّ، و الفال حقّ، و الطيرة ليست بحقّ، و العدوى ليست بحقّ، و الطيب نشرة، و العسل نشرة، و الركوب نشرة، و النظر إلى الخضرة

^{٢٥٤} (٥) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١١٥.

^{٢٥٥} (١) ابن عساكر ٣: ٢٤٩ - ٢٧١ ح ١٣٩١ - ١٣٩٢.

نشرة»، مع أنه لو كان ذلك من كلامه عليه السلام فرضا فليس من النهج قطعاً، لأنّ موضوع النهج كلام كان في غاية البلاغة لا ما كان من الأحاديث المتعارفة.

وكيف كان فحيث كان فيها أشياء غريبة و أمور عجيبة أحببت افرادها في موضع، وقد أنقل من غيره في طيّه و أنقل بعده كلام المروج.

قال في شرح فقرة «و العدوى ليست بحق» قال النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم «لا عدوى و لا هامة و لا صفر» العدوى معروفة، أى: بأن المراد تعدى الداء من حى إلى حى.

و الهامة ما كانت العرب تزعمه في المقتول لا يؤخذ بثأره، و الصفر ما كانت

ص: ٨٥

العرب تزعمه من الحية في البطن تعض عند الجوع.

قال: نذكر نكتا ممتعة من مذاهب العرب و تخيّلاتها، أنشد ابن الكلبي لأميّة ابن أبي الصلت:

سنة أزمه تبرّح بالناس	ترى للعضاه فيها صريرا
لا على كوكب تنوء و لا رى	ح جنوب و لا ترى طحورا
و يسقون باقر السهل للطو	د مهازيل خشية أن تبورا
عاقدين النيران في تكن الأذ	ناب منها لكى تهيج البحورا
سلع ما و مثله عشر ما	عامل ما وعالت البيقورا

يروى أن عيسى بن عمر قال: ما أدري معنى هذا البيت - أى: البيت الأخير -.

و يقال: إن الأصمعي صحّف فيه فقال «و غالت» بالغين المعجمة و قال غيره «عالت» بمعنى أثقلت البقر بما حمّلتها من السلع و العشر. و البيقور البقر، و عائل أى: غالب أو مثقل.

قلت: و السلع بفتحيتين: شجر مرّ، و العشر بالضم فالفتح: شجر له صمغ من العضاء.

قال: وكانت العرب إذا أُجذبت و أمسكت السماء عنهم و أرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى السلع و الشعر فحزموهما و عقدوهما في أذنان البقر و أضرموا فيهما النيران و أصدوها في جبل وعر و اتبعوها يدعون الله و يستسقونه، و إنما يضرمون النيران في أذنان البقر تفاؤلاً للبرق بالنار، و كانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات، و قال اعرابي:

فلم يغن عَنَّا ذاك بل زادنا جدبا

شفعنا ببيقر إلى هاطل الحيا

ص: ٨٦

و صير جدب الأرض من بعده خصبا

فعدنا إلى ربّ الحيا فأجارنا

و قال آخر:

أ تطلبون الغيث جهلا بالبقر

قل لبنى نهشل أصحاب الحور

ليس بذا يجلل الأرض المطر

و سلع من بعد ذاك و عشر

و قال آخر:

بالسّلع المعقود فيها و العشر

لما كسونا الأرض أذنان البقر

و قال آخر:

بسلع يعقد فيها و عشر

يا كحل قد أثقلت أذنان البقر

فهل تجودين ببرق و مطر

و قال آخر يعيب العرب بفعلهم هذا:

يستمتطرون لدى الإعسار بالعشر

لادر درّ رجال خاب سعيهم

ذريعة لك بين الله و المطر

أ جاعل أنت بيقورا مسلعة

و قال بعض الأذكياء: كلّ أمة قد تحذو في مذاهبها مذاهب ملّة اخرى، و قد كانت الهند تزعم أنّ البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الأرض و أنّ لها عنده حرمة، و كانوا يلطخون الأبدان بأختائها و يغسلون الوجوه ببولها و يجعلونها مهور نسايمهم و يتبركون بها في جميع أحوالهم، فلعل أوائل العرب حذوا هذا الحذو و انتهجوا هذا المسلك.

و للعرب في البقر خيال آخر، و ذلك أنّهم إذا أوردوها فلم ترد ضربوا الثور ليقتم الماء فتقتم البقر بعده. و يقولون: إنّ الجنّ تصد البقر عن الماء و إنّ الشيطان يركب قرني الثور، قال قائلهم:

كالثور يضرب لما عافت البقر

إنّي و قتلى سليك حين أعقله

ص: ٨٧

و قال نهشل بن حرى:

إذا ما عافت البقر الظماء

كذاك الثور يضرب بالهراوى

و قال آخر:

د إذا تمنعت البقر

كالثور يضرب للورو

فإن كان ليس إلّا هذا فليس ذاك بعجيب من البقر ولا بمذهب من مذاهب العرب، لأنّه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورود حتّى يرد الثور كما تمتنع الغنم من سلوك الطرق أو دخول الدار والأخبية حتّى يتقدّمها الكباش أو التيس، و كالتحل تتبع اليعسوب، و الكراكي تتبع أميرها. و لكن الذى تدلّ عليه أشعارهم أن الثور يرد و يشرب و لكن البقر تعاف الماء و قد رأّت الثور يشرب فحيثنذ يضرب الثور مع إجابته إلى الورود فتشرب البقر عند شربه، و هذا هو العجب، قال الشاعر:

فإنّي إذن كالثور يضرب جنبه إذا لم يعف شربا و عافت صواحيبه

و قال آخر:

فلا تجعلوها كالبقير و فحلها يكسّر ضربا و هو للورد طائع
و ما ذنبه إن لم يرد بقراته و قد فاجأتها عند ذاك الشرائع

و قال الأعشى:

لكالثور و الجنىّ يضرب وجهه و ما ذنبه إن عافت الماء مشربا
و ما ذنبه إن عافت الماء باقر و ما إن تعاف الماء إلّا لتضربا

قال: و اللام فى «لتضربا» للعاقبة كقوله «لدوا للموت»^{٢٥٤}.

(قلت: و فى (الأساس): تزعم العرب أن الجن تمتطى الوحش و تجتنب الأرناب لمكان حيضها و لذلك يستدفعون العين بتعليق كعابها). و فى (مجالس

ص: ٨٨

ثعلب) لامرئ القيس:

^{٢٥٤} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٣٨٢-٣٨٥.

يا هند لا تنكحى بوهة
عليه عقيقته أحسبا
مرسعة بين أرباقه
به عسم بيتغى أرنا
ليجعل فى ساقه كعبها
حذار المنية أن يعطبا

قال ثعلب: البوهة طائر يشبه البومة، و عقيقته أى: شعره، و الاحسب أى:

إلى السواد، بيتغى أرنا لياخذ عظمها فيصيره عليه من خشية الجن.

و قال الجوهري فى «هذذ» تزعم النساء أنه إذا شقّ عند البضاع شيئا من ثوب صاحبه دام الود بينهما و إلاّ تهاجرا^{٢٥٧}.

قال: و من مذاهب العرب تعليق الحلى و الجلاجل على اللديغ، يرون أنه يفيق بذلك، و يقال: إنه إنما يعلّق عليه لأنهم يرون أنه إن نام يسرى السمّ فيه فيهلك فشغلوه بالحلى و الجلاجل و أصواتها عن النوم. و هذا قول النضر بن شميل، و بعضهم يقول: إنه إذا علّق عليه حلى الذهب برأ و إن علّق الرصاص أو حلى الرصاص مات، و قال النابغة:

فبتّ كأنى ساورتى ضئيلة
من الرقش فى أنيابها السم ناقع
يسهّد من ليل التمام سليمها
لحلى النساء فى يديها قعاقع

و قال بعض بنى عذرة:

كأنى سليم ناله كلم حيّة
ترى حوله حلى النساء مرصعا

و قال آخر:

و قد علّلوا بالبطل فى كلّ موضع
و غرّوا كما غرّ السليم الجلاجل

^{٢٥٧} (١) صحاح الجوهري ٢: ٥٧٣.

و قال جميل - و ظرف فى قوله - و لو قاله العباس بن الأحنف لكان ظريفا:

إذا ما لديغ ابرأ الحلى داءه
فحليک أمسى يا بثينة دائيا

ص: ٨٩

و قال عويمر النبهانى - و هو يؤكد قول النضر بن شميل:

فبت معنّى بالهموم كأننى
سليم نفى عنه الرقاد الجلاجل

و قال آخر:

كأننى سليم سهد الحلى عينه
فراقب من ليل التمام الكواكبا

و يشبه مذهبهم فى ضرب الثور، مذهبهم فى العرّ يصيب الإبل فيكوى الصحيح ليبراً السقيم، قال النابغة:

و كلفتنى ذنب امرىء و تركته
كذى العرّ يكوى غيره و هو راتع

و قال بعض الأعراب:

كمن يكونى الصحاح يروم براء
به من كلّ جرباء الإهاب

وقال آخر:

حنانيك لا تكوى الصحيح بأجربا

فألزمتني ذنبا و غيرى جرّه

و من تخيلات العرب و مذاهبهم أنّهم كانوا يفتقون عين الفحل من الإبل إذا بلغت ألفا كأنّهم يدفعون عنها العين، قال الشاعر:

و أنتم برعى البهم أولى و أجدر

فقأنا عيوننا من فحول بهاذر

وقال آخر:

تفقأ فيها أعين البعران

وهبتها و كنت ذا امتنان

وقال آخر:

ففقأت عين فحيلها معتافا

أعطيتها ألفا و لم تبخل بها

و قد ظنّ قوم أنّ بيت الفرزدق و هو:

و بيت المختبي و الخاققات

غلبتك بالمفقىء و المعنى

من هذا القبيل و ليس الأمر على ذلك و انما أراد قوله لجرير:

أخا كلقيط أو أبا مثل دارم

و لست و لو فقأت عينك واجدا

ص: ٩٠

و أراد ب «المعنى» قوله لجرير أيضا:

لأنت المعنى يا جرير المكلف

و أنك إذ تسعى لتدرك دارما

و أراد بقوله «المختبى» قوله:

و مجاشع و أبو الفوارس نهشل

بيت زارة مختب بفنائها

و أراد بقوله «بيت الخافقات» قوله:

خرق الملوك له خميس جحفل

و معصّب بالتاج يخفق فوقه

فأما مذهبه في البليّة - و هي ناقة تعقل عند القبر حتى تموت - فمذهب مشهور، و «البليّة» أنّهم إذا مات كريم منهم بلوا ناقته أو بغيره فعكسوا عنقها و أداروا رأسها إلى مؤخرها و تركوها في حفيرة لا تطعم و لا تسقى حتى تموت، و ربّما أحرقت بعد موتها، و ربّما سلخت و ملئ جلدّها تماما. و كانوا يزعمون أنّ من مات و لم يبيل عليه، حشر ماشيا، و من كانت له بليّة حشر راكبا على بليته. قال جريرة بن الأشيم الفقعسى لابنه سعد:

اوصيك إنّ أخا الوصاء الأقرب

يا سعد إمّا أهلكنّ فإننى

تعبا يجرّ على اليدين و ينكب

لا أعرفنّ أباك يحشر خلفكم

و تق الخطيئة إنّّه هو أصوب

و احمل أباك على بغير صالح

في الحشر أركبها إذا قيل اركبوا

و لعلّ لى ممّا جمعت مطبة

و قال جريبةً أيضا:

إذا مت فادفني بجداء ما بها
فإن أنت لم تعقر عليّ مطيتي
سوى الأصرخين أو يفوز ركب
فلا قام في مال لك الدهر حالب
و لا تدفني في صوي و ادفني
بديمومة تنزو عليها الجنادب

قال: و قد ذكرت في مجموعي المسمّى ب «العبرى الحسان» أن الحسين بن محمد بن جعفر الخالع ذكر في كتابه «آراء العرب و أديانها» هذه الأبيات

ص: ٩١

و استشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية. و قلت: إنه وهم في ذلك و إنه ليس في هذه الأبيات دلالة على هذا المعنى و لا لها به تعلّق، و إنّما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته إمّا لكيلا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدى المعقور بمكة، أو كما كانوا يعقرون عند القبور. و مذهبه في العقر على القبور كقول زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب:

ان السماحة و المروة ضمنا
فإذا مرت بقبره فاعقر به
قبرا بمر و على الطريق الواضح
كوم الهجان و كل طرف سايح

و قال آخر:

نفرت قلوصى عن حجارة حرة
لا تنفري يا ناق منه فإنه
بنيت على طلق اليمين و هوب
شريب خمر مسعر لحروب
لو لا السفار و بعد خرق مهمه
لتركتها تحبو على العرقوب

و مذهبيهم في العقر على القبور مشهور، و ليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبيهم في البلية^{٢٥٨}.

قلت: و في خبر، إن أمير المؤمنين عليه السلام استشهد من بعض الصحابة قول النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيه: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» فأنكر فقال له: ان كنت سمعت و لم تشهد لي فلا أمتك الله إلا ميتة الجاهلية، فلما مات جاء قومه بالخيال و الإبل فعقرتها علي باب منزله.

و المراد به الأشعث بن قيس، و في لطائف المعارف للتعاليبي هو أول من دفن في داره، فإنه لما مات لم يقدر علي إخراجة من كثرة الزحام و كان الرجل ينزل عن دابته فيعقرها و الآخر يجيء براحلته فينحرها، فخاف الحسن بن

ص: ٩٢

علي أن يعقر الناس علي قبره فأمر بدفنه في داره^{٢٥٩}.

قال: فإن ظنَّ ظانَّ أن قوله «أو يفوز ركب» فيه إيماء إلى ذلك، فليس الأمر كما ظنَّه، و معنى البيت ادفني بفلاة جداء مقطوعة عن الإنس ليس بها إلا الذئب و الغراب أو أن يعتسف ركبها المفازة^{٢٦٠}.

و أخطأ الخالغ أيضا في هذا الباب إيراده قول مالك بن الربيب:

ستبرد أكبادا و تبكى بوكيا

و عطل قلوصى في الركاب فإنها

فظنه من هذا الباب، و إنما أراد الشاعر لا تركبوا راحلتى بعدى و عطلوها بحيث لا يشاهدها أعادى و أصادقى ذاهبة جائية تحت ركبها فيشمت العدو و يساء الصديق.

و قد أخطأ في مواضع اخر و أورد أشعارا في غير موضعها و ظنَّها مناسبة و منها أنه ذكر مذهب العرب في الحلبي و وضعه علي اللديغ، و استشهد عليه بقول الشاعر:

كما يلقي السليم من العداد

يلاقى من تذكّر آل ليلي

^{٢٥٨} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٨٥ - ٣٨٩.

^{٢٥٩} (١) لطائف المعارف للتعاليبي.

^{٢٦٠} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٨٩.

فالعداد معاودة السّمّ الملسوغ في كلّ سنّة في الوقت الذي لدغ فيه، و ليس هذا من باب الحلّى بسبيل.

و من ذلك إيراد قول الفرزدق «غلبتك بالمفقىء» في باب فقاء عيون الفحول إذا بلغت الإبل ألفا، و سنذكر كثيرا من المواضع التي وهم فيها.

و ممّا ورد في البليّة قول بعضهم:

أبنيّ زودني إذا فارقتني
للبعث أركبها إذا قيل اركبوا
في القبر راحلة برحل فاتر
مستوسقين معا لحشر الحاشر

ص: ٩٣

و قال عويم النبهاني:

أبنيّ لا تنس البليّة إنّها
لأبيك يوم نشوره مركوب

و من تخيلات العرب و مذاهبها ما حكاه ابن الأعرابي قال: كانت العرب إذا نفرت الناقة فسمّيت لها أمّها سكنت من النَّفار، قال الراجز:

أقول- و الوجناء بي تقحم
-ويلك! قل ما اسم أمّها يا عليكم

«عليكم» اسم عبده، و إنّما سأل عبده ترفّعا أن يعرف اسم أمّها، لأنّ العبيد بالإبل أعرف و هم رعاتها. و أنشد السّكّري:

فقلت له ما اسم أمّها هات فادعها
تجبك و يسكن روعها و نفارها^{٢٦١}

^{٢٦١} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٨٩-٣٩١.

قلت: و فى أساس الزمخشري يقولون: الناقةُ النادةُ تسكن إذا سميت أمها، و كذلك يسكن الجملُ النادِ إذا سمى أبوه^{٢٦٢}. قلت: و لعل وجه سكونهما أنّهما عند سماع اسمهما يتوجه خيالهما إلى الام و الأب فيسكنان عن النفور و الند.

و ممّا كانت العرب كالمجتمعة عليه (الهامة)، و ذلك أنّهم كانوا يقولون ليس من ميت يموت و لا قتيل يقتل إلّا و يخرج من رأسه هامة، فإن كان قتل و لم يؤخذ بثاره نادت الهامة على قبره: «اسقونى فأنى صديّة»، و عن هذا قال النبي صلى الله عليه و آله و سلّم «لا هامة»^{٢٦٣}.

و حكى أن أبا زيد قال «الهامة» مشددة الميم إحدى هوام الأرض، و إنّها هى المنادية المذكورة. و قيل: إن أبا عبيد قال: ما أرى أبا زيد حفظ هذا.

و قد يسمونها «الصدى» و الجمع أصداء، قال: «و كيف حياة أصداء

ص: ٩٤

و هام»، و قال أبو دواد الأيادى:

فلهم فى صدى المقابر هام

سلط الموت و المنون عليهم

و قال بعضهم لابنه:

فإن زقاء الهام للمرء عائب
و تلك التى تبيض منها الذوائب

و لا ترقون لى هامة فوق مرقب
تنادى ألا اسقونى و كلّ صدى به

يقول له لا تترك ثارى إن قتلت فإنك إن تركته صاحب هامتى: اسقونى، فإن كلّ صدى - و هو ها هنا العطش - بأبيك، و تلك التى تبيض منها الذوائب لشدتها، كما يقال: «أمر يشيب رأس الوليد»، و يحتمل أن يريد صعوبة الأمر عليه و هو مقبور إذا لم يثار به، و يحتمل أن يريد به صعوبة الأمر على ابنه، يعنى أن ذلك عار عليك. و قال ذو الأصبع:

^{٢٦٢} (٢) أساس البلاغة: ٣٥٦، مادة: (قحم).

^{٢٦٣} (٣) شرح ابن أبى الحديد: ١٩: ٣٩١.

يا عمرو إلاً تدع شتمي و منقصتي

أضربك حيث تقول الهامة اسقوني^{٢٦٤}

قلت: و أنشد البيت عبد الملك بن مروان لعمر و بن سعيد لما قتله. قال:

و قال آخر:

(فيا رب ان أهلك و لم ترو هامتي

بليلي أمت لا قبر أعطش من قبرى^{٢٦٥}

و يحتمل هذا البيت أن يكون خارجاً عن هذا المعنى الذى نحن فيه و أن يكون رىّ هامته الذى طلبه من ربه هو وصال ليلي فى الدنيا، و هم يكتنون عمّا يشفيهم بأنّه يروى هامتهم. و قال معلىّ الفقعسى:

و إنّ أخاكم قد علمت مكانه

بسفح قبا تسفى عليه الأعاصر

له هامة تدعو إذا الليل جنّها

بنى عامر هل للهلالىّ تائر

ص: ٩٥

و قال توبة بن الحمير:

و لو أن ليلي الأخيلية سلّمت

علىّ و دونى جندل و صفائح

لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا

إليها صدى من جانب القبر صائح

و قال قيس بن الملوّح - و هو المجنون:

^{٢٦٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩١-٣٩٢.

^{٢٦٥} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩٥ ح ٣٩٢.

و لو تلتقى أصدأؤنا بعد موتنا

و من دوننا رمس من الأرض أنكب

لظلّ صدی رمسی و إن كنت رمّة

لصوت صدی لیلی یهشّ و یطرب

و قال حمید بن ثور:

ألا هل صدی أمّ الولید مکلم

صدای إذا ما كنت رمسا و أعظما

و ممّا أبطله الإسلام قول العرب بالصفّر، زعموا أن فی البطن حیّة إذا جاع الإنسان عضّت علی شر سوفه و كبده، و قيل: هو الجوع بعینه، لیس أنّها تعضّ بعد حصول الجوع.

فأمّا لفظ الحدیث «لا عدوی و لا هامئة و لا صفر» فإنّ أبا عبیده معمر بن المثنی قال: هو «صفر» الشهر الذی بعد المحرم. نهی علیه السّلام عن تأخیرهم المحرمّ إلى صفر، یعنی ما كانوا یفعلونه من النسیء، و لم یوافق أحد من العلماء أبا عبیده علی هذا التفسیر. قال الشاعر:

لا یتأرّی لّمّا فی القدر یرقبه

و لا یعض علی شرسوفه الصفر

و قال بعض شعراء بنی عبس یذکر قیس بن زهیر لّمّا هجر الناس و سكن الفیافی و أنس بالوحش، ثم رأى لیلة نارا فعشا إليها فشمّ عندها قنار اللّحم فنازعته شهوته فغلبها و قهرها و مال إلى شجرة سلم فلم یزل یکدمها و یأکل من خبطها إلى أن مات:

إنّ قیسا كان میتته

کرم و الحیّ منطلق

شام نارا بالهوی فهوی

و شجاع البطن یخنفق

فى دريس ليس يستره

ربّ حرّ ثوبه خلق

و قوله: «بالهوى» اسم موضع بعينه. و قال أبو النجم العجلى:

إنّك يا خير فتى نستعدى

على زمان مسنّا بجهد

عضّاً كعضّ صفر بكبد

و قال آخر:

أردّ شجاع البطن قد تعلمينه

و أوتر غيرى من عيالك بالطعم

و من خرافات العرب أن الرجل منهم كان إذا أراد دخول قرية فخاف وباءها أو جنّها، وقف على بابها قبل أن يدخلها فنهق نهيق الحمار، ثم علّق عليه كعب أرنب، كأنّ ذلك عوذة له و رقية من الوباء و الجن، و يسمّون هذا النهيق: التعشير قال شاعرهم:

و لا ينفع التعشير إن حمّ واقع

و لا ززع يغنى و لا كعب أرنب

و قال الهيثم بن عدى: خرج عروة بن الورد إلى خيبر فى رفة ليمتاروا، فلما قربوا منها عشّروا و عاف عروة أن يفعل فعلهم و قال:

لعمرى لئن عشّرت من خيفة الردى

نهاق حمير إننى لجزوع

فلا و ألت تلك النفوس و لا أتوا

قفولا إلى الأوطان و هى جميع

و قالوا ألا انهق لا تضرّك خيبر

و ذلك من فعل اليهود ولوع

أى: كذب. فيقال إن رفقته مرضوا و مات بعضهم و نجا عروءة من الموت و المرض. و قال آخر:

لا ينجينك من حمام واقع كعب تعلّقه و لا تعشير^{٢٦٦})

قلت: و الأصل فى وجه تسميتهم له بالتعشير ان الحمار يتابع فى نهيقه بين عشر نهقات.

ص: ٩٧

(قال: و يشابه هذا أنّ الرجل منهم كان إذا ضلّ فى فلاة قلب قميصه و صقّ بيديه كأنه يرمى بهما إلى إنسان فيهتدى. قال أعرابى:

قلت ثيابى و الظنون تجول بى و ترمى برحلى نحو كلّ سبيل
فلأبأ بلأى ما عرفت جليّتى و أبصرت قصدا لم يصب بدليل

و قال أبو العمّس الطائى:

فلو أبصرتنى بلوى بطان اصقّ بالبنان على البنان
فأقلب تارة خوفا ردائى و أصرخ تارة بأبى فلان
لقلت أبو العمّس قد دهاه من الجنّان خالعة العنان

و الأصل فى قلب الثياب التفاؤل بقلب الحال، و قد جاء فى الشريعة الإسلامية نحو ذلك فى الاستسقاء^{٢٦٧}.

^{٢٦٦} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٣٩٢-٣٩٥.

^{٢٦٧} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٣٩٥.

و من مذاهب العرب أنّ الرجل منهم كان إذا سافر عمد إلى خيط فعقده فى غصن شجرة أو فى ساقها، فإذا عاد نظر إلى ذلك الخيط، فإن وجد به حاله علم أن زوجته لم تخنه، و إن لم يجده أو وجده محلولا قال: خانتنى، و ذلك العقد يسمّى «الرتم». و يقال: بل كانوا يعقدون طرفا من غصن الشجر بطرف غصن آخر. قال الراجز:

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم
كثرة ما توصى و تعقاد الرّتم

و قال آخر:

خانتته لما رأّت شيبا بمفرقه
و غره حلفها و العقد للرّتم

و قال آخر:

لا تحسبنّ رتائما عقّدتها
تنبيك عنها باليقين الصادق

و قال آخر:

ص: ٩٨

يعللّ عمرو بالرتائم قلبه
و فى الحى ظبى قد احلّت محارمه
فما نفعت تلك الوصايا و لا جنت
عليه سوى ما لا يحبّ رتائمه

و قال آخر:

ما ذا الذى تنفك الرّتائم
إذ أصبحت و عشقها ملازم

يزورها طبّ الفؤاد عارم

و هي على لذاتها تداوم

بكلّ أدواء النساء عالم

و قد كانوا يعقدون الرّتم للحمّى و يرون أن من حلّها انتقلت الحمّى إليه، قال الشاعر:

و قد كانوا يعقدون الرّتم للحمّى و يرون أن من حلّها انتقلت الحمّى إليه، قال الشاعر:

أكابد كلّ مكروه الدواء^{٢٦٨})

حللت رتيمةً فمكتت شهرا

قلت: و تأتي «الرتيمة» أيضا لما يعقد في اليد للتذكرة كما قال ثعلب في مجالسه و أنشد:

لإخواننا لم تغنّ عنا الرتائم^{٢٦٩}

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسنا

و قال ابن السكّيت: إنّ العرب كانت تقول: إنّ المرأة المقلات- و هي التي لا يعيش لها ولد- إذا وطئت القتبيل الشريف عاش ولدها، قال بشر بن أبي حازم:

يقلن آلا يلقى على المرء مئزر

قظل مقاليت النساء تطأنه

و قال أبو عبيدة: تتخطّاه المقلاة سبع مرات فذلك وطاها له.

و قال ابن الأعرابي: يمرّون به و يطئون حوله. و قيل إنّما كانوا يفعلون ذلك بالشريف يقتل غدرا أو قودا، و قال الكميت:

^{٢٦٨} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩٦.

^{٢٦٩} (٢) مجالس التعلبي.

و تطيل المرزءات المقاليت

إليه القعود بعد القيام

ص: ٩٩

وقال آخر:

تركنا الشعثمين برمل خبت

تزورهما مقاليت النساء

وقال آخر:

بنفسى الذى تمشى المقاليت حوله

يطال له كشحا هضيمًا مهشمًا

وقال آخر:

تباشرت المقاليت حين قالوا

ثوى عمرو بن مرة بالحفير

و من تخييلات العرب و خرافاتها أن الغلام منهم كان إذا سقطت له سن أخذها بين السبابة و الابهام و استقبل الشمس إذا طلعت و قذف بها و قال: يا شمس، أبدليني بسن أحسن منها و ليجر فى ظلمها «إياتك» أو «إياؤك»، و هما جميعا شعاع الشمس، قال طرفة «سقته إياه الشمس»، و إلى هذا الخيال أشار شاعرهم بقوله:

شادن يجلو إذا ما ابتسمت

عن أفاح كأفاح الرمل غر

بدلته الشمس من منبته

بردا أبيض مصقول الأثر

وقال آخر:

كأنّ رضا به صافى المدام

و أشنب واضح عذب الثنايا

فلاح كأنّه برق الغمام

كسته الشمس لونا من سناها

وقال آخر:

به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

بذى اشر عذب المذاق تفرّدت

و الناس اليوم فى صبيانهم على هذا المذهب.

و كانت العرب تعتقد أن دم الرئيس يشفى من عضّة الكلب الكلب، قال الشاعر:

دماؤهم من الكلب الشفاء

بناءً مكارم و اساءة جرح

ص: ١٠٠

وقال ابن الزبير الأسدى:

كانت دماؤهم تشفى من الكلب

من خير بيت علمناه و أكرمه

وقال الكميت:

كما دماؤكم تشفى من الكلب

أحلامكم لسقام الجهل شافية

و من تخيَّلات العرب أنّهم كانوا إذا خافوا على الرجل الجنون و تعرّض الأرواح الخبيثة له نجّسوه بتعليق الأقدار عليه كخرقة الحيز و عظام الموتى قالوا: و أنفع من ذلك أن تعلّق عليه طامث عظام موتى ثم لا يراها يومه ذلك و أنشدوا للممزّق العبدى:

فلو أن عندى جارتين و راقبا
و علّق انجاسا علىّ المعلّق

قالوا: و التنجيس يشفى إلّا من العشق، قال أعرابى:

يقولون علّق يا لك الخير رمّة
و هل ينفع التنجيس من كان عاشقا!

و قالت امرأة و قد نجّست ولدها فلم ينفعه و مات:

نجّسته لو ينفع التنجيس
و الموت لا تفوته النفوس

و كان أبو مهديةّ يعلّق فى عنقه العظام و الصوف حذر الموت، و أنشدوا:

أتونى بأنجاس لهم و منجّس
فقلت لهم ما قدر الله كائن

و من مذاهبهم أنّ الرجل منهم كان إذا خدرت رجله ذكر من يحبّ أو دعاه فيذهب خدرها، قال:

على أنّ رجلى لا يزال امذلاها
مقيما بها حتى أجيلك فى فكرى

وقال كنير:

بدعواك من مذل بها فيهون

إذا مذلت رجلى ذكرك أشتفى

وقال جميل:

وذكرك يشفينى إذا خدرت رجلى

و أنت لعينى قرّة حين نلتقى

ص: ١٠١

وقالت امرأة:

فإن قلت عبد الله أجلى فتورها

إذا خدرت رجلى دعوت ابن مصعب

وقال آخر:

نادى كبيشهُ حتى يذهب الخدر

صبّ محبّ إذا ما رجله خدرت

وقال المؤمل:

إلا ذكرك حتى يذهب الخدر

و الله ما خدرت رجلى و لا عثرت

وقال الوليد بن يزيد:

أثيبي هائما كلفا معنّي

إذا خدرت له رجل دعاك

و نظير هذا الوهم، أنّ الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال: أرى من احبّه فإن كان غائبا توقّع قدومه و إن كان بعيدا توقّع قربه، قال بشر:

إذا اختلجت عيني أقول لعلّها

فتاءً بنى عمرو بها العين تلمع

و قال آخر:

إذا اختلجت عيني تبيّنت أنّي

أراك و إن كان المزار بعيدا

و قال آخر:

إذا اختلجت عيني أقول لعلّها

لرؤيتها تهتاج عيني و تطرف

و هذا الوهم باق في الناس إلى اليوم.

و من مذاهبهم، أنّ الرجل منهم كان إذا عشق و لم يسئل، و أفرط عليه العشق، حمّله رجل على ظهره كما يحمل الصبيّ و قام آخر فأحمى حديدة أو ميلا و كوى به بين أليتيه فيذهب عشقه فيما يزعمون، قال أعرابي:

كويتم بين رانفتيّ جهلا

و نار القلب يضرّهما الغرام

و قال آخر:

شكوت إلى رفيقيّ اشتياقي

فجاءني و قد جمعا دواء

ص: ١٠٢

و جاء بالطبيب ليكوياني

و لا أبغى - عدمتهما - اكتواء

و لو أتيا بسلمي حين جاءا

لعاضاني من السّقم الشفاء

و استشهد الخالع على هذا المعنى بقول كثير:

أغاضر لو شهدت غداة بنتم

حنوّ العائدات على وسادى

أويت لعاشق لم ترحميه

بواقدة تلذّع بالزّناد

و هذا البيت ليس بصريح فى هذا الباب، و يحتمل أن يكون مراده فيه المعنى المشهور المطروق بين الشعراء من ذكر حرارة الوجد و لذعه و تشبيهه بالنار، إلّا أنّه قد روى فى كتابه خبرا يؤكد المقصد الذى ادّعاه، و هو:

عن محمد ابن سليمان بن فليح عن جدّه قال: كنت عند عبد الله بن جعفر فدخل عليه كثير و عليه أثر علّة، فقال عبد الله: ما هذا بك؟ قال: هذا ما فعلت بى أمّ الحويرث، ثم كشف عن ثوبه و هو مكوى و أنشد:

عفا الله عن أمّ الحويرث ذنبها

على من تعنّيتى و تكمى دوائيا

و لو آذونى قبل أن يرقموا بها

لقلت لهم أمّ الحويرث دائيا

قلت: و الظاهر أنّه حرّف شعره أيضا و إنّ قال:

«كویت لعاشق لم ترحمیه»

بقوله

«أویت لعاشق لم ترحمیه»

. قال: و من أوھامھم و تخيلاتھم أنّھم كانوا یزعمون أنّ الرجل إذا أحبّ امرأة و أحبّته فشقّ برقعها و شقّت رداءه صلح حبھما و دام، فإن لم یفعل ذلك فسد حبھما، قال سحیم عبد بنی الحسحاس:

و کم قد شققنا من رداء محبّر	و من برقع عن طفلة غیر عابس
إذا شقّ برد شق بالبرد برقع	دوالیک حتی کلّنا غیر لابس
نروم بهذا الفعل بقیا علی الهوی	و ألف الهوی بغری بهذی الوسوس

و قال آخر:

ص: ۱۰۳

شقت رداى يوم برقة عالج	و أمکنتنى من شقّ برقعک السحقا
فما بال هذا الحب یفسد بیننا	و یمحق حبل الوصل ما بیننا محقا

و من مذاھبھم أنّھم كانوا یرون أنّ أكل لحوم السباع یزید فی الشجاعة و القوة، و هذا مذهب طیبی و الأطباء یعتقدونہ، قال بعضهم:

أبا المعارك لا تتعب بأكلك ما
فلو أكلت سباع الأرض قاطبة

تظن أنك تلفى منه كراً
ما كنت إلا جبان القلب خوارة

و قال بعض الأعراب- و أكل فؤاد الأسد ليكون شجاعا فعدا عليه نمر فجرحه:

أكلت من الليث الهصور فؤاده
فأدرك منى ثاره بابن اخته

لأصبح أجرى منه قلبا و أقدم
فيا لك ثارا ما أشدّ و أعظما

و قال آخر:

إذا لم يكن قلب الفتى غدوة الوغى
و ما نفع قلب الليث فى حومة الوغى

أصم فقلب الليث ليس بنافع
إذا كان سيف المرء ليس بقاطع

و من مذاهبهم أن صاحب الفرس المهقوع- و الهقعة دائرة تكون بالفرس و ربما كانت على الكتف فى الأكثر و هى مستقبحة عندهم- إذا ركب فغرق تحته اغتلمت امرأته و طمحت إلى غيره، قال بعضهم لصاحبه:

إذا عرق المهقوع بالمرء أنعظت

حليلته و ازداد حراً عجائبا

فأجابه صاحبه:

و قد يركب المهقوع من ليس مثله

و قد يركب المهقوع زوج حصان

و من مذاهبيهم أنّهم كانوا يوقدون النّار خلف المسافر الذي لا يخبّون رجوعه و يقولون في دعائهم «أبعده الله و أسحقه و أوقد ناراً أثره»، قال بعضهم:

ص: ١٠٤

صحت و أوقدت للجهل ناراً

ورد عليك الصّبا ما استعاراً^{٢٧٠}

و في لسان العرب قالت العقيليّة: كان الرجل إذا خفنا شرّه فتحوّل عنّا أوقدنا خلفه ناراً. فقلت لها: و لم ذلك؟ قالت: لتحوّل ضبعهم معهم، أي:

شرّهم^{٢٧١}، قال الشاعر:

و جمّة أقوام حملت و لم أكن

كموقد نار أثرهم للتندّم

و كانوا إذا خرجوا إلى الأسفار أوقدوا ناراً بينهم و بين المنزل الذي يريدونه و لم يوقدوها بينهم و بين المنزل الذي خرجوا منه تفاعلاً بالرجوع إليه.

و من مذاهبيهم المشهورة تعليق كعب الأرنب، قال ابن الأعرابي: قلت لزيد ابن كثوة: أ تقولون: إنّ من علّق عليه كعب أرنب لم تقربه جنّان الدار و لا عمّار الحى. قال: أي و الله و لا شيطان الحماطة و لا جار العشيرة و لا غول القفر.

«الحماطة» شجرة «و العشيرة» بالتصغيرة شجرة.

و قال امرؤ القيس:

أيا هند لا تنكحى بوهة

عليه عقيقته أحسبا

مرسعة بين أدباقه

به عسم بيتغى أرنبا

^{٢٧٠} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩٧-٤٠٣.

^{٢٧١} (٢) لسان العرب ١٥: ٣٦٣، مادة: (و قد).

ليجعل في رجله كعبها

حذار المنيّة أن يعطبا

و قال أبو محلم: كانت العرب تعلق على الصبي سنّ ثعلب و سنّ هرة خوفا من الخطفة و النظرة، و يقولون: إن جنيّة أردت صبيّ قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن في ذلك، فقالت تعتذر إليهم:

كان عليه نفره

ثعالب و هرره

ص: ١٠٥

و الحيض حيض السمره

و السمره: شيء يسيل من السمر كدم الغزال، و كانت العرب إذا ولدت المرأة أخذوا من دم السمر- و هو صمغه الذي يسيل منه- ينقطونه بين عيني النفساء و خطوا على وجه الصبي خطا، و يسمّى هذا الصمغ السائل من السمر «الدّودم» و يقال بالذال المعجمة أيضا. و تسمى هذه الأشياء التي تعلق على الصبي «النفرات».

قال عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي: إنّ بعض العرب قال لأبي: إذا ولد لك ولد فنفر عنه. فقال له أبي: و ما التنفير؟ قال: غرب اسمه. فولد له ولد فسمّاه قنفذا و كناه «أبا العداء». قال: و أنشد أبي:

كالخمر مزج دوائها منها بها

تشفى الصداع و تبرىء المنجودا

يريد أن القنفذ من مراكب الجن فداوى ولده منهم بمراكبهم.

و من مذاهبهم أنّ الرجل منهم كان إذا ركب مفازةً و خاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى واد ذى شجر فأناخ راحلته فى قرارته و عقلها و خطّ عليها خطّاً ثم قال: «أعوذ بصاحب هذا الوادى» و ربما قال «بعظيم هذا الوادى»، و عن هذا قال سبحانه فى القرآن: «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا»^{٢٧٢}.

و استعاذ رجل منهم و معه ولد فأكله الأسد فقال:

من شرّ ما فيه من الأعداى

قد استعدنا بعظيم الوادى

فلم يجرنا من هزبر عاد

و قال آخر:

بسيّد معظّم مجيد

أعوذ من شرّ البلاد البيد

ص: ١٠٦

ذى عزّة و كاهل شديد

أصبح يلوى بلوى زرود

و قال آخر:

عاذ بكم سارى الظلام الدالج

يا جنّ أجزاء اللوى من عالج

لا ترهقوه بغوىّ هائج

وقال آخر:

المانعي من سطوة الأعدى

قد بتّ ضيفا لعظيم الوادى

راحلتى فى جاره و زادى

وقال آخر:

فإنى ضيف نازل بفنائكا

هيا صاحب الشجرء هل أنت مانعى

و مثلك آوى فى الظلام الصعالكا

و إنك للجنان فى الأرض سيّد

و من مذاهبهم أنّ المسافر إذا خرج من بلدة إلى اخرى فلا ينبغي له أن يلتفت، فإنّه إذا التفت عاد، فلذلك لا يلتفت إلّا العاشق الذى يريد العود، قال بعضهم:

وجه الهواجر تأمن رجعة البلد

دع التلفت يا مسعود و ارم بها

وقال آخر، أنشده الخالع:

طال ليلى و ملنى قرنائى

عيل صبرى بالّعلبيّة لّمّا

لا تنفست و التفت ورائى

كلّمّا سارت المطايا بنا مى

ذكرهما الخالع فى الباب، و عندى أنّه لا دلالة فيهما على ما أراد، لأن التلفت فى أشعارهم كثير، و مرادهم به الإبانة و الإعراب عن كثرة الشوق و التأسّف على المفارقة و كون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المقام فيه بجثمانه يتبعه بصره و يتزود من رؤيته، كقول الرضىّ رضىّ الله عنه:

و لقد مررت على طولهم

و رسومهم ليد البلى نهب

ص: ١٠٧

فوقفت حتى ضجّ من لعب

نضوى و لجّ بعدلى الركب

و تلفتت عيني فمد خفيت

عنى الطلول تلفت القلب

و ليس يقصد بالتلفت ها هنا التفاؤل بالرجوع إليها، لأن رسومها قد صارت نهبا ليد البلى فأى فائدة فى الرجوع إليها، و إنما يريد ما قدمنا ذكره من الحنين و التذكّر لما مضى من أيامه فيها، و كذلك قول الأول:

تلفتت نحو الحى حتى وجدتني

وجعت من الإصغاء ليئا و أخذعا^{٢٧٣}

قلت: بل الظاهر أنّ إنشاد الخالع من ذاك الباب، بشهادة بيته الأول بعدم ميله إلى الرجوع و كون البيت الثانى بلفظ الالتفات لا التلفت.

قال: و قال بعضهم فى المذهب الأول:

تلفتت أرجو رجعة بعد نية

فكان التفاتى زائدا فى بلائيا

ء أرجو رجوعا بعد ما حال بيننا

و بينكم حزن الفلا و الفيافيا

و قال آخر، و قد طلق امرأته فتلفتت إليه:

^{٢٧٣} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٤٠٣-٤٠٧.

تلقت ترجو رجعة بعد فرقة

وهيات مما ترتجى امّ مازن

الم تعلمى اّنى جموح عنانه

إذا كان من أهواه غير ملاين

و من مذاهبهم أنه إذا بثر شفة الصبي حمل منخلا على رأسه و نادى بين بيوت الحى: «أحلا أحلا، الطّعام الطّعام» فتلقى له النساء كسر الخبز و أقطاع التمر و اللحم فى المنخل ثم يلقى ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض، فإن أكل صبي من الصبيان من ذلك الذى ألقاه للكلاب تمرّة أو لقمة أو لحمة بثر شفته. و أنشد لامرأة:

ألا حلا فى شفة مشقوقه

فقد قضى منخلنا حقوقه

و من مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا طرفت عينه بثوب آخر مسح

ص: ١٠٨

الطارف عين المطروف سبع مرات، يقول فى الأولى «باحدى جاءت من المدينة» و فى الثانية «باثنتين جاءت من المدينة» و فى الثالثة «بثلاث جئن من المدينة» إلى أن يقول فى السابعة «بسبع جئن من المدينة» فتبرأ عين المطروف، و فيهم من يقول «باحدى من سبع جئن من المدينة» إلى أن يقول «بسبع من سبع».

و من مذاهبهم أن المرأة منهم كان إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها و كحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور و حجلت على إحدى رجليها، و يكون ذلك ليلاً و تقول «بالكاح أبغى النكاح قبل الصباح» فيسهل أمرها و تتزوج عن قريب:

قال رجل لصديقه، و قد رأى أمّه تفعل ذلك:

أما ترى امك تبغى بعلا

قد نشرت من شعرها الأقلًا

و لم توفّ مقلتيها كحلا

ترفع رجلا و تحطّ رجلا

هذا و قد شاب بنوها أصلا

و أصبح الأصغر منهم كهلا

خذ القطيع^{٢٧٤} ثم سمها الذئبا

ضربا به تترك هذا الفعلا

وقال آخر:

قد كحلت عينا وأعفت عينا

و حجلت و نشرت قرينا

تظن زينا ما تراه شينا

وقال آخر:

تصنعي ما شئت أن تصنعي

و كحلي عينك أو لافدعي

ثم احجلي في البيت أو في المجمع

مالك في بعل أرى من مطمع

و من مذاهبهم كانوا إذا رحل الضيف أو غيره عنهم و أحبوا أن لا يعود

ص: ١٠٩

كسروا شيئا من الأواني وراءه، و هذا ممّا تعمله الناس اليوم أيضا، قال بعضهم:

كسرنا القدر بعد أبي سواح

فعاد و قدرنا ذهب ضياعا

وقال آخر:

^{٢٧٤} (١) أى السيف.

و لا تكسر الكيزان فى أثر ضيفنا

و لكننا تقفيه زادا ليرجعا

و قال آخر:

أما و الله إن بنى نفيلا

لحلّالون بالشرف اليفاع

اناس ليس تكسر خلف ضيف

أوانيهم و لا شعب القصاع

و من مذاهبهم قولهم: إن من ولد فى القمرء تقلّصت غرلته فكان كالمختون، و يجوز عندنا أن يكون ذلك من خواصّ القمر، كما أنّ من خواصه إبلاء الكتان و إبتان اللحم.

و قد روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام: إذا رأيت الغلام طويل الغرلة فأقرب به من السّودد، و إذا رأيت قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به.

و قال امرؤ القيس لقيصر و قد دخل معه الحمام فرآه أغلف:

إنى حلفت يمينا غير كاذبة

لأنت أغلف إلا ما جنى القمر

و من مذاهبهم التشاؤم بالعطاس، قال امرؤ القيس:

و قد اغتدى قبل العطاس بهيكل

شديد منيع الجنب فعم المنطق

و قال آخر:

و خرق إذا وجهت فيه لغزوة

مضيت و لم يحبسك عنه العواطس

و من مذاهبهم قولهم فى الدّعاء عليه «لا عشت إلّا عيش القراد» يضربونه مثلا فى الشدة و الصبر على المشقة، و يزعمون أن القراد يعيش ببطنه عاما و يظهره عاما، و يقولون: إنه يترك فى طينته و يرمى بها الحائط

ص: ١١٠

فيبقى سنة على بطنه و سنة على ظهره و لا يموت، قال بعضهم:

فلا عشت إلّا كعيش القرا
د عاما بطن و عاما بظهر

و من مذاهبهم: كانت النساء إذا غاب عنهن من يحببهن أخذن ترابا من موضع رجله، كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه. و قالت امرأة من العرب و اقتبضت من أثره:

يا رب أنت جاره فى سفره
و جار خصييه و جار ذكره

و قالت امرأة:

أخذت ترابا من مواطىء رجله
غداة غدا كيما يئوب مسلما

و من مذاهبهم أنهم كانوا يسمّون العشا فى العين الهديد، و أصل الهديد اللبن الخائر، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة و من الكبد قطعة و قلاهما و قال عند كل لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبّابته:

فيا سناما و كبد
ألا اذهبا بالهديد
ليس شفاء الهديد
إلّا السّنام و الكبد

فيذهب العشا بذلك.

و من مذهبهم اعتقادهم ان الورل و القنفذ و الأرنب و الظبي و اليربوع و النعام مراكب الجن يمتطونها، و لهم في ذلك أشعار مشهورة، و يزعمون أنهم يرون الجن و يظاهرونهم و يخاطبونهم و يشاهدون الغول، و ربما جامعوها و تزوجوها.

و قالوا: إن عمرو بن يربوع تزوج الغول و أولدها بنين و مكثت عنده دهرا فكانت تقول له: إذا لاح البرق من جهة بلادى - و هى جهة كذا - فاستره عنى و إلا تركت ولدك عليك و طرت إلى بلاد قومي. فكان عمرو بن يربوع كلما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره.

ص: ١١١

و إلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعرى فى قوله يذكر الابل و حنينها إلى البرق:

طربن لضوء البارق المتعالى	ببغداد و هنا ما لهنّ و مالى
سمت نحوه الأبصار حتى كأنها	بناريه من هنا و ثمّ صوالى
إذا طال عنها سرها لراءوسها	تمدّ إليه فى صدور عوالى
تمنّت قويقا و الصراة أمامها	تراب لها من أينق و جمالى
إذا لاح إيماض سترت وجوهها	كأنى عمرو و المطىّ سعالى
و كم همّ نضوان يطير مع الصبا	إلى الشام لو لا حبسه بعقالى

قالوا: فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة و قد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت و قالت له و هى تطير:

أمسك بنيك عمرو إني أبق	برق على أرض السعالى آلق
------------------------	-------------------------

و منهم من يقول: ركبت بعيرا و طارت عليه - أى: أسرع - فلم يدركها.

و عن هذا قال الشاعر:

رأى برقاً فأوضع فوق بكر

فلا بك ما أسال ولا أغاما

قال: فبنو عمرو بن يربوع إلى اليوم يدعون بني السعلاة، و لذلك قال الشاعر يهجوهم:

يا قَبِّحَ الله بني السعلاة

عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا بأبطال ولا أكيات

فأبدل السين تاء و هي لغة قوم من العرب^{٢٧٥}.

قلت: أي: الأصل في النات «الناس» و في أكيات «أكياس».

و من مذاهبهم في الغول قولهم: إنها إذا ضربت ضربة واحدة بالسيف

ص: ١١٢

هلكت فإن ضربت ثانية عاشت، و إلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله:

فقلت: نَّ قَلت لها رويدا

مكائك، إنَّني ثبت الجنان

و كانت العرب تسمى أصوات الجن «العزيف» و تقول: ان الرجل إذا قتل قنفذا و ورلا لم يأمن الجن على فحل إبله، و إذا أصاب إبله خطب أو بلاء حملة على ذلك. و يزعمون أنَّهم يسمعون الهاتف بذلك، و يقولون مثله في الجنان من الحيَّات و قتله عندهم عظيم.

و رأى رجل منهم جأنا في قعر بئر لا يستطيع الخروج منها، فنزل و أخرجه منها على خطر عظيم و غمض عينيه لئلا يرى أين يدخل، كأنه يريد بذلك التقرب إلى الجن.

^{٢٧٥} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٠٧-٤١٢.

و قال الجاحظ: و كانوا يسمّون من يجاور منهم الناس (عامرا) و الجمع عمار، فان تعرّض للصبيان فهو «روح»، فان خبث و تعرّم فهو «شيطان»، فإن زاد على ذلك فى القوة فهو «عفريت»، فإن طهر و لطف و صار خيرا كلّه فهو «ملك»، و يفاضلون بينهم.

و يعتقدون أن مع كلّ شاعر شيطانا و يسمّونهم بأسماء مختلفة^{٢٧٦}.

قلت: و فى (شعراء ابن قتيبة): راجز العجّاج على ناقه له كرماء و عليه ثياب حسان، و خرج أبو النجم العجلي على جمل مهنوء و عليه عباء، فأنشد العجّاج «قد جبر الدين الإله فجبر» و أنشد أبو النجم «تذكر القلب و جهلا ما ذكر» حتى بلغ قوله:

إتى و كلّ شاعر من البشر	شيطانه انتى و شيطانى ذكر
فما رآنى شاعر إلا استسر	فعل نجوم الليل عاين القمر
عيشى تميم و اصغرى فيمن صغر	و باشرى بالبدلّ و اعطى من عشر

ص: ١١٣

و أمرى الانتى عليك و الذكر

فبينما هو ينشد إذ حمل جملة على ناقه العجّاج، فضحك الناس و انصرفوا يقولون: «شيطانه انتى و شيطانى ذكر»- و العجّاج من زيد مناة بن تميم.

(قال: قال الجاحظ: و فى النهار ساعات يرى فيها الصغير كبيرا و يوجد لأوساط الفيافى و الرمال و الحرار مثل الدوى و هو طبع ذلك الوقت، قال ذو الرمة:

إذا قال حادينا لترنيم بناءً	صه لم يكن إلا دوى المسامع
-----------------------------	---------------------------

^{٢٧٦} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٤١٢-٤١٣.

و قال الجاحظ ايضا فى الذين يذكرون عزيز الجن و تعول الغيلان: إن هذا الأمر و ابتداء هذا الخيال أن القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة و من انفرد و طال مقامه فى البلاد الخلاء استوحش و لا سيما مع قلة الأشغال و فقد المذاكرين، و الوحده لا تقطع أيامها إلا بالتمنى و الأفكار، و ذلك أحد أسباب الوسواس.

و من عجائب اعتقادات العرب و مذاهبهم اعتقادهم فى الديك و الغراب و الحمامة و ساق حرّ - و هو الهديل - و الحية، فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلقا، و منهم من يزعم أنها نوع من الجن، و يعتقدون أن سهيلا و الزهرة و الضبّ و الذئب و الضبع مسوخ. و من أشعارهم فى مراكب الجن قول بعضهم فى قنفذ رآه ليلا:

فما يعجب الجنان منك - عدمتهم -
و فى الأسد أفراس لهم و نجائب
أ يسرج يربوع و يلجم قنفذ
لقد أعوزتكم ما علمت النجائب
فإن كانت الجنان جنت فبالحرى
و لا ذنب للأقوام و الله غالب

و من الشعر المنسوب إلى الجن:

ص: ١١٤

و كل المطايا قد ركبنا فلم نجد
ألدّ و أشهى من ركوب الأرناب
و من عضر فوط عن لى فركبته
أبادر سربا من عطاء قوارب^{٢٧٧}

و قال أعرابى يكذب بذلك:

أ يستمع الأسرار راكب قنفذ
لقد ضاع سرّ الله يا أمّ معبد

^{٢٧٧} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٤١٢-٤١٤.

و من أشعارهم و أحاديثهم فى رؤية الجن و خطابهم و هتافهم ما رواه الجاحظ لسمير بن الحارث الضبى:

و نار قد حضأت بعيد و هن
سوى تحليل راحلة و عين
أتوا نارى فقلت منون أنتم؟
بدار لا أريد بها مقاما
أكالتها مخافة أن تناما
فقالوا: الجن قلت: عموا ظلما

و يزعمون أن عمير بن ضبيعة رأى غلمانا ثلاثة يلعبون نهارا فوثب غلام منهم فقام على عاتقى صاحبه و وثب الآخر فقام على عاتقى الأعلى منهما، فلما رأهم كذلك حمل عليهم فصدتهم فوقعوا على ظهورهم و هم يضحكون، فقال عمير بن ضبيعة: فما مررت يومئذ بشجرة إلا و سمعت من تحتها ضحكا، فلما رجعت إلى منزله مرض أربعة أشهر^{٢٧٨}.

و حكى الأصمعى عن بعضهم أنه خرج هو و صاحب له يسيران فإذا غلام على الطريق فقالا له: من أنت؟ قال: مسكين قد قطع بى. فقال أحدهما لصاحبه أردفه خلفك، فأردفه خلفه فالتفت الآخر إليه فرأى فمه يتأجج نارا، فشدّ عليه بالسيف فذهبت النار، فرجع عنه ثم التفت فرأى فمه يتأجج نارا، فشدّ عليه فذهبت النار، ففعل ذلك مرارا، فقال ذلك الغلام: قاتلكما الله ما أجلكما و الله ما فعلتها بأدمى إلا و انخلع فؤاده،

ص: ١١٥

ثم غاب عنهما فلم يعلما خبره^{٢٧٩}.

و قال أبو البلاد الطهوى - و يروى لتأبط شراً:

لهان على جهينى ما ألقى
لقيت الغول تسرى فى ظلام
فقلت لها كلانا نقض أرض
فشدت شدة نحوى فأهوى
من الروعات يوم رحى بطن
بسهب كالعباءة صحصان
أخو سفر فخلّى لى مكاني
لها كفى بمصقول يمانى

^{٢٧٨} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٤١٤-٤١٥.

^{٢٧٩} (١) المصدر نفسه.

فقلت زد فقلت رويدا إني

على أمثالها ثبت الجنان

و الذين يروون هذا الشعر لتأبط شرا يروون أوله:

ألا من مبلغ فتيات جهم

بما لاقيت عند رحي بطان

بأني قد لقيت الغول تلوى

بمرت كالصحيفة صحصحان

فصدت فانتحيت لها بعض

حسام غير مؤتشب يمانى

فقدت سراتها و البرك منها

فخرت لليدين و للجران

فقلت ثن قلت لها رويدا

مكانك إني ثبت الجنان

و لم أنفك مضطجعا لديها

لأنظر مصبها ما ذا دهانى

إذا عينان فى رأس دقيق

كرأس الهر مشقوق اللسان

و ساقا مخدج و لسان كلب

و ثوب من عباء أو شنان

و قال البهرانى:

و تزوجت فى الشبيبة غولا

بغزال و صدقتى زق خمر

قال الجاحظ: أصدقها الخمر لطيب ريحها و الغزال لأنه من مراكب الجن.

و قال أبو عبيد بن أيوب العنبرى أحد لصوص العرب:

مخضبة الأطراف خرس الخلاخل

يهيم بربات الحجال الهراكل

من القوم بساما كريم السمائل

و إطعامهم في كل غبراء شامل

وشيكا ولم ينظر لعلى المراجل

بكفيه رأس الشيحة المتماثل^{٢٨٠}

تقول و قد ألممت بالأمس لمة

أ هذا خدين الغول و الذئب و الذى

رأت خلق الدرسين أسود شاحبا

تعود من آبائه فتكاتهم

إذا صاد صيدا لفة بضرامه

فنهسا كنهس الصقر ثم مراسه

و من هذه الأبيات:

رماها بتشتيت الهوى و التخاذل

تقاعدهم عنه و طول التواكل

و أول لوم القوم لوم الحلائل

إذا ما أراد الله ذل قبيلة

و أول عجز القوم عما ينوبهم

و أول خبث الماء خبث ترابه

و هذا الشعر من جيد شعر العرب، وإنما كان غرضنا منه متعلقا بأوله و ذكرنا سائره لما فيه من الأدب. و قال عبيد بن أيوب:

صفيًا و ربته القفار البسابس

و صار حليل الغول بعد غراره

و قال أيضا:

لصاحب قفر فى المهامه يذعر

فلله در الغول أى رقيقة

^{٢٨٠} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١٥-٤١٦.

أرنت بلحن بعد لحن و أوقدت

حوالى نيرانا تلوح و تزهر

و قال أيضا:

و غولا قفرة ذكر و اثنى

كأنّ عليهما قطع البجاد

و قال أيضا:

فقد لاقى الغزلان منى بليّة

و قد لاقى الغيلان منى الدواھيا

و قال البهراني فى قتل الغول:

ص: ١١٧

ضربت ضربة فصارت هباء

فى محاق القمرأ آخر شهر

و قال أيضا يزعم أنه لما ثنى عليها الضرب عاشت:

فتنيت و المقدار يحرس أهله

فليت يمينى يوم ذلك شلت^{٢٨١}

و قال تأبط شراً يصف الغول و يذكر أنه راودها عن نفسها فامتنعت عليه فقتلها:

^{٢٨١} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٤١٦-٤١٧.

فأصبحت و الغول لى جارة
و طالبتها بضعها فالتوت
فجللتها مرهفا صارما
فطار بقحف ابنة الجن ذو
فمن يك يسأل عن جارتى
غطاءة أرض لها حلتنا
و كنت إذا ما هممت اهتبلت
فيا جارة أنت ما أغولا
فكان من رأى أن تقتلا
أبان المرافق و المفصلا
شقاشق قد أخلق المحملا
فإن لها باللوى منزلا
ن من ورق الطلح لم تغزلا
و أخرى إذا قلت أن أفعلا

و من أعاجيبهم أنهم كانوا إذا طالت علةً واحد منهم و ظنوا أن به مسًا من الجن لأنه قتل حيةً أو يربوعا أو قنفذا، عملوا جمالا من طين و جعلوا عليها جوالق و ملأوها حنطةً و شعيرا و تمرا و جعلوا تلك الجمال فى باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس و باتوا ليلتهم تلك، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمال من الطين فإن رأوا أنها بحالها قالوا: لم تقبل الديّة فزادوا فيها، و إن رأوها قد تساقطت و تبدد ما عليها من الميرة قالوا: قد قبلت الديّة، و استدلّوا على شفاء المريض و فرحوا و ضربوا بالدف، قال بعضهم:

قالوا و قد طال عنائى و السقم
فحمل إلى الجنّ جمالات و ضم
فقد فعلت و السقام لم يرم
فبالذى يملك برئى أعتصم

ص: ١١٨

و قال آخر:

يا ليت أن الجن جازوا حمالتى
و يا ليتهم قالوا انطنا كلّ ما حوت
و زحزح عنى ما عنانى من السقم
يمينك فى حرب عماس و فى سلم

اعل قلبى بالذى يزعمونه

فيا ليتنى عوفيت فى ذلك الزعم^{٢٨٢}

و قال آخر:

أرى أن جنّ النويرة أصبحوا

و هم بين غضبان علىّ و آسف

حملت و لم أقبل إليهم حمالة

تسكّن عن قلب من السقم تالف

و لو أنصفوا لم يطلبوا غير حقّهم

و من لى من أمثالهم بالتناصف

تغطّوا بثوب الأرض عنّى و لو بدوا

لأصبحت منهم آمنة غير خائف

و كانوا إذا غم عليهم أمر الغائب و لم يعرفوا له خبرا جاءوا إلى بشر عادية أو حفر قديم و نادوا فيه «يا فلان» أو «يا أبا فلان» ثلاث مرات، و يزعمون أنه ان كان ميّتا لم يسمعوا صوتا و إن كان حيا سمعوا صوتا ربّما توهموه وهما أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم، قال بعضهم:

دعوت أبا المغوار فى الحفر دعوة

فما أض صوتى بالذى كنت داعيا

أظن أبا المغوار فى قعر مظلم

تجر عليه الذاريات السوافيا

و قال آخر:

و كم ناديته و الليل ساج

بعادى البثار فما أجابا

و قال آخر:

^{٢٨٢} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١٧-٤١٨.

و الحفر لا يرجع لى جوابا
حتى متى أستششد الرّكّابا

غاب فلم أرج له إيابا
و ما قرأت مذ نأى كتابا
عنه و كلّ يمنع الخطابا

ص: ١١٩

و قال آخر:

من الحفر و الظلماء باد كسورها
سيطلع من جوفاء صعب خدورها
سيقدم و الدنيا عجاب أمورها^{٢٨٣}

ألم تعلمى أنّى دعوت مجاشعا
فجاوبنى حتىّ ظننت بأنّه
فقد سكنت نفسى و أيقنت أنّه

و قال آخر:

و هدّم جاليتها اختلاف عصور
قريبا إلينا بالاياب يصير

دعوانه من عاديّة نضب ماؤها
فرد جوابا ما شككت بأنّه

أقوى فى البيت الثانى و سكن «نضب» ضرورة، كما قال

«لو عصر منه البان و المسك انعصر»

^{٢٨٣} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٤١٩ - ٤٢٠.

. و من أعاجيبهم أنّهم كانوا فى الحرب ربما أخرجوا النساء فبلن بين الصفيين يرون أن ذلك يطفىء نار الحرب و يقودهم إلى السلم، قال بعضهم:

لقونا بأبوال النساء جهالةً
و نحن نلأقيهم ببيض قواضب

و قال آخر:

بالت نساء بنى خراشة خيفةً
منّا و أدبرت الرجال شلالا

و قال آخر:

بالت نساؤهم و البيض قد أخذت
منهم ماخذ يستشفى بها الكلب

و هذان البيتان يمكن أن يراد بهما أن النساء بلن خيفةً و ذعرا لا على المعنى الذى نحن فى ذكره.

هيهات ردّ الخيل بالأبوال
إذا غدت فى صور السعالى

و قال آخر:

هيهات ردّ الخيل بالأبوال
إذا غدت فى صور السعالى

و قال آخر:

بول النساء و قلّ ذاك غناء

جعلوا السيوف المشرفية منهم

فأمّا ذكرهم عزيف الجن في المفاوز و السباسب فكثير، كقول بعضهم:

حديث العذاري بأسرارها

و خرق تحدث غيطانه

وقال آخر:

من البيد تعزف جنّانها^{٢٨٤}

و دويّة سبسب سملق

وقال الأعشى:

مناهلها آجنات سدم

و بهماء تعزف جنّانها

وقال:

للجنّ بالليل في حافاتنا زجل

و بلدة مثل ظهر الترس موحشة

وقال آخر:

^{٢٨٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢٠ - ٤٢١.

يا بن الحمارس قد أسأت جوارنا
و عقرت لقحته و قدت فصيلها
و نزلت مرعى شائنا و ظلمتنا
فلنظرقتك بالذى أوليتنا

و ركبت صاحبنا بأمر مفضع
قودا عنيفا فى المنيف الأرفع
و الظلم فاعله و خيم المرتع
شر يحيئك ماله من مدفع

فأجابه ابن الحمارس:

يا مدعى ظلمى و لست بظالم
إن كنتم جنّا ظلمتم قنفذا
لا تطمعوا فيما لدىّ فما لكم

اسمع أريك مقالتي و تسمع
عقرت فشرّ عقيرة فى مصرع
فيما حويت و حزته من مطمع

فأجابه الجنى:

يا ضارب اللقحة بالعضب الأفل
و ساقك الحين إلى جن تبل

قد جاءك الموت و وافاك الأجل
فاليوم أقويت و أعبتكم الحيل

فأجابه ابن الحمارس:

يا صاحب اللقحة هل أنت بجل
و كثرة المنطق فى الحرب فشل
ليث ليوث و إذا همّ فعل

مستمع منى فقد قلت الخطل
هيجت قمقاما من القوم بطل
لا يرهب الجنّ و لا الانس أجل

من كان بالعقوة من جن تبل

فسمعها شيخ من الجن فقال: لا والله لا نرى قتل إنسان مثل هذا ثابت القلب ماضى العزيمة. ثم قام و أنشد:

ص: ١٢٢

يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا
فبدأتنا ظلما بعقر لقوحنا
فاعمد لأمر الرشد و اجتنب الردى
و اغرم لصاحبنا لقوحا متبعا
فأصبت منها مشربا و مناما
و أسأت لَمَّا أن نطقت كلاما
إنَّا نرى لك حرمة و ذماما
فلقد أصبت بما فعلت أتاما

فأجابه ابن الحمارس:

الله يعلم حيث يرفع عرشه
أما ادعاؤك ما ادعيت فأنتى
فأسمت فيها مالنا و نزلتها
فليغد صاحبكم علينا نعظه
أنى لأكره أن اصيب أتاما
جنت البلاد و لا اريد مقاما
لأريح فيها ظهرنا أياما
ما قد سألت و لا نراه غراما

ثم غرم للجن لقوحا متبعا للقتنذ و ولدها.

و هذه الحكاية و إن كانت كذبا إلا أنّها تتضمّن أدبا و هى من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبها و إمتاعها، و يقال: إن الشرقى كان يضع أشعارا و ينحلها غيره^{٢٨٦}.

فأما مذهب العرب فى أن لكلّ شاعر شيطانا يلقى إليه الشعر فمشهور و الشعراء كافة عليه، قال بعضهم:

إنى و إن كنت صغير السنّ
و كان فى العين نبوّ عنى
فإن شيطانى أمير الجنّ
يذهب بى فى الشعر كلّ فن

و قال حسان بن ثابت:

إذا ما ترعرع فينا الغلام
إذا لم يسد قبل شدّ الإزار
ولى صاحب من بنى الشيبان
فما أن يقال له من هوه
فذلك فينا الذى لا هوه
فطورا أقول و طورا هوه

ص: ١٢٣

و كانوا يزعمون أن اسم شيطان الأعشى مسحل و اسم شيطان المخبل عمرو قال الأعشى:

دعوت خليلي مسحلا و دعوا له
جهنّام جدعا للهجين المذمم

و قال آخر:

لقد كان جنّيّ الفرزدق قدوة
و ما كان فينا مثل فحلّ المخبل

^{٢٨٦} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٤٢١-٤٢٤.

و لا فى القوافى مثل عمرو و شىخه

و لا بعد عمرو شاعر مثل مسحل^{٢٨٧}

قلت: و مرّ قول أبى النجم:

إنّى و كلّ شاعر من البشر

شيطانه انثى و شيطانى ذكر

قلت: و قالوا أنشد الفرزدق الصدر من أبيات لجرير فينشد الفرزدق العجز لها، فتعجب المنشد فقال له الفرزدق: أو ما علمت أن شيطاننا واحد.

قال: و أنشد الخالع فيما نحن فيه لبعض الرجاز:

ان الشياطين أتونى أربعة

فى غلس الليل و فيهم زوبعه

و هو لا يدل على ما نحن فيه فلا وجه لإدخاله فى هذا الموضوع.

و من مذهبهم أنّهم كانوا إذا قتلوا التعبان خافوا من الجن أن يأخذوا بثأره فيأخذون روثه و يفتونها على رأسها و يقولون «روثة راث تارك»، قال بعضهم:

طرحنا عليه الروث و الزجر صادق

فراث علينا تأره و الطوائل

و قد يذرّ على الحيّة المقتولة يسير رماد و يقال لها: «قتلك العين فلا تأر لك»، و فى أمثالهم لمن ذهب دمه هدرا «هو قتيل العين» قال الشاعر:

^{٢٨٧} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٤٢٤.

و لا أكن كقتيل العين وسطكم

و لا ذبيحة تشريق و تنحار

فأما مذهبهم فى الخرزات و الأحجار و الرقى و العزائم فمشهور، فمنها

ص: ١٢٤

«السَّلْوَانَةُ» و يقال: «السَّلْوَةُ»، و هى خرزة يسقى العاشق منها فيسلو فى زعمهم و هى بيضاء شفّافة، قال:

لو أشرب السلوان ما سليت

ما بى غنى عنكم و إن غنيت^{٢٨٨}

و قال اللّحيانى: السلوانة تراب من قبر يسقى منه العاشق فيسلو، و قال عروة ابن حزام:

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه

و عرّاف نجد إن هما شفيانى

فقالا نعم نشفى من الداء كلّه

و قاما مع العوادم بيتدران

فما تركا من رقية يعرفانها

و لا سلوة إلّا و قد سقيانى

و قال آخر:

سقونى سلوة فسلوت عنها

سقى الله المتبّية من سقانى

قال: أى سلوت عن السلوة و اشتد بى العشق و دام^{٢٨٩} قلت: ما فسرّه خلاف الظاهر، و الظاهر ان المراد سلوت عن المحبوبة، و إنّما دعا عليها لأن عنده فى العشق لذة أزالها الراقى. فقالوا: عشق رجل جارياً مملوكاً، فقالوا اشتراها، قال: إذن يذهب عشقى و فى العشق لذة. و قال الشمردل:

^{٢٨٨} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٤٢٥.

و لقد سقيت بسلوه فكأتما

قال المداوى للخيال بها ازدد^{٢٩٠}

و من خرزاتهم «الهنمة» تجلب بها الرجال و يعطف بها قلوبهم، و رقيتها:

أخذته بالهنمه، بالليل زوج و بالنهار أمه.

و منها «الفطسة» و «القبلة» و «الدردييس» كلها لاجتلاب قلوب الرجال،

ص: ١٢٥

قال الشاعر:

و الدردييس تماثما في منظم

جمعن من قبل لهن فطسة

لحبالهن و كل جلد شيطم

فانقاد كل مشدب مرس القوى

و قيل: الدردييس خرزة سوداء تتحبب بها النساء إلى بعولتهن، توجد في القبور العادية، و رقيتها:

أخذته بالدردييس، تدر العرق البييس، و تذر الجديد كالدريس.

و أنشد:

فمن لى من علاج الدردييس

قطعت القيد و الخرزات عنى

و أصل الدردييس الداهية، و نقل إلى هذه لقوة تأثيرها.

و من خرزاتهم «القرزحلة»، أنشد ابن الأعرابي:

^{٢٨٩} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢٦.

^{٢٩٠} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢٦.

لا تنفع القرزحله العجائزا

إذا قطعنا دونها المفاوزا

و هي من خرز الضرائر إذا لبستها المرأة مال إليها بعلها دون ضررتها.

و منها خرزة «العقرة» تشدها المرأة على حقوبها فتمنع الحبل، ذكر ذلك ابن السكيت في إصلاح المنطق.

و منها «الينجلب»، و رقيتها:

أخذته بالينجلب

فلا يرم و لا يغب

و لا يزل عند الطنب

و منها: «كرار»، و رقيتها:

يا كرار كريبه

إن أقبل فسريبه

و إن أدبر فضريبه

من فرجه إلى فيه

و منها «الهمرة»، و رقيتها:

يا همرة اهمريه

من استه إلى فيه

و ماله و بنيه

و منها: «الخصمة» خرزة الدخول على السلطان و الخصومة تجعل تحت فص الخاتم أو في زر القميص أو في حمائل السيف، قال بعضهم:

و مالى عليكم خصمة غير منطقى

يعلق غيرى خصمة فى لقاتهم

و منها: «الوجهة» و هى كالخصمة حمراء كالعقيق.

و منها: «العطفة» خرزة العطف، و «الكحلة» خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم، و «القبلة» خرزة بيضاء تجعل فى عنق الفرس من العين، و «الفتسة» خرزة يمرض بها العدو و يقتل و رقيتها:

بالتوباء و العطسه

أخذته بالفتسه

من أمره و نكسه

فلا يزال فى تعسه

حتى يزور رمسه

و من رقاهم للحب:

البرق و السحابه

هوايه هوايه

فحبه تمكن

أخذته بمركن

فلا يزل فى عبره

أخذته بابره

فقلبه لا يهدا

جلبته بإشقى

فقلبه لا يبرد

جلبته بمبرد

و ترقى الفارك زوجها إذا سافر عنها فتقول: «بأفول القمر، و ظلّ الشجر، شمال تشمله، و دبور تدبره، و نكباء تنكبه، شيك فلا انتعش». ثم ترمى في أثره بحصاء و نواة وروثة و بعرة و تقول:

نواة أنأت داره

حصاء حصت أثره

لقعته ببعره

روثة راث خبره

ص: ١٢٧

و قالت فارك في زوجها:

بعد النواة روثه حيث انتوى

أتبعته إذ رحل العيس ضحى

الروث للريث و للنأى النوى

و قال شاعر:

نواة تلتها روثه و حصاء

رمت خلفه لَمَا رأت و شك بينه

وراثت بك الأخبار و الرجعات

و قالت نأت منك الديار فلا دنت

و لا فارق الترحال منك شتات

و حصت لك الاثار بعد ظهورها

و قال رجل يخاطب امرأته:

روثة عير و حصاء و نوى

لا تقذفى خلفى إذا الركب اغتدى

و هذا الرجز أورده الخالع في هذا المعرض، و هو بأن يدل على عكس هذا المعنى أولى، لأن قوله «لن يدفع المقدار بالرقى و لا بالتهاويل على الجن» كلام يشعر بأن قذف الحصاء و النواة خلفه كالعوذة له لا كما تفعله الفارك التي تتمنى الفراق^{٢٩١}.

قلت: بل دلالة على عين المعنى في غاية الوضوح، فإن قذف الروثة و الحصاء و النواة ليس إلّا لعدم الرجوع، و لم يقل أحد إنها تكون للعوذة له من البلاء، و أما قوله «لن يدفع المقدار الرقى» فمعناه أنه لو كان رجوعى مقدارا لا تأثير لرقاك كما لا تأثير للرقى في التهاويل على الجن.

قال: فأما مذهبهم في القيافة و الزجر و الكهانة و اختلافهم في السانح و البارح و تشامهم باللفظة و الكلمة و تأويلهم لها و تيمّنتهم بكلمة اخرى و ما كانوا يفعلونه من البحيرة و السائبة و الوصيعة و الحام، فكله معروف لا حاجة

ص: ١٢٨

لنا إلى ذكره ها هنا ...^{٢٩٢}.

قلت: قال أبو عبيدة: سأل يونس رؤبة- و أنا شاهد- عن السانح و البارح، فقال: السانح ما و لآك ميامنه و البارح ما و لآك مياسره، و العرب تتيمن بالسانح و تتشأم بالبارح، و في المثل «من لى بالسانح بعد البارح»، و قال الأعشى «جرت لهما طير السانح بأشأم»، و في المثل: «إنما هو كبارح الأروى».

قال (الجوهري): الأروى مساكنها في قنان الجبال لا يكاد الناس يرونها سانحة و لا بارحة إلّا في الدهور مرة^{٢٩٣}.

و في (المروج): حدّث المنقرى عن العتبي: وقف عبيد الراعى ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر و كانوا يريدون استقصاد رجل من تميم إذ سنحت طباء سود منكرة، ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها واقفة على شأنها، فأنكر ذلك عبيد الراعى و لم ينتبه له أصحابه، فقال عبيد:

أطفن أمام الركب و الركب رائح

ألم تدر ما قال الطباء السوانح

و أيقن قلبي أنّهن نوائح

فكرّ الذى لم يعرف الزجر منهم

^{٢٩١} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢٦-٤٢٨.

^{٢٩٢} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢٩.

^{٢٩٣} (٢) الصحاح للجوهري ١: ٣٧٦-٣٧٧.

ثم شارفوا مقصدهم فألفوا الرئيس قد نهشته أفعى فأنت عليه.

قال أبو عبيدة: وهذا من غريب الزجر، وذلك أن السانح مرجو عند العرب و البارح هو المخوف، و أظن عبيدا إنما زجر الأطباء في حال رجوعها و وصف الحال الأول في شعره، كما أن من شرط الواصف أن يبدأ بهوادي الأسباب فيوضح عنها، فهذا وجه زجر عبيد في شعره^{٢٩٤}.

و في (المروج) (ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس و الهام و الصفر

ص: ١٢٩

و غيرها) منهم من زعم ان النفوس في الدم لا غير، و ان الروح الهواء الذي في باطن جسم المرئى منه نفسه، و لذلك سموا المرأة نفساء لما يخرج منها من الدم، و لذلك تنازع الفقهاء فيما له نفس سائلة إذا سقط في الماء هل ينجسه أم لا، و قال تأبط شراً لخاله الشنفرى «ألجمته عضبا فسالت نفسه سكبا».

و قالوا: إن الميت لا ينبعث منه الدم و لا يوجد فيه، و النماء مع الحرارة و الرطوبة، لأن كل حي فيه حرارة و رطوبة فإذا مات بقى اليبس و البرودة، قال ابن براق:

تسيل به النفوس على الصدور

و كم لاقيت ذا نجب شديد

و حال فذاك يوم فمطير

إذا الحرب العوان به استهامت

و طائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان، فإذا مات أو قتل لم يزل مطيفا به متصورا إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشا، و في ذلك يقول بعضهم:

فلهم في صدى المقابر هام

سلط الطير و المنون عليهم

و هذا الطائر يسمونه «الهام» و الواحدة هامة، و جاء الإسلام و هم على ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم «لا هام و لا صفر».

و يزعمون أن هذا الطائر يكون صغيرا ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم و هي أبدا تتوحش في الديار المعطلة و النواويس و حيث مصارع الموتى.

و يزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت في محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن امية لبييه:

فجنبوا الشعاء و المكروها

هامتى تخبرنى بما تستشعروا

و عن حاتم طى و سنورد خبره:

ص: ١٣٠

لدى حفر صدحت هامها^{٢٩٥}

أتيت لصحبك تبغى القرى

و للعرب في الغيلان أخبار ظريفة، يزعمون ان الغول يتغول لهم في الخلوات و يظهر لخواصهم في أنواع من الصور فيخاطبونها و ربما ضيفوها، و قد أكثروا من ذلك في أشعارهم، منها قول تأبط شراً:

كما اجتابت الكاعب الخيعلا

و أدهم قد جبت جلبابه

فيا جارتى أنت ما أهولا

فأصبحت و الغول لى جارة

و يزعمون أن رجليها رجلا عنز.

و كانوا إذا اعترضتهم الغول في الفيافي يتجزون و يقولون:

^{٢٩٥} (١) مروج الذهب ٢: ١٣٢-١٣٤ بتصرف.

يا رجل عنز انهقى نهيقا

لن نترك السبب و الطريقا

و ذلك انها كانت تتراءى لهم فى الليالى و اوقات النهار فيتوهمون أنّها إنسان فيتبعونها فتزِيلهم عن الطريق التى هم عليها و تنيههم، و كان ذلك قد اشتهر عندهم و عرفوه فلم يكونوا يزولون عمّا كانوا عليه من القصد، فإذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم فى بطون الأودية و رءوس الجبال.

قال: و قد ذكر جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب أنّه شاهد ذلك فى بعض أسفاره إلى الشام قبل الإسلام، و هذا مشهور عندهم فى أخبارهم.

و حكى عن بعض المتفلسفين أنّ الغول حيوان شاذّ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة و أنّه لمّا خرج منفردا فى نفسه و هيئته توخّش من مسكنه فطلب القفار و هو يناسب الإنسان و الحيوان البهيمى فى الشكل.

و ذهبت طوائف من الهند إلى أنّ ذلك إنّما يظهر من فعل ما كان غائبا من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار، و هى الشعرى العبور، و أنّ ذلك داء يحدث فى الكلاب، و سهيل فى الحمل و الذئب فى

ص: ١٣١

الدب، و حامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل و أشخاص تظهر فى الصحارى و غيرها من العالم فتسميه عوام الناس غولا و هى ثمانية و أربعون كوكبا و قد ذكرها بطليموس.

و زعمت طائفة: أنّ الغول اسم لكل شىء يعرض للسفّار و يتمثّل فى ضروب من الصور ذكرا كان أو انثى إلّا أنّ أكثر كلامهم على أنّه انثى. و قد قال أبو المطراب:

و تحت عهددهن و بالعباد

و حالفنى الوحوش على الوفاء

كأن عليهما قطع النجاد

و غولا قفرة ذكرا و انثى

و قال كعب بن زهير الصحابى:

كما تلون فى أثوابها الغول

فما تدوم على حال تكون بها

و كانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث و التحيل و اختلال السابله، قال أبو المطراب:

لصاحب قفر حالف و هو معبر

فلله در الغول أى رفيقه

حوالى نيرانا تلوح و تزهر

أرنت بلحن بعد لحن و أوقدت

و قد فرقوا بين السعلاء و الغول، قال عبيد بن أيوب:

رأت ما رأت عيني من الهول جنت

و ساخرة منى و لو أن عينها

إذا الليل و ارى اللحن فيه أرنت

أبيت بسعلاء و غول بقفرة

و وصفها بعضهم فقال:

و جفن عين خلاف الإنس بالطول

و حافر العنز فى ساق مدملجة

و للناس كلام كثير فى الغيلان و الشياطين و المردة و الجن و القطرب و القدار- و هو نوع من أنواع المتشيطنة- يعرف بهذا الاسم يظهر فى أكناف اليمن و التهائم و أعالي صعيد مصر، و أنه ربما يلحق الإنسان فينكحه فيتدود

ص: ١٣٢

دبره فيموت و ربما يتوارى للانسان فيذعره، فإذا أصاب الإنسان ذلك منه يقول له أهل تلك النواحي: «أ منكوح أم مذعور؟» فإن قال: منكوح يئس منه و ان كان مذعورا اسكن روعه، و ذلك أن الإنسان إذا عاين ذلك سقط مغشيا عليه، و منهم من لا يكثر به لشهامة قلبه و شجاعة نفسه.

(و فيه): و ذكر عن علقمة بن صفوان بن امية الكنانى جد مروان بن الحكم لأمه أنه خرج فى بعض الليالى يريد مالا له بمكة، فانتهى الى الموضع المعروف ب «حائط حرمان» فإذا هو بشق قد ظهر له و قال:

و إن لحمى مأكول

علقم إني مقتول

ضرب غلام مشمول

أضربهم بالمسلول

رحب الذراع بهلول

فقال علقمة:

اغمد عني منصلك

شق مالي و لك

تقتل من لا يقتلك؟

فقال شق:

كيما ايح معقلك

علقم، غنيت لك

فاصبر لما قد حم لك

فضرب كل منهما صاحبه فخرا ميئين، و هذا مشهور عندهم و أن علقمة قتلته الجن. و ذكر عن الجن بيتين من الشعر قالت هما في حرب بن امية حين قتلته و هما:

و ليس قرب قبر حرب قبر

و قبر حرب بمكان ففر

و استدلوا على أن هذا من قول الجن أن أحدا من الناس لم يتأت له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتبع في إنشادها، لأن الإنسان

قد ينشد والعشرين بيتا والأقل والأكثر أشد من هذا الشعر وأثقل ولا يتتبع فيه^{٢٩٦}.

و ممن قتلته الجن: مرداس السلمى، وهو أبو (عباس بن مرداس السلمى).

و منهم: الغريض المغنى بعد أن ظهر غناؤه، و قد كانت الجن نهته أن يغنى بأبيات من الشعر فغناها فقتلته.

و عن منصور بن يزيد الطائى قال: رأيت قبر حاتم طىء ببيعة- وهو أعلى جبل له واد يقال له الحامل- و إذا قدر عظيمه من بقايا قدور حجر مكفأه فى ناحية من القبر من القدور التى كان يطعم فيها الناس، و عن يمين قبره أربع جوار من حجارة و على يساره أربع جوار من حجارة كلهن صاحبة شعر منشور متحجرات على قبره كالتناجات عليه لم ير مثل بياض أجسامهن و جمال وجوههن، مثلهن الجن على قبره و لم يكن قبل ذلك، و الجوارى بالنهار كما وصفنا فإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالتياحة عليه و نحن فى منازلنا نسمع ذلك إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع سكتن و هدأن، و ربما مرّ المارّ فيراهن فيفتتن بهن فيميل إليهن عجا به، فإذا دنا وجدهن حجارة^{٢٩٧}.

و حدث ابن دريد عن أبى حاتم السجستانى عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال: سمعت شيخا من العرب قد أناف على المائة يقول: إنه خرج وافدا على بعض ملوك بنى امية، قال: فسرت فى ليلة صهاكية حالكة كأن السماء قد برقت نجومها بطرائق السحاب و ضللت الطريق، فتولجت واديا لا أعرفه فأهمتني نفسى بطرحها حتى الصباح، فلم آمن عزيف الجن فقلت: «أعوذ برّب»

ص: ١٣٤

هذا الوادى من شره و أستجيره فى طريقى هذا و أسترشده»، فسمعت قائلا يقول من بطن الوادى:

تيامن تجاهك تلق الكلا تسيير و تأمن فى المسلك

^{٢٩٦} (١) مروج الذهب ٢: ١٣٤-١٤١.

^{٢٩٧} (٢) مروج الذهب ٢: ١٤١-١٤٢.

فتوجهت حيث أشار إليّ و قد أمنت بعض الأمن، فإذا أنا بأقباس نار تلمع أمامي في خللها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة، فسرت وأصبحت بأوشال- وهو ماء لكلب يقارب بريبة دمشق- و قد ذكر الله تعالى ذلك من فعلهم فقال «وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا»^{٢٩٨}.

قلت: و قال ابن قتيبة تقول العرب: ان الهدهد أمه ماتت فدفنها في رأسه فلذلك أنتنت ريحه، و قد ذكر هذا امية بن أبي الصلت فقال:

أيام كفن و استراد الهدهد

غيم و ظلماء و فضل سحابة

فبنى عليها في قفاه يمهد

يبغى القرار لأمه ليجنها

منها و ما اختلف الحديد المسند^{٢٩٩}

فيزال يدلح ما مشى بجنازة

و قال: و تقول العرب في الديك و الغراب: إنهما كانا متنادمين، فلما نفذ شرابهما رهن الغراب الديك عند الخمّار و مضى فلم يرجع إليه و بقي الديك عنده حارسا، قال امية أيضا:

و خان أمانة الديك الغراب

بآية قام ينطق كل شيء

و في (الصحاح): و الهديل فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده جارج من جوارح الطير قالوا: فليس من حمامة إلا و تبكى عليه، قال:

ص: ١٣٥

بأسرع جابة لك من هديل^{٣٠٠}

و ما من تهتفين به لنصر

^{٢٩٨} (١) مروج ٢: ١٤٣-١٤٤، و الآية من سورة الجن: ٦.

^{٢٩٩} (٢) ابن قتيبة

^{٣٠٠} (١) صحاح للجوهري ٥: ١٨٤٨.

(و فى حيوان الجاحظ): من خرافات العرب ما ذكروا أن جرهما كان من نتاج ما بين الملائكة و بنات آدم، و كان الملك من الملائكة إذا عصى ربّه فى السماء أهبطه إلى الأرض فى صورة البشر و فى طبيعته كما صنع بهاروت و ماروت حين كان من شأنهما و شأن الزهرة- و هى أناهيد- ما كان فلماً عصى الله تعالى ملك و أهبطه إلى الأرض فى صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت جرهما، و لذلك قال شاعرهم:

الناس طارف و هم تلادكا

لا هم إن جرهما عبادكا

و من هذا النسل و من هذا التركيب كانت بلقيس ملكة سبأ، و كذلك كان ذو القرنين امه «فيري» كانت آدمية و أبوه «عبرى» من الملائكة، و لذلك لمّا سمع عمر بن الخطاب رجلاً ينادى يا ذا القرنين قال: أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة^{٣٠١}.

قلت: و من خرافاتهم أنّهم كانوا يقولون: إنّ الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه لم يصبه الدعاء، كأنّهم يزعمون أنّه مثل ما لو كان الإنسان فى مكان يرمى فيه بالسهم فاضطجع لم يصبه سهم.

فلما أسر الكفار خبيب بن عدى الأوسى أحد العشرة الذين بعثهم النبى صلى الله عليه و آله و سلّم عيناً و باعوه بمكة بعد بدر من قريش فأخرجوه من الحرم و صلبوه، قال ابن هشام فى سيرته، فلما أوتقوه للقتل قال: «اللهم إنّنا قد بلغنا رسالة رسولك فبلغه الغداء ما يصنع بنا» ثم قال: «اللهم أحصهم عدداً و اقتلهم بدداً و لا تغادر منهم أحداً». قال معاوية: كنت حضرتته مع أبى يومئذ فيمن

ص: ١٣٦

حضره فلقد رأيتنى يلقينى أبى إلى الأرض فرقا من دعوة خبيب، و كانوا يقولون: إنّ الرجل إذا دعى عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه.

قلت: و فى حياة الحيوان للدميرى: إنّ الصياد إذا أراد أن يصيد الضبع رمى فى جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد، و يقال لها و هى فى جحرها «أطرقى أم طريق، خامرى أم عامر أبشرى بجراد عطلى و شاء هزلى» فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها و رجلها ثم يجرها.

و الجاحظ يرى هذا من خرافات العرب^{٣٠٢}.

^{٣٠١} (٢) حيوان الجاحظ ٦: ١٩٨.

^{٣٠٢} (١) حياة الحيوان للدميرى ١: ٥٢٠.

ص: ١٣٧

الفصل التاسع والعشرون في ما يتعلق بعثمان و عمر

ص: ١٣٩

١

الخطبة (٧٥) و من كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بنى أمية له بالمشاركة في دم عثمان:

أَ وَ لَمْ يَنْهَ؟ أُمِّيَّةٌ؟ عَلِمَهَا بِي عَنْ قَرْفَى - أَوْ مَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تَهْمَتِي - وَ لَمَّا وَعَظَهُمُ اللَّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي أَنَا حَجِيجٌ؟
الْمَارِقِينَ؟ وَ خَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ - وَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ قَوْلُ الْمَصْنَفِ: «لَمَّا بَلَغَهُ اتِّهَامُ بَنِي أُمِيَّةٍ لَهُ بِالْمِشَارَكَةِ لَهُ فِي دَمِ
عُثْمَانَ».

روى الطبرى: أن عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، فقام رجل، فقال له: أقم كتاب الله. فقال عثمان:
اجلس. فجلس حتى قام ثلاثا، فأمر به عثمان فأجلس (فجلس)، فتحاثوا بالحصباء حتى ما ترى السماء، و سقط عثمان عن
المنبر، و حمل فأدخل داره مغشياً عليه، و دخل على عليه السلام

ص: ١٤٠

عليه و هو مغشى عليه، و بنو أمية حوله، فأقبلت بنو أمية بمنطق واحد، فقالوا:

يا على! أهلكتنا و صنعت هذا الصنيع به! أما و الله لئن بلغت الذى تريد لتمرنّ عليك الدنيا. فقام على عليه السلام مغضبا^{٣٠٣}.

قوله عليه السلام: «أَوْ لَمْ يَنْهَ أُمِّيَّةٌ عَلِمَهَا بِي عَنْ قَرْفَى» أى: عن رمي و اتهامى، قال الشاعر:

فكم يبقى على القرف الإخاء

^{٣٠٤} فى (نقض الإسكافى): قال على بن الحسين عليه السلام: قال لى مروان: ما كان فى القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم.
قلت: فما بالكم تسبونه على المنابر؟

^{٣٠٣} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٤-٣٦٥، سنة ٣٥، و النقل بتلخيص.

^{٣٠٤} (٢) أساس البلاغة: ٣٦٣، مادة (قرف)، و البيت هكذا:

قال: إنه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك^{٣٠٥}.

«أو ما وزع» أى: أو ما كفّ، و يقال للكلب: «وازع» لأنه يكفّ الذئب عن الغنم.

«الجهال سابقتي» فى الإسلام.

«عن تهمتي» فى (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ رجلا من همدان يقال له برد قدم على معاوية، فسمع عمرا يقع فى علىّ عليه السلام، فقال له: يا عمرو، إنّ أشياخنا سمعوا النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم يقول: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه» فحقّ ذلك أم باطل؟

فقال عمرو: حقّ، وأنا أزيدك أنّه ليس أحد من صحابة النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم له مناقب مثل مناقب علىّ. ففرع الفتى، فقال عمرو: إنه أفسدها بأمره فى عثمان. فقال برد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا، ولكنّه آوى و منع. قال: فهل بايعه الناس عليها؟

قال: نعم. قال: فما أخرجك من بيتعه؟ قال: أتّهامى إيّاه فى عثمان. قال له: و أنت

ص: ١٤١

أيضا قد اتّهمت. قال: صدقت، و فيها خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتى إلى قومه فقال: إنا أتينا قوما أخذنا الحجّة عليهم من أفواههم، علىّ علىّ الحقّ فاتبعوه^{٣٠٦}.

و قال ابن أبى الحديد فى شرح قوله عليه السلام: «أو لم يمه أمية علمها بى»:

علمهم بمنزلة فى الدين التى لا منزلة أعلى منها، و ما نطق به الكتاب الصادق من طهارته و طهارة بنيه و زوجته، فى قوله تعالى: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا»^{٣٠٧}.

و قول النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم له: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى» و ترادف الأقوال و الأفعال من النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلم فى أمره التى يضطرّ معها الحاضرون لها و الشاهدون إيّاها إلى أنّ منله عليه السلام لا يجوز أن يسعى فى إرافة دم أمير مسلم لم يحدث حدثا يستوجب به إحلال دمه^{٣٠٨}.

^{٣٠٥} (٣) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرحه ١٣: ٢٢٠.

^{٣٠٦} (١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ١٠٩.

^{٣٠٧} (٢) الأحزاب: ٣٣.

قلت: غاية ما يستفاد من كلامه عليه السّلام أنّه لم يشارك في دم عثمان دون ما ذكره من عدم إحلال دمه. و عدم مشاركته عليه السّلام أعمّ من عدم إحلال دمه. و لو لم يكن حلال الدم كيف آوى قتلته كما مرّ من كلام عمرو^{٣٠٩}؟

و كيف لم يعلمه عليه السّلام حلال الدم و قد روى نصر بن مزاحم في (صفين):

أنّ معاوية بعث إلى حبيب بن مسلمة الفهريّ، و شرحبيل بن السمط، و معن بن يزيد السلمى، فدخلوا على عليّ عليه السّلام- إلى أن قال:- فقال شرحبيل و معن لعليّ عليه السّلام: أ تشهد أنّ عثمان قتل مظلوما؟ فقال لهما: إني لا أقول ذلك. قالوا: فمن لم يشهد أنّ عثمان قتل مظلوما فنحن برآء منه. ثمّ قاما فانصرفا. فقال

ص: ١٤٢

عليّ عليه السّلام: «وَلَا تَسْمِعُ الصَّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وُلِّوا مُدْبِرِينَ»^{٣١٠}.

و روى (صفين نصر) أيضا: أنّ عمرو بن العاص قال لعمار: ما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء. أ كنت فيمن قتله؟ قال: كنت فيمن (مع من) قتله و أنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عمار: و قد قالها قبلك فرعون إذ قال لقومه: «أَلَا تَسْتَمِعُونَ» ... الخبر^{٣١١}.

و روى (صفين نصر) أيضا: أنّ عمّارا قام بصفين فقال: عباد الله، امضوا إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم (و) لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثة. فقالوا: إنّ ما أحدث شيئا. و ذلك لأنّه مكّنه من الدنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يباليون لو انهدتّ عليهم الجبال. و الله ما أظنّهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون إنّهم لظالم، و لكنّ القوم ذاقوا الدنيا فاستحبّوها و استمروها، و علموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها، و لم يكن للقوم سابقه في الإسلام يستحقّون بها الطاعة، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوما. ليكونوا بذلك جبابرة و ملوكا ...^{٣١٢}.

و في (الطبري): قال الزهريّ: خرج في سنة (٣١) محمّد بن أبي بكر،

ص: ١٤٣

^{٣٠٨} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٦٩-١٧٠، و النقل بتصريف.

^{٣٠٩} (٤) مرّ آتفا.

^{٣١٠} (١) وقعة صفين: ٢٠٠-٢٠٢، و النقل بتلخيص و تقطيع، و الآية ٨٠ من سورة النمل.

^{٣١١} (٢) وقعة صفين: ٣٣٨-٣٣٩، و الآية ٢٥ من سورة الشعراء.

^{٣١٢} (٣) المصدر نفسه: ٣١٩.

و محمد بن أبي حذيفة- و أبوه خال معاوية- إلى الجهاد مع عبد الله بن سعد، فأظهرها عيب عثمان، و أن دم عثمان حلال، و قالوا: استعمل^{٣١٣} عبد الله بن سعد و هو رجل كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أباح دمه و نزل القرآن بكفره^{٣١٤}.

و كان محمد بن أبي حذيفة يقول: لقد تركنا خلفنا الجهاد حقًا فيقال له:

و أيّ جهاد؟ فيقول: جهاد عثمان، فعل كذا و كذا^{٣١٥}.

و روى الطبري: أنمن كان بالمدينة من الصحابة كتبوا إلى من بالثغور: أن دين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قد أفسد من خلفكم و ترك، فهلموا فأقيموا دين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ. فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه^{٣١٦}.

و روى الطبري أيضا عن أبي كرب عامل عثمان على بيت ماله: أنه دفن بين المغرب و العتمة، و أنه لم يشهد جنازته إلا مروان و ثلاثة من مواليه و ابنته، فرفعت صوتها تندبه، فأخذ الناس الحجارة و قالوا: نعثل نعثل! و كادت ترجم^{٣١٧}.

و روى الطبري أيضا: أنه نبذ ثلاثة أيام لا يدفن، و أنهم لم يغسلوه و دفنوه في حشّ كوكب^{٣١٨} مقبرة اليهود، و أن معاوية أمر الناس في سلطنته بدفن موتاهم حوله حتى اتصل بمقابر المسلمين^{٣١٩}.

ص: ١٤٤

و بالجملة، المعلوم عدم تصديده عليه السلام لقتله، و لا أمره به. و أمّا رضاه به فأمر واضح، و لذا لم ينه عنه، و قد أقرّ بذلك عبيد الله بن عمر مع أنه أراد القصاص منه بهرمزان ففرّ منه إلى معاوية، فروى نصر بن مزاحم: أن عبيد الله بن عمر لما قدم الشام أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص: أن الله قد أحيا لك عمر بالشام بقدم عبيد الله، و قد رأيت أن اقيمه خطيبا فيشهد على عليّ بقتل عثمان.

فقال: الرأي ما رأيت. فبعث إليه فأتى، فقال له معاوية: يا بن أخ، إن لك اسم أبيض، فانظر بملء عينيك، و تكلم بكلّ فيك، فأنت المأمون المصدق! فاشتم عليّا، و اشهد عليه أنه قتل عثمان. فقال: أمّا شتمه فإنه على بن أبي طالب، و أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه، و أمّا بأسه فهو الشجاع المطرق. و أمّا أيامه فما قد عرفت. و لكنني ملزمه دم عثمان.

^{٣١٣} (١) يعني عثمان.

^{٣١٤} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٢، سنة ٣١.

^{٣١٥} (٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٢، سنة ٣١.

^{٣١٦} (٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٧، سنة ٣٥.

^{٣١٧} (٥) المصدر نفسه ٤: ٤١٢، سنة ٣٥.

^{٣١٨} (٦) قال الحموي في معجم البلدان ٢: ٢٦٢: الحشّ في اللغة: البستان، و به سمى المخرج حشّا لأنهم كانوا إذا أرادوا الحاجة خرجوا إلى البساتين، و كوكب الذي أضيف إليه: اسم رجل من الأنصار، و هو عند بقيع الغرقد، اشتراه عثمان بن عفان و زاده في البقيع، و لما قتل ألقى فيه ثم دفن في جنبه.

^{٣١٩} (٧) تاريخ الطبري ٤: ٤١٢، سنة ٣٥، و النقل بتصرّف.

فقال عمرو: إذن و الله قد نكأت القرحة. فلما خرج عبيد الله قال معاوية: أما و الله لو لا قتله الهرمزان، و مخافة عليّ على نفسه ما أتانا أبدا، أ لم تر إلى تقريظه عليّا؟! فقال عمرو: يا معاوية، إن لم تغلب فاخلب^{٣٢٠}. فخرج حديثه إلى عبيد الله، فلما قام خطيبا تكلم بحاجته، حتى إذا أتى إلى أمر عليّ عليه السّلام أمسك، فقال له معاوية:

يا بن أخ، إنك بين عي و خيانة! فقال: كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، و عرفت أن الناس محتملوها عني. فهجره معاوية و استخفّ بحقه.

فقال عبيد الله:

و لم أك عيّا في لؤي بن غالب^{٣٢١}

معاوية لم أحرص بخطبة خاطب

ص: ١٤٥

على قذف شيخ بالعراقين غائب

و لكنني زاولت نفسا أبيّة

أجدع بالشحناء انوف الأقارب^{٣٢٢}

و قذفي عليّا بابت عفاً جهرة

فلست لكم فيها ابن حرب بصاحب

فأمّا انتقافي أشهد اليوم وثبة

و دبوا حواليه ديب العقارب

و لكنّه قد قرّب القوم جهده

و أطرق إطراق الشجاع المواتب^{٣٢٣}

فما قال أحسنتم و لا قد أسأتم

و لو لم يكن مباح الدم عنده عليه السّلام كيف طلب بدم الهرمزان - و هرمزان رجل عجمي من عرض المسلمين - من عبيد الله بن عمر في زمان عثمان مع أمان السلطان له، فخاف منه عبيد الله ففر من المدينة إلى كوفان^{٣٢٤}، و لما بايعه الناس فر إلى الشام

^{٣٢٠} (١) قال الجوهري في الصحاح ١: ١٢٢: الخلافة: الخديعة باللسان، و في المثل: إذا لم تغلب فاخلب. أي: فاخدع.

و قال الميداني في مجمع الأمثال ١: ٣٤: يراد به الخدعة في الحرب، كما قيل: نفاذ الرأي في الحرب، أنفذ من الطعن و الضرب.

^{٣٢١} (٢) حرص يحرص حرصاً، و تحرص، أي: كذب، الصحاح ٣: ١٠٣٥، مادة (حرص).

^{٣٢٢} (١) الشحناء: الحقد و العداوة، و كذلك الشحنة، لسان العرب ٧: ٤٨، مادة (شحن).

^{٣٢٣} (٢) وقعة صفين: ٨٢-٨٤، شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٠-١٠٢، و نقله الشارح بتصرف.

عند معاوية. فكيف لم يطلب بدم عثمان في زمان سلطنته و هو عندهم أحد الخلفاء الراشدين؟! و في (صفين نصر): و مكث علىّ عليه السّلام- يعنى في أوّل الأمر- لا يرسل إلى معاوية و لا يأتيه من قبل معاوية أحد. و جاء عبيد الله بن عمر فدخل على علىّ عليه السّلام في عسكره فقال له علىّ عليه السّلام: أنت قاتل الهرمزان. و قد كان أبوك فرض له في الديوان، و أدخله في الإسلام؟ فقال له ابن عمر: الحمد لله الذي جعلك تطلبني بدم الهرمزان و أطلبك بدم عثمان بن عفّان. فقال له علىّ عليه السّلام: لا عليك، سيجمعي و إياك الحرب غدا^{٣٢٥}.

و ممّا يحسم مادّة الشغب أنّه عليه السّلام آوى قاتليه، و كانوا من خواصّه.

فقال نصر بن مزاحم: خرج قرّاء أهل العراق و قرّاء أهل الشام، فعسكروا

ص: ١٤٤

ناحية صفين في ثلاثين ألفا، و عسكر علىّ عليه السّلام على الماء، و عسكر معاوية فوق ذلك، و مشت القرّاء في ما بين معاوية و علىّ عليه السّلام، و فيهم عبيدة السلمانيّ، و علقمة بن قيس النّخعيّ، و عبد الله بن عتبة، و عامر بن عبد القيس- و كان في بعض تلك السواحل فانصرف إلى عسكر علىّ عليه السّلام- فدخلوا على معاوية فقالوا: ما الذي تطلب؟ قال: أطلب بدم عثمان. قالوا: ممّن تطلب؟ قال من علىّ. قالوا: و علىّ قتله؟ قال: نعم، هو قتله و آوى قاتليه. فانصرفوا من عنده إلى علىّ عليه السّلام فقالوا: إنّ معاوية يزعم أنّك قتلت عثمان. قال: اللهمّ كذب في ما قال، لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية يزعم أنّك قتلت عثمان. قال اللهمّ كذب في ما قال، لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه، فقال لهم: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر و مالا. فرجعوا إلى علىّ عليه السّلام فقالوا: إنّ معاوية يزعم أنّك إن لم تكن قتلته بيدك فقد أمرت و مالا على قتله. فقال: اللهمّ كذب في ما قال. فرجعوا إلى معاوية فقالوا له: إنّ عليّا يزعم أنّه لم يفعل. فقال: إن كان صادقا فليمكننا من قتلته، فإنهم في عسكره و جنده و أصحابه و عضده. فرجعوا إلى علىّ عليه السّلام فقالوا: إنّ معاوية يقول: إن كنت صادقا فادفع إلينا قتلته أو أمكننا منهم. قال لهم علىّ عليه السّلام: تأوّل القوم عليه القرآن و وقعت الفرقة، و قتلوه في سلطانه و ليس على ضربهم قود ...^{٣٢٦}.

و إنّما جعل معاوية و باقي بني أميّة نسبة قتل عثمان إليه سببا لإمامتهم عند أهل الشام الذين قيل في وصفهم: «جفأة طغام عبيد أقزام»^{٣٢٧} و لم يكونوا في الحقيقة من فرق الإسلام كالخوارج لبغضهم أهل بيت نبيهم صلى الله عليه و آله، و سلّم، و بغضهم بغضه، و لتركهم مودّة قريبه: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ»

ص: ١٤٧

^{٣٢٤} (٣) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ٤: ٤٩٠: قالوا: و كوفان اسم أرض و بها سميت الكوفة. قلت: كوفان و الكوفة واحد.

^{٣٢٥} (٤) وقعة صفين: ١٨٦.

^{٣٢٦} (١) وقعة صفين: ١٨٨-١٨٩، شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٥-١٦.

^{٣٢٧} (٢) من الخطبة ٢٣٨، قال الشيخ محمد عبده في شرح النهج ٢: ٢٥٨: الجفأة- بضم الجيم- جمع جاف، أي: غليظ فظّ، و الطغام- كسحاب-: أوغاد الناس، و العبيد: كناية عن رديئي الأخلاق، و الأقزام: جمع قزم- بالتحريك-، و هم أرذال الناس.

«أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^{٣٢٨}.

و أما أهل الحجاز و أهل العراق- و فيهم كان المهاجرون و الأنصار- فكانوا يعلمون أنه لم يكن قاتله، و أنه لو كان قاتله لم يكن ذلك طعنا فيه، لأن عثمان كان يستحق القتل.

فقال الفضل بن عباس في أبياته التي يردّ فيها على الوليد بن عقبة في قوله:

قتيل التجيبيّ الذي جاء من مصر

ألا إن خير الناس بعد ثلاثة

إلى آخر أبياته كما في (الطبري):

وصى النبيّ المصطفى عند ذى الذكر

ألا إن خير الناس بعد محمّد

و أوّل من أردى الغواة لدى بدر

و أوّل من صلّى و صنو نبيّه

لكانوا له من ظلمه حاضري النّصر

فلو رأّت الأنصار ظلم ابن عمّكم

و أن يسلموه للأحاييش من مصر.^{٣٢٩}

كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله

و في قوله عليه السّلام: «تأوّل القوم عليه القرآن» أى: أنّهم رأوا أنّ حكم القرآن قتل مثله، و لم يقل: إنّهم أخطأوا، إشارة إلى صحّة عقيدتهم في إباحة قتله.

و في كتاب نافع إلى ابن الزبير- كما في (كامل المبرّد)- لئن كان عثمان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه و خاذلوه، و لئن كان قاتلوه مهتدين- و إنّهم

ص: ١٤٨

لمهتدون- لقد كفر من يتولّاه و ينصره و يعضده. و لقد علمت أنّ أباك و طلحة و عليّ كانوا أشدّ الناس عليه في أمره من بين قاتل و خاذل، و أنت تتولّى أباك و طلحة و عثمان^{٣٣٠}.

^{٣٢٨} (١) الشورى: ٢٣.

^{٣٢٩} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٢٦، سنة ٣٥، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١١٥-١١٦.

و قال الإسكافيّ في نقضه على الجاحظ: إن الوليد بن عقبة^{٣٣١} قال لعليّ عليه السّلام بعد بيعة الناس له: نبايعك على أن تقتل قتلة عثمان. فقال عليّ عليه السّلام:

لو لزمني قتلهم اليوم قتلتهم (لقتلتهم) أمس^{٣٣٢}.

و في (صفين نصر): خرج أبو أمامة الباهليّ و أبو الدرداء، فدخلا على معاوية، فقالا له: علام تقتاتل هذا الرجل؟ فو الله هو أقدم منك سلما، و أحقّ بهذا الأمر، و أقرب من النبي؟ فقال: أقاتله على دم عثمان، و أنّه آوى قتلته. فقولا له:

فليقدنا من قتلته، فأنا أوّل من يبايعه (بايعه) من أهل الشام. فانطلقا إلى عليّ عليه السّلام، فأخبراه بقول معاوية، فقال: هم الذين ترون. فخرج عشرون ألفا و أكثرهم مسربلون في الحديد، لا يرى منهم إلّا الحدق، فقالوا: كلنا قتله، فإن شاءوا فليروموا ذلك منا^{٣٣٣}.

و في (صفين نصر) أيضا بعد ذكر خروج أمير المؤمنين عليه السّلام إلى النخيلة ليخرج إلى الشام: ألبس معاوية منبر دمشق قميص عثمان و هو مخضّب بالدم، و حول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون، لا تجفّ دموعهم على

ص: ١٤٩

عثمان. فخطبهم معاوية و قال: يا أهل الشام، قد كنتم تكذبوني في عليّ، و قد استبان لكم أمره، و الله ما قتل خليفتم غيره، و هو أمر بقتله و آلب الناس عليه، و آوى قتلته، و هم جنده و أنصاره و أعوانه، و قد خرج بهم قاصدا بلادكم لإبادتكم.

يا أهل الشام، الله الله في عثمان! فأنا وليّ عثمان و أحقّ الناس بطلب دمه، و قد جعل الله لوليّ المظلوم سلطانا. فانصروا خليفتم، فقد صنع به القوم ما تعلمون، قتلوه ظلما و بغيا، و قد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتّى تفيء. فأعطوه الطاعة و انقادوا له^{٣٣٤}.

و في (صفين نصر) أيضا بعد ذكر مشورة معاوية مع عمرو بن العاص في أمر جرير البجليّ الذي بعثه أمير المؤمنين عليه السّلام لأخذ البيعة من معاوية:

^{٣٣٠} (١) الكامل للمبرد ٢: ٢٢٩ - ٢٣٠.

^{٣٣١} (٢) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أخو عثمان لأمه، و أمهما أروى بنت كرز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلم يوم الفتح، و يقال: إنه نزل فيه: «أيا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» (سورة الحجرات: ٦). ولأه عثمان الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص. و قصة صلته بالناس الصبح أربعا و هو سكران مشهورة. الإصابة: ٣.

٦٣٧ - ٦٣٨.

^{٣٣٢} (٣) نقله عن الإسكافيّ ابن أبي الحديد في شرحه ٧: ٣٨ - ٣٩.

^{٣٣٣} (٤) وقعة صفين لابن مزاحم: ١٩٠.

^{٣٣٤} (١) وقعة صفين لابن مزاحم: ١٢٧ - ١٢٨، و نقله الشارح بتصرف.

قال عمرو بن العاص لمعاوية: إنَّ رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي، و هو عدوٌ لجريير الذى أرسل إليك، فأرسل إليه، و وطن له ثقاتك فليفشوا فى الناس أنَّ عليًا قتل عثمان، و ليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل، فإنَّها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحبّ، و إن تعلق بقلب شرحبيل شيء لم يخرج منه شيء أبداً (و إن تعلق بقلب شرحبيل لم تخرج منه شيء أبداً).

فكتب معاوية إلى شرحبيل: «أنَّ جريرا قدم علينا من عند علىّ بأمر فظيع، فأقدم». و دعا معاوية يزيد بن أسيد (أسد) و بسر بن أرطاة، و عمرو بن سفيان، و مخارق بن الحارث، و حمرة بن مالك، و حابس بن سعد الطائى - و هؤلاء رؤساء (رؤوس) قحطان و اليمن، و كانوا ثقات معاوية و خاصته - و بنى عمّ شرحبيل، فأمرهم أن يلقوه و يخبروه أنَّ عليًا قتل عثمان - إلى أن قال:- فلما قدم شرحبيل قال له معاوية: إنَّ جريرا يدعوننا إلى بيعه علىّ، و علىّ

ص: ١٥٠

خير الناس لو لا أنه قتل عثمان، و قد حبست نفسى عليك، و إنّما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضوا، و أكره ما كرهوا. فقال له شرحبيل: اخرج فانظر.

فخرج فلقبه هؤلاء النفر الموطنون له، فكلمهم أخبره أن (يخبره بأن) عليًا قتل عثمان. فخرج مغضبا إلى معاوية و قال له: أبى الناس إلّا أنَّ عليًا قتل عثمان، فوالله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك.

قال معاوية: ما كنت لأخالف عليكم، ما أنا إلّا رجل من أهل الشام. قال:

فردّ هذا الرجل إلى صاحبه إذن. فعرف معاوية أنَّ شرحبيل (قد) نفذت بصيرته فى حرب أهل العراق، و أنَّ الشام كلّها مع شرحبيل^{٣٣٥}.

«و لما وعظهم الله به» فى عقوبة التهمة.

«أبلغ من لسانى» فى بيان شناعتها، قال تعالى: «وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا»^{٣٣٤}.

«أنا حجيج المارقين» فى بيان خطأهم و بطلان أمورهم، قال ابن أبى الحديد: كان على عليه السلام يكثر من قوله: أنا حجيج المارقين^{٣٣٧}.

و روى عنه عليه السلام أيضا: أنه يقول: أنا أول من يجثو بين يدى الله تعالى^{٣٣٨}.

^{٣٣٥} (١) وقعة صفين: ٤٤-٤٧، و نقله الشارح بتقطيع.

^{٣٣٤} (٢) النساء: ١١٢.

^{٣٣٧} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٦: ١٧١.

و روى عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ مثل ذلك مرفوعاً^{٣٣٩}.

«و خصيم المرتابين» فى إمامتى، روى أبو نعيم فى (حليته): أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قال له: يا علىّ، أخصمك بالنبوة، و لا نبىّ بعدى، و تخصم الناس

ص: ١٥١

بسبع لا يحاجك فيهنّ أحد من قريش، أنت أولهم إيماناً، و أوفاهم بعهد الله، و أقومهم بأمر الله، و أقسمهم بالسوية، و أعدلهم فى الرعية، و أبصرهم بالقضية، و أعظمهم عند الله مزية^{٣٤٠}.

«و علىّ» هكذا فى (المصرية)^{٣٤١}، و الصواب «علىّ» بدون الواو، كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٣٤٢}.

«كتاب الله تعرض الأمثال» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: خطب النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بمنى فقال: أيها الناس ما جاءكم عنى يوافق كتاب الله فأنا قلته، و ما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله^{٣٤٣}.

و عنه عليه السّلام: قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: إنَّ علىّ كلّ حقّ حقيقة، و علىّ كلّ صواب نورا، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه^{٣٤٤}.

و عنه عليه السّلام: إنَّ الله تعالى أنزل فى القرآن تبيان كلّ شىء حتّى - و الله - ما ترك الله شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا انزل فى القرآن^{٣٤٥}.

«و بما فى الصدور تجزى العباد» فى (الطبرى) قال عمّار لعبيد الله بن عمر:

بعث دينك من عدوّ الإسلام و ابن عدوّه؟! قال: لا، و لكن أطلب بدم عثمان. فقال له عمّار: أشهد على علمى فيك أنّك لا تطلب بشىء من فعلك وجه الله، و أنّك إن

^{٣٣٨} (٤) المصدر نفسه ٦: ١٧٠، قال الطريحي فى مجمع البحرين ١: ٨١: فى حديث على عليه السّلام: «أنا أوّل من يجثو للخصومة» أى: يجلس على الركب و أطراف الأصابع عند الحساب.

^{٣٣٩} (٥) شرح ابن أبى الحديد ٦: ١٧٠.

^{٣٤٠} (١) حلية الأولياء ١: ٦٥-٦٦، الخصال ٢: ٣٦٣ ح ٥٤.

^{٣٤١} (٢) نهج البلاغة ١: ١٢٢.

^{٣٤٢} (٣) فى شرح ابن ميثم ٢: ٢٠٦ مع الواو أيضاً، و أمّا ابن أبى الحديد فذكر فى متن الخطبة فى ٦: ١٦٩ الواو، و عند شرح الفقرة فى: ١٧١ أسقط الواو.

^{٣٤٣} (٤) الكافى للكلىنى ١: ٦٩ ح ٥.

^{٣٤٤} (٥) الكافى ١: ٦٩ ح ١.

^{٣٤٥} (٦) الكافى ١: ٥٩ ح ١.

ص: ١٥٢

لم تقتل اليوم تمت غدا، فانظر إذا أعطى الناس على قدر نياتهم ما نيتك^{٣٤٦}

ص: ١٥٣

مع ابن أبي عائشة مولاة إلى عليّ عليه السلام بصلّة، فقال عليّ: «و الله لا يزال غلام من غلمان بني امية يبعث إلينا ممّا أفاء الله على رسوله صلّى الله عليه وآله و سلّم بمثل قوت الأرملة، و الله لئن بقيت لأنفضنّها نفص القصاب الودام التربة»^{٣٤٧}.

قلت: الذى وجدت فى (الأغانى): «قال أبو جعفر: هذا غلط إنّما هو الودام التربة»^{٣٤٨}. و المراد به (الطبرى) لوقوعه فى طريقه الأوّل لا أبو الفرج كما نقل.

ثمّ الأصل فى إنكار رواية «التراب الودمة» شعبة، فى (نهاية ابن الأثير) - بعد ذكر أنّ فى حديث عليّ عليه السلام: «لئن وليت بني امية لأنفضنهم نفص القصاب التراب الودمة» - قال الأصمعيّ: سألت شعبة عن هذا الحرف، فقال:

ليس هو هكذا، إنّما هو «نفص الودام التربة»^{٣٤٩}.

و (الصحيح) عكس^{٣٥٠} نقل الأصمعيّ عن شعبة، فقال: قال الأصمعيّ:

سألنى شعبة عن هذا الحرف، فقلت^{٣٥١}: ليس هو هكذا، إنّما هو «نفص القصاب الودام التربة»^{٣٥٢}.

و الصواب ما فى (النهاية)، لنقله ذلك عن كتب غريب الحديث، و لأنّ فى (طبقات السيوطى): روى الأصمعيّ عن شعبة^{٣٥٣}.

«إنّ بني امية ليفوقونى» قد عرفت من المصنّف معناه.

و فى (الطبرى): جلس المهديّ للمظالم، فتقدّم إليه رجل من آل الزبير،

^{٣٤٦} (١) تاريخ الطبرى سنة ٥: ٣٩ - ٤٠، ٣٧.

^{٣٤٧} (١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤ - ١٧٥.

^{٣٤٨} (٢) الأغانى ١٢: ١٤٤.

^{٣٤٩} (٣) النهاية ١: ١٨٥، مادة (ترب). و لكن فيها: نقل الأصمعيّ عن شعبة: إنّما هو نفص القصاب الودام التربة.

^{٣٥٠} (٤) لم يعكس الصحاح نقل الأصمعيّ كما عرفت.

^{٣٥١} (٥) فى المصدر: سألت شعبة عن هذا الحرف فقال.

^{٣٥٢} (٦) الصحاح ٥: ٢٠٥٠، مادة (و دم).

^{٣٥٣} (٧) النهاية لابن الأثير ٣: ٤٨٠ (فوق) و منه حديث عليّ: «إنّ بني امية ليفوقونى تراث محمد تفويقا» و لا وجود له فى طبقات المفسرين و لا طبقات الحفّاظ للسيوطى.

فذكر ضبيعة اصطفاها عن أبيه بعض ملوك بني امية، الوليد أم سليمان، فأمر أبا عبيد الله أن يخرج ذكرها من الديوان العتيق. ففعل، فقرأ ذكرها على المهدي. فقال المهدي: يا زبيرى، هذا عمر بن عبد العزيز، و هو منكم معشر قريش لم يرد ردها. قال: و كل أفعال عمر ترضى؟ قال: و أى أفعاله لا ترضى؟

قال: منها أنه كان يفرض للسقط^{٣٥٤} من بني امية فى خرقه فى الشرف من العطاء، و يفرض للشيخ من بني هاشم فى ستين. قال يا معاوية، أ كذلك كان يفعل عمر؟ قال: نعم، قال: اردد على الزبيرى ضيعته^{٣٥٥}.

«تراث محمد صلى الله عليه و آله و سلم تفويقا» مفعول مطلق لقوله: «ليفوقونى».

روى ياقوت الحموى فى (أدبائه) فى ترجمة الشافعى عن جبير بن مطعم قال: لما قسم النبى صلى الله عليه و آله و سلم سهم ذوى القربى من خير على بنى هاشم و بنى المطلب، مشيت أنا و عثمان إلى النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فقلنا: هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذى جعلك الله به منهم، أ رأيت إخواننا (إخوتنا) من بنى المطلب أعطيتهم و تركتنا؟ و إنما نحن و هم منك بمنزلة واحدة. فقال:

إنهم لم يفارقونا فى جاهلية و لا إسلام، إنما بنو هاشم و بنو المطلب شىء واحد. ثم شبك النبى صلى الله عليه و آله و سلم يديه إحداهما بالآخرى^{٣٥٦}.

قال الحموى: كان لعبد مناف أربعة بنين: هاشم، و المطلب، و عبد شمس أبو امية، و نوفل. و كان جبير من نوفل، و عثمان من عبد شمس^{٣٥٧}.

قلت: و كما أن بنى هاشم و بنى عبد المطلب لم يفارقا فى جاهلية و لا إسلام، كما قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم، كذلك بنو عبد شمس و بنو نوفل لم يفارقا

فيها كما هو مرعى كلامه.

هذا، و فى (العيون) عن ثمامة قال: عرض المأمون يوما للرضا عليه السلام بالامتنان عليه بأن ولّاه العهد، فقال عليه السلام له: إن من أخذ بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم لتحقيق أن يعطى به^{٣٥٨}.

^{٣٥٤} (١) السَّقَط - مثلثة - الولد لغير تمام. (القاموس المحيط ٢: ٣٦٥، مادة: سقط).

^{٣٥٥} (٢) تاريخ الطبرى ٨: ١٧٧-١٧٨، سنة ١٦٩.

^{٣٥٦} (٣) معجم الادباء ١٧: ٣١٢، صحيح البخارى ٣: ١١٤٣.

^{٣٥٧} (٤) معجم الادباء ١٧: ٣١٢.

و فى (الطبرى) فى وصية المأمون للمعتصم: و صلات بنى عمك من ولد أمير المؤمنين علىّ عليه السّلام فلا تغفلها فى كلّ سنة عند محلّها، فإنّ حقوقهم تجب من وجوه شتى^{٣٥٩}.

«لأنفضنّهم» هكذا فى (المصرية)^{٣٦٠}، و فيه سقط و الأصل: «و الله لئن بقيت لهم لأنفضنّهم» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٣٦١}، و كما فى مستنده من (الأغانى)^{٣٦٢} و غيره ممّا مرّ و يأتى.

و لأنفضنّهم من «نفض الثياب» حرّكها ليسقط ما عليها من الغبار.

و يأتى مشدّدة للتكثير. قال أبو ذؤيب:

و ما تغنى التّمائم و العكوف^{٣٦٣}

تنفض مهده و تذود عنه

«نفض» أى: تحريك.

«اللحّام» و هو: من يبيع اللحم.

«الوذام» أى: البطن و الأمعاء.

ص: ١٥٦

«التربة» بكسر الراء، أى: التى سقطت فى التراب فترّبت.

و مراده عليه السّلام من قوله: «لأنفضنّهم نفض اللحّام الوذام التربة» أخذه عليه السّلام من بنى اميّة بعد عثمان ما أنهبهم من مال الله تعالى كما يأتى فى الآتى.

قول المصنّف: «و يروى: التراب الوذمة. و هو على القلب» فى (جمهرة ابن دريد): و فى حديث علىّ عليه السّلام: «لأنفضنّكم نفض الجزّار الوذام التربة»، فقلبه قوم فقالوا: «نفض الجزّار التراب الوذمة»^{٣٦٤}.

^{٣٥٨} (١) عيون أخبار الرضا عليه السّلام ٢: ١٤٣ ح ١٢.

^{٣٥٩} (٢) تاريخ الطبرى ٨: ٦٥٠، سنة ٢١٨.

^{٣٦٠} (٣) نهج البلاغة ١: ١٢٣.

^{٣٦١} (٤) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ٦: ١٧٤، و لكن ابن ميثم لم يذكر هذه الفقرة فى متن الخطبة، و ذكرها عند شرح الخطبة فى ٢: ٢١٢.

^{٣٦٢} (٥) الأغانى ١٢: ١٤٤.

^{٣٦٣} (٦) أساس البلاغة: ٤٦٧، مادة (نفض).

ثمَّ المراد من قوله: «و هو على القلب» إمَّا كونه غلطا كما قاله شعبة و الطبري^{٣٦٥}، و إمَّا أنه من تقديم المفعول الثاني على الأوَّل و هو في ما لا التباس كما في «أعطيت درهما زيدا» و في «كسوت جبَّة زيدا»، لكن ذلك لو جعلناهما مفعولين، و أمَّا لو جعلناها صفةً و موصوفا فلا.

ثمَّ إنَّ (النهاية) زاد بعد ما مرَّ: «و قيل: أراد بالقصَّاب السبع، و التراب أصل ذراع الشاة، و السبع إذا أخذ الشاة قبض على ذلك المكان فنفضها»^{٣٦٦}.

قلت: يرد عليه أنَّ الودمة تكون حينئذ زائدة و بلا معنى.

«قال الشريف» هكذا في (المصرية)^{٣٦٧}، و ليس في (ابن ميثم)^{٣٦٨}، مع أنه لا مناسبة له هنا بل قيل قوله: «و يروى» كما فعله ابن أبي الحديد^{٣٦٩}، مع أنه ليس كلام المصنف بل كلام ابن أبي الحديد.

ص: ١٥٧

«و قوله عليه السلام» هكذا في (المصرية)^{٣٧٠} و الصواب: «قوله عليه السلام»^{٣٧١} كما في (ابن ميثم و الخطيب)^{٣٧٢}، و ليس في (ابن أبي الحديد)^{٣٧٣} رأسا.

«ليفوقونني أي: يعطونني من المال قليلا» هكذا في (المصرية)^{٣٧٤}، و الصواب: «قليلا قليلا» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم^{٣٧٥} و الخطيب).

«كفواق الناقة و هو الحلبه الواحدة من لبنها». في (أساس الزمخشري):

^{٣٦٤} (١) جمهرة اللغة ٢: ٧٠٣، مادة (و ذم).

^{٣٦٥} (٢) مرّ تخريجه آنفا.

^{٣٦٦} (٣) النهاية ١: ١٨٥، مادة (ترب).

^{٣٦٧} (٤) نهج البلاغة ١: ١٢٣.

^{٣٦٨} (٥) في شرح ابن ميثم ٢: ٢١٢ أيضا: قال الشريف.

^{٣٦٩} (٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤.

^{٣٧٠} (١) نهج البلاغة ١: ١٢٣.

^{٣٧١} (٢) أي بدون الواو.

^{٣٧٢} (٣) في شرح ابن ميثم ٢: ٢١٢ أيضا مع الواو.

^{٣٧٣} (٤) في شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤ أيضا مع الواو.

^{٣٧٤} (٥) نهج البلاغة ١: ١٢٣.

^{٣٧٥} (٦) في شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤ و شرح ابن ميثم ٢: ٢١٢: «قليلا» أيضا.

«ما أقام عنده إلّا فواق ناقةً وفيقة ناقةً» أى: قليلا و ذلك أنّ الناقة تحلب فى اليوم خمس مرّات أو ستّ مرّات، فما اجتمع من الحلبتين فهو فيقة^{٣٧٦}.

«و الودام: جمع وذمة و هى الحزّة»- بالفتح- القطعة. و فى (الصحاح):

الحزّة، أى: بالضمّ، قطعة من اللحم قطعت طولًا. قال أعشى باهلة:

من الشواء و يروى شربه الغمر^{٣٧٧}

تكفيه حزّة فلذ إن ألمّ بها

«من الكرش» فى (الصحاح): الكرش- مثل كبد و كبد- بمنزلة المعدة للإنسان لكلّ مجترّ، و العرب تؤثتها^{٣٧٨}.

«أو الكبد تقع فى التراب فتنفض» الوقوع فى التراب ثمّ النفض ليس تفسيرًا للودام من حيث هى، بل بيان للمراد من نفض الودام التربة، و فى العبارة تسامح.

ص: ١٥٨

٣

الخطبة (١٥) و من كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضى الله عنه:

وَ اللَّهُ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تَزَوَّجَ بِهِ النَّسَاءِ وَ مُلِكَ بِهِ الْأِمَاءُ - لَرَدَدْتُهُ - فَإِنَّ فِي الْعَدْلِ سَعَةً - وَ مَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ الْعَدْلُ فَالْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضِيقُ
قول المصنّف: «فى ما رده على المسلمين» هكذا فى (المصرية و ابن أبى الحديد)^{٣٧٩}، و لكن ليس فى (ابن ميثم و الخطبة)^{٣٨٠}
كلمة «على المسلمين» و لا وجه لها، لأنّ بنى أمية الذين أقطعهم عثمان كانوا بحسب الظاهر من المسلمين فلا مناسبة للكلمة، و
لو كان «على الناس» كان له وجه.

«من قطائع» جمع: قطيعة قطعة من أرض الخراج.

^{٣٧٦} (٧) أساس البلاغة: ٣٥٠، مادة (فوق).

^{٣٧٧} (٨) الصحاح ٣: ٨٧٣، مادة (حز).
^{٣٧٨} (٩) المصدر نفسه ٣: ١٠١٧، مادة (كرش).

^{٣٧٩} (١) نهج البلاغة ١: ٤٢، شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٦٩.

^{٣٨٠} (٢) فى شرح ابن ميثم ١: ٢٩٥ «على المسلمين» أيضا.

«عثمان رضى الله عنه» هكذا فى (المصرية)^{٣٨١}. و جملة «رضى الله عنه» من زياداتها، فليست فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم^{٣٨٢} و الخطيب)، و لأن الرضى الإمامى لا يقولها.

كان عثمان - غير إنها به بيت المال بنى أبيه - أقطعهم قطعات أراضى بغير حق.

قوله عليه السلام: «و الله لو وجدته قد تزوج به النساء، و ملك به الإمام لرددته».

قال ابن أبى الحديد: هذه الخطبة ذكرها الكلبي مروية مرفوعة إلى أبى صالح، عن ابن عباس: أن عليًا عليه السلام خطب فى اليوم الثانى من بيعته بالمدينة،

ص: ١٥٩

فقال: «ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، و كل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود فى بيت المال. فإن الحق التقديم لا يبطله شىء. و لو وجدته قد تزوج به النساء، و فرق فى البلدان أرددته إلى حاله، و من ضاق عنه العدل (الحق) فالجور عليه أضيع».

قال الكلبي: ثم أمر عليه السلام بكل سلاح وجد لعثمان فى داره مما تقوى به على المسلمين فقبض، و أمر بقبض نجائب كانت فى داره من أهل الصدقة، فقبضت، و أمر بقبض سيفه و درعه، و أمر أن لا يعرض لسلاح وجد له لم يقاتل به المسلمون، و بالكف عن جميع أمواله التى وجدت فى داره و غير داره، و أمر أن ترتجع الأموال التى أجاز بها عثمان حيث أصيبت أو أصيب أصحابها.

فبلغ ذلك عمرو بن العاص، و كان بأيلة من أرض الشام، و كان أتاها حيث وثب الناس على عثمان، فنزلها فكتب إلى معاوية: ما كنت صانعًا فاصنع، إذ قشرك ابن أبى طالب من كل ما تملكه كما تقشر عن العصا لحاها.

و قال الوليد بن عقبه - و هو أخو عثمان من أمه - يذكر قبض عليّ عليه السلام نجائب عثمان و سيفه و سلاحه:

و لا تنهبوه لا تحلّ مناهبه

بنى هاشم ردّوا سلاح ابن اختكم

و عند عليّ درعه و نجائبه

بنى هاشم كيف الهوادة بيننا

و يزّ ابن أروى فيكم و حرائب^{٣٨٣}

بنى هاشم كيف التودّد بيننا (منكم)

^{٣٨١} (٣) نهج البلاغة ١: ٤٢.

^{٣٨٢} (٤) هذه الجملة فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٦٩ أيضا، و ليست فى شرح ابن ميثم ١: ٢٩٥.

^{٣٨٣} (١) البز: الثياب أو متاع البيت من الثياب و نحوها. (القاموس المحيط ٢: ١٦٦، مادة: بز)، و الحرائب: جمع حريبة؛ و هو مال الرجل الذى يقوم به أمره. (النهاية ١: ٣٥٩، مادة: حرب).

بنى هاشم إلّا تردّوا فإنّا
سواء علينا قاتلوه (قاتلاه) و سالبه
بنى هاشم إنّا و ما كان منكم
كصدع الصفا لا يشعب الصدع شاعبه
قتلتهم أخی كيما تكونوا مكانه
كما غدرت يوما بكسرى مرزبه

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب بأبيات طويلة من جملتها:

فلا تسألونا سيفكم إن سيفكم
أضيع و ألقاه لدى الرّوع صاحبه
و شبّهته كسرى و قد كان مثله
شبيها بكسرى هديه و ضرائبه

أى: كان كافرا كما كان كسرى كافرا^{٣٨٤}.

قلت: و فى (تاريخ اليعقوبى): بايع الناس بعد عثمان عليّا عليه السّلام إلّا ثلاثة من قريش: مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص، و الوليد بن عقبة، و كان لسان القوم، فقال له عليه السّلام: يا هذا، إنك قد وترتنا جميعا، أمّا أنا فقتلت أبى يوم بدر صبرا. و أمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر، و كان أبوه نور قريش. و أمّا مروان فشتت أباه و عبت على عثمان حين ضمّه إليه - إلى أن قال -: و تبايعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا، و تعفى لنا عمّا فى أيدينا، و تقتل قتلة صاحبنا. فغضب علىّ عليه السّلام و قال: أمّا ذكرت من وترى إيّاكم، فالحقّ و تركم. و أمّا وضعى عنكم ما أصبتم، فليس لى أن أضع حقّ الله. و أمّا إعفائى عمّا فى أيديكم، فما كان لله و المسلمين فالعدل يسعكم. و أمّا قتلى قتلة عثمان، فلو لزمنى قتلهم اليوم

^{٣٨٤} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٦٩ - ٢٧١. و تجد الأبيات فى مروج الذهب ٢: ٣٥٦ - ٣٥٧، و الأغانى ٥: ١٢٠ - ١٢١، و الكامل فى اللغة و الأدب ٢: ٤٤ مع الاختلاف.

لزمى قتالهم غدا. و لكم أن أحملكم على كتاب الله و سنّة رسوله، فمن ضاق عليه الحقّ، فالباطل عليه أضيّق، و إن شئتم فالحقوا بملاحقكم^{٣٨٥}.

هذا، و قد أمر عمر بن عبد العزيز أيضا برّد مظالم بنى اميّة، فعن (بيان الجاحظ): أن عمر بن عبد العزيز لمّا ولى، جعل لا يدع شيئا ممّا كان فى يده و يد أهل بيته من المظالم، إلّا ردّها مظلمة مظلمة، فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك، فكتب إليه: إنك أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، و عبت عليهم، و سرت بغير سيرتهم بغضا لهم و شنّنا لمن بعدهم من أولادهم، و قطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش و مواريتهم، فأدخلتها بيت المال جورا و عدوانا.

يا بن عبد العزيز! اتق الله، و راقبه إن شططت، و لم تطمئنّ على منبرك حتّى خصصت أوّل قرابتك بالظلم و الجور^{٣٨٦}.

فأجابه عمر بن عبد العزيز: أمّا أوّل شأنك يا بن الوليد، فإنّ أمك نباتة^{٣٨٧} أمّة السكون، كانت تطوف فى أسواق حمص، و تدخل حوانيتها، ثمّ الله أعلم بها، اشتراها ذبيان بن ذبيان من فىء المسلمين، فأهداها إلى أبيك، فحملت بك، و بسّس الحمل و بسّس المحمول! ثمّ نشأت فكنت جبّارا عنيدا، تزعم أنّى من الظالمين! لأننى حرمتك و أهل بيتك فىء الله الذى هو حقّ القرابة و المساكين و الأرامل - إلى أن قال -: و أظلم منى و أترك لعهد الله من جعل لعالية البربريّة سهما فى الخمس! فرويدا يا بن نباتة، فلو التفت حلقتا البطان، و ردّ الفىء إلى أهله لتفرّغت لك و لأهل بيتك، فوضعتكم على المحجّة البيضاء، فطالما تركتم

ص: ١٦٢

الحقّ، و أخذتم فى غير بيّات الطريق. و من وراء هذا من الفضل ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك، و قسم ثمنك بين اليتامى و المساكين و الأرامل، فإنّ لكلّ فيك حقا^{٣٨٨}.

و عكسه يزيد بن عبد الملك الذى ولى بعده، ففى (العقد الفريد): كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمّال عمر بن عبد العزيز: رأيت كتبكم إليه فى انكسار الخراج و الضريبة، فإذا أتاكم كتابى هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده، و أعيدوا الناس إلى طبقتهم الاولى، أخصبوا أم أجدبوا، حيّوا أم ماتوا^{٣٨٩}.

و من الغريب أن ابن أبى الحديد قال: «قد كان عثمان أقطع كثيرا من بنى اميّة و غيرهم من أوليائه و أصحابه قطائع من أرض بيت المال صلة لرحمه»^{٣٩٠}.

^{٣٨٥} (١) تاريخ يعقوبى ٢: ١٧٨-١٧٩، و نقله الشارح بتصرّف.

^{٣٨٦} (٢) لم أجد كتاب عمر بن الوليد بن عبد الملك فى البيان و التبيين.

^{٣٨٧} (٣) فى البيان و التبيين ٣: ٤٠٣ صنّاجة، بدل: نباتة. و الصنّاجة: الضاربة بالصنّج و هو الدف.

^{٣٨٨} (١) كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد فى البيان و التبيين ٣: ٤٠٣ مع اختلاف فى الألفاظ.

^{٣٨٩} (٢) العقد الفريد ٥: ١٨٨.

^{٣٩٠} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٦٩، و نقله الشارح بتصرّف يسير.

قلت: كيف يجوز صلة الرحم بمال المسلمين؟ فهل تجوز صلة الرحم بالسرقة من الناس؟! و الأصل في اعتذاره قول إمامه عثمان نفسه لما طعنوا عليه، فقال: إني أصل رحمي بما أهب^{٣٩١}! و أنهب من بيت المال، و تبعه في ذلك عمر بن الوليد في إنكاره على عمر بن عبد العزيز و قد كان جواب ابن عبد العزيز لابن الوليد جواب ابن أبي الحديد عن عثمان.

هذا، و في (الطبرى): جلس المنصور ببغداد للمدنيين مجلسا عامًا، فدخل عليه شاب من ولد عمرو بن حزم، فانتسب ثم قال للمنصور: قال

ص: ١٦٣

الأحوص فينا شعرا منعنا أموالنا من أجله منذ ستين سنة، مدح الوليد بن عبد الملك بقصيدة قال فيها:

لا تاوين لحزمي رأيت به فقرا و إن القى الحزمي في النار

و الداخيلين على عثمان يوم (في) الدار^{٣٩٢} النَّاحسين بمروان بذي خشب

فقال له الوليد: أذكرتني ذنب آل حزم، فأمر باستصفاء أموالهم. فقال المنصور للرجل: أعد علي الشعر. فأعاده ثلاثا. فقال له: لا جرم، تحتظي بهذا الشعر كما حرمت به. و أمر له بعشرة آلاف درهم، و كتب إلى عماله أن يردوا ضياع آل حزم عليهم، و يعطوا غلاتها في كل سنة من ضياع بني امية، و تقسم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، و من مات منهم وفر على ورثته^{٣٩٣}.

«فإن في العدل سعة، و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيّق» قد عرفت أن (ابن أبي الحديد) نقل بدله عن الكلبي: «و من ضاق عنه العدل (الحق)، فالجور عنه أضيّق»^{٣٩٤}. و أن يعقوبى نقل بدله: «فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضيّق»^{٣٩٥}.

ص: ١٦٤

إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ؟ الشَّامِ؟ وَ؟ جَرِيرٍ؟ عِنْدَهُمْ- إِغْلَاقٌ؟ لِلشَّامِ؟ وَ صَرَفٌ لِأَهْلِهِ عَن خَيْرِ إِنْ أَرَادُوهُ- وَ لَكِنْ قَدْ وَقَّتْ؟ لِحَرِيرٍ؟ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ- إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا- وَ الرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاءِ فَأَرُوذُوا- وَ لَا أكره لَكُمْ الإِعْدَادَ- وَ لَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَيْنَهُ- وَ قَلْبْتُ ظَهْرَهُ وَ بَطْنَهُ- فَلَمْ أَرُ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوْ الْكُفْرَ- إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَي النَّاسِ وَالِ أَحْدَثَ أَحْدَانًا- وَ أَوْجَدَ

^{٣٩١} (٤) انظر الشافى فى الإمامة ٤: ٢٧٢.

^{٣٩٢} (١) تجد البيتين فى الأغانى ١: ٢٦ مع اختلاف يسير فى الألفاظ.

^{٣٩٣} (٢) تاريخ الطبرى ٨: ٨٥، سنة ١٥٨.

^{٣٩٤} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢٦٩١.

^{٣٩٥} (٤) تاريخ يعقوبى ٢: ١٧٩.

لِلنَّاسِ مَقَالًا فَقَالُوا- ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: «وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِالِاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ» إِنَّمَا أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ مِنْهُمْ الْأَشْتَرُ، وَعَدَى بْنُ حَاتِمٍ، وَشَرِيحَ بْنَ هَانِيٍّ، وَآمَّا بِأَقْبِهِمْ فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْإِسْتِعْدَادِ.

فَفِي (خُلَفَاءِ ابْنِ قَتَيْبَةَ- الْإِمَامَةُ وَالسِّيَاسَةُ- ج ١ ص ٩٤ ابْنِ قَتَيْبَةَ): ذَكَرُوا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَشَارَ النَّاسَ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِالْمَقَامِ بِالْكُوفَةِ عَامَهُ ذَلِكَ، غَيْرَ الْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ، وَعَدَى بْنِ حَاتِمٍ، وَشَرِيحَ بْنَ هَانِيٍّ، فَإِنَّهُمْ قَامُوا، فَتَكَلَّمُوا بِلِسَانٍ وَاحِدٍ، فَقَالُوا: إِنَّ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَيْكَ بِالْمَقَامِ إِنَّمَا خَوْفُكَ بِحَرْبِ الشَّامِ، وَلَيْسَ فِي حَرْبِ الشَّامِ شَيْءٌ أَخْوَفُ مِنَ الْمَوْتِ، وَنَحْنُ نَرِيدُهُ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ: «إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ الشَّامِ وَجَرِيرٍ عِنْدَهُمْ، صَارَفَ لَهُمْ عَنِ خَيْرِ إِنْ أَرَادُوهُ، وَلَكِنِّي قَدْ وَقَّتَ لَهُمْ وَقْتًا لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِيًا، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمْ الْإِعْدَادَ»^{٣٩٤}.

«بَعْدَ إِسْرَالِهِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ^{٣٩٧} إِلَى مَعَاوِيَةَ» هَكَذَا فِي

ص: ١٦٥

(الْمَصْرِيَّةُ)^{٣٩٨} وَالصَّوَابُ: «بَعْدَ إِسْرَالِهِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ» كَمَا فِي (ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ وَابْنِ مَيْثَمٍ)^{٣٩٩}.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ اسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ الشَّامِ وَجَرِيرٍ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرَفٌ لِأَهْلِهِ عَنِ خَيْرِ إِنْ أَرَادُوهُ».

قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: كَرِهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُمْ إِظْهَارَ الْإِسْتِعْدَادِ، الْجَهْرَ بِهِ، وَ لَمْ يَكْرَهُ الْإِعْدَادَ فِي السِّرِّ، وَ عَلَى وَجْهِ الْخَفَاءِ. وَ قَالَ الرَّائِدِيُّ: «كَرِهَ اسْتِعْدَادَ نَفْسِهِ، وَ لَمْ يَكْرَهُ إِعْدَادَ أَصْحَابِهِ».

وَ لِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ: التَّعْلِيلُ الَّذِي عَلَّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ كَرَاهِيَّةَ الْأَمْرَيْنِ مَعًا، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ كَرَاهِيَّتُهُ لِإِعْدَادِ جَيْشِهِ أَوْلَى، لِأَنَّ شِيَاعَ ذَلِكَ أَعْظَمَ مِنْ شِيَاعِ اسْتِعْدَادِهِ وَحَدِهِ، لِأَنَّهُ وَحْدَهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكْتُمَ اسْتِعْدَادَهُ، بِخِلَافِ اسْتِعْدَادِ الْعَسَاكِرِ الْعَظِيمَةِ، فَيَكُونُ إِغْلَاقُ الشَّامِ عَنِ بَابِ خَيْرِ إِنْ أَرَادُوهُ أَقْرَبَ^{٤٠٠}.

قُلْتُ: إِنَّ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ لَمْ يَفْهَمَ مَعْنَى اسْتِعْدَادِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ لَمْ يَفَرِّقْ بَيْنَ الْإِسْتِعْدَادِ وَ الْإِعْدَادِ، فَاسْتِعْدَادُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا كَانَ بِشَخْصِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ إِلَى الشَّامِ لِلْحَرْبِ، كَمَا عَرَفْتُ مِنْ مُوجِبِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَاكَ الْكَلَامَ وَ هُوَ قَوْلُ الْأَشْتَرِ، وَ عَدَى، وَ شَرِيحَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَيْسَ فِي حَرْبِ الشَّامِ شَيْءٌ أَخْوَفُ مِنَ الْمَوْتِ وَ نَحْنُ نَرِيدُهُ»^{٤٠١}.

^{٣٩٤} (١) الْإِمَامَةُ وَ السِّيَاسَةُ ١: ٩٤، وَ نَقَلَهُ الشَّارِحُ بِتَصْرِيفٍ يَسِيرٍ.

^{٣٩٧} (٢) هُوَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَابِرِ الْبَجَلِيِّ. تَوَجَّدَ تَرْجُمَتُهُ فِي اسْدِ الْعَابَةِ ١: ٢٧٩-٢٨٠، وَ الْإِصَابَةُ ١: ٢٣٢، وَ سَفِينَةُ الْبَحَارِ ١: ١٥٢.

^{٣٩٨} (١) نَهْجُ الْبَلَاغَةِ ١: ٨٩.

^{٣٩٩} (٢) كَذَا فِي شَرْحِ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٢: ٣٢٢ وَ فِيهِ: بِجَرِيرٍ. وَ لَفْظُ شَرْحِ ابْنِ مَيْثَمٍ ٢: ١٠٩ مُطَابِقٌ لِلطَّبَعَةِ الْمَصْرِيَّةِ أَيْضًا.

^{٤٠٠} (٣) شَرْحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٢: ٣٢٢-٣٢٣، وَ نَقَلَهُ الشَّارِحُ بِتَلْخِيصٍ.

^{٤٠١} (٤) الْإِمَامَةُ وَ السِّيَاسَةُ ١: ٩٤.

و معلوم أنّ ذلك كان صرفاً لأهلها عن خير إن أرادوه.

و أمّا إعداد أصحابه فإنّما هو بتهيئة أسباب الحرب من الخيل و الأسلحة، و لم يعلم من التهيئة لذلك أنّه عليه السّلام أراد حربهم لكونه أعمّ.

ص: ١٦٦

«و لكن قد وُتّ لجريير وقتنا لا يقيم بعده إلّا مخدوعاً» في (خلفاء ابن قتيبة):

ذكروا أنّ معاوية قال لجريير: إنّي قد رأيت رأياً. قال جريير: هات. قال: اكتب إلى عليّ أن يجعل لي الشام و مصر (جباية)، فإن حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده في عنقه بيعة، و اسلم إليه الأمر، و أكتب إليه بالخلافة. قال جريير: اكتب ما شئت. و إنّما أراد معاوية في طلبه الشام و مصر إلّا يكون لعلّي في عنقه بيعة، و أن يخرج نفسه ممّا دخل فيه الناس، فكتب إلى عليّ عليه السّلام يسأله ذلك، فلمّا أتى عليّاً عليه السّلام كتاب معاوية عرف أنّها خدعة منه. فكتب إلى جريير: أمّا بعد، فإنّ معاوية إنّما أراد بما طلب إلّا يكون لي في عنقه بيعة، و أن يختار من أمره ما أحبّ، و قد كان المغيرة بن شعبه أشار عليّ و أنا بالمدينة أن أستعمله على الشام، فأبيت ذلك عليه، و لم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلّين عضداً، فإن بايعك الرجل، و إلّا فأقبل^{٤٠٢}.

«أو عاصياً» في (الطبري): قال عوانة: لمّا قدم جريير على عليّ عليه السّلام و أخبره خبر معاوية و اجتماع أهل الشام معه على قتاله، و أنّهم يبكون على عثمان، و يقولون: إنّ عليّاً قتله، و آوى قتلته، و إنّهم لا ينتهون عنه حتّى يقتلهم أو يقتلوه. فقال الأشر لعليّ عليه السّلام: قد كنت نهيتك أن تبعث جرييراً، و أخبرتك بعداوته و غشّه، و لو كنت بعثتني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتّى لم يدع باباً يرجو فتحه إلّا فتحه، و لا باباً يخاف منه إلّا أغلقه.

فقال له جريير: لو كنت ثمّ لقتلوك، لقد ذكروا أنّك من قتلة عثمان، فقال الأشر: و الله يا جريير، لو أتيتهم لم يعينى جوابهم، و لحملت معاوية على خطّة أعجله فيها عن الفكر، و لو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك و أشباهك في محبس لا تخرجون منه حتّى تستقيم هذه الامور.

ص: ١٦٧

فخرج جريير إلى قرقيسيا^{٤٠٣}، و كتب إلى معاوية، فكتب إليه معاوية يأمره بالتقدم عليه^{٤٠٤}.

^{٤٠٢} (١) الإمامة و السياسة ١: ٩٥-٩٦.

^{٤٠٣} (١) في معجم البلدان ٤: ٣٢٨. قال حمزة الاصبهاني: قرقيسيا معرب كركيسيا و هو مأخوذ من كركيس و هو اسم لإرسال الخيل المسمّى بالعربية الحلبة. و قال ياقوت: بلد على نهر الخابور قرب الفرات، قيل: سمّيت بقرقيسيا بن طهمورث الملك.

^{٤٠٤} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٦٢، سنة ٣٦.

و رواه نصر بن مزاحم فى (صفيناه) و زاد: أنّ الأشرّ قال لجرير: إنّ عثمان اشترى منك دينك بهمدان، و الله ما أنت بأهل أن تترك تمشى فوق الأرض. إنّما أتيتهم لتتخذ عندهم يدا بمسيرك إليهم، ثم رجعت إلينا من عندهم تهددنا بهم. أنت و الله منهم، و لا أرى سعيك إلّا لهم^{٤٠٥}.

و قال الإسكافى فى (نقض عثمانيتته): روى الحارث بن حصين أنّ النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم دفع إلى جرير نعلين من نعاله، و قال له: احتفظ بهما، فإنّ ذهابهما ذهاب دينك. فلما كان يوم الجمل ذهب إحداهما، فلما أرسله علىّ عليه السلام إلى معاوية ذهب الأخرى، ثمّ فارق عليّا عليه السلام و اعتزل الحرب.

و قال: قال اسماعيل بن جرير: هدم علىّ دارنا مرّتين^{٤٠٦}.

«و الرأى عندى مع الأناة» الانتظار.

«فأرودوا» من: أرود فى السير، أى: رفق. و فى المثل: الدهر أرود ذو غير.

أى: يعمل عمله فى سكون و لا يشعر به^{٤٠٧}.

«و لا أكره لكم الإعداد» قال تعالى: «و أعدوا لهم ما استطعتم من قوّة و من رباط الخيل»^{٤٠٨}.

ص: ١٦٨

«و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه»^{٤٠٩} الأنف قد يجىء فى قبال العين - كما هنا - و قد يجىء فى مقابل الذنب، كقول الشاعر:

قوم هم الأنف، و الأذنان غيرهم

^{٤١٠} و قال عليه السلام نظير هذا الكلام لأبى مسلم الخولانى لما جاء بكتاب معاوية إليه، ففى (أخبار الطوال) قال أبو مسلم له عليه السلام: ادفع إلينا قتلة عثمان، و أنت أميرنا، فإنّ خالفنا (خالفك) أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة.

^{٤٠٥} (٣) وقعة صفين: ٥٩- ٦٠ و شرح ابن أبى الحديد ٣: ١١٦.

^{٤٠٦} (٤) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح النهج ٤: ٧٤- ٧٥.

^{٤٠٧} (٥) الصحاح ٢: ٤٧٩، مادة (رود).

^{٤٠٨} (٦) الأنفال: ٦٠.

^{٤٠٩} (١) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٣٢٢ الباب ٤٣.

^{٤١٠} (٢) القائل الحطيتة، و الشطر الثانى من البيت:

فقال عليه السّلام له: «إني ضربت أنف هذا الأمر و عينه، فلم يستقم دفعهم إليك و لا إلى غيرك»^{٤١١}.

«و قلبت ظهره و بطنه» كناية - كسابقه - عن ملاحظة الأمر بجملته.

«فلم أر لي» هكذا في (المصرية)^{٤١٢}، و الصواب: «فلم أر فيه» كما في (ابن أبي الحديد)^{٤١٣}.

«إلّا القتال أو الكفر» هكذا في (المصرية) و مثله في (ابن ميثم)^{٤١٤}، و زاد في (ابن أبي الحديد): «بما جاء به محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم»^{٤١٥}، و في الخطيب: «بما انزل على محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم». و لعلّ الزيادة حاشية خلطت بالمتن، لكون نسخة شرح ابن ميثم بخطّ مصنّفه، و لأنّه قال: و مراده بالكفر الكفر الحقيقيّ، فإنّه صرّح بمثله فيما

ص: ١٦٩

قبل حيث يقول: «و قد قلبت هذا الأمر ظهره و بطنه حتّى منعى القوم، فما وجدتني يسعني إلّا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم»^{٤١٦}.

و كيف كان، كان عليه السّلام يكرّر ذلك جوابا لمن يشير عليه بترك قتالهم. ففي (صفين نصر بن مزاحم): خرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصّفين: يا أبا الحسن يا عليّ ابرز إليّ. فخرج إليه عليّ عليه السّلام حتّى إذا اختلفت أعناق دابّتهما بين الصّفين، فقال: يا عليّ، إنّ لك قدما في الإسلام و هجرة، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء، و تأخير هذه الحروب حتّى ترى من رأيك؟ فقال له عليّ عليه السّلام: و ما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك فتخلّى بينك و بين العراق، و ترجع إلى شامنا فتخلّى بيننا و بين شامنا.

فقال له عليّ عليه السلام: لقد عرفت أنّك إنّما عرضت هذا نصيحة و شفقة، و لقد أهمنيّ هذا الأمر و أسهرني، و ضربت أنفه و عينه، فلم أجد إلّا القتال أو الكفر بما انزل على محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم. إنّ الله تبارك و تعالى لم يرض من أوليائه

و من يسوّى بأنف الناقة الذّنباً

أورده ابن منظور في لسان العرب ١: ٢٣٩، مادة (أنف).

^{٤١١} (٣) الأخبار الطوال: ١٦٢ - ١٦٣، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٤١٢} (٤) نهج البلاغة ١: ٩٠.

^{٤١٣} (٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢.

^{٤١٤} (٦) نهج البلاغة ١: ٩٠، و شرح ابن ميثم ٢: ١١٠.

^{٤١٥} (٧) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢.

^{٤١٦} (١) شرح ابن ميثم ٢: ١١٣.

أن يعصى فى الأرض و هم سكوت مذعنون، لا يأمرن بالمعروف، و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون على من معالجة الأغلال فى جهنم^{٤١٧}.

و كيف يترك عليه السلام قتالهم و كان الله تعالى عینه على لسان نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم لقتال الناكثين و القاسطين و المارقين^{٤١٨}. و القاسطون: معاوية و أهل الشام.

و أمره الله تعالى بجهاد المنافقين عوضا عن نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم حيث كان نفس

ص: ١٧٠

نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم^{٤١٩} بقوله تعالى: «وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ»^{٤٢٠}، و قد قال جلّ و علا لنبيّه صلى الله عليه و آله و سلم: «يا أيها النبيّ جاهد الكفار و المنافقين»^{٤٢١} و لم يجاهد النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم غير الكفار، فلا بدّ أنّه صلى الله عليه و آله و سلم فوضّ إليه جهاد المنافقين. و معاوية و أصحابه كانوا رءوس المنافقين.

«إنّه قد كان على الناس» هكذا فى (المصريّة)^{٤٢٢}، و الصواب: «على الامة» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٤٢٣}.

«وال أحدث أحداثنا، و أوجد للناس مقالا، فقالوا ثمّ تقموا فغيروا» فى (الطبرى): كتب علىّ عليه السلام إلى أهل مصر لما ولى قيس بن سعد بن عبادة عليهم كتابا- إلى أن قال فيه بعد ذكر أبى بكر و عمر- ثمّ ولى بعدهما وال فأحدث أحداثنا، فوجدت الامة عليه مقالا فقالوا، ثمّ تقموا عليه فغيروا، ثمّ جاءونى فبايعونى^{٤٢٤}.

^{٤١٧} (٢) وقعة صفين: ٤٧٤، و شرح ابن أبى الحديد ٢: ٢٠٧-٢٠٨.

^{٤١٨} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠٧.

^{٤١٩} (١) أجمعت الخاصّة و العامّة على أن أمير المؤمنين عليه السلام نفس النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، و تواترت بذلك أحاديثهم بألفاظ مختلفة، و أسانيد شتى يضيّق المجال لذكرها، و هنا نذكر أهمّ المصادر التى نقلت ذلك، حسب الترتيب التاريخى:

التفسير المنسوب الى الامام العسكرى عليه السلام: ٤٥٨-٤٥٩، تفسير فرات الكوفى: ٨٦، الكافى ٨: ٣١٩، أمالى الصدوق: ٤٢٣، حقائق التأويل فى متشابه التنزيل: ٢٢٩-٢٣٠، أمالى الطوسى ١: ٢٧٨، أسباب النزول للواحدى:

٤٨، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٥٨-١٦٠، المناقب لابن المغازلى: ٢٦٣، معالم التنزيل للعلامة البغوى، المناقب للخوارزمى: ٩٠، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٢١٦-٢١٨، العمدة لابن البطريق: ١٩١-١٩٢، التفسير الكبير للرازى ٨: ٨١، كفاية الطالب: ٢٨٨، تفسير ابن كثير، الدرّ المنثور ٢: ٣٨-٣٩، الصواعق المحرقة: ١٥٦.

^{٤٢٠} (٢) آل عمران: ٦١.

^{٤٢١} (٣) التوبة: ٧٣.

^{٤٢٢} (٤) نهج البلاغة ١: ٩٠.

^{٤٢٣} (٥) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٢: ٣٢٢، و لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ١١٠ «على الناس» أيضا.

^{٤٢٤} (٦) تاريخ الطبرى ٤: ٥٤٨-٥٤٩، سنة ٣٦.

أما أحداثه ففي (تقريب الحلبي): فمن أحداث عثمان تقليد ابن عامر على البصرة للخوولة التي بينهما، و ابن أبي سرح على مصر للرضاعة التي بينهما،

ص: ١٧١

و يعلى بن امية على اليمن، و أسيد بن الأخنس على البحرين لكونه ابن عمته، و عزل المأمونين من الصحابة على الدين، المختارين للولاية، المرضيين السيرة.

و من أحداثه استخفافه بعلي عليه السلام حين أنكر عليه تكذيب أبي ذر.

و منها عزل عبد الله بن الأرقم عن بيت المال لما أنكر عليه إطلاق الأموال لبني امية بغير حق.

و منها قوله لعبد الرحمن بن عوف: يا منافق! و هو الذي اختاره و عقد له الأمر.

و منها منعه عائشة و حفصة ما كان أبو بكر و عمر يعطيانهما، و سبه لعائشة، و قوله لها- و قد أنكرت عليه الأفاعيل القبيحة:-
لئن لم تنتهي، لادخلنّ عليك الحجرة سودان الرجال و بيضانها.

و منها أكله الصيد و هو محرم مستحلاً، و صلاته بمنى أربعاً، و إنكاره متعة الحج.

و منها ضرب عبد الله بن حنبل- و كان بدرية- مائة سوط، و حمله على جمل يطاف به في المدينة، لإنكاره عليه الأحداث، و إظهاره عيوبه في الشعر، و حبسه بعد ذلك موثقاً بالحديد، فلم يزل على عليه السلام بعثمان يكلمه حتى خلى سبيله على أن لا يساكنه بالمدينة، فسيّره إلى قلعة قموص من خيبر، فلم يزل بها حتى ناهض المسلمون عثمان من كل بلد، فقال:

على يديه من الأغلال و الصفد

لو لا على فإن الله أتقذني

من كافر بعد ما أغضى على الصمد

نفسى فداء على إذ يخلصنى

و منها تسيير حذيفة إلى المدائن حين أظهر ما سمعه من النبي صلى الله عليه و آله و سلم فيه و أنكرا أفعاله، فلم يزل يحرض على عثمان (يعرض بعثمان) حتى قتل.

ص: ١٧٢

و منها نفى الأشر، و وجوه أهل الكوفة عنها إلى الشام حين أنكروا على سعيد بن العاص- عامله- أفعاله، و نفاه من دمشق إلى حمص.

و منها معاهدته لعلّى عليه السّلام و وجوه الصحابة على الندم على ما فرط فيه (منه)، و العزم على ترك معاودته، و نقض ذلك، و الرجوع عنه مرّة بعد مرّة، و إصراره على ما ندم منه، و عاهد الله تعالى و أشهد القوم على تركه من الاستيثار بالفىء، و بطانة السوء، و تقليد الفسقة أمور المسلمين.

و منها كتابه إلى ابن أبى سرح بقتل رؤساء المصريّين، و التنكيل بالأتباع، و تخليدهم الحبس لإنكارهم ما يأتيه ابن أبى سرح إليهم من الجور الذى اعترف به، و عاهد على تغييره.

و منها تعريضه نفسه، و من معه من الأهل و الأتباع للقتل، و لم يعزل ولاة السوء.

و منها استمراره على الولاية مع إقامته على المنكرات الموجبة للفسخ، و تحريم التصرف فى أمر الامّة. و ذلك تصرف قبيح لكونه غير مستحقّ عندهم مع ثبوت الفسق ...^{٤٢٥}.

و فى (أخبار طوال الدينورى): كان الأشعث بن قيس واليا على أذربيجان طول ولاية عثمان، و كانت ولايته ممّا عتب الناس فيه على عثمان، لأنّه ولّاه عند مصاهرته إيّاه، و تزويج ابنة الأشعث من ابنه^{٤٢٦}.

و فى (الطبرى): أنّ أوّل من زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء عثمان^{٤٢٧}.

ص: ١٧٣

و فى (الطبرى) أيضا- بعد ذكر كتاب عثمان إلى أهل مكّة مع ابن عباس لمّا ولّاه الموسم بعد حصره، و عدّه فى كتابه ما طعنوا عليه و ما أجابهم، إلى أن ذكر- قالوا: كتاب الله يتلى. فقلت: فليت له من تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله فى الكتاب^{٤٢٨}.

و هو دالّ على أنّه منع من تلاوة مقدار من كتاب الله بشبهة كونه من غير القرآن.

و فى (أنساب البلاذرى) عن الزهرى: أنّ عثمان كان يأخذ من الخيل الزكاة، فأنكر ذلك من فعله، و قالوا: قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: عفوت لكم عن صدقة الخيل و الرقيق.

و فيه أيضا كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح أخا عثمان من الرضاة و عامله على المغرب، فغزا إفريقيّة سنة سبع و عشرين فافتتحها، و كان معه مروان فابتاع خمس الغنيمه بمائة ألف دينار، فكلم عثمان فوهبها له، فأنكر الناس ذلك على عثمان.

^{٤٢٥} (١) نقله عن تقريب المعارف، العلامه المجلسى رضى الله عنه فى البحار ٨: ٣٣٥ ط الكمباني.

^{٤٢٦} (٢) أخبار الطوال: ١٥٦.

^{٤٢٧} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٠١، سنة ٣٥.

^{٤٢٨} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٠٩، سنة ٣٥.

و فيه أيضا: كان مما أنكر على عثمان أنه ولى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاة، فبلغت ثلاثمائة ألف درهم، فوهبها له حين أتاه بها.

وقال الواقدي و أبو مخنف في روايتهما: أنكر الناس على عثمان اعطاءه سعيد بن العاص مائة ألف درهم.

و فيه: قال أبو مخنف في أسناده: أنكر الناس على عثمان - مع ما انكر - ان حمى الحمى، و أن أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم، من ألف ألف درهم حملها أبو موسى الأشعري، و قال له: هذا حقك.

فقال أسلم بن أوس الساعدي و هو الذي منع من دفن عثمان في البقيع:

ص: ١٧٤

خلافًا لسنة من قد مضى

دعوت اللعين فأذنيته

ظلما لهم و حميت الحمى

و أعطيت مروان خمس العباد

من الفء أنهبته من ترى

و مال أتاك به الأشعري

و فيه: قال سعيد بن المسيب: أمر عثمان بذبح الحمام، و قال: إن الحمام قد كثر في بيوتكم حتى كثر الرمي و نالنا بعضه. فقال الناس: يأمرنا بذبح الحمام و قد آوى طرداء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و فيه: قال ابن عمر: صليت بمنى مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم ركعتين، و مع أبي بكر و عمر و مع عثمان صدرا من خلافته، ثم أتمها أربعا، فتكلم الناس في ذلك فأكثرُوا، و سئل أن يرجع عن ذلك، فلم يرجع.

و فيه: ان النبي صلى الله عليه و آله و سلم إذا خرج للصلاة أذن المؤذن ثم يقيم، و كذلك كان الأمر على عهد أبي بكر و عمر و في صدر من أيام عثمان، ثم إن عثمان نادى النداء الثالث في السنة السابعة، فعاب الناس ذلك و قالوا: بدعة.

و في (خلفاء ابن قتيبة) - بعد ذكر خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في التحريض على جهاد معاوية - : ثم قام أبو أيوب الأنصاري فقال: إن أمير المؤمنين - أكرمه الله - قد أسمع من كانت له أذن واعية، و قلب حفيظ. إن الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حق قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عم الرسول، و خير المسلمين و أفضلهم و سيدهم بعده، يفقهكم في الدين، و يدعوكم إلى جهاد المحلين، فو الله لكانكم صم لا تسمعون - إلى أن قال -:

أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس، وقد شمل العباد، و شاع في الإسلام، فذو حقّ محروم، و مشتوم عرضه، و مضروب ظهره، و ملطوم وجهه، و موطوء بطنه، و ملقى بالعراء، فلمّا جاءكم أمير المؤمنين عليه السّلام صدع بالحقّ، و نشر العدل، و عمل بالكتاب؟ فاشكروا نعمة الله

ص: ١٧٥

عليكم، و لا تتولّوا مجرمين^{٤٢٩}.

و فيه: ذكروا أنّه اجتمع ناس من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و كتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف عثمان من سنّة النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و سنّة صاحبيه، و ما كان من هبته خمس إفريقيّة لمروان و فيه حقّ الله و رسوله، و منهم ذوو القربى و اليتامى و المساكين، و ما كان من تطاوله في البنيان حتّى عدّوا سبع دور بناها بالمدينة: دارا لثالثة، و دارا لعائشة ابنته، و غيرهما من أهله و بناته، و بناء (بنيان) مروان القصور بذى خشب، و عمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله و لرسوله، و ما كان من إفشائه العمل و الولايات في أهله و بنى عمّه من بنى اميّة، أحداث و غلمة لا صحبة لهم من الرسول، و لا تجربة لهم بالأمور، و ما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلّى بهم الصبح - و هو أمير عليها - سكران أربع ركعات، ثمّ قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة (صلاة) زدتكم، و تعطيله إقامة الحدّ عليه، و تأخيره ذلك عنه، و تركه المهاجرين و الأنصار لا يستعملهم على شيء و لا يستشيرهم، و استغنى برأيه عن رأيهم، و ما كان من الحمى الذى حمى حول المدينة، و ما كان من إداره القطائع و الأرزاق و الأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، ثمّ لا يغزون بولا يذبّون، و ما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، و إنّّه أوّل من ضرب بالسياط ظهور الناس، و إنّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرّة و الخيزران.

ثمّ تعاهد القوم ليدفعنّ الكتاب في يد عثمان، و كان ممّن حضر الكتاب عمّار و المقداد، و كانوا عشرة، فلمّا خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان و الكتاب في يد عمّار جعلوا يتسلّلون عن عمّار، حتّى بقى وحده، فمضى حتّى جاء دار عثمان، فاستأذن عليه، فأذن له، فدخل عليه و عنده مروان و أهله من

ص: ١٧٦

بنى اميّة، فدفع إليه الكتاب فقراه، فقال: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال:

و من كان معك؟ قال: معى نفر تفرّقوا فرقا منك. قال: و من هم؟ قال: لا أخبرك بهم. قال: فلم اجترأت علىّ من بينهم؟ فقال مروان: إنّ هذا العبد الأسود - يعنى عمّارا - قد جرّأ عليك الناس، و إنّك إن قتلته نكلت به من وراءه. قال عثمان:

اضربوه، فاضربوه و ضربه عثمان معهم حتّى فتقوا بطنه، فغشى عليه، فجرّوه حتّى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أمّ سلمة زوج النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، فأدخل منزلها، ثمّ خرج عثمان إلى المسجد، فإذا هو بعلّى عليه السّلام و هو شك

^{٤٢٩} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٥٢ - ١٥٣.

معصوب الرأس، فقال عثمان: والله يا أبا الحسن، ما أدري أستهي موتك أم حياتك؟ فوالله لئن مت ما أحب أن أبقى بعدك، لأنني لا أجد منك خلفاً، ولئن بقيت لا أعدم طاعياً يتخذك سلماً وعضداً، ويعدك كهفاً وملكاً، لا يمنعني منه إلا مكانه منك، ومكانك منه - إلى أن قال -: فقال علي عليه السلام: إن في ما تكلمت به جواباً، ولكنني عن جوابك مشغول بوجعي، وأنا أقول كما قال العبد الصالح:

«فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَيَّ مَا تَصِفُونَ»^{٤٣٠}.

و في (حلية أبي نعيم): في حذيفة، قال النزال بن سبرة: كنا مع حذيفة في البيت فقال له عثمان: يا أبا عبد الله، ما هذا الذي يبلغني عنك؟ قال: ما قلته. فقال له عثمان: أنت أصدقهم وأبرهم. فلما خرج قلت لحذيفة: ألم تقل ما قلت؟ قال:

بلى، ولكن اشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كله^{٤٣١}.

و في (تاريخ يعقوبي): نقم الناس على عثمان بعد ولايته بست سنين، و تكلم فيه من تكلم، و قالوا: آثر القرباء، و حمى الحمى، و بنى الدار، و اتخذ

ص: ١٧٧

الضياع و الأموال بمال الله و المسلمين، و نفى أبا ذرّ صاحب الرسول، و عبد الرحمن بن حنبل، و آوى الحكم بن أبي العاص، و ولى الوليد بن عقبة الكوفة، فأحدث في الصلاة ما أحدث، فلم يمنعه ذلك من إعادته إياه، و أجاز الرجم، و ذلك أنه كان رجم امرأة من جهينة دخلت على زوجها، فولدت لستة أشهر، فأمر عثمان برجمها، فلما أخرجت دخل عليه علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: إن الله تعالى يقول: «وَ حَمَلُهُ وَ فَصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا»^{٤٣٢}. و قال في رضاعه:

«حَوَائِنِ كَامِلَيْنِ»^{٤٣٣}. فأرسل عثمان في أثر المرأة، فوجدت قد رجمت فماتت، فاعترف الرجل بالولد^{٤٣٤}.

^{٤٣٠} (١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ٣٢-٣٣، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص، و الآية ١٨ من سورة يوسف.

^{٤٣١} (٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٢٧٩، العقد الفريد لابن عبد ربه ٧: ٢٩٦، و قال ابن عبد ربه في العقد بعد ذكره: أخذ الشاعر فقال:

فلا ديننا يبقى و لا ما نرّقع

نرّقع دينانا بتمزيق ديننا

^{٤٣٢} (١) الأحقاف: ١٥.

^{٤٣٣} (٢) البقرة: ٢٣٣.

^{٤٣٤} (٣) تاريخ يعقوبي ٢: ١٧٣-١٧٤، و نقله الشارح بتصرف.

وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتى جمعها، ثم سلقها بالماء الحارّ والخلّ. وقيل: أحرقتها، فلم يبق مصحف إلّا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود. وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر، فكتب إليه عثمان: أن أشخصه. فدخل المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: إنّه قد قدمت عليكم دابةً سوء. فتكلم ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عثمان، فجرّ برجله حتى كسر له ضلعان، فتكلّمت عائشة، وقالت قولاً كثيراً.

فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتى توفي، وصلى عليه عمّار، وكان عثمان غائباً فستر أمره. فلما انصرف رأى القبر، فقال: قبر من هذا؟ قيل:

قبر عبد الله بن مسعود. قال: فكيف دفن قبل أن أعلم؟ فقالوا: ولى أمره عمّار، وذكر أنه أوصى آلًا يخبر به، ولم يلبث إلّا يسيراً حتى مات المقداد، فصلّى عليه عمّار، وكان أوصى إليه، ولم يؤذن به عثمان، فاشتدّ غضب عثمان على

ص: ١٧٨

عمّار، وقال: ويلي على ابن السوداء! أما لقد كنت به عليماً^{٤٣٥}.

و في ابن أبي الحديد في موضع آخر: قرئ كتاب (الاستيعاب) على شيخنا عبد الوهّاب بن سكينه المحدث وأنا حاضر، فلما انتهى القارئ إلى خبر حضور حجر والأشتر في تجهيز أبي ذرّ، قال استاذي عمر بن عبد الله الدبّاس:

لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فما قال المرتضى والمفيد إلّا بعض ما كان حجر والأشتر يعتقدانه في عثمان و من تقدّمه، فأشار الشيخ إليه بالسكوت^{٤٣٦}.

و في (الأغانى) في أبي ذؤيب و خروجه في غزوة إفريقية: وكان مروان قد صفق^{٤٣٧} على الخمس بخمسائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك ممّا تكلم فيه بسببه. فقال عبد الرحمن بن حنبل بن مليلب - وهو أخو صفوان بن أمية - لعثمان:

خلافاً لسنة من قد مضى

دعوت الطريد^{٤٣٨} فأدنيته

د ظلما لهم و حميت الحمى

و أعطيت مروان خمس العبا

^{٤٣٥} (١) تاريخ البعقوبى ٢: ١٧٠-١٧١، ونقله الشارح بتصرّف.

^{٤٣٦} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠١-١٠٥.

^{٤٣٧} (٣) يقال: صفقت له بالبيع والبيعة صفقا، أى: ضربت يدي على يده. (الصاح ٤: ١٥٠٧، مادة: صفق).

^{٤٣٨} (٤) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو مروان بن الحكم وعمّ عثمان بن عفّان. وهو طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نفاه من المدينة إلى الطائف، ولم يزل بها إلى أن ولى عثمان فردّه إلى المدينة وأعطاه مائة ألف درهم. انظر الطبقات الكبرى ٥: ٤٤٧، الاستيعاب ١: ٣١٧-٣١٩، أسد الغابة ٢: ٣٣-٣٥، الإصابة ١: ٣٤٥-٣٤٦.

قال: المراد بالمال الذى أتى به الأشعري، المال الذى قدم به أبو موسى الأشعري من العراق على عثمان، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العاص (العيص) منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم، فأنكر الناس ذلك^{٢٣٩}.

ص: ١٧٩

و أما ايجاد عثمان للناس مقالا، و قولهم فيه، و نقمهم عليه، و تغييرهم أمره، ففي (الطبرى) فى جهاد هاشم المرقال يوم صفين مع جمع من القراء:

فإنهم لكذلك إذ خرج عليهم فتى شاب و هو يقول:

و الدائن اليوم بدين عثمان

أنا ابن أرباب الملوك غسان

أن عليّا قتل ابن عفان

إنى أتانى خبر فأشجان

ثم يشدّ فلا يثنى حتى يضرب بسيفه، ثم يشتم و يلعن و يكثر الكلام، فقال له هاشم: يا عبد الله، إن هذا الكلام بعده الخصام، و إن هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فإنك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف و ما أردت به.

قال: فإنى أقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّى كما ذكر لى، و أنتم لا تصلّون أيضا، و أقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا، و أنتم أردتموه على قتله. فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان! إنما قتله أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلّم و أبناء أصحابه و قرّاء الناس، حين أحدث الأحداث، و خالف حكم الكتاب، و هم أهل الدين، و أولى بالنظر فى امور الناس منك و من أصحابك - إلى أن قال -: و أمّا قولك: إن صاحبنا لا يصلّى، فهو أوّل من صلّى، و أفقه خلق الله فى دين الله، و أولى بالرسول. و أمّا كلّ من ترى معى فكلّهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجّدا ...^{٢٤٠}.

و فى (الطبرى) أيضا: كان ابتداء الجراء على عثمان أن إبلا من إبل الصدقة قدمت على عثمان، فوهبها لبعض ولد الحكم بن أبى العاص، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأخذها (فأخذها) و قسمها بين الناس و عثمان فى داره، فكان ذلك أوّل وهن دخل عليه.

^{٢٣٩} (٥) الأغاني ٦: ٢٦٨ - ٢٦٩.

^{٢٤٠} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٤٣ - ٤٤، سنة ٣٧، و نقله الشارح بتصرّف.

وقيل: بل كان أوّل وهن دخل عليه أنّ عثمان مرّ بجبله بن عمرو

ص: ١٨٠

الساعدي، و هو في نادى قومه و في يده جامعة^{٤٤١}، فسلمّ عثمان، فردّ القوم عليه، فقال لهم جبله: لم تردّون على رجل فعل كذا و فعل كذا! ثمّ قال لعثمان:

و الله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه الخبيثة، مروان، و ابن عامر، و ابن أبي سرح، منهم من نزل القرآن بدمه، و منهم من أباح النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم دمه.

و قيل: إنّه خطب يوماً، و بيده عصا كان النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و أبو بكر و عمر يخطبون عليها، فأخذها جهجاه الغفارى من يده، و كسرهما على ركبته، فلمّا تكاثرت أحداثه كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة و غيرهم إلى من بالآفاق: إنكم إن كنتم تريدون الجهاد فهلمّوا إلينا، فإنّ دين محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم قد أفسده خليفتمكم^{٤٤٢}.

و في (العقد): قال ابن دأب: لمّا أنكر الناس على عثمان ما أنكروا، من تأمير الأحداث من أهل بيته بنى امية على الجلة الأكبر من أصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، قالوا لعبد الرحمن بن عوف: هذا عملك و اختيارك لامّة محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم؟ قال: لم أظنّ هذا به!^{٤٤٣}.

و فيه: قال أبو سعيد الخدرى: إنّ ناسا كانوا عند فسطاط عائشة و أنا معهم بمكة، فمرّ بنا عثمان، فما بقى أحد من القوم إلّا لعنه غيرى، و كان فيهم رجل من أهل الكوفة، كان عثمان أجراً عليه منه على غيره، فقال له: يا كوفى، أ تشتمنى؟ فلمّا قدم المدينة كان يتهدّده، فقيل له: عليك بطلحة. فانطلق معه حتّى دخل على عثمان، فقال عثمان: و الله لأجلدنه مائة سوط. قال طلحة: و الله

ص: ١٨١

لا تجلدنه مائة سوط إلّا أن يكون زانيا. قال: و الله لأحرمنه عطاءه. قال: الله يرزقه^{٤٤٤}.

و في (العقد): نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فقال: إننى لأبغض هذه الوجوه. فقال له سعيد بن عمرو بن عثمان: تبغضهم لأنهم قتلوا أباك! قال: صدقت، و لكنّ المهاجرين و الأنصار قتلوا أباك^{٤٤٥}.

^{٤٤١} (١) الجامعة: الغلّ، لأنّها تجمع اليدين إلى العنق. (الصحاح ٣: ١١٩٩، مادة: جمع).

^{٤٤٢} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٥-٣٦٧، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٤٤٣} (٣) العقد الفريد ٥: ٥٥.

^{٤٤٤} (١) العقد الفريد ٥: ٥٦.

^{٤٤٥} (٢) العقد الفريد ٤: ١١٠.

و فى (خلفاء ابن قتيبة) فى حصار عثمان: فقام الأشتر و قال لطلحة:

تبعثون إلينا و جاءنا رسولكم بكتابكم، و ها هو ذا، و أخرج كتابا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من المهاجرين الأولين و بقيّة الشورى، إلى من بمصر من الصحابة و التابعين، أمّا بعد، أن تعالوا إلينا، و تداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها، فإنّ كتاب الله قد بدّل، و سنّه رسوله قد غيرت، و أحكام الخليفتين قد بدّلت، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقيّة أصحاب الرسول و التابعين بإحسان، إلّا أقبل إلينا، و أخذ الحقّ لنا، و أعطانا، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر، و أقيموا الحقّ على المنهاج الواضح، الذى فارقتم عليه نبيّكم صلّى الله عليه و آله و سلّم، و فارقتكم عليه الخلفاء. غلبنا على حقنا، و استولى على فيئنا، و حيل بيننا و بين أمرنا، و كانت الخلافة بعد نبينا خلافة نبوة و رحمة، و هى اليوم ملكا عضوضا، من غلب على شىء أكله. فبكى طلحة، فقال الأشتر: لمّا حضرنا أقبلتم تعصرون أعينكم، و الله لا يفارقه حتّى نقتله - إلى أن قال -: و ذكروا أن أهل مصر جاءوا يشكون عاملهم ابن أبى سرح، فكتب إليه عثمان يتهدّده، فأبى ابن أبى سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، و ضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتّى قتله، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل،

ص: ١٨٢

فزلوا فى المسجد، و شكوا إلى أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فى مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبى سرح، فقام طلحة و تكلم بكلام شديد، و أرسلت عائشة إلى عثمان فقالت له: قد تقدّم إليك أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و سألوك عزل هذا الرجل، فأبيت إلّا واحدة، فهذا قد قتل منهم رجلا، فأنصفهم من عاملك. و دخل عليه على السّلام، و كان متكلم القوم، فقال له: إنّما يسألونك رجلا مكان رجل، و قد ادّعوا قبله دما، فاعزله عنهم و اقض بينهم، فإنّ وجب لهم عليه حقّ، فأنصفهم منه. فقال: اختاروا رجلا أوليه عليهم. فقالوا: استعمل محمّد بن أبى بكر. فكتب عهده، و ولّاه، فخرج و خرج معه عدد من المهاجرين و الأنصار، ينظرون فى ما بين أهل مصر و ابن أبى سرح، حتّى إذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة، فإذا هم بغلام أسود على بعير يخطب البعير، كأنّه رجل يطلب أو يطلب، فقال له أصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله: ما قصّتك و ما شأنك؟ كأنك طالب أو هارب، فقال: إنّى غلام عثمان و جهنى إلى عامل مصر. فقال له رجل: هذا عامل مصر معنا، قال: ليس هذا اريد. فاخبر محمّد بن أبى بكر بأمره، فبعث فى طلبه، فجىء به إليه، فقال له: غلام من أنت؟ فأقبل مرّة يقول: غلام مروان، و مرّة يقول: غلام عثمان، حتّى عرفه رجل أنّه لعثمان، فقال له محمّد: إلى من أرسلك؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بماذا؟ أما معك كتاب؟ قال: لا. ففتشوه، فلم يجدوا معه كتابا، و كانت معه إداوة قد يبست، فيها شىء يتقلقل، فحرّكوه ليخرج فلم يخرج، فشقّوا إداوته، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبى سرح، فجمع محمّد بن أبى بكر من كان معه من المهاجرين و الأنصار، و فكّ الكتاب بمحضر منهم، فقرأه، فإذا فيه: إذا أتاك محمّد بن أبى بكر و فلان و فلان و فلان فاقتلهم، و أبطل كتابهم، و قرّ على عاملك حتّى يأتىك رأبى.

فلما رأوا الكتاب فزعوا منه، و رجعوا إلى المدينة، و ختم محمّد بن أبى

ص: ١٨٣

بكر الكتاب بخواتم نفر الذين كانوا معه، و دفعه إلى رجل منهم، ثم قدموا المدينة، فجمعوا طلحة و الزبير و عليا و سعدة، و من كان من أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم، ثم فكوا الكتاب بمحضر منهم، و أخبرهم بقصة الغلام، و أقرأهم الكتاب، فلم يبق أحد من المدينة إلّا حنق^{٤٤٦} على عثمان. و قام أصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم فلحقوا بمنزلهم، و حصر الناس عثمان و أحاطوا به^{٤٤٧}.

ثم من المضحك أن ابن أبي الحديد نقل كلام المرتضى في ردّ قاضى القضاء فى دفاعه عن مطاعن عثمان. و قال ابن أبي الحديد نفسه: الجواب عن هذه المطاعن على وجهين: إجمالاً و تفصيلاً: أمّا الإجمالى، فإننا لا ننكر أن عثمان أحدث أحداثاً أنكرها كثير من المسلمين، و لكننا ندعى مع ذلك أنها لم تبلغ درجة الفسق، و لا أحبطت ثوابه، و أنّها من الصغائر التى وقعت مكفرة، و ذلك لأننا قد علمنا أنه مغفور له، و أنّه من أهل الجنة لثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه من أهل بدر، و قد قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: إنّ الله اطّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم، فقد غفرت لكم! لا يقال: عثمان لم يشهد بدرًا، لأننا نقول:

صدقتم، لكنّه تخلف على رقية بنته النبي لمرضها، و ضرب له النبي بسهمه و أجره باتفاق سائر الناس.

و ثانيها: أنّه من أهل بيعة الرضوان الذين قال تعالى فيهم: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^{٤٤٨}. لا يقال: إنّهُ لم يشهد بيعة الشجرة لأننا نقول: صدقتم، لكن النبي كان أرسله إلى أهل مكة، و لأجله كانت بيعة الرضوان، حيث أرجف^{٤٤٩} بأن قريشا قتل عثمان، فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: «إن

ص: ١٨٤

كانوا قتلوه، لأضرمّنها عليهم نارًا»، ثمّ جلس تحت الشجرة، و بايع الناس على الموت، ثمّ قال: «إن كان عثمان حيًا فأنّا ابايع عنه»، فصيح بشماله على يمينه، و قال: «شمالى خير من يمين عثمان». روى ذلك جميع أرباب السيرة متفقًا عليه.

و ثالثها: أنّه من جملة العشرة الذين تظاهرت الأخبار بأنهم من أهل الجنة.

و إذا كانت هذه الوجوه الثلاثة دالة على أنّه مغفور له، و أنّ الله قد رضى عنه، و هو من أهل الجنة، بطل أن يكون فاسقًا، فاقترضت بأن يحكم أن كلّ ما وقع منه فهو من باب الصغائر المكفرة^{٤٥٠}.

^{٤٤٦} (١) حنق عليه: اغتاظ، و الحنق: الغيظ. (الصحيح: ٤: ١٤٦٥، مادة: حنق).

^{٤٤٧} (٢) الإمامة و السياسة لابن قتيبة: ١: ٣٥-٣٧، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٤٤٨} (٣) الفتح: ١٨.

^{٤٤٩} (٤) أرجف القوم إذا خاضوا فى الأخبار السيئة و ذكر الفتن، قال الله تعالى: «إِذْ وَ الْمُؤْمِنُونَ فِي الْمَدِينَةِ» (E) (الأحزاب: ٦٠). و هم الذين يؤلّدون الأخبار الكاذبة

التي يكون معها اضطراب فى الناس. (لسان العرب ٥: ١٥٣، مادة: رجف).

قلت: بقاء عدالة عثمان مع تلك الأعمال كبقاء طهارة امرأة قد كانت تأتيها الرجال، فكانت إذا قامت من تحت رجل بالدلال، و ثبت إلى الصلاة بلا إمهال، فقال لها رجل: إني أتعجب من استحكام وضوئك، أيّ وضوء هو! لا تستطيع تلك الجنابات المتواترة أن تؤثر فيه؟! و ليت ابن أبي الحديد كان حاضرا يوم الشورى حتى يجيب المقداد عن طعنه في عثمان، فقال المقداد ذلك اليوم من وراء الباب لما لم يدخلوه: يا معشر المسلمين، إن وليتموها أحدا، فلا تولوها من لم يحضر بدرا، و انهزم يوم أحد، و لم يحضر بيعة الرضوان، و وليّ الدبر يوم التقى الجمعان^{٤٥١}.

و عثمان نفسه لم يدر أن يجيب المقداد بجواب ابن أبي الحديد المنطقيّ ذاك الذي بالشكل الأوّل الذي بديهى الإنتاج، بل أجابه بالتهديد، فقال: «أما والله

ص: ١٨٥

لئن وليتها لأردنك إلى ربك الأوّل»^{٤٥٢}.

و الأصل في ترتيب وجوهه معاوية بن أبي سفيان، فإذا كان معاوية هو الحاكم يوم الجزاء يتنى على ابن أبي الحديد أحسن الثناء!

٥

الخطبة (٣٠) و من كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان:

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلًا - أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا - غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مِنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ - وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي - وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرُهُ اسْتَأْثَرَ فَاسَاءَ الْأَثَرَةَ - وَجَزَعْتُمْ فَاسَأْتُمْ الْجَزَعَ - وَلِلَّهِ حُكْمٌ وَأَقْعٌ فِي الْمُسْتَأْثَرِ وَالْجَزَعِ أَقُولُ: رواه (رسائل الكليني - الرسائل - الكليني) جزء كتاب كتبه عليه السلام ليقرأ على الناس لما سأله عن أبي بكر، و عمر، و عثمان بعد فتح معاوية لمصر، و قتل محمد بن أبي بكر، رواه مع زيادات، و هذا نصّه: و أما أمر عثمان، فكانه علم من القرون الأولى «عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى»^{٤٥٣}. خذله أهل بدر، و قتله أهل مصر. و الله ما أمرت و لا نهيت و لو أنّي أمرت كنت قاتلا، و لو أنّي نهيت كنت ناصرا، و كان الأمر لا ينفع فيه العيان و لا يشفى منه الخبر، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، و لا يستطيع من خذله أن يقول: نصره من هو خير مني، و أنا جامع أمره: استأثر فأساء الأثره، و جزعتم

ص: ١٨٦

^{٤٥٠} (١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٦٨ - ٦٩.

^{٤٥١} (٢) إشارة إلى الآية ١٥٥ من سورة آل عمران.

^{٤٥٢} (١) أمالي المفيد: ١١٤ - ١١٥، الجمل: ١٢٢.

^{٤٥٣} (٢) طه: ٥٢.

فأسأتم الجزع، و الله يحكم بينكم و بينه، و الله ما يلزمنى فى دم عثمان تهمه^{٤٥٤}.

و رواه (مسترشد ابن رستم الطبرى- المسترشد- ص ١٠٠، المطبعة الحيدرية، النجف ابن رستم الطبرى) أخصر منه^{٤٥٥}.

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السّلام فى معنى قتل عثمان».

أقول: و له عليه السّلام كلام آخر فى معنى قتله، رواه ابن قتيبة فى (عيونه) عن القاسم بن الحسن، عن خالد بن خدّاش، عن حمّاد، عن مجالد، عن عمير بن روذى قال: خطبنا علىّ عليه السّلام فقال: «لئن لم يدخل الجنّة إلّا من قتل عثمان لا أهلها، و لئن لم يدخل النار إلّا من قتل عثمان لا أدخلها»، فقيل له: ما صنعت فرقت الناس! فخطبهم فقال: إنكم أكثرتم فى قتل عثمان، ألا و إنّ الله قتله و أنا معه^{٤٥٦}.

و قال ابن قتيبة: حدّثنا خالد، عن حمّاد، عن حبيب بن الشهيد عن محمّد بن سيرين قال: كلمة عربيّة، و لها وجهان، أى: و سيقتلنى معه^{٤٥٧}.

و رواه ابن عبد البر فى (استيعابه) إلى «و لئن لم يدخل النار إلّا من قتل عثمان لا أدخلها»^{٤٥٨}.

و روى كاتب الواقدى كما فى (الشافى) عن عبيدة السلمانى، قال:

سمعت عليّا عليه السّلام يقول: من كان سائلى عن دم عثمان، فإنّ الله قتله و أنا معه^{٤٥٩}.

و أمّا ما نقله ابن قتيبة^{٤٦٠} عن ابن سيرين أنّه قال: معناه «و سيقتلنى

ص: ١٨٧

معه»، إن أراد بقوله: معناه هذا، أنّه تعالى يتوفّاه لقوله تعالى: «اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا»^{٤٦١} فلا اختصاص به عليه السّلام، و لم يصّر جوابا، و لم ينطبق عليه العربيّة، و إن أراد غيره فليبينه.

^{٤٥٤} (١) لا وجود لرسائل الائمة للكلينى، و انما نقله قدس سرّه من مصادر أخرى.

^{٤٥٥} (٢) مسترشد ابن رستم الطبرى: ١٠٠، المطبعة الحيدرية، النجف.

^{٤٥٦} (٣) عيون الأخبار ٢: ٢٠٦-٢٠٧، العقد الفريد ٥: ٥٢.

^{٤٥٧} (٤) عيون الأخبار ٢: ٢٠٧.

^{٤٥٨} (٥) لم أجده فى الاستيعاب.

^{٤٥٩} (٦) الشافى فى الإمامة.

^{٤٦٠} (٧) عيون الأخبار ٢: ٢٠٧.

^{٤٦١} (١) الزمر: ٤٢.

و مما يوضح أنه عليه السلام أراد ظاهره ما قاله كاتب الواقدي كما في (الشافى): روى شعبة عن أبي حمزة الضبعى قلت لابن عباس: إن أبي أخبرني أنه سمع عليًا عليه السلام يقول: «ألا من كان سائلي عن دم عثمان، فإن الله قتله و أنا معه». قال: صدق أبوك. هل تدري ما يعنى بقوله؟ إنما عنى أن الله قتله، و أنا مع الله^{٤٦٢}.

و ما رواه نصر بن مزاحم في (صفينته): أن عمرو بن العاص قال لعمّار:

ما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كل سوء. قال عمرو: فعلى قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ على قتله و علىّ معه. قال عمرو: أ كنت فيمن قتله؟ قال: كنت مع من قتله و أنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عمّار:

و قد قال فرعون قبلك لقومه: «أ لا تستمعون»^{٤٦٣}.

قوله عليه السلام: «لو أمرت به لكنت قاتلا، أو نهيت عنه لكنت ناصرا» في (صفين نصر): خرج جرير البجليّ - أيام كونه بالشام لما بعثه علىّ عليه السلام إلى معاوية لأخذ البيعة - يتجسس الأخبار، فإذا هو بسلام (يتغنى) علىّ قعود له، و هو يقول:

و أشتر و المكشوح جرّوا الدواهيا^{٤٦٤}

حكيم و عمّار الشجا و محمّد

ص: ١٨٨

و صاحبه الأدنى أشاب النواصيا

و قد كان فيها للزبير عجاجة

فلا أمر فيها و لم يك ناهيا

فأمّا علىّ فاستغاث ببيته

^{٤٦٢} (٢) الشافى في الإمامة ٤: ٣٠٨.

^{٤٦٣} (٣) وقعة صفين: ٣٣٨ - ٣٣٩، شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٢، و الآية ٢٥ من سورة الشعراء.

^{٤٦٤} (٤) حكيم بن جبلة بن حصن العبدى كان من عمّال عثمان علىّ السند ثمّ البصرة، و قتل بها يوم الجمل. اسد الغابة ٢: ٣٩ - ٤٠. و عمّار هو عمّار بن ياسر الصحابى، و محمّد هو ابن أبي بكر، و الأشتر لقب مالك بن الحارث، و المكشوح هو المرادى. قال الزبيدى فى تاج العروس ٧: ٧٦: سمى المكشوح المرادى حلفا، و نسبه فى بجيلة ثمّ فى بنى أحمس، و اسمه هبيرة بن هلال، و يقال: عبد يعوث بن هبيرة بن الحارث. و فى الروض الأنف: و إنما سمى مكشوحا لأنّه ضرب بسيف على كشحه.

فقال له جرير: يا بن أخي، من أنت؟ قال: أنا غلام من قريش، وأصلى من ثقيف، أنا ابن المغيرة بن الأخنس، قتل أبي مع عثمان يوم الدار. فعجب جرير من قوله، وكتب بشعره إلى عليّ عليه السلام، فقال عليّ عليه السلام: والله ما أخطأ الغلام شيئاً^{٤٦٥}.

و في (العقد الفريد): قال حسّان بن ثابت لعليّ: إنك تقول: ما قتلت عثمان و لكن خذلته، و لم أمر به و لكن لم أنه عنه. فالخاذل شريك القاتل، و الساكت شريك القاتل.

و أخذ معنى كلام حسّان، كعب بن جعيل التغلبي - و كان مع معاوية في صفين - فقال:

و ما في عليّ لمستحدث	مقام سوى عصمة المحدثينا
و إيثاره لأهالي الذنوب	و رفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه زوى وجهه	و عمى الجواب على السائلينا ^{٤٦٦}
فليس يراض و لا ساخط	و لا في النهاء و لا الآمرينا
و لا هو ساء و لا سرّه	و لا بدّ من بعض ذا أن يكونا. ^{٤٦٧}

ص: ١٨٩

و في (خلفاء ابن قتيبة) لما اخبر عمرو بن العاص و هو بفلسطين، أن عثمان قد قتل، و أن الناس بايعوا عليّ عليه السلام قال: فما فعل عليّ في قتله عثمان؟

قيل له: دخل عليه الوليد بن عقبة، فسأله عن قتله، فقال: ما أمرت و لا نهيت، و لا سرّني و لا ساءني.

^{٤٦٥} (١) وقعة صفين: ٥٤ - ٥٥، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٨٦ - ٨٧.

^{٤٦٦} (٢) روى وجهه: صرفه و نحاه. (لسان العرب ٦: ١١٩، مادة: زوى).

^{٤٦٧} (٣) العقد الفريد ٥: ٤٧ و البيت الآخر فيه هكذا:

قال: فما فعل بقتلته؟ فقيل له: آواهم. فقال عمرو: خلط و الله أبو الحسن.

ثم كتب عمرو إلى سعد بن أبي وقاص يسأله عن قتل عثمان، و من قتله؟ فكتب إليه سعد: أنك سألتني عن قتل عثمان، و إنني أخبرك أنه قتل بسيف سلته عائشة، و صقله طلحة، و سمّه ابن أبي طالب! و سكت الزبير بلسانه و أشار بيده، و أمسكنا نحن، و لو شئنا دفعنا عنه^{٤٦٨}.

و في (العقد): قال العتبي: قال رجل من بني ليث: لقيت سعدا، فقلت له: من قتل عثمان؟ قال: سيف سلته عائشة، و شحذه طلحة، و سمّه علي^{٤٦٩}.

و في (خلفاء ابن قتيبة): قال أبو ثور: كنت فيمن حاصر عثمان، فكنت آخذ سلاحي و أضعه، و عليّ عليه السلام ينظر إليّ لا يأمرني و لا ينهاني، فلمّا كانت البيعة له، خرجت في أثره^{٤٧٠}.

و في (صفين نصر): طلب معاوية من عبيد الله بن عمر أن يشهد عليّ عليه السلام بقتل عثمان، فقام و قال:

و دَبُّوا حوَالِيهِ دَبِيبَ الْعِقَارِبِ

و لَكِنَّهُ قَدْ قَرَّبَ الْقَوْمَ جِهْدَهُ

و أَطْرَقَ إِطْرَاقَ الشَّجَاعِ الْمَوَاتِبِ^{٤٧١}

فَمَا قَالَ أَحْسَنْتُمْ وَ لَا قَدْ أَسَأْتُمْ

و في (العقد) عن قيس بن رافع قال: قال زيد بن ثابت: رأيت عليّا

ص: ١٩٠

مضطجعا في المسجد، فقلت له: إن الناس يرون أنك لو شئت رددت الناس عن عثمان. فجلس ثم قال: و الله ما أمرتهم بشيء و لا دخلت في شيء من شأنهم.

فأتيت عثمان فأخبرته، فقال:

د حَتَّى إِذَا اضْطَرَمْتُ أَحْجَمًا (أَجْذَمًا)^{٤٧٢})

و حَرَّقَ قَيْسٌ عَلِيَّ الْبَلَاءِ

^{٤٦٨} (١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ٤٧-٤٨، و النقل بتصرف يسير.

^{٤٦٩} (٢) العقد الفريد ٥: ٤٦.

^{٤٧٠} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٤٦-٤٧.

^{٤٧١} (٤) وقعة صفين: ٨٢-٨٤، شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٠-١٠١، و نقله الشارح بتلخيص.

و روى (الشافى) عن الواقدى، عن الحكم بن الصلت، عن عمّار، عن أبيه، قال: رأيت عليًا عليه السّلام على منبر النّبىّ صلّى الله عليه وآله وسلّم حين قتل عثمان، وهو يقول: ما أحببت قتله ولا كرهته، ولا أمرت به ولا نهيت عنه^{٤٧٣}.

و عن (كاتب الواقدى) مسندا عن أبى خلدَةَ (جلدَة) قال: سمعت عليًا عليه السّلام وهو يخطب فذكر عثمان وقال: والله الذى لا إله إلا هو ما قتلتُه، ولا مالأت على قتله، ولا ساءنى^{٤٧٤}.

هذا، ولعلّ قوله عليه السّلام فى قتل عثمان: «ما أمرت ولا نهيت، ولا رضيت ولا سخطت» فى قبال قول أبى سفيان لما مثلت امرأته هند بعمّه حمزة فى احد، فأشرف أبو سفيان على المسلمين وقال: «أما إنّها قد كانت فيكم مثله ما أمرت بها ولا نهيت عنها، ولا سرتنى ولا ساءتنى»^{٤٧٥}.

هذا، و فى (المروج): لما قتل الأمين قتل لزيدة: ما يجلسك وقد قتل ابنك؟ فقالت: و ما أصنع؟ فقيل: تخرجين فتطلبين بشأره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان. فقالت: أخسأ لا أمّ لك، ما للنساء و طلب الثأر؟ ثمّ أمرت بشياها فسوّدت، و لبست مسحا من شعر، و دعت بدواة و قرطاس، و كتبت إلى

ص: ١٩١

المأمون ما لقت من طاهر، و قتله لابنها. فلما قرأ المأمون كتابها قال: اللهمّ إنّى أقول كما قال أمير المؤمنين على عليه السّلام لما بلغه قتل عثمان: والله ما أمرت به ولا نهيت عنه...^{٤٧٦}.

و من المضحك أنّ ابن أبى الحديد قال: لا يجوز أن يحمل كلامه عليه السّلام:

«لو أمرت به لكنت قاتلا، أو نهيت عنه لكنت ناصرا» على ظاهره، لما ثبت من عصمة دم عثمان. و أيضا ثبت فى السير أنّه كان ينهى الناس عن قتله، فيحمل لفظ النهى على المنع كما يقال: «الأمير ينهى عن نهب أموال الرعية»، أى: يمنع، و حينئذ يستقيم الكلام، لأنّه ما أمر بقتله ولا منع عن قتله، و إنّما كان ينهى عنه باللسان، و لا ينهى (يمنع) عنه باليد. و لأجل أشباه هذا الكلام

^{٤٧٢} (١) العقد الفريد لابن عبد رب ٥: ٤٩.

^{٤٧٣} (٢) الشافى فى الإمامة ٤: ٣٠٧-٣٠٨.

^{٤٧٤} (٣) المصدر نفسه ٤: ٣٠٨.

^{٤٧٥} (٤) تاريخ الطبرى ٢: ٥٢١، سنة ٣.

^{٤٧٦} (١) مروج الذهب ٣: ٤٢٣-٤٢٤. و فى المصدر: والله ما قتلت، ولا أمرت، ولا رضيت.

كقولهِ: «ما سرّني و لا ساءني». و قوله لَمَّا قيل له: أرضيت بقتله؟ قال: لم أرض. فقيل له: أسخّطت قتله؟ فقال: لم أسخّط. و قوله: «اللّه قتله و أنا معه» قال كعب أبياته - و نقل تلك الأبيات - و للكلّ تأويل يعرفه أولو الألباب^{٤٧٧}.

قلت: بل ينكره ذوات الأذنان فضلا عن أولى الألباب. و لو صحّ ما قاله لكان كلّ باطل حقّا، و كلّ منكر معروفا.

و كيف يقول: نهى عليه السّلام عنه باللسان و عمّار يصيح بين يديه في صفّين:

«اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان، و يزعمون أنّه قتل مظلوما. و اللّه إن كان إلّا ظالما لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل اللّه»^{٤٧٨}؟

ثمّ إن كان المصريون و البصريون و الكوفيون الذين جاءوا لقتله لا يطيعونه عليه السّلام هل كان عمّار لا يطيعه، و هو الذي يقول له عليه السّلام: إن أمرتني أن

ص: ١٩٢

ألقي بنفسي في البحر لفلعت^{٤٧٩}. و هل كان محمّد بن أبي بكر لا يطيعه و هو كان أطوع له من ولده غير الحسين عليهما السّلام^{٤٨٠}. و هل كان الأشتر لا يطيعه و كان عليه السّلام يقول: ليت في أصحابي عدّة مثله في إطاعته لي في كلّ كليّ و جزئي^{٤٨١}.

و كيف جاهر عليه السّلام قبل خلافته بوجوب قتل عبيد اللّه بن عمر قاتل هرمزان العجمي^{٤٨٢}، و دافع في خلافته عن قتله إمامهم الثالث؟! و كيف يقول بعصمة دم عثمان و لَمَّا بعث معاوية شرحبيل بن السمط، و حبيب بن سلمة، و معن بن يزيد إليه عليه السّلام قال له شرحبيل - كما في (الطبري) و غيره -: أ تشهد أنّ عثمان قتل مظلوما؟ قال عليه السّلام: لا. قال شرحبيل: فمن لم يزعم أنّ عثمان قتل مظلوما فنحن منه برآء. ثمّ قام فانصرف. فقال عليّ عليه السّلام:

^{٤٧٧} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٧-١٢٨، بتصرّف و تلخيص من الشارح.

^{٤٧٨} (٣) وقعة صفّين لابن مزاحم: ٣٢٦، شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠.

^{٤٧٩} (١) ذكر نصر بن مزاحم في وقعة صفّين: ٣٢٠ دعاء عمّار و أنّه قال: اللهمّ إنك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفلعت - إلى أن قال: اللهمّ و إنّي أعلم ممّا أعلمتني أنّي لا أعلم (أعلم) اليوم عملا هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، و لو أعلم اليوم عملا أرضى لك منه لفلعت، و نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٥: ٢٥٣.

^{٤٨٠} (٢) سفينة البحار للمحدّث القمي رحمه اللّه ١: ٣١٢-٣١٣.

^{٤٨١} (٣) قال الإمام عليّ عليه السّلام في الأشتر: ليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحدا يرى في عدوّه (عدوى) مثل رأيي، إذا لخت عليّ مؤنتكم ... وقعة صفّين: ٥٢١، تاريخ الطبري ٥: ٥٩، سنة ٣٨، الإرشاد ١: ٢٦٩، الكامل في التاريخ ٣: ١٦٣، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٤٠، بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٥٠٥، ٥٩٣.

^{٤٨٢} (٤) وقعة صفّين: ١٨٦.

«إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَ مَا أَنْتَ بِهَادِيَ الْعُمَى عَنِ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ»^{٤٨٣}.

و كيف لم يكن مباح الدم و لما كتب معاوية- كما فى (العقد)- إليه عليه السّلام:

ص: ١٩٣

قتلت ناصرك، و استنصرت و اترك^{٤٨٤}! فایم الله لأرمیتك بشهاب تذکیه الريح و لا تطفئه الماء، فإذا وقع وقب^{٤٨٥}، و إذا مسّ ثقب، فلا تحسبني كسحيم، أو عبد القيس، أو حلوان الكاهن» كتب عليه السّلام إليه: (ما قتل ابن عمك غيرك، و إنى أرجو أن ألحقك به على مثل ذنبه و أعظم من خطيئته)^{٤٨٦}. غير أن من نصره لا يستطيع أن يقول: «خذله من أنا خير منه»، و من خذله لا يستطيع أن يقول:

«نصره من هو خير منى». «فمن نصره» كان مروان بن الحكم، و المغيرة بن الأخنس و نظراؤهما من المنافقين، و «من خذله» كان منهم أجلة المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان، فنصره لا يمكنه لوضوح فسقه ادعاء كونه خيرا من خذله، كما أن خذله لثبوت تدبئه لا يمكنه الإقرار على نفسه بكون نصره خيرا منه.

و هذا الكلام- ككلامه الأوّل المشتمل على عدم نهييه عليه السّلام عن قتله، مع كونه عليه السّلام أمرا بالمعروف، ناهيا عن المنكر باتفاق المؤالف و المخالف- دالّ على باحة قتله، فإنّ حقّ الامور و باطلها يعلمان من متصدّيهما، فإذا كان نصره لا يستطيع أن يدعى تلك الدعوى، و خذله لا يستطيع أن يقرّ ذاك الإقرار، يفهم أنّ جواز قتله كان بمثابة من الوضوح الذى لا يعتريه مرية، و كيف لا و قاتلوه من الأجلة الذين اعترف المخالف بجلالهم، مثل عمّار الذى يكفى فى جلاله قول النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم المتواتر فيه: «عمّار تقتله الفئة الباغية»^{٤٨٧}. و قد أقرّ عمّار كما

ص: ١٩٤

مرّ بانه من قتلته، و أنّهم قتلوه لأنّه أراد أن يغيّر دين الله^{٤٨٨}.

^{٤٨٣} (٥) وقعة صفين: ٢٠١-٢٠٢، تاريخ الطبرى ٥: ٨، سنة ٣٧، شرح ابن أبى الحديد: ٢٤، و الآيتان ٨٠-٨١ من سورة النمل.

^{٤٨٤} (١) يقال: وتر فلانا: أى قتل حميمه، و أفزعه، و كلّ من أدركته بمكروه فقد وترته. (لسان العرب ١٥: ٢٠٥ مادة: وتر).

^{٤٨٥} (٢) وقب الشيء يقب وقبا، أى: دخل. (الصحاح ١: ٢٣٤، مادة: وقب).

^{٤٨٦} (٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٨٢.

^{٤٨٧} (٤) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة. نذكر هنا أهمّ المصادر التى نقلت ذلك، حسب الترتيب التاريخى:

وقعة صفين: ٣٢٤ و ٣٢٤، التفسير المنسوب إلى الامام العسكرى: ٦٢٥، سيرة ابن هشام ٢: ١٤٢، الطبقات الكبرى ١: ٢٤١، تاريخ يعقوبى ٢: ١٨٨، تاريخ الطبرى ١٠: ٥٩، العقد الفريد ٥: ٨٩، عيون أخبار الرضا عليه السّلام، مستدرک الحاكم ٣: ٣٨٥-٣٨٦، تاريخ بغداد ٢: ٢٨٢ عن أبى قتادة و ٧: ٤١٤ عن عبد الله بن عمر و

٨: ٢٧٥ عن حذيفة و ١١: ٢١٨ عن عثمان بن عفّان و ١٣: ١٨٧ عن أبى أيوب، الخرائج و الجرائح، شرح ابن أبى الحديد ٨: ١٠.

^{٤٨٨} (١) وقعة صفين: ٣٣٨-٣٣٩، شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٢.

و قال ابن قتيبة: لما أرسل عليّ عليه السّلام عمّارا إلى الكوفة لنفر الناس إليه قال عمّار: يا أهل الكوفة! إن كان غاب عنكم امورنا فقد انتهت إليكم أنباؤنا^{٤٨٩}، إن قتلته عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس، و لا ينكرون ذلك، و قد جعلوا كتاب الله بينكم و بين محاجّيتهم، فبكتابه أحيا الله من أحيا، و أمات من أمات^{٤٩٠}.

و من قتلته محمّد بن أبي بكر، و في (الطبرى): أن معاوية بن حديج لما قال لمحمّد بن أبي بكر: أفتلك بعثمان، قال له محمّد: إن عثمان عمل بالجور، و نبذ حكم القرآن، و قد قال تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^{٤٩١}، فنقمنا ذلك عليه فقتلناه^{٤٩٢}.

و من قتلته عمرو بن الحمق الخزاعي: و في (الطبرى): جلس عمرو بن الحمق على صدر عثمان و به رمق، فطعنه تسع طعنات، و قال: فأما ثلاث منهنّ فإنّي طعنتهنّ إيّاه لله، و أمّا ستّ فإنّي طعنتهنّ إيّاه لما كان في صدرى عليه^{٤٩٣}.

و يكفى فى إباحة دمه إجماع المهاجرين و الأنصار على قتله بخذلانهم إيّاه، قال الفضل بن عباس فى أبياته فى ردّ الوليد بن عقبة:

لكانوا له من ظلمه حاضرى النصر

فلو رأّت الأنصار ظلم ابن عمّكم

ص: ١٩٥

و أن يسلموه للأحاييش من مصر^{٤٩٤}

كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله

^{٤٨٩} (٢) فى المصدر: إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت إليكم امورنا.

^{٤٩٠} (٣) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ٦٧.

^{٤٩١} (٤) المائة: ٤٧.

^{٤٩٢} (٥) تاريخ الطبرى ٥: ١٠٤، سنة ٣٨.

^{٤٩٣} (٦) المصدر نفسه ٤: ٣٩٤، سنة ٣٥.

^{٤٩٤} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٢٦، سنة ٣٥.

و لم نقل: إن قتلته كلهم كانوا مؤمنين، فكان فيهم طلحة و الزبير و نظراؤهما، و إنما نستدلّ بفعل مؤمنهم، و لذا كان حذيفة بن اليمان - كما روى (شافى المرتضى) من طرفهم - يقول: ما فى عثمان بحمد الله شك، لكننى أشكّ فى قاتله، لا أدرى أ كافر قتل كافرا، أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتى قتله؟

هو أفضل أهل الايمان (المؤمنين) إيمانا^{٤٩٥}.

و روى الطبرى: أن عثمان نبذ ثلاثة لا يدفن ثم إن حكيم بن حزام، و جبير بن مطعم كلّما عليّا عليه السّلام فى دفنه، و طلبا إليه أن يأذن لأهله فى ذلك، ففعل. فلما سمع الناس بذلك قعدوا إليه فى الطريق بالحجارة، و خرج به ناس يسير من أهله، و هم يريدون به حائطا بالمدينة، يقال له: حشّ كوكب^{٤٩٦}، كانت اليهود تدفن موتاهم فيه، فلما خرج على الناس رجما سريره، و همّوا بطرحه، فبلغ ذلك عليّا عليه السّلام، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفّنّ عنه، ففعلوا، فانطلق به حتى دُفن فى حشّ كوكب. فلما ظهر معاوية على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتى أفضى به إلى البقيع، و أمر الناس أن يدفنوا حوله حتى اتّصل بمقابر المسلمين^{٤٩٧}.

و فى (الطبرى): قال أبو كرب عامل عثمان على بيت المال: إن عثمان دُفن بين المغرب و العتمة، لم يشهد جنازته إلّا مروان و ثلاثة من مواليه و ابنته الخامسة، فناحت (ابنته) فأخذ الناس الحجارة، و قالوا:

ص: ١٩٦

نعنل نعل! و كادت ترجم^{٤٩٨}.

و فى (الطبرى): كان قتل معه عبده نجيب و صبيح، فجرّأ بأرجلهما فرمى بهما على البلاط، فأكلتهما الكلاب، و لم يغسل عثمان و لا غلاماه، و لما وضع ليصلّى عليه، جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه^{٤٩٩}.

و فى (صفي بن مزاحم): سأل معاوية النعمان بن بشير أن يخرج إلى قيس بن سعد بن عبادة، فيعاتبه و يسأله السلم. فخرج النعمان حتى وقف بين الصفيين فقال: يا قيس، أنا النعمان بن بشير. فقال قيس: هيه يا بن بشير، فما حاجتك؟ فقال: أستم معشر الأنصار تعلمون أنّكم أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار، و قتلتم أنصاره يوم الجمل، و أقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفين؟ فلو كنتم إذ خذلت عثمان خذلت عليّا لكانت واحدة بواحدة، و لكنكم خذلتم حقّا، و نصرتم باطلا، ثم لم ترضوا

^{٤٩٥} (٢) الشافى فى الإمامة ٤: ٢٩١ - ٢٩٢.

^{٤٩٦} (٣) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان ٢: ٢٦٢: حشّ كوكب: موضع عند بقيع الغرقد اشتراه عثمان بن عفّان و زاده فى البقيع، و لما قتل ألقى فيه ثم دُفن فى جنبه.

^{٤٩٧} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٤١٢، سنة ٣٥.

^{٤٩٨} (١) المصدر نفسه.

^{٤٩٩} (٢) المصدر نفسه ٤: ٤١٣ - ٤١٥، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرّف و تقديم و تأخير.

أن تكونوا كالناس حتى أعلمتم في الحرب و دعوتهم إلى البراز، ثم لم ينزل بعليّ أمر قطّ إلّا هونتتم عليه المصيبة، و وعدتموه الظفر. و قد أخذت الحرب منّا و منكم ما قد رأيتم، فاتقوا الله في البقية.

فضحك قيس ثمّ قال: ما كنت أراك يا نعمان تجترىء على هذه المقالة، لكن لا ينصح أخاه من غشّ نفسه، و أنت و الله الغاشّ الضالّ المضالّ، أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها منّي، واحدة قتل عثمان من لست خيرا منه، و خذله من هو خير منك ...^{٥٠٠}.

و كيف لم يكن مباح الدم و شهد حجر بن عدىّ و أصحابه الذين قالوا: لو

ص: ١٩٧

لم يكن في معاوية إلّا قتله لهم لكفاه في هلاكته بذلك.

ففي (الطبرى) - بعد ذكر بعث زياد بهم إلى الشام، و بعث معاوية جمعا لقتلهم - قال أصحاب معاوية لحجر و أصحابه: يا هؤلاء، رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة، و أحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أوّل من جار في الحكم، و عمل بغير الحقّ^{٥٠١}.

و قال - في عبد الرحمن العنزى الذى كان أحد أصحاب حجر و لم يقتله معاوية معهم، بل ردّه إلى زياد فدفنه حيّا بقسّ الناطف - قال معاوية له: إيه يا أخا ربيعة، ما قولك فى علىّ؟ قال: دعنى و لا تسألنى فإنّه خير لك. قال: و الله لا أدعك حتى تخبرنى. قال: أشهد أنّه كان من الذاكرين الله كثيرا، و من الآمرين بالحقّ، و القائمى بالقسط، و العافى عن الناس. قال: فما قولك فى عثمان؟ قال:

هو أوّل من فتح باب الظلم، و أرتج أبواب الحقّ. قال له معاوية: قتلت نفسك.

قال: بل إيّاك قتلت^{٥٠٢}.

و كيف يقول ابن أبى الحديد بعصمة دمه، و كان سعد من خذلته، و طلحة و الزبير من قتلته، و هم من سنّة شورايم، و عشرتهم المبشرة.

و تسببت صديقتهم فى تحريضاتها عليه لقتله؟

^{٥٠٠} (٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٤٨ - ٤٤٩.

^{٥٠١} (١) تاريخ الطبرى ٥: ٢٧٥، سنة ٥١.

^{٥٠٢} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٢٧٦ - ٢٧٧، سنة ٥١.

و فى (كامل المبرد): كتب نافع إلى ابن الزبير: قد حضرت عثمان يوم قتل، فلعمري لئن كان قتل مظلوما لقد كفر قاتلوه و خاذلوه، و لئن كان قاتلوه مهتدين - و إنهم لمهتدون - لقد كفر من يتولاه و ينصره و يعضده. و لقد علمت أن أباك و طلحة و عليا كانوا أشد الناس عليه، و كانوا فى أمره (من) بين قاتل و خاذل، و أنت تتولى أباك و طلحة و تتولى عثمان. و كيف ولاية قاتل متعمد

ص: ١٩٨

و مقتول فى دين واحد! ٥٠٣.

ص: ١٩٩

و كان التضاد بينه و بين أمير المؤمنين عليه السلام كالتضاد بين معاوية و بينه عليه السلام أمرا بيننا عندهم، كما عند الشيعة، و إنما كان الفرق بين الشيعة و السنة ذاك اليوم تضاده عليه السلام مع أبى بكر و عمر أيضا، فالشيعة قائلون به بشهادة الدراية، و السنة ينكرونه بإنكار البدهة.

و كيف لم يكن تضاده عليه السلام مع عثمان واضحا، و كان نافع بن هلال الجملى من أصحاب الحسين عليه السلام يقاتل يوم الطف و يقول - كما فى (الطبرى) -: أنا الجملى أنا على دين على. فخرج إليه مزاحم بن حريث من أصحاب ابن سعد و قال: أنا على دين عثمان. فقال له نافع: أنت على دين شيطان ٥٠٤.

و كيف لم يكن بطلان أمر عثمان واضحا و قد باهل أصحاب الحسين عليه السلام أصحاب ابن سعد فى ذلك؟ ففى (الطبرى): قال عفيف بن زهير - و هو ممن شهد مقتل الحسين عليه السلام -: خرج يزيد ابن معقل من أصحاب ابن سعد فقال لبرير بن حضير من أصحاب الحسين عليه السلام كيف ترى الله صنع بك؟ قال: صنع الله و الله بى خيرا، و صنع بك شرا. قال له يزيد: كذبت، و قبل اليوم ما كنت كذابا، فهل تذكر و أنا أماشيكي فى بنى لوزان و أنت تقول: إن عثمان كان على نفسه مسرفا، و إن معاوية ضال مضل، و إن إمام الهدى و الحق على بن أبى طالب؟ فقال له برير: أشهد أن هذا رأى و قولى. فقال له يزيد: فإنى أشهد أنك من الضالين. فقال له برير: هل لك أن أباهلك ٥٠٥، و لندع الله أن يلعن الكاذب و أن يقتل المبطل، ثم نخرج للمبارزة؟ قال: نعم. فخرجا فرعا

ص: ٢٠٠

٥٠٣ (١) الكامل للمبرد ٢: ٢٢٩ - ٢٣٠.

٥٠٤ (١) تاريخ الطبرى ٥: ٤٣٥، سنة ٦١.

٥٠٥ (٢) المباهلة: الملاعة، و معنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا فى شىء فيقولوا: لعنة الله على الظالم منّا. (لسان العرب ١: ٥٢٢، مادة: بهل).

أيديهما يدعوا انه أن يلعن الكاذب، و أن يقتل المحقّ المبطل، ثم برز كل واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بريرا ضربة خفيفة لم تضره شيئا، و ضربه برير ضربة قدّدت المغفر، و بلغت الدماغ، فخرّ كأنما هوى من حالق، و إن سيف برير ثابت في رأسه، فكأنى أنظر إليه ينضضه^{٥٠٦} من رأسه - إلخ^{٥٠٧}.

و من المضحك أن (الطبرى) روى فى رواياته الخبيثة عن سيف: أن الحسن خرج يرتجز فى الدفاع عن عثمان مثل المغيرة بن الأخنس!^{٥٠٨} فيقال له: إذا كان الأمر كذلك لم يقول عمرو بن العاص للحسن عليه السلام لِمَا رآه فى الطواف - كما روى المدائنى عن زيد بن أرقم -: زعمت يا حسن، أن الدين لا يقوم إلّا بك و بأبيك، فقد رأيت الله أقامه بمعاويه، فجعله راسيا بعد ميله، و بينا بعد خفائه، أفرضى الله بقتل عثمان، أو من الحق أن تطوف بالبيت عليك ثياب كغرقىء^{٥٠٩} البيض، و أنت قاتل عثمان، و الله إنّه لألمّ للشعث، و أسهل للوعث، أن يوردك معاوية حياض أبيك، فقال له الحسن عليه السلام: إن لأهل النار علامات يعرفون بها، إلحادا لأولياء الله، و موالاته لأعداء الله، و الله إنك لتعلم أن عليّا عليه السلام لم يرتب فى الدين، و لم يشكّ فى الله ساعة و لا طرفه عين قطّ. و أيم الله لتنتهين يا بن أم عمرو أو لأنفذنّ حضيّك بنوافذ أشدّ من القعضية^{٥١٠}، فأيتاك و التهجم علىّ! فأنى من قد عرفت، لست بضعيف الغمزة، و لا هسّ المشاشة^{٥١١}،

ص: ٢٠١

و لا مرىء المأكلة، و إنى من قريش كواسطة القلادة، يعرف حسبى، و لا أدعى لغير أبى، و أنت من تعلم و يعلم الناس، تحاكتم فيك رجال قريش، فغلب عليك جزأرها، الأمهم حسبا، و أعظمهم لؤما، فأيتاك عنى، فأيتك رجس، و نحن أهل بيت الطهارة، أذهب الله عنّا الرجس، و طهّرنا تطهيرا. فأفحم عمرو و انصرف كئيبا^{٥١٢}.

و كيف لا يستحيون أن يقولوا: إن أمير المؤمنين أرسل الحسين للدفاع عن عثمان؟! و قد قتل بنو امية الحسين عليه السلام بعثمان، ففى الطبرى: كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أمّا بعد، فحل بين الحسين و أصحابه و بين الماء، و لا يدوقوا منه قطرة، كما صنع بالتقى الزكىّ المظلوم عثمان^{٥١٣}.

و فى (الطبرى) أيضا: لمّا جىء برأس الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد، دعا عبد الملك بن أبى الحارث السلمى، و قال له: انطلق حتى تأتي المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص - و كان يومئذ أمير المدينة - فبشره بقتل الحسين.

^{٥٠٦} (١) ينضضه: يحرّكه. (لسان العرب ١٤: ١٨٠، مادة: نضض).

^{٥٠٧} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٤٣١-٤٣٢، سنة ٦١.

^{٥٠٨} (٣) المصدر نفسه ٤: ٣٨٨، سنة ٣٥.

^{٥٠٩} (٤) الغرقىء: القشرة الملتزمة ببياض البيض. (لسان العرب ١٠: ٥٨، مادة: غرق).

^{٥١٠} (٥) قعضب: اسم رجل كان يعمل الأسنّة فى الجاهليّة، إليه تنسب أسنّة قعضب (لسان العرب ١١: ٢٤٦، مادة: قعضب).

^{٥١١} (٦) المشاشة: واحدة المشاش، و هى رءوس العظام اللينة التى يمكن مضغها (الصاح ٣: ١٠١٩، مادة: مشش).

^{٥١٢} (١) نقل عنه ابن أبى الحديد فى شرح التهج ١٦: ٢٧-٢٨.

^{٥١٣} (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٤١٢، سنة ٦١.

قال: فدخلت على عمرو فقال: ما وراءك؟ قلت: ما سرّ الأمير، قتل الحسين.

فقال: ناد بقتله. فناديت فلم أسمع و الله واعية^{٥١٤} مثل واعية نساء بنى هاشم في دورهنّ على الحسين، فقال عمرو متمثلاً ببيت عمرو بن معدى كرب و ضحك:

عجّت نساء بنى زياد عجةً
كعجيج نسوتنا غداة الأرنب^{٥١٥}

ثمّ قال: هذه واعية بواعية عثمان^{٥١٦}.

و فى (تذكرة سبط ابن الجوزى): قال ابن سعد كاتب الواقدي: دفن رأس

ص: ٢٠٢

الحسين عليه السلام بالمدينة عند أمّه، و ذكر الشعبى أنّ مروان كان بالمدينة فأخذ الرأس، و تركه بين يديه، و تناول أرنبة أنفه و قال:

يا حبّذا بردك فى العيدين
و لونك الأحمر فى الخدين

و الله لكأنى أنظر إلى أيام عثمان^{٥١٧}.

و من المضحك أنّ (المسعودى) قال: فلما بلغ عليّاً أنّهم يريدون قتله، بعث ابنه و مواليه بالسلّاح لنصرتّه، و بعث الزبير ابنه و بعث طلحة ابنه - إلى أن قال -: و جرح الحسن، و شجّ قنبر، و جرح محمد بن طلحة^{٥١٨}.

^{٥١٤} (٣) يقال: ارتفعت الواعية: الصراخ على الميت. و سمعت واعية القوم: أصواتهم. (أساس البلاغة: ٥٠٤، مادة: وعى).

^{٥١٥} (٤) فى رواية لسان العرب: بنى زييد بدل: بنى زياد. و الأرنب: موضع. (لسان العرب ٥: ٣٣١، مادة: رنب).

^{٥١٦} (٥) تاريخ الطبرى ٥: ٤٦٥-٤٦٦، سنة ٦١، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى: ٢٦٦.

^{٥١٧} (١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزى: ٢٦٥-٢٦٦.

^{٥١٨} (٢) مروج الذهب للمسعودى ٢: ٣٥٣-٣٥٤.

و كيف يرسل طلحة و الزبير ابنيهما لنصرته و هما كانا محرّضين على قتله إلى ساعة قتله؟ ففي (خلفاء ابن قتيبة): أن عمّارا لما جاء إلى الكوفة لنفر الناس في حرب الجمل قال: يا أهل الكوفة، و إن طلحة و الزبير كانا أوّل من طعن على عثمان، و آخر من أمر بقتله^{٥١٩}.

و كيف أرسل طلحة ابنه لنصرة عثمان و قد رماه مروان بسهم - مع كونه في جنده - فقتله و قال: أخذت ثأري من طلحة في عثمان^{٥٢٠}.

و إنّما المحقّق نصره ابن الزبير لعثمان من نفسه لا من قبل أبيه، حضر لنصره لأمرين، أحدهما: أنّه لما كان حريصا على الإمارة، و طالبا للخلافة يمكنه أن يدعى أن عثمان في حصاره نصّ عليه، فكان يدعى ذلك. و الثاني: أنّه علم أن عثمان إن قتل، يكون الأمر لأمر المؤمنين عليه السّلام، و كان كخالته أمّ مؤمنهم في كون ذلك أشدّ عليه من وقوع السماء عليه.

ص: ٢٠٣

روى المدائني: أن ابن الزبير قال يوما لمعاوية: أ تنكر شجاعتي و قد وقفت في الصفّ بإزاء عليّ، و هو من تعلم! فقال له معاوية: لا جرم أنّه قتلك و أباك بيسرى يديه، و بقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها. فقال له ابن الزبير: أما و الله ما كان ذلك إلّا في نصر عثمان فلم نجز به، فقال له معاوية: خلّ هذا عنك، فو الله لو لا شدة بغضك لابن أبي طالب لجررت برجل عثمان مع الضبع^{٥٢١}.

و كيف يعقل صحّة ما قال اولئك المصنفون؟ و قد قال عليه السّلام: «إنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، و من خذله لا يستطيع أن يقول: نصره من هو خير مني»^{٥٢٢}. فهل كان ناصرهم إلّا كندماء ابن عمّه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان؟ و لما أرادوا قتل الوليد أخذ مصحفا مثل عثمان، و قال: يومي (يوم) كيوم عثمان^{٥٢٣}. مع أنّه كان راميا المصحف بالسهم حتّى مزّقه^{٥٢٤}.

و في (الطبري): كان مع الوليد مالك المغنّي، و عمرو الوادي المغنّي، فلما تفرّق عن الوليد أصحابه، و حصر، قال مالك لعمر: اذهب بنا. فقال عمرو:

^{٥١٩} (٣) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ٦٧.

^{٥٢٠} (٤) أنساب الأشراف ٣: ٢٤٦، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٢، الجمل للمفيد: ٣٨٤، تذكرة الخواص: ٧٧، شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٣.

^{٥٢١} (١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢٠: ١٢٦.

^{٥٢٢} (٢) نهج البلاغة ١: ٧١-٧٢.

^{٥٢٣} (٣) تاريخ الطبري ٧: ٢٤٦، سنة ١٢٦.

^{٥٢٤} (٤) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٢٨.

ليس هذا من الوفاء، ونحن لا يعرض لنا لأننا لسنا ممن يقاتل، فقال مالك: ويلك! والله لئن ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلي و قبلك، فيوضع رأسه بين رأسينا، و يقال للناس: انظروا من كان معه في هذه الحال، فلا يعيبيونه بشيء أشد من هذا، فهربا^{٥٢٥}.

ص: ٢٠٤

و لعمر الله إن المغنبيين كانا أحسن من مروان صاحب عثمان، فقد كانا فاسقين بالعمل، و قد كان مروان من خبث النفس بحيث لا يوصف، فهو الذى قال للوليد بن عتبة ابن عم يزيد الذى كتب يزيد إليه: «خذ البيعة لى من الحسين»: احبس الحسين حتى يبايع أو تضرب عنقه. فقال له الوليد: اخترت لى التى فيها هلاك دينى، و الله ما احب أن لى ما طلعت عليه الشمس و غربت عنه من مال الدنيا و ملكها، و أنى قتلت حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال:

لا أبايع! و الله إنى لا أظنّ أمراً يحاسب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله تعالى يوم القيامة. فقال له مروان مستهزئاً به: إذا كان هذا رأيك فقد أصبت فى ما صنعت^{٥٢٦}.

و نفس عثمان و نفس مروان واحدة، «فالمرء على دين خليله»^{٥٢٧}.

و كيف يصحّ ما قالوا من أنه عليه السّلام و طلحة و الزبير بعثوا بنيهم للدفاع عن عثمان؟ و قد عرفت أن نافعاً حاجّ ابن الزبير، فحجّه بأنك تعلم أن أباك و طلحة و عليّاً كانوا أشد الناس على عثمان، و كانوا فى أمره من بين قاتل- و المراد أبوه و طلحة- و خاذل- يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام- و أنت تتولّى أباك و طلحة و عثمان. و كيف ولاية قاتل متعمّد و مقتول فى دين واحد!^{٥٢٨}.

و كيف يصحّ ما قالوا: من أنه عليه السّلام بعث ابنه للدفاع عن قتل عثمان، و كان عليه السّلام مدافعاً عن قتله عثمان، فلمّا قام أبو مسلم الخولاني^{٥٢٩} فى قرأء

^{٥٢٥} (٥) تاريخ الطبرى ٧: ٢٥٢، سنة ١٢٦.

^{٥٢٦} (١) المصدر نفسه ٥: ٣٤٠، سنة ٦٠.

^{٥٢٧} (٢) رواه الكليني فى الكافي ٢: ٣٧٥.

و قال ابن منظور فى لسان العرب ٤: ٢٠٢، مادة (خلل): و فى الحديث: المرء بخليله، أو على دين خليله، فلينظر امرؤ من يخال. و أورده الميداني فى مجمع الأمثال ٢: ٢٧٥ عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم و قال: المرء بخليله، أى: مقيس بخليله.

^{٥٢٨} (٣) الكامل للمبرد ٢: ٢٢٩ - ٢٣٠.

^{٥٢٩} (٤) هو عبد الله بن ثوب أحد الزّهاد الثمانية، تابعى، أصله من اليمن، أدرك الجاهلية و أسلم قبل وفاة النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم و لم يره، فقدم المدينة فى خلافة أبى بكر، و هاجر إلى الشام، توفى سنة ٦٢ هـ و دفن فى دارياً بدمشق. و كان للعامّة فيه اعتقاد عظيم. و لكنّه من أعوان معاوية و سيّء الرأى فى علىّ عليه السّلام. روى عن الفضل بن شاذان أنّه قال عند ذكره للزّهاد الثمانية: و أمّا أبو مسلم، فإنّه كان فاجراً مرأياً و كان صاحب معاوية، و هو الذى كان يحث الناس على قتال علىّ عليه السّلام.

انظر حلية الأولياء ٢: ١٢٢، الأعلام ٤: ٧٥، الكنى و الألقاب ١: ١٥٨.

ص: ٢٠٥

الشام إلى معاوية- كما في (صفيين نصر)- و قال له: علام تقاتل عليًا و ليس لك مثل صحبتته و لا قرابته و لا سابقته؟ قال: لست أدعى ذلك، و لكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما؟ فليدع إلينا قتلته فنقتلهم به، و لا قتال بيننا و بينه- إلى أن قال- فقال أبو مسلم لعليّ عليه السّلام: قد رأيت قوما مالك معهم أمر.

قال: و ما ذاك؟ قال: بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجّوا و اجتمعوا، و لبسوا السلاح، و زعموا أنّهم كلّهم قتلة عثمان. فقال له عليّ عليه السّلام:

و الله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفه عين، لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينيه، ما رأيته ينبغي لى أن أدفعهم إليك و لا إلى غيرك. فخرج أبو مسلم و هو يقول: الآن طاب الضّراب! ^{٥٢٠} و إنّما خلى عليه السّلام بينه و بينهم ليريه إجماع المسلمين على قتل عثمان، و إباحة دمه.

«و أنا جامع لكم أمره» من طرفه و طرفكم.

«استأثر فأساء الأثرة» فكان عثمان خصّ أقاربه بولاية البلاد حتّى عزل عمرو بن العاص، فطلق عمرو لذلك اخته أمّ كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط، و حرّض الناس عليه. و لمّا سمع خبر قتله قال: أنا أبو عبد الله، إذا حككت قرحة نكأتها ^{٥٢١}، إن كنت لاحرّض عليه، حتى لا حرّض عليه الراعى فى غنمه فى رأس

ص: ٢٠٦

الجيل. فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش، إنّه كان بينكم و بين العرب باب و ثيق فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحقّ من خاصرة (حافرة) الباطل، و أن يكون الناس فى الحقّ شرعا سواء ^{٥٢٢}.

«و جزعتم فأسأتم الجزع» لأنّهم منعه الماء فى حياته، و منعوا من دفنه بعد قتله. و لا يجوز منع الماء من أحد ^{٥٢٣}. و يجب مواراة أموات جميع الناس المسلم و غيره.

^{٥٢٠} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٨٥-٨٦، شرح ابن أبي الحديد ٧٣-٧٥، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٥٢١} (٢) قال ابن الأثير فى النهاية ١: ٤١٨، مادة (حكك): و فى حديث عمرو بن العاص: إذا حككت قرحة دميّتها، أى: إذا أمت غاية تقصّيتها و بلغتها، و فى الصحاح ١: ٧٨، مادة (نكأ): نكأت القرحة نكأ، إذا قشرتها.

^{٥٢٢} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٧، سنة ٣٥، و شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٤.

^{٥٢٣} (٢) و لذا بعث أمير المؤمنين عليه السّلام الماء إلى عثمان حين منع من الماء. انظر أمالى الشيخ الطوسى ٢: ٣٢٥، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٨، و بحار الأنوار ط الكمباني ٨: ٣٧٤.

و قال ابن أبي الحديد: أساءوا الجزع لأنه كان الواجب عليهم ألا يجعلوا جزاءه عمًا أذنب القتل، بل الخلع و الحبس و ترتيب غيره في الإمامة^{٥٣٤}.

قلت: فإذا كان مستحقاً للخلع، كيف يقول بإمامته؟ و قد قال الناس له قبل قتله: أنت مستحق للخلع، لما رأوا غلامه على جملة، و كتابه إلى عامله على مصر بقتل محمد بن أبي بكر و من معه، و كان بعثه لما شكوا إليه ظلم عامله، و قتله الناس بغير حق، فأنكر عثمان أن يكون هو بعث الغلام و كتب الكتاب، فقالوا له: إن كنت كاذبا فقد استحقت الخلع، لعملك هذا، و إن كنت صادقا استحقت الخلع لعجزك عن أمر الخلافة حيث يكتب غيرك على لسانك مثل هذا، و أنت لا تعلم، فاخلع نفسك. فأبى عليهم حتى قتلوه^{٥٣٥}.

و إنما الأصل في قوله عليه السلام: «و أسأتم الجزع» لأن عمدة الجازعين و هم قريش و في رأسهم طلحة من تيم، و الزبير من أسد لم يقتلوه غضبا لله بل لهوى أنفسهم، لأنه لم يؤلهم و ولي بنى أبيه.

ص: ٢٠٧

و في (المروج): حجّ عبد الملك في بعض أعوامه، فأمر للناس بالعطاء، فخرجت بدره مكتوب عليها «من الصدقة» فأبى أهل المدينة من قبولها و قالوا:

إنما كان عطاؤنا من الفء. فقال عبد الملك و هو على المنبر: يا معشر قريش، مثلنا و مثلكم أن أخوين خرجا مسافرين، فنزلا في ظل شجرة تحت صفاة، فلما دنا الرواح خرجت إليهما من تحت الصفاة حيّة تحمل دينارا فألقته إليهما، فقالا: إن هذا لمن كنز، فأقاما عليها ثلاثة أيام، كل يوم تخرج إليهما دينارا، فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى تنتظر هذه الحيّة؟ ألا تقتلها و نحفر هذا الكنز فنأخذها؟ فنهاه أخوه، و قال: ما تدري لعلك تعطب و لا تدرك المال. فأبى عليه، و أخذ فأسا و صرد الحيّة حتى خرجت، فضربها ضربة جرحت رأسها و لم تقتلها، فنارت الحيّة فقتلته، و رجعت إلى جحرها، فقام أخوه فدفعه، و أقام حتى إذا كان الغد خرجت الحيّة معصوبا رأسها ليس معها شيء، فقال لها: يا هذه، إنني و الله ما رضيت ما أصابك، و لقد نهيت أخی عن ذلك، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضربيني و لا أضرك، و ترجعين إلى ما كنت عليه؟ قالت الحيّة: لا.

قال: و لم؟ قالت: لأنني أعلم أن نفسك لا تطيب لي أبدا، و أنت ترى قبر أخيك، و نفسي لا تطيب لك أبدا و أنا أذكر هذه الشجّة، و أنشدهم - أي عبد الملك - شعر النابغة في ذلك:

و ضربة فأس فوق رأسى فاغرة (فاقره)

فقلت أراه (أرى) قبرا تراه مقابلي

^{٥٣٤} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٨ - ١٢٩.

^{٥٣٥} (٤) تفصيل ذلك في تاريخ الطبری ٤: ٣٧٥ - ٣٧٦، سنة ٣٥، و شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٥٠.

يا معشر قريش، وليكم عمر فكان فظًا غليظًا مضيّقًا عليكم، فسمعتُم له و أطعتم، ثمّ وليكم عثمان فكان سهلا فعدوتم عليه فقتلتموه، و بعثنا عليكم مسلما يوم الحرّة فقتلناكم، فنحن نعلم يا معشر قريش، أنّكم لا تحبّوننا أبدا

ص: ٢٠٨

و أنتم تذكرون يوم الحرّة و نحن لا نحبّكم أبدا و نحن نذكر قتل عثمان^{٥٣٦}.

«و لله حكم واقع في المستأثر و الجازع» هو نظير قوله عليه السّلام: «لو أمرت به لكنت قاتلا، أو نهيت عنه لكنت ناصرا» في إجمال الجواب لعدم تمكّنه عليه السّلام من بيان الحقيقة، و هي بطلان ولايته المستلزمة لبطلان ولاية الأوّل و الثاني.

و في (الأغاني): كان حسّان بن ثابت و النعمان بن بشير و كعب بن مالك عثمانية، يقدّمون بنى أمية على بنى هاشم، و يقولون: الشام خير من المدينة.

و اتّصل بهم أنّ ذلك قد بلغ عليّا عليه السّلام، فدخلوا عليه، فقال له كعب: أخبرنا عن عثمان: أقتل ظلما، فنقول بقولك؟ (أمّ قتل مظلوما، فنقول بقولنا)، و نكلك إلى الشبهة فيه، و العجب من تيقّنا و شكّك، و قد زعمت العرب أنّ عندك علم ما اختلفنا فيه، فهاته نعرفه، فقال لهم عليّ عليه السّلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأثره، و جزعتم فأسأتم الجزع، و عند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، و لا تعذرنا فيه (به). فقال لهم عليّ:

أ تردّون عليّ بين ظهرائي المسلمين، بلا بيّنة صادقة، و لا حجّة واضحة؟

أخرجوا عنّي، فلا تجاوروني في بلد أنا فيه أبدا. فخرجوا من يومهم، فساروا حتّى أتوا معاوية، فقال: لكم الكفاية أو الولاية. فأعطى حسّانا ألف دينار، و كعبا ألف دينار، و ولى النعمان حمصا^{٥٣٧}.

و في (مواسم الأدب): قال كعب بن مالك الأنصاري لعليّ عليه السّلام: بلغك عنّا أمر لو كان غيرك لم يحتمله، و لو كان غيرنا لم يقيم معك عليه، و ما في الناس من هو أعلم منك، و في الناس من نحن أعلم منه، و أوضح العلم ما وقف على لسان، و أرفعه ما ظهر في الجوارح و الأركان، و نحن أعرّف بقدر عثمان من

ص: ٢٠٩

قاتليه، و أنت أعلم بهم و بخاذليه، فإن قلت: «إنّه قتل ظلما» قلنا: بقولك، و إن قلت: «إنّه قتل مظلوما» قلنا بقولنا، و إن وكلتنا إلى الشبهة آيسنا بعدك من إصابة البيّنة.

^{٥٣٦} (١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٢٧-١٢٨، و نقله الشارح بتصرّف.

^{٥٣٧} (٢) الأغاني ١٦: ٢٣٣-٢٣٤، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

فقال عليه السّلام عندي في عثمان و فيكم. استأثر فأساء الأثره و جزعتم فأسأتم الجزع، و لله عز و جل حكم واقع في المستأثر و الجازع^{٥٣٨}.

و هو عليه السّلام و إن أجمل في جواب أولئك العثمانيّة لكون سؤالهم في غير الموقع، إلّا أنّه بيّن بأفعاله من إيوائه قاتليه، و دفاعه عنهم، و بأقواله كما مرّ من قوله عليه السّلام للخولاني: «إني ضربت هذا الأمر أنفه و عينه، فرأيت أنّه ما ينبغي لي أن أدفع قتلته إلى أحد»^{٥٣٩} و قوله عليه السّلام لقرّاء الشام و العراق لمّا قالوا له: «إنّ معاوية يقول: إن كنت صادقاً أنّك ما أمرت بقتل عثمان، و لا مالات على قتله، فادفع إلينا قتلته أو أمكنّا منهم»: تأول القوم عليه القرآن، و قتلوه في سلطانه و ليس على أضرابهم (ضربهم) قود^{٥٤٠}، أنّه كان مباح الدم، و به صرح شيعته عمّار و غيره^{٥٤١}.

و في (فواتح المبيدي): روى إبراهيم النخعي و أبو العالية أنّ قوله تعالى:

«ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ»^{٥٤٢} في شأن المسلمين، و ناظر إلى قتل عثمان و حرب صفين. و قوله تعالى: «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَ كَذَبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ وَ الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ

ص: ٢١٠

^{٥٤٣} تفصيل اولئك الفرق ^{٥٤٤}

٤ .

الكتاب (٣٨) و من كتاب له عليه السّلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشر:

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ - إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ - حِينَ عَصَى فِي أَرْضِهِ وَ ذُهِبَ بِحَقِّهِ - فَضْرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَ الْفَاجِرِ - وَ الْمُقِيمِ وَ الطَّاعِينَ - فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَأَحُ إِلَيْهِ - وَ لَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: «و من كتاب له عليه السّلام إلى أهل مصر لما ولى عليهم الأشر» روى الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٥ ص ٩٦، سنة ٣٨ عن أبي مخنف، عن فضيل بن خديج، عن مولى للأشر قال: لما هلك الأشر وجدنا في ثقله رسالة علىّ عليه السّلام إلى أهل مصر: «من عبد الله

^{٥٣٨} (١) نهج البلاغة خطبة ٣٠.

^{٥٣٩} (٢) وقعة صفين: ٨٦، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٧٥.

^{٥٤٠} (٣) وقعة صفين: ١٨٩.

^{٥٤١} (٤) الإمامة و السياسة الزمر ١: ٦٧.

^{٥٤٢} (٥): ٣١.

^{٥٤٣} (١) الزمر: ٣٢ - ٣٣.

^{٥٤٤} (٢) كتاب الفواتح للمبيدي، مخطوط.

على أمير المؤمنين إلى أمة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصى في الأرض، و ضرب الجور بأرواقه على البرّ و الفاجر، فلا حقّ يستراح إليه، و لا منكر يتناهى عنه»^{٥٤٥}.

و رواه (غارات النقي - الغارات - ج ١ ص ٢٤٣ تا ٢٤٤ النقي) تارة عن المدائنيّ و اخرى عن الشعبي^{٥٤٦}.

و رواه (أمالى الشيخ المفيد - الأمالى - ص ٧٩ تا ٨٢ المفيد) أيضا عن الشعبي عن صعصعة^{٥٤٧}.

و أمّا رواية (الاختصاص الشيخ المفيد - الاختصاص - ص ٧٩ و ٨٠)^{٥٤٨} المنسوب إلى المفيد أيضا فنسبته غير

ص: ٢١١

معلومة، حيث إنّ كتب المفيد طرزها غير طرزها. و خبر (الاختصاص) غير صحيح، حيث تضمّن قتل محمد بن أبى بكر قبل الأستر، و هو خلاف الواقع^{٥٤٩}.

قوله عليه السلام: «من عبد الله على أمير المؤمنين» روى الكنجي الشافعي بإسناده عن ابن عباس قال: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلم: ما أنزل الله تعالى آية فيها «يا أيّها الذين آمنوا» * إلّا و على رأسها و أميرها^{٥٥٠}! «إلى القوم الذين غضبوا لله» مدحه عليه السلام أهل مصر مع كونهم قتل عثمان بأنهم غضبوا لله، دالّ على كون قتل عثمان عملا مرضيا عند الله تعالى فضلا عن إباحته.

و فى (الطبرى): ذكر فى سبب مسير المصريين إلى عثمان، و نزولهم ذا خشب أمور كثيرة، و منها ما أعرضت عن ذكره كراهة منى ذكره، لبشاعته^{٥٥١}.

و قال أيضا: قد ذكرنا كثيرا من الامور التى ذكر قاتلوه أنّهم جعلوها ذريعة إلى قتله، فأعرضنا عن ذكر كثير منها، لعلل دعت إلى الإعراض عنها^{٥٥٢}.

^{٥٤٥} (٣) تاريخ الطبرى ٥: ٩٦، سنة ٣٨.

^{٥٤٦} (٤) الغارات ١: ٢٤٣ - ٢٤٤.

^{٥٤٧} (٥) الأمالى للمفيد: ٧٩ - ٨٢ عن إبراهيم بن محمد النقي، و فى الاختصاص عن الشعبي.

^{٥٤٨} (٦) الاختصاص: ٧٩ - ٨٠.

^{٥٤٩} (١) لا يخفى أنّ فى تاريخ قتلها - رضوان الله عليهما - اختلافا و لا يسمح المقام ذكر ذلك. انظر تاريخ يعقوبى ٢:

١٩٤، تاريخ الطبرى ٥: ٩٤، سنة ٣٨، مروج الذهب ٢: ٤٢٠، أسد الغابة ٤: ٣٢٤، الإصابة ٣: ٤٨٢، الأعلام ٥: ٢٥٩ و ٦: ٢١٩ - ٢٢٠.

^{٥٥٠} (٢) كفاية الطالب: ١٣٩ - ١٤٠، نظم درر السمطين: ٨٩.

^{٥٥١} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٦، سنة ٣٥.

^{٥٥٢} (٤) تاريخ الطبرى: ٣٦٥، سنة ٣٥.

قلت: العجب من الرجل يستقصي روايات السرى عن شعيب، عن سيف مع أن أكثرها مفتعلة قطعاً، و يترك كثيراً من روايات المدائنيّ و الواقدى و غيرهما ممّن اتفق على جلاله و صحّة رواياته.

و قال ابن أبي الحديد: هذا الفصل من كلامه يشكّل على تأويله، لأنّ أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان، و إذا شهد أمير المؤمنين عليه السّلام أنّهم غضبوا لله

ص: ٢١٢

حين عصى في الأرض، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان، و إتيان المنكر^{٥٥٣}.

ثمّ ذكر ابن أبي الحديد تأويلاً ركيكاً^{٥٥٤}. و لو صحّ تأويله لم يكن في الدنيا أمر باطل. «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ»^{٥٥٥} و من لم ينفعه عيان لا يفيد برهان.

«حين عصى في أرضه» في (الطبري): كتب أهل مصر بالسقيا أو بذى خشب إلى عثمان بكتاب، فجاء به رجل منهم حتّى دخل به عليه، فلم يردّ عليه شيئاً، فأمر به فأخرج من الدار، و كان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رءوس أربعة، مع كلّ رجل منهم لواء، و كان جماع أمرهم إلى عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي - و كان من أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم - و إلى عبد الرحمن بن عديس التّجيبىّ، فكان في ما كتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فاعلم «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»^{٥٥٦}. فالله الله! ثمّ الله الله! فإنّك على دنيا فاستتمّ إليها معها آخرة، و لا تنس (لا تلبس) نصيبك من الآخرة، فلا تسوغ لك الدنيا. و اعلم (أنا) و الله لله غضب، و في الله نرضى، و أنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبة مصرّحة، أو ضلالة مجلّحة مبلّجة. فهذه مقاتلتنا لك، و قضيتنا إليك، و الله عذيرنا منك^{٥٥٧}.

«و ذهب بحقه» في (الطبري): خرجت عائشة إلى مكّة و عثمان محصور،

ص: ٢١٣

فقدم عليها رجل يقال له أخضر، فقالت: ما صنع الناس؟ فقال: قتل عثمان المصريّين. قالت عائشة: إنا لله و إنا إليه راجعون! أ يقتل عثمان قوما يطلبون الحقّ و ينكرون الظلم! و الله لا نرضى بهذا. ثمّ قدم آخر فقالت عائشة له: ما صنع الناس؟ قال: قتل المصريّون عثمان. قالت: العجب لأخضر، زعم أن المقتول هو القاتل! فكان يضرب به المثل: أكذب من أخضر^{٥٥٨}.

^{٥٥٣} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٦.

^{٥٥٤} (٢) المصدر نفسه: ١٥٧.

^{٥٥٥} (٣) الجاثية: ٢٣.

^{٥٥٦} (٤) الرعد: ١١.

^{٥٥٧} (٥) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٩، سنة ٣٥.

^{٥٥٨} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٩، سنة ٣٦.

قلت: أخضر أيضا ما كذب. أراد عثمان قتل المصريين، فكتب سرّ إلى ابن أبي سرح بقتلهم، إلّا أن لم يرد ذلك، فأرأوا رسوله و كتابه معه بذلك، فرجعوا و قتلوه^{٥٥٩}.

«فضرب الجور سراقه على البرّ و الفاجر و المقيم» أي: البلدىّ.

«و الظاعن» أي: الغريب المرتحل.

فى (الطبرى): قال محمّد بن السائب الكلبيّ: إنّما ردّ أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنّه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم، و يصلب بعضهم. فلما أتوا عثمان، قالوا: هذا غلامك؟ قال: هذا غلامى انطلق بغير علمى. قالوا: جملك. قال: اخذ من الدار بغير أمرى. قالوا: خاتمك. قال: نقش عليه. فقال ابن عديس التجيبىّ حين أقبل أهل مصر:

خوصا كأمثال القسىّ قود

أقبلن من بلبيس و الصعيد

يطلبن حقّ الله فى الوليد

مستحقات حلق الحديد

يا ربّ فارجعنا بما نريد^{٥٦٠}

و عند عثمان و فى سعيد

ص: ٢١٤

و عن سفيان بن أبى العوجاء: قدم المصريون القدماء الأولى، فكلم عثمان بن محمّد بن مسلمة، فخرج فى خمسين راكبا من الأنصار، فأتوهم بذى خشب فردّهم، و رجع القوم حتّى إذا كانوا بالبويب، وجدوا غلاما لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد، فكروا، فانتهوا إلى المدينة، و قد تخلف بها من الناس الأشر و حكيم بن جبلة، فأتوا بالكتاب، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، و قال: هذا مفتعل. قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك! قال: أجل، و لكنّه كتب بغير أمرى. قالوا: فإنّ الرسول الذى وجدنا معه الكتاب غلامك، قال: أجل، و لكنّه خرج بغير إذنى. قالوا: فالجمل جملك. قال: أجل، و لكنّه اخذ بغير علمى. فقالوا:

ما أنت إلّا صادق أو كاذب، فإن كنت كاذبا فقد استحقت الخلع، لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقّها، و إن كنت صادقا فقد استحقت أن تخلع لضعفك و غفلتك و خبت بطانتك، لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه و غفلته. و قالوا له أيضا: إنك ضربت رجالا من أصحاب النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم حين يعظونك و يأمرونك بمراجعة الحقّ عند ما يستنكرون من أعمالك، فأقد من نفسك من ضربته و أنت له ظالم. فقال: الإمام يخطىء و يصيب، فلا

^{٥٥٩} (٢) المصدر نفسه ٤: ٣٦٧-٣٦٨، سنة ٣٥.

^{٥٦٠} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٨، سنة ٣٥.

أقيد من نفسي، لأنني لو أقدت كلَّ من أصبته بخطأ آتى على نفسي، و قالوا له: إنك أحدثت أحداثا عظيمة (عظاما) فاستحققت بها الخلع، فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبة ثمّ عدت إليها و إلى مثلها، ثمّ قدمنا عليك فأعطينا التوبة و الرجوع إلى الحقّ، و لا منا فيك محمد بن مسلمة، و ضمن لنا ما حدث من أمر، فأخفرتة فتبراً منك، و قال: لا أدخل في أمره. فرجعنا أوّل مرّة لنقطع حجّتك و نبلغ أقصى الإعذار إليك، و نستظهر بالله عزّ و جلّ عليك، فلحقنا كتاب منك إلى عاملك (علينا) تأمره فينا بالقتل و القطع و الصلب. و زعمت أنّه كتب بغير علمك. و هو مع غلامك و على جملك و بخطّ كاتبك و عليه خاتمك، فقد

ص: ٢١٥

وقعت عليك بذلك التهمة القبيحة، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم، و الأثرة في القسمة (القسم) و العقوبة للأمر بالقسط، و إظهار التوبة، ثمّ الرجوع إلى الخطيئة- إلى أن قال بعد ذكر قول عثمان لهم: إنّه يتوب-: قالوا: إن كان هذا أوّل حدث أحدثته ثمّ تبت منه و لم تقم عليه، لكان علينا أن نقبل منك، و لكنّه قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت- إلى أن قال:-: ثمّ انصرفوا عنه و آذوه بالحرب، و أرسل عثمان إلى محمد بن مسلمة أن يردهم، فقال:

و الله لا أكذب الله في سنة مرتين^{٥٦١}.

قلت: صدق المصريون في استحقاق عثمان للخلع، إن صدق أن بعث كتاب بخطّ كاتبه على جملة مع غلامه بخاتمه في الأمر بقتل بعض، و قطع بعض، و صلب بعض بدون جنائية كان بغير علمه، و إن كان كذب فيه. فيشهد به عقل كلّ عاقل ملحد أو موحد. فما وجه قول إخواننا بإمامته مع أن كذبه كان أمرا بيّنا؟ فلو كان بغير علمه كيف لم يستعظم ذلك، و لم لا يؤاخذ غلامه بذلك؟

و في (الطبرى) أيضا: لما سمع عثمان بوفد أهل مصر، استقبلهم، و كان في قرية له، فقالوا له: ادع بالمصحف. فدعا به. فقالوا له: افتح السابعة- و كانوا يسمون سورة يونس السابعة- فقرأها حتى أتى على قوله تعالى: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَ حَلَالًا قُلْ اللَّهُ أَدْنَىٰ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ»^{٥٦٢} قالوا له: قف. أ رأيت ما حميت من الحمى؟ الله أذن لك- إلى أن قال- ثمّ أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج. فعرفها، فقال: استغفر الله، فأخذوا ميثاقه- إلى أن قال- ثمّ رجع الوفد المصريون راضين، فبينما هم

ص: ٢١٦

في الطريق إذا هم براكب ...^{٥٦٣}.

^{٥٦١} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٧٥-٣٧٧، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

^{٥٦٢} (٢) يونس: ٥٩.

^{٥٦٣} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٤-٣٥٥، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

«فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه» في (الطبرى): لما قال المصريون لعثمان: ما هذا الكتاب الذى كتبت فى قتلنا؟ وأنكره، قالوا: إنا لا نعجل عليك، وإن كنا قد آتھمناك، اعزل عنا عمالك الفساق، واستعمل علينا من لا يتھم على دماننا و أموالنا، و اردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: إذن ما أرانى فى شىء إن كنت أستعمل من هويتھم، و أعزل من كرهتم إذن الأمر أمركم! قالوا: و اللھ لتفعلن أو لتعزلن أو لتقتلن، فانظر لنفسك أو دع. فأبى عليهم و قال: لم أكن لأخلع سربالا سربليه اللھ. فحصره أربعين ليلة^{٥٦٤}.

قلت: لعمر اللھ ذاك السربال لم يسربله اللھ، بل سربله عمر بتدبير الشورى شكرا له بما كتب عن أبى بكر فى غشوته استخلافه له.

٧

الخطبة (١٦٤) و من كلام له عليه السلام: قالوا: لما اجتمع الناس عليه، و شكوا ما نغموه على عثمان، و سالوه مخاطبته عنھم و استعتابه لھم، فدخل عليه، فقال:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي - وَقَدْ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ - وَ اللَّهُ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ - مَا أَعْرِفُ شَيْئًا تَجْهَلُهُ - وَ لَا أَدُوكَ عَلَى شَيْءٍ لَا تَعْرِفُهُ - إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ - مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَخَبِرَكَ عَنْهُ - وَ لَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنبَلَّغَكَهُ - وَ قَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا وَ سَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا - وَ صَحِيتُ؟ رَسُولَ

ص: ٢١٧

اللھ ص؟ كَمَا صَحِينَا - وَ مَا؟ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ - وَ لَأ؟ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ بِأَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ - وَ أَنْتَ أَقْرَبُ إِلَيَّ؟ رَسُولِ اللَّهِ ص؟

وَشَيْجَةً رَحِيمٍ مِنْهُمَا - وَقَدْ بَلَّتْ مِنْ صَهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا فَاللَّهِ اللَّهُ فِي نَفْسِكَ - فَإِنَّكَ وَ اللَّهُ مَا تُبَصِّرُ مِنْ عَمِي - وَ لَا تُعْلَمُ مِنْ جَهْلٍ - وَ إِنَّ الطَّرْقَ لَوَاضِحَةٌ وَ إِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لِقَائِمَةٌ - فَاعْلَمُ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ - هُدًى وَ هَدًى فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً - وَ أَمَاتَ بَدْعَةً مَجْهُولَةً - وَ إِنَّ السُّنَنَ لَنَيْرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ - وَ إِنَّ الْبَدْعَ لظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ - وَ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَ ضَلَّ بِهِ - فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُودَةً وَ أَحْيَا بَدْعَةً مَتْرُوكَةً - وَ إِنِّي سَمِعْتُ؟ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ يَقُولُ - يُؤْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْإِمَامِ الْجَائِرِ - وَ لَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَ لَا عَازِرٌ - يُلْقَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى - ثُمَّ يَرْتَبُطُ فِي قَعْرِهَا - وَ إِنِّي أَنشُدُكَ اللَّهُ أَلَّا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولِ - فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ - يُقْتَلُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ - وَ الْقِتَالُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - وَ يَلْبَسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا وَ يُثَبِّتُ الْفِتْنَ فِيهَا - فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ - يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا وَ يَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا - فَلَا تَكُونُنَّ؟ لِمَرْوَانَ؟

سَيِّفَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السَّنِّ - وَ تَقْضَى الْعُمْرُ فَقَالَ لَهُ؟ عُثْمَانُ؟

كَلَّمَ النَّاسَ فِي أَنْ يُوجَّحُوا - حَتَّى أُخْرَجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ - فَقَالَ ع - مَا كَانَ؟ بِالْمَدِينَةِ؟ فَلَا أَجَلَ فِيهِ - وَ مَا غَابَ فَأَجَلُهُ
وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ أَقُولُ: رواه المدائني ١ المدائني - كتاب المدائني -- كما في (جمل ٢ الشيخ المفيد - الجمل - ص ١٨٧ و
١٨٨ المفيد) - عن علي بن صالح قال: ذكر

ص: ٢١٨

ابن دأب أنه لما عاب الناس على عثمان ما عابوا، كلّموا عليًا عليه السّلام فيه فدخل عليه ...^{٥٦٥}.

و رواه (العقد الفريد - العقد الفريد - ج ٥ ص ٥٨) مختصرا عن ابن دأب أيضا^{٥٦٦}.

و رواه الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٤ ص ٣٣٧، سنة ٣٤ في ثلاث روايات: روى في إحداها صدره إلى قوله عليه
السّلام:

«فلا تكوننّ لمروان سيّفة»^{٥٦٧}. و في اخرى قوله عليه السّلام: «فلا تكوننّ» ... و في ثالثة قوله عليه السّلام: «ما كان بالمدينة»
...

ففيه: زعم الواقدي أنّ عبد الله بن محمد حدّثه عن أبيه، قال: لما كانت سنة (٣٤) كتب أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله و
سَلِمَ بعضهم إلى بعض: أن أقدموا، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد. وكثر الناس على عثمان، و نالوا منه أقبح ما نيل من
أحد، و أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله و سَلِمَ يرون و يسمعون، ليس فيهم أحد ينهى و لا يذّب - أي عن عثمان - إلّا نفير،
زيد بن ثابت، و أبو أسيد الساعديّ، و كعب بن مالك و حسان. فاجتمع الناس، و كلّموا عليًا عليه السّلام. فدخل على عثمان
فقال: «الناس ورائي، و قد كلّموني فيك، و الله ما أدري ما أقول لك إلى «و يمرجون مرجا» مثله مع اختلاف يسير. ثمّ بعده:
فقال له عثمان: قد و الله علمت، ليقولنّ الذي قلت، أما و الله لو كنت مكاني ما عنفتك، و لا أسلمتک، و لا عبت عليك، و لا
جئت منكرا أن وصلت رحما، و سدّدت خلّة، و آويت ضائعا، و وليت شبيها بمن كان عمر يولي. أنشدك الله يا علي، هل تعلم
أن المغيرة بن شعبة ليس هناك؟! قال:

نعم. قال: فتعلم أن عمر ولاه؟ قال: نعم. قال: فلم تلومني أن وليت ابن عامر في رحمه و قرابته؟ قال عليّ عليه السّلام:
سأخبرك، إن عمر كان كلّ من وليّ فإنما يطأ

ص: ٢١٩

على صماخه، و إن بلغه عنه حرف جلبه، ثمّ بلغ به أقصى الغايه، و أنت لا تفعل، ضعفت و رققت (رققت) على أقربائك.

^{٥٦٥} (١) الجمل: ١٨٧ - ١٨٨.

^{٥٦٦} (٢) العقد الفريد ٥: ٥٨.

^{٥٦٧} (٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٧، سنة ٣٤.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضا. فقال عليّ عليه السّلام: لعمرى إنّ رحمهم منّي لقريبة، و لكنّ الفضل في غيرهم. قال عثمان: هل تعلم أنّ عمر ولّي معاوية خلافته كلّها؟ فقد وليته. فقال عليّ عليه السّلام: أنشدك الله هل تعلم أنّ معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه؟ قال: نعم. قال عليّ عليه السّلام: فإنّ معاوية يقتطع الامور دونك و أنت لا تعلمها (تعلمها) فيقول للناس: هذا أمر عثمان، فيبلغك و لا تغير علي معاوية.

ثمّ خرج عليّ عليه السّلام من عنده، و خرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر و قال: إنّ لكلّ شيء آفة، و لكلّ أمر عاهة، و إنّ آفة هذه الامّة، و عاهة هذه النعمة، عيابون طعانون، يرونكم ما تحبون، و يسرون ما تكرهون، يقولون لكم و تقولون، أمثال النعام يتبعون أول ناعق، أحبّ مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلّا نغصا و لا يردون إلّا عكرا، لا يقوم لهم رائد، و قد أعيبتهم الامور، و تعدّرت عليهم المكاسب. أما (ألا فقد) و الله عبتم عليّ بما أقررتم لابن الخطاب بمثله، و لكنّه وطأكم برجله، و ضربكم بيده، و قمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتهم أو كرهتم، و لنت لكم، و أوطأت لكم كتفي، و كففت يدي و لساني عنكم، فاجترأتم عليّ. أما و الله أنا لأعزّ (لأنا أعزّ) نفرا، و أقرب نصرا، و أكثر عددا، و أقمن إن قلت هلمّ (أتى) إليّ، و لقد أعددت لكم أقرانكم، و أفضلت عليكم فضولا، و كشرت لكم عن نايي، و أخرجتم منّي خلقا لم أكن أحسنه، و منطلقا لم أنطق به، فكفّوا عليكم ألسنتكم، و طعنكم و عيبكم على ولاتكم، فإنّي قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا. ألا فما تفقدون من حقّكم؟ و الله ما قصّرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي، و من لم

ص: ٢٢٠

تكونوا تختلفون عليه و أفضل (فضل فضل من مال)، فمالي لا أصنع في الفضل ما أريد! فلم كنت إماما! فقام مروان فقال: إن شئتم حكّمتنا و الله بيننا و بينكم السيف، نحن و الله و أنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضنا فنبت بكم معارصكم تبنون في دمن الترى^{٥٦٨}

قول المصنف: «و من كلام له عليه السّلام» زاد في (ابن أبي الحديد):

«لعثمان»^{٥٦٩}. و لعله كان حاشية خلط بالمتن، فليس في (ابن ميثم)^{٥٧٠} و نسخة نهجه كانت بخط مصنفه.

«لما اجتمع الناس عليه» هكذا في (المصرية)^{٥٧١}، و الصواب: «إليه» كما في (ابن ميثم)^{٥٧٢}. لكن في (ابن أبي الحديد) بدل الكلام: «قالوا لما اجتمع الناس إلى أمير المؤمنين عليه السّلام»^{٥٧٣}.

^{٥٦٨} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٦-٣٣٩، سنة ٣٤.

^{٥٦٩} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١.

^{٥٧٠} (٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٠١.

«و شكوا ممّا نَقَموه على عثمان» هكذا فى (المصرية)^{٥٧٤}، و فى (ابن ميثم): «و شكوا ما نَقَموه على عثمان»^{٥٧٥}. و فى (ابن أبى الحديد): «و شكوا إليه ما نَقَموه على عثمان»^{٥٧٦}.

«و سألوه مخاطبته عنهم» ليس فى (ابن أبى الحديد) كلمة «عنهم»^{٥٧٧}.

ص: ٢٢١

«و استعتابه» أى: طلب رجوعه عن أعماله الشنيعة.

«لهم فدخل عليه» و فى (ابن أبى الحديد): «على عثمان»^{٥٧٨}.

«فقال» كالتأكيد لقوله «و من كلام له» فلو أسقط لم يكن الكلام ناقصا.

قوله عليه السلام: «إنّ الناس ورائى» ليس كلمة «ورائى» فى نسخة (ابن ميثم)^{٥٧٩}.

«و قد استسفرونى» أى: اتخذونى سفيرا، أى: رسولا.

«بينك و بينهم. و واللّه» و فى (ابن ميثم): «و اللّه»^{٥٨٠}.

«ما أدرى ما أقول لك» لأنّ التنبيه على قبح الظلم و الجور تنبيه على البديهيّات.

«ما أعرف شيئا تجهله و لا أدلك على شيء» هكذا فى (المصرية)^{٥٨١} و الصواب: «على أمر» كما فى (ابن أبى الحديد)^{٥٨٢}، و الخطيئة).

^{٥٧١} (٤) نهج البلاغة ٢: ٨٤.

^{٥٧٢} (٥) فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٠١ أيضا: «عليه».

^{٥٧٣} (٦) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٤١.

^{٥٧٤} (٧) نهج البلاغة ٢: ٨٤.

^{٥٧٥} (٨) فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٠١ أيضا: «مما».

^{٥٧٦} (٩) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٤١.

^{٥٧٧} (١٠) المصدر نفسه.

^{٥٧٨} (١) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٤١.

^{٥٧٩} (٢) فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢ «ورائى» أيضا.

^{٥٨٠} (٣) فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢ «و واللّه» أيضا.

^{٥٨١} (٤) نهج البلاغة ٢: ٨٤.

^{٥٨٢} (٥) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٤١.

«لا تعرفه. إنك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، و لا خلونا بشيء فنبلغكه، و قد رأيت كما رأينا، و سمعت كما سمعنا، و صحبت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ كما صحبتنا».

قال ابن أبي الحديد: أقسم عليه السَّلام في قوله: «و الله...» على أنه لا يعرف أمرا يجهله عثمان، أي: من هذه الأحداث خاصَّة. و هذا حقٌّ، لأنَّ عليًّا عليه السَّلام لم يكن يعلم منها ما يجهله عثمان، بل كان أحداث الصبيان فضلا عن العقلاء

ص: ٢٢٢

و المميِّزين، يعلمون وجهي الصواب و الخطأ فيها^{٥٨٣}.

قلت: الأمر كما ذكر من أن المراد أن عثمان كان يعلم كما يعلم أمير المؤمنين عليه السَّلام و باقى الناس: أن أعماله من بذل بيت مال المسلمين، و بذل الأُخماس حقوق أهل بيت النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لأقاربه من بنى اميَّة أعداء النَّبِيِّ و أعداء الدين^{٥٨٤}، و ردَّه عمَّه الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ^{٥٨٥}، و تولية أخيه لامَّه الوليد بن عقبة الفاسق بنصَّ القرآن بإجماع الامَّة، و الذى كان يشرب الخمر و يصلَّى الصبح فى حال السكر بالناس أربعا، و يَغْنَى فى الصلاة، و يتكلَّم فيها، و يقول للناس: إن تحبُّوا الزيادة على أربع ركعات أزيدكم^{٥٨٦}، و توليته ابن أبى سرح الذى كان النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أباح دمه، و أمر بقتله و لو رأوه متعلِّقا بأستار الكعبة^{٥٨٧}، أمور منكرة يعلمها جميع الناس حتَّى النساء و الصبيان إلَّا أنَّه كان يغالط فأجاب أمير المؤمنين عليه السَّلام بأنَّه لو كان مكانه و فعل ما أنكر عليه، ما عابه. فمع كونه من المحالات فإنَّه عليه السَّلام هو الذى عامل مع أخيه لمَّا طلب زيادة صاع برَّ على حقِّه ما عامل^{٥٨٨}، و على فرضه فهو أيضا من عدم مبالاته بالدين و إلَّا فإنكار المنكر واجب، و سمى إركابه أعداء الدين على رقاب الناس صلة رحم! و مجرد مودَّة أرحام مثلهم منكر. أ لم يقل جلَّ و علا: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ»

ص: ٢٢٣

«وَ رَسُولُهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ»^{٥٨٩}؟

و سمى تمكينهم من «خضم مال الله خضم الإبل نبتة الربيع»^{٥٩٠} سدَّ خلة الأرحام^{٥٩١}، و سمى ردَّ من أمر الله رسوله بتبعيده إيواء ضائعهم^{٥٩٢}، و تولية من كان مثل المغيرة من ولاة عمر^{٥٩٣}.

^{٥٨٣} (١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٤٢-٢٤٣.

^{٥٨٤} (٢) أنساب الأشراف، الإمامة و السياسة ١: ٣٢، تاريخ البيهقي ٢: ١٧٣، الأغاني ٦: ٢٤٨-٢٤٩.

^{٥٨٥} (٣) تاريخ البيهقي ٢: ١٧٣، الطبقات الكبرى ٥: ٤٤٧، الاستيعاب ١: ٣١٧-٣١٩، الشافى فى الإمامة ٤: ٢٢٨.

^{٥٨٦} (٤) تاريخ البيهقي ٢: ١٧٣، مروج الذهب ٢: ٣٤٣-٣٤٤.

^{٥٨٧} (٥) تاريخ الطبرى ٣: ٥٨، سنة ٨.

^{٥٨٨} (٦) نهج البلاغة ٢: ٢٤٣-٢٤٤، الخطبة ٢٢٤ و شرح ابن أبي الحديد ٤: ٩٢.

^{٥٨٩} (١) المجادلة: ٢٢.

و ما أبله حيث أراد مغالطة مثل أمير المؤمنين عليه السّلام، المتمرّ في ذات الله بتلك المغالطات.

و تولية عمر المغيرة أيضا كان أمرا منكرا، فكان نفاقه و خبثه أمرا بيّنا.

ولذا قال عثمان له عليه السّلام: «هل تعلم أن المغيرة ليس هناك»^{٥٩٤} إلّا أنّه عليه السّلام لعدم تمكّنه من تخطئة عمر ما شاه بأن قال له: «إنّ عمر إن كان بلغه عمّن ولّاه حرف جلبه ثمّ بلغ به أقصى الغاية، و أنت لا تفعل»^{٥٩٥} إلّا أنّ عمر كان يجلب من بلغه عنه حرف، سياسة لا ديانة، فإن لم يكن له داع فيه عزله و صادره و عاقبه، و إلّا فيعمل معه عملا يموّه به على الناس، فجلب المغيرة من صادره و عاقبه، و إلّا فيعمل معه عملا يموّه به على الناس، فجلب المغيرة من البصرة لمّا شهدوا عليه بالزنا، إلّا أنّه لاحتياجه إلى دهائه منع الشاهد الرابع - وهو زياد- عن أداء شهادته عليه بالزنا كاملة، و ضرب باقي الشهود. ثمّ ولّاه الكوفة، فصار غضب عمر على المغيرة بعزله عن البصرة

ص: ٢٢٤

و توليته الكوفة مثلا بين الناس^{٥٩٦}.

و كذلك الكلام في تولية عمر لمعاوية، فإنّه و إن كان أمير المؤمنين عليه السّلام ماشى عثمان في جوابه «بأن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه، إلّا أنّ معاوية يقتطع الامور دونك»^{٥٩٧} و إلّا فخوف معاوية من عمر إنّما كان لخوف عمر من معاوية، فكان معاوية لا يحسب عمر شيئا لكونه فوقه في الحسب لكونه من بنى عبد مناف، و عمر من عدىّ و لا دهاء فوق دهائه.

فكان عمر يقول: تصفون دهاء كسرى و قيصر و عندكم فتى قريش معاوية!^{٥٩٨} فكان عمر يداقه كاملا لثلا يزلزل أمره، و إلّا فما فعل معاوية مع كونه من الشجرة الملعونة من قيامه في قبال أمير المؤمنين عليه السّلام كان بواسطة تولية عمر له، فكان يحتجّ به

^{٥٩٠} (٢) من الخطبة ٣ (الششقيّة)، انظر نهج البلاغة ١: ٣٠. و قال ابن الأثير في النهاية ٢: ٤٤، في حديث عليّ رضی الله عنه «فقام إليه بنو امية يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع». الخضم: الأكل بأقصى الأضراس.

^{٥٩١} (٣) الشافى في الإمامة ٤: ٢٧٥، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٦.

^{٥٩٢} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٤، بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٣٢٣.

^{٥٩٣} (٥) المصدر نفسه.

^{٥٩٤} (٦) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٤.

^{٥٩٥} (٧) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤.

^{٥٩٦} (١) انظر تاريخ الطبرى ٤: ٧٠-٧٢، سنة ١٧، الأغاني ١٦: ٩٥-٩٩.

^{٥٩٧} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٥.

^{٥٩٨} (٣) تاريخ الطبرى ٣: ٢٦٤-٢٦٥، دار الكتب العلمية.

حتى حمل بذلك أهل الشام على قتال أمير المؤمنين عليه السلام^{٥٩٩} الذي كان بمنزلة نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن^{٦٠٠}.

و لكون توليته أمرا منكرا أنكر عليه السلام على المغيرة لما أشار عليه بعد بيعة الناس له بأن يبقى معاوية على إمارته على الشام لئلا يزلزل أمره، ثم يعزله، بأن قال عليه السلام له: «ما كنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا»^{٦٠١}.

ثم إنَّ عثمان اقتصر في الدفاع عن نفسه بأنَّه إن ولى ابن عامر المنافق فقد ولى عمر المغيرة المنافق، و إن ولى معاوية عدوَّ الإسلام

ص: ٢٢٥

فقد وَّلاه عمر طول خلافته^{٦٠٢}.

و لم يمكنه أن يقول له عليه السلام: إنَّ عمر دبر خلافتي في الشورى بحكميَّة ابن عوف مع علمه بأنِّي أفعل ما أفعل، لعرفانه أخلاقي و تهالكى لبني أبي، بل قال ذلك لى صريحا.

و في (العقد): كان علىَّ عليه السلام كلَّما اشتكى الناس أمر عثمان، أرسل ابنه الحسن إليه، فلما أكثر عليه قال له: إنَّ أباك يرى أن أحدا لا يعلم ما يعلم، و نحن أعلم بما نفعل، فكفَّ عَنَّا! فلم يبعث علىَّ عليه السلام ابنه في شيء بعد ذلك^{٦٠٣}.

قلت: قوله عليه السلام: «إنَّك لتعلم ما نعلم» إشارة إلى كلام عثمان، فتسلَّم عليه السلام قول عثمان «إنَّه يعلم ما يعلم هو» لكنَّه غير مراده، و هذا في غاية اللطافة في جواب الخصم.

«و ما ابن أبي قحافة و لا ابن الخطَّاب أولى» هكذا في (المصريَّة)^{٦٠٤} و الصواب: «بأولى» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم^{٦٠٥} و الخطيئة).

«بعمل الحقِّ منك» في (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أن ابن عباس قال: خرجت إلى المسجد فإني لجالس فيه مع علىَّ عليه السلام حين صلَّيت العصر، إذ جاء رسول عثمان يدعو عليًّا عليه السلام فقال: انطلق معي. فأقبلت معه فإذا طلحة و الزبير و سعد و

^{٥٩٩} (٤) وقعة صفين: ٣٢.

^{٦٠٠} (٥) إشارة إلى آية المباهلة ٦١ من سورة آل عمران.

^{٦٠١} (٦) وقعة صفين: ٥٢، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٨٤ و الآية ٥١ من سورة الكهف.

^{٦٠٢} (١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤.

^{٦٠٣} (٢) العقد الفريد ٥: ٥٨ - ٥٩.

^{٦٠٤} (٣) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

^{٦٠٥} (٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١، و في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢ أيضا: أولى.

اناس من المهاجرين، فجلسنا فإذا عثمان عليه ثوبان أبيضان، فسكت القوم، و نظر بعضهم إلى بعض، فقال عثمان: إن ابن عمي معاوية قد كان غائبا عنكم و عمّا نلتُم منّي، و ما عاتبتموني، و قد سألتني أن يكلمكم - إلى أن قال:-

و خرج القوم و أمسك عثمان ابن عباس، و قال له: يا ابن عمي و ابن

ص: ٢٢٦

خالتي، لم يبلغني عنك شيء أحبّه و لا شيء أكرهه، أنت لا علىّ و لا لي، و قد علمت أنّك رأيت بعض ما رأى الناس، فمنعك عقلك و حلمك من أن تظهر ما أظهروا، و قد أحببت أن تعلمني رأيك في ما بيني و بينك فأعذر. فقال له ابن عباس: و الله لوددت أنّك لم تفعل ما فعلت ممّا ترك الخليفتان قبلك، فإن كان شيئاً تركاه لما رأياً أنّه ليس لهما علمت أنّه ليس لك كما لم يكن لهما، و إن كان ذلك لهما فتركاه خيفة أن ينال منهما مثل الذي نيل منك، تركته لما تركاه له، و لمن يكونا أحقّ بإكرام أنفسهما منك بإكرام نفسك، قال: فما منعك أن تشير عليّ بهذا قبل أن أفعل ما فعلت؟ قال: و ما علمي أنّك تفعل ذلك قبل أن تفعل؟

قال: فهب لي صمتاً حتى ترى رأيي ٦٠٦.

و روى الطبري: أن محمّد بن أبي بكر لما قعد على صدر عثمان لقتله، و أخذ لحيته، قال له عثمان: ما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه. فقال له محمّد بن أبي بكر: لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك ٦٠٧.

و روى الزبير بن بكار أن عمر لما أتى بجوهر كسرى، وضع في المسجد، فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر، فقال لخازن بيت المال: ويلك (ويحك)! أرحني من هذا، و اقسمه بين المسلمين، فإنّ نفسي تحدّثني أنّه سيكون في هذا بلاء و فتنه بين الناس. فقال: إن أقسمته (قسّمته) بين المسلمين لم يسعهم، و ليس أحد يشتره، لأنّ ثمنه عظيم، و لكن تدعه إلى قابل، فعسى الله أن يفتح على المسلمين بمال فيشتره منهم من يشتره. قال:

ارفعه و أدخله بيت المال.

ص: ٢٢٧

و قتل عمر و هو بحاله، فأخذه عثمان لما ولى الخلافة فحلّى به بناته ٦٠٨.

«و أنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و شيجة» أي: اشتباك.

٦٠٦ (١) الإمامة و السياسة ١: ٢٩-٣١، و نقله الشارح بتلخيص.

٦٠٧ (٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٩٣، سنة ٣٥.

٦٠٨ (١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦.

«رحم منهما» كان عثمان يجتمع مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جده الرابع عبد مناف، وأبو بكر يجتمع معه صلى الله عليه وآله وسلم في جده السابع مرة بن كعب، وعمر في جده الثامن كعب بن لؤي، وكانت أم عثمان أروى بنت كريز، وأمه البيضاء بنت عبد المطلب، فأمه كانت من عبد شمس ابن عبد مناف، وأم أمه من هاشم، وأم أبي بكر كانت سلمى من تميم مثله، وأم عمر كانت حنتمة من مخزوم، فهو كان أقرب في النسب أمًا وأبًا^{٦٠٩}.

«و قد نلت من صهره ما لم ينالا» فتزوج عثمان برقية، ثم بعد موتها بأم كلثوم بنتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت قبله عند عتبة بن أبي لهب، وعتيبة بن أبي لهب.

وأبو بكر وعمر لم ينالا صهرية منه صلى الله عليه وآله وسلم لكن تزوج صلى الله عليه وآله وسلم بابتيهما ولم ينل ذلك عثمان.

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «و أنت أقرب - إلى - ما لم ينالا» كلام موضع المثل: «يسر حسوا في ارتقاء»، و مراده تفضيل نفسه عليهما، لأن العلة التي باعتبارها فضل عثمان عليهما محققة فيه وزيادة، لأن له مع المناقبة الهاشمية^{٦١٠}.

قلت: بل كلام ابن أبي الحديد موضع التهوع، أين أمير المؤمنين الذي هو كنفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأين ابن أبي قحافة وابن الخطاب وابن عفان الذين لم يكن فيهم شيء سوى أن نالوا ملكا معجلا غضبا فتنة للناس؟ «هل يستوي»

ص: ٢٢٨

«الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»^{٦١١} «أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ»^{٦١٢} «فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^{٦١٣}.

«فالله الله في نفسك فإنك والله ما تبصر من عمى، ولا تعلم من جهل، وإن الطرق لواضحة، وإن أعلام الدين» أي: رايته.

«لقائمة» يبصرها كل أحد.

في (الطبري): لما انصرف المصريون بواسطة علي عليه السلام طلب من عثمان أن يتكلم بكلام يشهدون عليه بنزوعه وإنابته لئلا يقدم ركب آخر لتمخض البلاد عليه، فخرج فخطب فقال: أيها الناس، والله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله، وما جئت شيئا إلّا وأنا أعرفه، ولكنني منتني نفسي وكذبتني، و ضلّ عنّي رشدي، ولقد سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

^{٦٠٩} (٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي: ١٣، ١٥، ٧٤، ٧٥، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١.

^{٦١٠} (٣) شرح ابن أبي الحديد: ٩: ٢٤٣.

^{٦١١} (١) الزمر: ٩.

^{٦١٢} (٢) الرعد: ١٦.

^{٦١٣} (٣) يونس: ٣٥.

«من زلّ فليتب، و من أخطأ فليتب، و لا يتمادى فى الهلكة، إنّ من تمادى فى الجور كان أبعد من الطريق»، فأنا أول من أتعظ^{٦١٤}.

«فاعلم» و فى (ابن ميثم): «و اعلم»^{٦١٥}.

«أن أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هدى و هدى، فأقام سنة معلومة، و أمات بدعة مجهولة» قال تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ»^{٦١٦}.

«و إن السنن لنيرة» كالنجوم، و يقال للشمس و القمر: النيران.

ص: ٢٢٩

«لها أعلام» أى: علائم فلا يمكن لأحد أن يدخل فيها البدع.

«و إن البدع لظاهرة» كالنار على المنار.

«لها أعلام» فلا يمكن لأحد أن يجعلها من السنن.

فبيت المال، السنة فيه كانت معلومة من وجوب صرفه فى مصالح الإسلام و المسلمين، و بذل عثمان له لبنى امية أعداء الإسلام بدعة واضحة، و تسمية عثمان فعله صلة الرحم مخزاة له، فإن مورد صلة الرحم بذل الإنسان مال شخصه لرحمه الذى كان رضى الله فى صلته، و أمّا من كان من أعداء الله فلا يجوز إعطاؤه من ماله فضلا عن مال غيره.

«و إن شرّ الناس عند الله إمام جائر ضلّ و ضلّ به، فأمات سنة مأخوذة، و أحيا بدعة متروكة». قال تعالى: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ»^{٦١٧}.

«و إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر و ليس معه نصير و لا عاذر. يلقى» هكذا فى (المصرية)^{٦١٨} و الصواب: «فيلقى» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب).

«فى نار جهنم» و فى (ابن ميثم)^{٦١٩}: «فى جهنم»^{٦٢٠}.

^{٦١٤} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٠-٣٦١، سنة ٣٥.

^{٦١٥} (٥) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢ أيضا فاعلم.

^{٦١٦} (٦) الأنبياء: ٧٣.

^{٦١٧} (١) القصص: ٤١-٤٢.

^{٦١٨} (٢) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

«فيدور فيها كما تدور الرحي، ثم يرتبط في قعرها» و في نسخة (ابن ميثم):

«ثم يرتبك في قعرها و يرتبط»^{٦٢١}.

ص: ٢٣٠

روى الثقفى فى (تاريخه) عن ابن عباس قال: استأذن أبو ذرّ على عثمان فأبى أن يأذن له، فقال لى: استأذن لى عليه، فرجعت فاستأذنت له عليه، قال:

إنه يؤذنى. فقلت: عسى أن لا يفعل. فأذن له من أجلي، فلما دخل عليه قال: اتق الله يا عثمان، فجعل يقول لعثمان: اتق الله و عثمان يتوعده، فقال أبو ذرّ: حدّتنى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم أنّه يجاء بك و بأصحابك يوم القيامة فتبطحون على وجوهكم، فتمرّ عليكم البهائم فتطأكم، كلّما مرّت اخرها ردتّ اولها حتّى يفصل بين الناس.

قال يحيى بن سلمة: فحدّتنى العزّمى أنّ فى هذا الحديث: «ترفعون حتّى إذا كنتم مع الثريا ضرب بكم على وجوهكم فتطأكم البهائم»^{٦٢٢}.

ثمّ إنّ كلام أمير المؤمنين عليه السّلام واضح الدلالة على أنّ عثمان إمام جائر، قال النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم فيه ما قال، كما أنّ حديث أبى ذرّ صريح الدلالة فيه.

«و إني أنشدك» بالفتح.

«الله» و فى (ابن ميثم): «يا عثمان إني أنشدك الله»^{٦٢٣}.

«أن لا تكون» هكذا فى (المصرية)^{٦٢٤} و الصواب: «أن تكون» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٦٢٥}.

«إمام هذه الامّة المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل فى هذه الامّة إمام يفتح عليها» أى: على الامّة.

^{٦١٩} (٣) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٦١، و لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢: أيضا يلقى.

^{٦٢٠} (٤) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢: أيضا فى نار جهنّم.

^{٦٢١} (٥) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢: أيضا ثم يرتبط فى قعرها.

^{٦٢٢} (١) نقله عن الثقفى العلّامة المجلسى فى بحار الأنوار ط الكمباني ٨: ٣٣٦.

^{٦٢٣} (٢) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢: «و إني أنشدك» أيضا.

^{٦٢٤} (٣) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

^{٦٢٥} (٤) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٢٦٢، و لكن فى شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢: «أن لا تكون» أيضا.

«القتل و القتال إلى يوم القيامة» روى (سنن أبي داود) عن ثوبان مولى النبيّ عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لَأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكُهَا بَسَنَةٌ بَعَامَةً، وَ لَا يَسْلُطَ

ص: ٢٣١

عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم - إلى أن قال -: و إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، و إذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة^{٦٢٦}.

و في (الطبري): قال أبو معشر: بويح لعثمان سنة أربع و عشرين عام الرعاف، و إنما قيل لهذه السنة عام الرعاف لأنه كثر الرعاف فيها في الناس^{٦٢٧}.

قلت: بيعته عام الرعاف كانت دليلاً على كثرة قتل الناس بسببه بغير حق، مثل سنة بيعة ابن عمّه يزيد بن معاوية.

قال ابن قتيبة في (خلفائه): قدم عمرو بن سعيد الأشدق من قبل يزيد أميراً على المدينة و على الموسم، فلما استوى على المنبر رعى، فقال اعرابيّ مستقبله: «مه! جاءنا و الله بالدم»، فتلقاه بعمامته، فقال: «مه! عمّ و الله الناس»، ثمّ قام يخطب، فناوله عصا له شعبتان، فقال: «مه! شعب و الله الناس»^{٦٢٨}.

و في (صفين نصر): قال رجل لعدى بن حاتم يوم صفين: أ لم أسمعك تقول يوم الدار: «و الله لا يخنق (تحقيق) فيها - أي في قضية قتل عثمان - عناق حولية»^{٦٢٩}، و قد رأيت ما كان فيها؟ - و قد كانت فقتت عين عدى و قتل بنوه -

ص: ٢٣٢

قال: بلى و الله لقد خنقت (حبقت) فيه العناق و التيس الأعظم^{٦٣٠}.

^{٦٢٦} (١) سنن أبي داود ٢: ٤٩٩ ح ٤٢٥٢.

^{٦٢٧} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٢، سنة ٢٤.

^{٦٢٨} (٣) الإمامة و السياسة ٢: ٣.

^{٦٢٩} (٤) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٢٢٥ تحت الرقم ٣٥٤٨ ما لفظه:

« لا تحقيق في هذا الأمر عناق حولية » قاله عدى بن حاتم حين قتل عثمان رضى الله عنه، فلما كان يوم الجمل فقتت عين عدى و قتل ابنه بصفين، فقيل له: يا أبا طريف، أ لم تزعم أنه لا تحقيق في هذا الأمر عناق حولية؟ فقال: بلى و الله، التيس الأعظم قد حبقت فيه، قالوا: و لما كان بعد ذلك دخل على معاوية و عنده عبد الله بن الزبير، فقال ابن الزبير: يا أمير المؤمنين! هجه فإنّ عنده جوابا، فقال معاوية: أما أنا فلا، و لكن دونك إن شئت. فقال له ابن الزبير: أيّ يوم فقتت عينك يا عدى؟ قال: في اليوم الذي قتل فيه أبوك مدبرا و ضربت على قفاك موليا، فأفحمه.

يضرب المثل في أمر لا يعاب به و لا غير له، أي لا يدرك فيه نأز. و العناق: الانثى من ولد المعز، و الجمع أعتق و عنوق. (الصحاح ٤: ١٥٣٤، مادة: عوق). و الحولية:

التي أتى عليها حول، و كل ذى حافر أول سنة حولي، و الأنثى حولية، و الجمع حوليات. (لسان العرب ٣: ٣٩٨، مادة: حول)

^{٦٣٠} (١) وقعة صفين: ٣٥٩ - ٣٦٠، شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٩.

و فى خير (خلفاء ابن قتيبة) - بعد ذكر مكالمة معاوية لأمير المؤمنين عليه السلام و الصحابة فى أمر عثمان ثم انصرفهم -: فقال عثمان لمعاوية: ما ترى؟ قال له معاوية: أرى أن تأذن لى بضرب أعناق هؤلاء القوم - إلى أن قال -: فقال معاوية: فثالثة. قال: و ما هى؟ قال: اجعل لى الطلب بدمك إن قتلت. قال عثمان: نعم هذه لك إن قتلت فلا يطلّ دمي^{٦٣١}.

و حينئذ فأوزار كلّ قتل و قتال، منها قتل سيّد شباب أهل الجنّة و أسر بنات النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و منها قتل كلّ مؤمن كعمّار و غيره ممّن قتل فى الجمل و صفّين، و كلّ قتل و قتال يقعان إلى يوم القيامة على عثمان.

و بذلك صرّح أمير المؤمنين عليه السلام فى شخوصه إلى صفّين، مضافا إلى فحوى كلامه فى ما مرّ من مكالمته مع عثمان، فروى الأعمش - و قد نقله ابن أبى الحديد فى موضع آخر - عن الحكم بن عتيبة، عن قيس بن أبى حازم قال:

سمعت عليّا على منبر الكوفة و هو يقول: «يا أبناء المهاجرين، انفروا إلى أئمة الكفر، و بقيّة الأحزاب، و أولياء الشيطان. انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، فو الله الذى فلق الحبة، و برأ النسمة، إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئا»^{٦٣٢}.

و قيس الراوى هذا ليس بشيعى بل ناصبى، روى هذا عنه عليه السلام ذمّا له، فقال بعد نقل كلامه عليه السلام: و لمّا سمعته قال: «انفروا إلى بقيّة الأحزاب»

ص: ٢٣٣

دخل بغضه فى قلبى^{٦٣٣}.

و حينئذ فجميع من قتل بنو امية من معاوية إلى آخرهم و بنو العباس جميعهم من المؤمنين و من أئمة الدين أوزارهم على عثمان.

و فى (موقفيات ابن بكّار): أن رجلا جاء إلى علىّ عليه السلام يستشفع به إلى عثمان فقال: «حمّال الخطايا، لا و الله لا أعود إليه أبدا»^{٦٣٤}.

كما أن أوزار عثمان على من أسس له الأوّل و الثانى، و به صرّح معاوية فى جوابه لكتاب محمّد بن أبى بكر^{٦٣٥}. لا سيّما الأخير فى تدبيره له مع عرفانه له.

^{٦٣١} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٣١، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٦٣٢} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٩٤، بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٣٤٢.

^{٦٣٣} (١) المصدر نفسه ٢: ١٩٤ - ١٩٥.

^{٦٣٤} (٢) أخبار الموقفيات للزبير بن بكّار: ٦١٣ رقم ٣٩٧، بحار الأنوار ط الكمباني ٨: ٣٣٤.

^{٦٣٥} (٣) نقله الطبرسى فى الاحتجاج ١: ١٨٤.

و روى الكشى عن الورد بن زيد: أن الكميت سأل أبا جعفر عن الرجلين (الشيخين)؟ فقال (عليه السلام): ما اهريق دم و لا حكم بحكم (يحكم) غير موافق لحكم الله و حكم رسوله إلّا و هو فى أعناقهما^{٦٣٤}.

و عن (تاريخ إبراهيم الثقفى) عن خيثمة عن ابن مسعود قال: بينا نحن فى بيت و نحن اثنا عشر رجلا نتذاكر أمر الدجال و فتنته، إذ دخل النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم فقال: «ما تتذكرون من أمر الدجال، و الذى نفسى بيده إن فى البيت لمن هو أشدّ على أمتى من الدجال». قال ابن مسعود: و قد مضى من كان فى البيت غيرى و غير عثمان^{٦٣٧}.

«و يلبس» و فى (ابن ميثم): «و يلبس»^{٦٣٨}.

ص: ٢٣٤

«أمورها عليها»، و المراد: عامّة الأئمّة، و أمّا خواصّهم كطلحة و الزبير و عائشة و عمرو بن العاص فكانوا عارفين باستحقاقه القتل، و كان الأوّلان من قاتليه، و الأخيران من المحرّضين على قتله، و لبس الأوّلون بقيامهم للطلب بدمه كالأخير مع معاوية المحبّ لقتله ليكون وسيلةً لنيله الخلافة.

«و يثبت» هكذا فى (المصرية)^{٦٣٩}، و الصواب: «و يثبت» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٦٤٠}.

«الفتن فيها» ففتنة الجمل و صفين كانت باسم طلب ثاره، و فتنة النهروان كان أمر عثمان سبها.

«فلا يبصرون الحقّ من الباطل يموجون فيها موجا، و يمرجون» أى:

يختلطون و يضطربون.

«فيها مرجا» و لا سيّما أن معاوية وضع لهم أن من اطلق عليه اسم الخلافة بأىّ نحو كان، يكون حجّة الله و فى درجة رسول الله، فكان مسلم بن عقبة^{٦٤١} مستبيح المدينة يقول فى احتضاره: اللهم إنى لم انكر خليفة من خلفائك^{٦٤٢}.

^{٦٣٤} (٤) اختيار معرفة الرجال ٢: ٤٦١ الرقم ٣٤١.

^{٦٣٧} (٥) نقله عنه العلامة المجلسى فى بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٣٣٨.

^{٦٣٨} (٦) شرح ابن ميثم المصححة ٢: ٣٠٣ خ ١٦٣ بلفظ: يلبس.

^{٦٣٩} (١) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

^{٦٤٠} (٢) ورد بلفظ «يثبت» ٣: ٣٠٣ خ ١٦٣.

^{٦٤١} (٣) فى الإصابة ٣: ٤٩٣-٤٩٤: مسلم بن عقبة بن رباح المرىّ أبو عقبة، الأمير من قبل يزيد بن معاوية على الجيش الذين غزوا المدينة يوم الحرّة ... و قد أفحش مسلم القول و الفعل بأهل المدينة، و أسرف فى قتل الكبير و الصغير حتى سمّوه مسرفا، و أباح المدينة ثلاثة أيام لذلك، و العسكر ينهبون و يقتلون و يفجرون، ثمّ رفع القتل و بايع من بقى على أنّهم عبيد ليزيد بن معاوية و توجه العسكر إلى مكّة ليحارب ابن الزبير لتخلّفه عن البيعة ليزيد فعوجل بالموت فمات بالطريق و ذاك سنة ثلاث و ستين.

«فلا تكوننّ لمروان سبيقةً يسوقك حيث شاء» كما يسوق ناهب الدوابّ لها حيث يشاء.

«بعد جلال السنّ» أي: كبره.

«و تقضى العمر» أي: انتقضائه، فكان يومئذ - كما قال الواقديّ - ابن (٨٢) سنة^{٦٤٣}.

روى الطبري عن الواقديّ بإسناده عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قال: خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا، و بكى على المنبر و بكى الناس حتّى نظرت إلى لحيه عثمان مخضلةً من الدموع، و هو يقول: «اللهمّ إني أتوب إليك، و الله لئن ردّني الحقّ لأن أكون عبداً قنّاً لأرضينّ به، فإذا دخلت منزلي فادخلوا عليّ، فو الله لا أحتجب منكم، و لأعطينكم الرضا، و لأزيدنكم على الرضا، و لأنحينّ مروان و ذويه».

فلما دخل عثمان أمر بالباب ففتح، و دخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة و الغارب حتّى فتله عن رأيه، و أزاله عمّا كان يريد، فلقد مكث عثمان ثلاثة أيام ما خرج، استحياء من الناس، و خرج مروان إلى الناس فقال: «شاهت الوجوه، ارجعوا إلى منازلكم، فإن يكن للخليفة حاجةً بأحد منكم يرسل إليه، و إلّا قرّ في بيته».

قال عبد الرحمن بن الأسود: فجئت إلى عليّ عليه السّلام فأجده بين القبر و المنبر، و أجد عنده عمّار و محمّد بن أبي بكر و هما يقولان: «صنع مروان بالناس و صنع». قال: فأقبل عليّ عليه السّلام عليّ و قال: أحضرت خطبةً عثمان؟ قلت:

نعم. قال: أ فحضرت مقالةً مروان للناس؟ قلت: نعم. قال: «يا للمسلمين! إني إن

قعدت في بيتي قال لي - أي عثمان -: تركنتي و قرابتي و حقّي، و إني إن تكلمت فجاء ما يريد يلعب به مروان، فصار سبيقةً^{٦٤٤} له يسوقه حيث شاء بعد كبر السنّ»^{٦٤٥}.

و قال ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١: ٢١٥ في واقعة الحرّة ما لفظه: فبلغ عدّة قتلى الحرّة يومئذ من قريش و الأنصار و المهاجرين و وجوه الناس، ألفا و سبعمائة، و سائرهم من الناس عشرة آلاف، سوى النساء و الصبيان.

^{٦٤٢} (٤) أورد اليعقوبي نصاً آخر لمسلم بن عقبة و هو «اللهمّ إن عذبتني بعد طاعتني لخليفتك يزيد بن معاوية، و قتل أهل الحرّة، فإني إذا لشقى» راجع تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥١.

^{٦٤٣} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤١٥، سنة ٣٥.

^{٦٤٤} (١) السبيقة: ما استاقه العدو من الدوابّ، مثل الوسيقة. (الصحاح ٤: ١٤٩٩، مادة: سوق).

و روى الطبرى عن الواقدي أيضا بإسناده أنّ عليا عليه السلام جاء إلى عثمان بعد انصراف المصريين، فقال له: تكلم كلاما يسمعه الناس منك و يشهدون عليه، و تشهد (يشهد) الله على ما فى قلبك من النزوع و الإنابة، فلا آمن ركبا آخر يقدمون من الكوفة، فتقول: اركب إليهم، و لا أقدر أن أركب إليهم، و لا أسمع عذرا. و يقدم ركب آخر من البصرة فتقول: اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتنى قد قطعت رحمك، و استخففت بحقك.

فخرج عثمان فخطب الخطبة التى نزع فيها، و أعطى (الناس) من نفسه التوبة، فلما نزل وجد فى منزله مروان و سعيدا و نفرا من بنى امية، و لم يكونوا شهدوا الخطبة، فلما جلس قال مروان: أ تكلم أم أصمت؟ فقالت نائلة امرأة عثمان الكلبيّة: لا بل اصمت، فإنهم و الله قاتلوه و مؤتموه، إنّه قد قال مقالة لا ينبغى له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان، فقال: ما أنت و ذاك! فو الله لقد مات أبوك و ما يحسن أن يتوضأ. فقالت له: مهلا يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبى و هو غائب، تكذب عليه! و إن أباك لا تستطيع أن تدفع عنه، أما و الله لو لا أنه عمّه، و أنه يناله غمه، أخبرتكم عنه بما لم (لن) أكذب عليه.

فأعرض عنها مروان، ثم قال: أ تكلم أم أصمت؟ قال: بل تكلم. فقال مروان: بأبى أنت و أمى! و الله لوددت أن مقاتلتك هذه كانت و أنت ممتنع منبع، فكنت أول من رضى بها، و أعان عليها، و لكنك قلت ما قلت حين بلغ الحزام

ص: ٢٣٧

الطبيين، و خلف السيل الزبى، و حين أعطى الخطبة الذليلة الذليل، و الله لإقامة على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تخوف عليها، و إنك إن شئت تقربت بالتوبة و لم تقرب (تقرر) بالخطيئة، و قد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس.

فقال عثمان: فاخرج إلى الناس فكلّمهم، فإنى أستحيى أن أكلمهم. فخرج مروان إلى الباب فقال: أما و الله لئن رتمونا ليمرنّ عليكم منا أمر لا يسركم، و لا تحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا إلى منازلكم، فإننا و الله لسنا بمغلوبين على ما فى أيدينا.

فرجع الناس و خرج بعضهم حتى أتى عليا عليه السلام فأخبره الخبر، فجاء مغضبا حتى دخل على عثمان، فقال: أما رضيت من مروان و لا رضى منك إلّا بتحرفك عن دينك و عن عقلك، مثل جمل الطعينة يقاد حيث يسار به، و الله ما مروان بذى رأى فى دينه و لا فى نفسه، و ايم الله إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك، و ما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتبتك، أذهبت شرفك، و غلبت على أمرك^{٦٤٤}.

قلت: و مع كون حال عثمان على ذلك المنوال، إخواننا لا يجعلون أمثال ذلك مبطلا لإمامته، فكانت إمامته كوضوء مرأة معروفة كان يطأها الرجال واحد بعد واحد، و كلما قام عنها رجل تشتغل بالصلاة حتى يجيء آخر بوضوئها الأول.

فعمل السوء و الباطل و الجور و الفساد، أى شىء لم يأت به عثمان؟ لكن إخواننا أرادوا أن يرضوا معاوية بن أبى سفيان لعين النبى صلى الله عليه و آله و سلّم فى موطن بعد موطن.

^{٦٤٥} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٣-٣٦٤، سنة ٣٥.

^{٦٤٦} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٠-٣٦٢، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

ص: ٢٣٨

ثمّ لعمر الله هل يصل صلابه وجه البشر إلى هذا الحدّ الذي بلغها وجه عثمان في مواعيده التي كانت كمواعيد عرقوب^{٦٤٧}؟ و لقد أجاد أبو تمام في وصف فرس:

أيقنت أن تثبت أن حافره
من صخر تدمر أو وجه عثمان^{٦٤٨}

قول المصنّف: «فقال له عثمان: كَلِّم الناس في أن يُوجِّلونى حتّى أخرج إليهم من مظالمهم. فقال عليه السّلام: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله وصول أمرك إليه».

روى الطبرى مسندا عن الزبير - بعد ذكر كتاب المصريين إلى عثمان -:

إنّا و الله لله نغضب، و فى الله نرضى، و إنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبة مصرحة، أو ضلالة مجلحة^{٦٤٩}.

قال: و كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، و يقسمون له بالله لا يمسون عنه أبدا حتّى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله.

قال: فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه و أهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم، فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى علىّ بن أبى طالب فيطلب إليه أن يردهم عنه، و يعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتّى يأتيه امداد، فقال لهم عثمان: إنّ القوم لن يقبلوا التعليل، و قد كان منّى فى قدمتهم الاولى ما كان، فمتى أعطهم ذلك يسألونى الوفاء به.

فقال مروان: مقاربتهم حتّى تقوى أمثل من مكائرتهم على القرب،

ص: ٢٣٩

فأعطهم ما سألوكم، و طاولهم ما طاولوك، فإنّما هم بغوا عليك، فلا عهد لهم.

^{٦٤٧} (١) قال الجوهري فى الصحاح ١: ١٨٠ ما لفظه: عرقوب اسم رجل من العمالقة ضربت به العرب المثل فى الخلف فقالوا: مواعيد عرقوب.

^{٦٤٨} (٢) ورد فى ديوانه: «حلفت ان لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان» و هو فى مدح عثمان بن إدريس السامى. راجع شرح ديوان أبى تمام:

٥٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٨٧ م. ط ١.

^{٦٤٩} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٩، سنة ٣٥.

فأرسل إلى عليّ عليه السّلام فلما جاءه قال: يا أبا الحسن، إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت، و كان منّي ما قد علمت، و لست آمنهم على قتلى، فأرددهم عنّي، فإنّ لهم عهد الله عزّ و جلّ أن أعتبهم من كلّ ما يكرهون، و أن أعطيهم الحقّ من نفسى و من غيرى، و إن كان فى ذلك سفك دمي.

فقال له عليّ عليه السّلام: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك، و إنى لأرى قوما لا يرضون إلّا بالرضا، و قد كنت أعطيهم فى قدمتهم الاولى عهدا من الله:

لترجعنّ عن جميع ما تقموا، فرددتهم عنك، ثمّ لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغرنّى هذه المرّة من شيء فإنّى معطيهم عليك الحقّ. قال: نعم، فأعطيهم، فو الله لأفّين لهم.

فخرج عليّ عليه السّلام إلى الناس، فقال: أيّها الناس، إنكم إنمّا طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه، و إن عثمان قد زعم أنّه منصفكم من نفسه و من غيره، و راجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه و وكّدوا عليه.

قال الناس: (قد) قبلنا فاستوثق لنا منه، فإنّا و الله لا نرضى بقول دون فعل. فقال لهم: ذلك لكم. ثمّ دخل عليه فأخبره الخبر، فقال له عثمان: اضرب بينى و بينهم أجلا يكون لى فيه مهلة، فإنّى لا أقدر على ردّ ما كرهوا فى يوم واحد. فقال له عليّ عليه السّلام: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، و ما غاب فأجله و صول أمرك إليه. قال: نعم، و لكن أجّلنى فى ما بالمدينة ثلاثة أيّام. قال عليّ عليه السّلام: نعم، فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، و كتب بينهم و بين عثمان كتابا أجّله فيه ثلاثا، على أن يردّ كلّ مظلّم، و يعزل كلّ عامل كرهوه، ثمّ أخذ عليه فى الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد و ميثاق، و أشهد عليه ناسا من وجوه المهاجرين و الأنصار، فكفّ المسلمون عنه و رجعوا إلى

ص: ٢٤٠

أن يفى لهم بما أعطاهم من نفسه، فجعل يتأهب للقتال، و يستعدّ بالسلاح - و قد اتخذ جندا عظيما من رقيق الخمس - فلما مضت الأيّام الثلاثة - و هو على حاله لم يغيّر شيئا ممّا كرهوه، و لم يعزل عاملا - ثار به الناس. و خرج عمرو بن حزم الأنصارى حتّى أتى المصريّين و هم بذى خشب، فأخبرهم الخبر، و سار معهم حتّى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تائب من إحداثك، و راجع عمّا كرهنا منك، و أعطيتنا على ذلك عهد الله و ميثاقه؟

قال: بلى، أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذى وجدنا مع رسولك، و كتبت به إلى عاملك؟ - إلى أن قال: - فحصره أربعين ليلة، و طلحة يصلّى بالناس^{٦٥٠}.

هذا، و فى (الطبرى): قال الوليد بن يزيد يوم قتل و هو يقاتلهم: من جاء برأس فله خمسمائة. فجاء قوم بأرؤس، فقال الوليد: اكتبوا أسماءهم. فقال أحد من جاء برأس: ليس هذا بيوم يعمل فيه بنسيئة!^{٦٥١} و فى (الأغانى): عن إسحاق الموصلىّ قال: عمل

^{٦٥٠} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٩ - ٣٧١، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٦٥١} (٢) المصدر نفسه ٧: ٢٥٢، سنة ١٢٦.

محمد المخلوع^{٦٥٢} سفينة فأعجب بها، وركب فيها يريد الأنبار، وأنا مقبل على قبض (بعض) أبواب السفينة فصاحوا: إسحاق إسحاق. فوثبت فدنوت منه، فقال لي: كيف ترى سفينتي؟ فقلت: حسنة عمرها الله ببقائك. قال: قل فيها أبياتا. فقلت، فقال لي: أحسنت يا إسحاق، وحياتك لأهبن لك عشرة آلاف دينار. قلت: متى؟ إذا وسع الله عليك! فضحك و دعا بها على المكان^{٦٥٣}.

نقلت هذا بمناسبة قوله عليه السلام: «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه»^{٦٥٤}.

ص: ٢٤١

٨

من الخطبة (١٥٢) منها:

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَ لَمَعَ لَامِعٌ وَ لَاحَ لَائِحٌ- وَ اعْتَدَلَ مَائِلٌ وَ اسْتَبَدَلَ اللَّهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا وَ بِيَوْمٍ يَوْمًا- وَ انْتَهَرْنَا الْغَيْرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطْرَ «قد طلع طالع» يقال: طلعت الشمس و القمر.

«و لمع لامع» يقال: لمع البرق.

«و لاح لائح» يقال: لاح النجم.

«و اعتدل» أى: استقام برجوع الأمر إليه عليه السلام.

«مائل» أى: ما اعوج من الامور أيام عثمان.

فى (الطبرى): قال الزهرى: خرج محمد بن أبى بكر و محمد بن أبى حذيفة عام خرج عبد الله بن سعد- فى غزوته الروم سنة ٣١- فأظهرا عيب عثمان و ما غير، و ما خالف به أبى بكر و عمر، و أن دم عثمان حلال. و يقولان:

استعمل عبد الله بن سعد، رجلا كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أباح دمه و نزل القرآن بكفره، و أخرج النبى صلى الله عليه و آله و سلم قوما فأدخلهم عثمان، و نزع أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم و استعمل سعيد بن العاص و عبد الله بن عامر. فبلغ ذلك عبد الله بن سعد، فقال:

^{٦٥٢} (٣) هو محمد الأمين بن هارون الرشيد.

^{٦٥٣} (٤) الأغاني ٥: ٤٠٥-٤٠٦.

^{٦٥٤} (٥) نهج البلاغة ٢: ٨٦.

لا تركبا معنا، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين، و لقوا العدو، و كانا انكل (أكل) المسلمين قتالا، فقبل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكمه - إلخ^{٦٥٥}.

و فيه أيضا: قال العلاء بن عبد الله العنبري: اجتمع ناس من المسلمين، فتذاكروا أعمال عثمان و ما صنع، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلا

ص: ٢٤٢

يكلمه، و يخبره بإحداثه، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثم العنبري - و هو الذي يدعى عامر بن عبد قيس - فأتاه، فدخل عليه فقال له: إن ناسا من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت امورا عظاما، فاتق الله عز و جل و تب إليه، و انزع عنها.

فقال عثمان: انظروا إلى هذا، يزعم الناس أنه قارئ، ثم هو يجيء فيكلمني في المحقرات، فو الله ما يدري أين الله! قال عامر: أنا لا أدري أين الله! قال: نعم، و الله ما تدري أين الله! قال عامر: بلى و الله إنني لأدري أن الله بالمرصاد لك.

فأرسل عثمان إلى معاوية، و إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، و إلى سعيد بن العاص، و إلى عبد الله بن عامر، و إلى عمرو بن العاص، فجمعهم ليشاورهم في أمره و ما طلب إليه، و ما بلغه عنهم، فلما اجتمعوا عنده قال لهم:

إن لكل امرئ وزراء و نصحاء، و إنكم وزرائي و نصحائي و أهل ثقتي، و صنع الناس ما قد رأيتم، و طلبوا إلي أن أعزل عما لي، و أن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبون، فاجتهدوا رأيكم، و أشيروا علي.

فقال عبد الله بن عامر: رأيي لك أن تشغلهم بجهاد يشغلهم عنك، و أن تجمرهم^{٦٥٦} في المغازي حتى يذلوا لك فلا يكونن هم أحدهم إلا نفسه، و ما هو فيه من دبرة دابته، و قمل فروه.

ثم أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: إن كنت تريد (تري) رأينا فاحسم عنك الداء، و اقطع عنك الذي تخاف، و اعمل برأبي تصب. قال: و ما هو؟ قال: إن لكل قوم قادة متى تهلك يتفرقوا، و لا يجتمع لهم أمر، فقال عثمان: إن هذا هو الرأي لو لا ما فيه.

ص: ٢٤٣

ثم أقبل على معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى أن ترد عمالك على الكفاية لما قبلهم، و أنا ضامن لك قبلي.

^{٦٥٥} (١) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٢، سنة ٣١.

^{٦٥٦} (١) تجمير الجيش: أن تحبسهم في أرض العدو و لا تقلهم من النغر. (الصحاح ٢: ٦١٦، مادة: جمر).

ثمّ أقبل عثمان على عبد الله بن سعد فقال: ما رأيك؟ قال: أرى أنّ الناس أهل طمع، فأعطيهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ثمّ أقبل على عمرو بن العاص، فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنّك قد ركبت الناس بما يكرهون، فاعتزم أن تعادل، فإنّ أبيت فاعتزم أن تعزل، فإنّ أبيت فاعتزم عزمًا، و امض قدما. فقال له عثمان: مالك قمل فروك؟ أ هذا الجدّ منك! فأسكت عنه دهرا، حتّى إذا تفرّق القوم، قال عمرو لعثمان: لا والله لأنّك أعزّ علىّ من ذلك، ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كلّ رجل منّا، فأردت أن يبلغهم قولي فينتقوا بي، فأقود إليك خيرا، أو أدفع عنك شرّاً^{٦٥٧}.

و رواه عن الزهريّ أيضا و زاد: فردّ عثمان عمّا له على أعمالهم، و أمرهم بالتضييق على من قبلهم، و أمرهم بتجمير الناس في البعوث، و عزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه، و يحتاجو إليه^{٦٥٨}.

«و استبدل الله بقوم قوما. و بيوم يوما» قال ابن أبي الحديد: أى: استبدل الله بعثمان و شيعته عليّا عليه السّلام و شيعته، و بأيّام ذاك أيّام هذا^{٦٥٩}.

قلت: استبدل بالظلمة النور، و بالجور العدل، و بالباطل الحقّ.

و فى (خلفاء ابن قتيبة) - بعد ذكر خطبة له عليه السّلام فى التحريض على جهاد معاوية - ثمّ قام أبو أيّوب الأنصارىّ فقال: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قد أسمع من كانت له اذن و اعية، و قلب حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها

ص: ٢٤٤

حقّ قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عمّ الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، و خير المسلمين و أفضلهم و سيّدهم بعده، يفقهكم فى الدين، و يدعوكم إلى جهاد المحلّين، فو الله لكأنّكم صمّ لا تسمعون، و قلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون، أ ليس إنّما عهدكم بالجور و العدوان أمس، و قد شمل العباد، و شاع فى الإسلام، فذو حقّ محروم، و مشتوم عرضه، و مضروب ظهره، و ملطوم وجهه، و موطوء بطنه، و ملقى بالعراء، فلما جاءكم أمير المؤمنين عليه السّلام صدع بالحقّ، و نشر العدل (بالعدل)، و عمل بالكتاب، فاشكروا نعمه الله عليكم، «و لا تتولّوا مجرّمين»^{٦٦٠}.

و فى (جمل محمّد بن محمّد بن النعمان): لما بعث علىّ عليه السّلام الأشتر إلى الكوفة لما أراد قتال البصرة، صعد الأشتر المنبر و قال بعد حمده تعالى و ذكر الإسلام - إلى أن قال -: ثمّ ولىّ رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره، و عمل فى أحكام الله بهوى نفسه، فسألناه أن يعزل نفسه عنّا فلم يفعل، و أقام على أحداثه، فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا و دنيانا، و لا يبعد الله إلّا القوم

^{٦٥٧} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٣-٣٣٤، سنة ٣٤.

^{٦٥٨} (٢) نفس المصدر ٤: ٣٣٥، سنة ٣٤.

^{٦٥٩} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣.

^{٦٦٠} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٥٢-١٥٣، و الآية ٥٢ من سورة هود.

الظالمين، و قد جاءكم الله بأعظم الناس مكانا، و أجلهم فى الإسلام سهما، ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و أفقه الناس فى دين الله، و أقرئهم لكتاب الله، و أشجعهم عند اللقاء يوم البأس، و قد استنفركم فما تنتظرون؟ أ سعيد الذى فعل ما فعل، أم الوليد الذى شرب الخمر و صلّى بكم على سكر، أى هذين تريدون؟ قبح الله من له هذا الرأى^{٦٦١}.

«و انتظرنا الغير» أى: التغيرات.

«انتظار المجذب» أى: من أصابه القحط.

ص: ٢٤٥

«المطر» كان انتظار الناس أيام عثمان انتظار ناس أصابهم القحط لمطر يحييهم.

ولمّا أخرج عثمان أبا ذرّ إلى الربذة، و شيّعه أمير المؤمنين عليه السّلام و الحسنان عليهما السلام، قال له الحسين عليه السّلام: يا عمّاه، إن الله تعالى قادر على أن يغيّر ما ترى، و هو كلّ يوم فى شأن^{٦٦٢}.

و فى (تاريخ التقي): أن رجلا شهد الجمعة عند معاوية بالجابية لقي أبا الدرداء و صاحبا له فى طريق، فقال لهما: خبر كرهت أن اخبركما به، فقال أبو الدرداء: لعلّ أبا ذرّ قد نفى. قال: نعم و الله. فاسترجع أبو الدرداء و صاحبه قريبا من عشر مرّات، ثمّ قال أبو الدرداء لصاحبه: «فَارْتَقِيْهُمُ وَ اصْطَبِرْ»^{٦٦٣} كما قيل لأصحاب الناقة^{٦٦٤}.

و فى (سقيفة الجوهري): عن أبي كعب الحارثي - فى خبر - أنّه كان يجيء عند عثمان إذ جاء نفر فقالوا: إنّه أبى أن يجيء. فغضب عثمان و قال: أبى أن يجيء! اذهبوا فجيئوا به، فإن أبى فجرّوه جرّا. قال: فمكثت قليلا فجاءوا و معهم رجل آدم طوال أصلع، فى مقدّم رأسه شعرات، و فى قفاه شعرات، فقلت: من هذا؟ قالوا: عمّار.

فقال له عثمان: أنت الذى تأتيك رسلنا فتأبى أن تجيء؟ فكلمه بشيء لم أدر ما هو - إلى أن قال -: فتبعت عثمان حتّى دخل المسجد، فإذا عمّار جالس إلى سارية، و حوله نفر من أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يبكون، فقال عثمان: يا وثاب علىّ بالشرط. فجاءوا، فقال: فرقوا بين هؤلاء.

ص: ٢٤٦

ثمّ اقيمت الصلاة، فتقدّم عثمان فصلّى بهم، فلما كبرّ قالت امرأة من حجرتها: تركتم أمر الله، و خالفتم عهده. ثمّ صمتت و تكلمت اخرى بمثل ذلك، فإذا هما عائشة و حفصة. فسلم عثمان ثمّ أقبل على الناس فقال: إنّ هاتين لفتانتان، يحلّ لى سبهما،

^{٦٦١} (٢) الجمل للمفيد: ٢٥٤ - ٢٥٥، و نقله الشارح بتصرّف.

^{٦٦٢} (١) السقيفة و فدك ٧٦ - ٧٧، شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٥٣ - ٢٥٤.

^{٦٦٣} (٢) من الآية ٢٧ فى سورة القمر.

^{٦٦٤} (٣) نقله عنه، العلّامة المجلسي رضى الله عنه فى بحار الأنوار ٨: ٣٣٧ ط الكمباني.

و أنا بأصلهما عالم. فقال له سعد: أ تقول هذا لحبائب النبي؟ فقال له: و فيم أنت! و ما ها هنا، ثم أقبل نحو سعد عامدا ليضربه، فانسل سعد - إلى أن قال - : فلقى عليّا عليه السّلام بباب المسجد، فقال عثمان له: أ لست الذي خلفك النبيّ يوم تبوك؟ فقال له عليّ عليه السّلام: أ لست الفارّ يوم احد؟!^{٦٦٥}.

و في (موفقيّات الزبير بن بكار) عن ابن عبّاس - في خبر - قال عثمان لعمّار: أما إنك من شنأنا و أتباعهم، و ايم الله، إن اليد عليك منبسطة، و إن السبيل إليك لسهلة - إلى أن قال - فقال له عمّار: و الله ما أعتذر من حبّي عليّا عليه السّلام. فقال له عثمان: إنك و الله ما علمت لمن أعوان الشرّ الحاضين عليه، الخذلة عند الخير و المتبطين عنه. فقال عمّار: مهلا يا عثمان، فقد سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يصفني بغير ذلك. قال عثمان: و متى؟ قال: يوم دخلت أنا عليه منصرفه عن الجمعة، و ليس عنده غيرك، و قد ألقى ثيابه، و قعد في فضله^{٦٦٦}، فقّبلت أنا صدره و نحره و جبهته، فقال: يا عمّار، إنك لتحبنا و إننا لنحبك، و إنك لمن الأعوان على الخير و المتبطين عن الشرّ.

فقال عثمان: أجل و لكنك غيرت و بدلت. فرفع عمّار يديه يدعو و قال:

آمن يا ابن عبّاس، اللهم من غير فغير به!^{٦٦٧}.

و روى (الموفقيّات) أيضا عن عليّ عليه السّلام قال: أرسل إلى عثمان في

ص: ٢٤٧

الهجرة^{٦٦٨}، فتقنعت بثوبي، فأتيتها، فدخلت عليه و هو على سريرته، و في يده قضيب، و بين يديه مال دثر^{٦٦٩}: صبرتان من ورق و ذهب، فقال: دونك خذ من هذا حتّى تملأ بطنك فقد أحرقتني. فقلت: وصلتك رحماً! إن كان هذا المال و رثته، أو أعطاكه معط، أو اكتسبته من تجارة، كنت أحد رجلين: إمّا آخذ و أشكر، أو أفرّ و أجهد، و إن كان من مال الله و فيه حقّ المسلمين و اليتيم و ابن السبيل، فو الله مالك عليّ أن تعطينيه، و لا لى أن آخذه. فقال: أبيت و الله إلا ما أبيت. ثمّ قام إلىّ بالقضيب فضربني، و الله ما أردّ يده حتّى قضى (حاجته)، فتقنعت بثوبي، و رجعت إلى منزلي، و قلت: الله بيني و بينك إن كنت أمرتك بمعروف أو نهيتك عن منكر!^{٦٧٠}.

و روى الثقفى في (تاريخه) عن داود بن الحصين الأنصارى أن محمّد بن مسلمة الأنصارى قال يوم قتل عثمان: ما رأيت يوماً قطّ أقرّ للعيون و لا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم.

^{٦٦٥} (١) السقيفة و فذك: ٧٩-٨١، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣-٥، و نقله الشارح بتلخيص.

^{٦٦٦} (٢) ثوب فضل، تقول: خرجت في فضل أى: في ثوب واحد ملحفة أو نحوها. أساس البلاغة: ٣٤٣، مادة (فضل).

^{٦٦٧} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠-١١.

^{٦٦٨} (١) الهجر و الهجرة: نصف النهار عند اشتداد الحرّ. (الصحاح ٢: ٨٥١، مادة: هجر).

^{٦٦٩} (٢) الدثر - بالفتح - المال الكثير. يقال: مال دثر و أموال دثر. (الصحاح ٢: ٦٥٥، مادة: دثر).

^{٦٧٠} (٣) أخبار الموفقيّات للزبير بن بكار: ٦١٢ رقم ٣٩٥، مطبعة العاني، بغداد، شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦.

و روى عن أبى سفيان قال: أتيت محمّد بن مسلمة فقلت: قتلتم عثمان؟

قال: نعم، و أيم الله ما وجدت رائحةً هي أشبه برائحة يوم بدر من رائحة هذا اليوم^{٦٧١}.

قلت: صدق، ففي بدر قتل جمع من الجبابرة، و اسر جمع من الجبابرة، و فى ذاك اليوم قتل رئيس الجبابرة عثمان رئيس بنى امية الشجرة الملعونة، فذلّوا و خزيوا.

ثم تشبيهه أمر محبوب متوقّع بمطر بعد جذب، كما فى كلامه عليه السّلام، أمر

ص: ٢٤٨

شائع، قال الفرزدق:

إِنّى و إِيّاك إذ حلّت بأرحلنا كمن بواديه بعد المحل ممطور

^{٦٧٢} و قال آخر:

و حديثها كالغيث يسمعها راعى سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا و يقول من فرح هياربا^{٦٧٣}

و لمّا كثر عبث هشام بن عبد الملك بالوليد بن يزيد و بند مائه، قال أحدهم:

لعلّ الوليد دنا ملكه فأمسى إليه قد استجمعا

^{٦٧١} (٤) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار ٨: ٣٤٠ ط الكمباني.

^{٦٧٢} (١) أورده أبو الفرج الاصبهاني فى الأغاني ٢١: ٣٠٨ هكذا:

إنّا و إِيّاك إن بلغن أرحلنا

كمن بواديه بعد المحل ممطور

^{٦٧٣} (٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٨٢، دار الكتاب العربى.

و كُنَّا نُوَمِّلُ فِي مَلِكِهِ

كُنَّا مِيلُ ذِي الْجَدْبِ أَنْ يَمْرَعَا^{٦٧٤}

قلت: لكن الوليد وعد ذلك من نفسه إلا أنه لم يفعل كعثمان الذي وعد الناس الخير في أول خلافته لما حصل له العي في خطبته، و لم يفعل إلا الشر.

قال أبو الفرج في (أغانيه): لما خرج زيد بن عليّ عليّ هشام منع أهل مكة و المدينة أعطياتهم، فلما ولي الوليد بعده كتب إلى أهل مكة و المدينة:

ضمنت لكم إن لم تصابوا بمهجتي

بأن سماء الضرّ عنكم ستقلع

فلما فعل خلاف ما قال، قال حمزة بن بيض ردًا عليه:

وصلت سماء الضرّ بالضرّ بعد ما

زعمت سماء الضرّ عنّا ستقلع

فليت هشاما كان حيّا يسوسنا

و كُنَّا كَمَا كُنَّا نَرْجَى وَ نَطْمَعُ^{٦٧٥}

هذا، و بعضهم بدل في التشبيه، المطر بعد المحل بقرب الغريق إلى

ص: ٢٤٩

الساحل فقال:

إذا قلت أي فتى تعلمون

أهش إلى الطعن بالذابل

و أضرب للقرن يوم الوغى

و أطعم في الزمن الماحل

^{٦٧٤} (٣) الأغاني ٧: ٨ - ٩.

^{٦٧٥} (٤) الأغاني ٧: ٢١ - ٢٢.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد قال: كلامه عليه السّلام «و انتظرنا الغير، انتظار المجدب المطر» يدلّ على أنّه عليه السّلام كان يتربّص بعثمان الدوائر، و يرتقب حلول الخطوب بساحته.

فإن قلت: أ يجوز على مذهب المعتزلة أن يقال: إنّ عليه السّلام كان ينتظر قتل عثمان، انتظار المجدب المطر، و هل هذا إلّا محض مذهب الشيعة! قلت: إنّ عليه السّلام و إن قال: «انتظر الغير» يجوز أن يكون أراد انتظار خلعه و عزله عن الخلافة، فإنّ عليّاً عليه السّلام عند أصحابنا كان يذهب إلى أنّ عثمان يستحقّ الخلع بأحداثه، و لم يستحقّ القتل.

فإن قلت: أ تقول المعتزلة أنّ عليّاً عليه السّلام كان يذهب إلى فسق عثمان المستوجب لأجله الخلع؟

قلت: كلاً! حاش لله أن تقول المعتزلة ذلك! و إنّما تقول: إنّ عليّاً عليه السّلام كان يرى أنّ عثمان يضعف عن تدبير الخلافة، و أنّ أهله غلبوا عليه، و استبدّوا بالأمر دونه، و استعجزه المسلمون، و استسقطوا رأيه، فصار حكمه حكم الإمام إذا عمى، أو أسره العدو، فإنّه ينخلع من الإمامة^{٦٧٤}.

قلت: هب أن الأمر كما ذكر، فإذا كان عثمان بالغا درجة الانخلاع فضلا عن استحقاقه الخلع، هل صار قتله موجبا لاستحقاق الخلافة،

ص: ٢٥٠

فكيف يقولون بإمامته؟

ثمّ لم أعلم أىّ شيء يجعلون معنى الفسق، فإن لم يكن عثمان بتلك الأحداث فاسقا فلا فاسق فى الدنيا.

ثمّ كيف لم يكن فاسقا بها و قد قال تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^{٦٧٧}؟

و قال جلّ و علا: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»^{٦٧٨}.

و قال عزّ اسمه: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»^{٦٧٩}.

^{٦٧٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣-١٥٤، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

^{٦٧٧} (١) المائة: ٤٧.

^{٦٧٨} (٢) المائة: ٤٥.

وكان عمّار يقول: هذه الثلاثة تشهد بكفره وأنا الرابع^{٦٨٠}.

و سبحان الله! هل حبّ الشىء يعمى الإنسان و يصمّه بدرجّة يسلبه فطرياته و ضروريّات العقول؟ و إلّا فمن قال بإمامة أبي بكر و عمر في عصر عثمان كُفّر عثمان، و أباح دمه، و إنّما حمل معاوية عدوّ الاسلام و لعين النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم في غير موطن الناس بالسيف على القول به.

ثمّ كيف يقول ابن أبي الحديد: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لم يقل بفسقه، و لا باستحقاقه القتل!^{٦٨١} و الأشرّ يصيح بين يديه في صفّين:

مخالف قد خالف الرحمانا

لا يبعد الله سوى عثمانا

ص: ٢٥١

نصرتوه عابدا شيطانا^{٦٨٢}

و عمّار يصيح بين يديه - كما في (صفّين نصر بن مزاحم) -: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون - فيما يزعمون - بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، و يقول هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه. فقالوا: إنّ ما أحدث شيئا. و ذلك لأنّه مكّنهم من الدّنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يباليون لو انهدّت عليهم الجبال. و الله ما أظنّهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون أنّه كان ظالما، و لكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها و استمروها و علموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها. و لم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقّون بها الطاعة و الولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوما، ليكونوا بذلك جبابرة^{٦٨٣}.

و روى الثقفى أنّ رجلا قال لعمّار يوم صفّين: علام تقاتلهم؟ قال: على أنّهم زعموا أنّ عثمان مؤمن و نحن نزعم أنّه كافر^{٦٨٤}.

^{٦٧٩} (٣) المائدة: ٤٤.

^{٦٨٠} (٤) تفسير العياشى ١: ١٢٣ - ٣٢٣، الشافى في الإمامة ٤: ٢٩١.

^{٦٨١} (٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣.

^{٦٨٢} (١) وقعة صفّين: ١٧٨.

^{٦٨٣} (٢) وقعة صفّين: ٣١٩.

^{٦٨٤} (٣) نقله عنه العلّامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار ٨: ٣٣٨ ط الكمباني.

و روى الواقدى - كما فى (تقريب الحلبى) -: أنه قيل لحذيفة:

ما تقول فى قتلة (قتل) عثمان؟ فقال: هل هو إلاً كافر قتل كافراً أو مسلم قتل كافراً؟ فقالوا: ما جعلت لعثمان مخرجاً. قال: إنَّ الله لم يجعل له مخرجاً^{٦٨٥}.

ص: ٢٥٢

٩

الخطبة (٢٤) و من كلام له عليه السّلام قاله لعبد الله بن عباس، و قد جاءه برسالة من عثمان، و هو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بينبع، ليقبّل هتف الناس باسمه للخلافة، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل.

فقال عليه السّلام:

يَا؟ ابْنِ عَبَّاسٍ؟ مَا يُرِيدُ؟ عُثْمَانُ؟ - إِلَّا أَنْ يُجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغَرْبِ أَقْبِلُ وَ أَدْبِرُ - بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ - ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ - وَ اللَّهُ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِمًا أَقُولُ: هَذَا الْعِنَانُ فِي (المصرية) قبل عنوان واحد من آخر باب الخطب^{٦٨٦}، و الصواب جعله قبل خمسة عناوين، أى قبل عنوان: «و من كلام له عليه السّلام اقتصر فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{٦٨٧}.

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السّلام قاله لعبد الله بن عباس و قد جاءه برسالة من عثمان» هكذا فى (المصرية)^{٦٨٨}، و فى (ابن ميثم): «من عند عثمان»^{٦٨٩}، و فى (ابن أبى الحديد): «من عثمان بن عفّان»^{٦٩٠}، و الصواب ما فى (ابن ميثم)، لكون نسخته بخطّ المصنّف.

«و هو محصور» أى: حاصره الناس.

ص: ٢٥٣

«يسأله فيها» ليس «فيها» فى (ابن ميثم)^{٦٩١}.

^{٦٨٥} (٤) المصدر نفسه ٨: ٣٣٩.

^{٦٨٦} (١) نهج البلاغة ٢: ٢٦٠.

^{٦٨٧} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٣: ٢٩٦، و شرح ابن ميثم ٤: ٣٢٢.

^{٦٨٨} (٣) نهج البلاغة ٢: ٢٦٠.

^{٦٨٩} (٤) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٢٢: «من عثمان» أيضا.

^{٦٩٠} (٥) فى شرح ابن أبى الحديد المطبوع ١٣: ٢٩٦: «من عثمان» أيضا.

«الخروج إلى ماله بينبع»، قال (الصحاح): ينبع بلد^{٦٩٢}. و قال فى (القاموس): ينبع حصن له عيون و نخيل و زروع بطريق حاجّ مصر^{٦٩٣}.

و قال ابن دريد: ينبع بين مكّة و المدينة^{٦٩٤}.

و قال غيره: ينبع من أرض تهامة غزاها النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فلم يلق كيدا و هى قريبة من طريق الحاجّ الشامى، و قال الشريف الينبعى: عدت بها مائة و سبعين عينا^{٦٩٥}.

و قال الحموى فى (بلدانه): قال عرّام السلمى: ينبع عن يمين رضوى لمن كان منحدرًا من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل، و هى لبني حسن بن علىّ، و كان يسكنها الأنصار و جهينة و ليث، و فيها عيون عذاب غزيرة، و واديهما ليليل، و بها منبر، و هى قرية غناء و واديهما يصبّ فى غيقة، و قال غيره: ينبع حصن به ماء و نخيل و زرع، و بها وقوف لعلّى عليه السّلام يتولّاها ولده^{٦٩٦}.

«ليقل هتف الناس» أى: تصويتهم و صيحتهم.

«باسمه للخلافة» و فى نسخة (ابن ميثم)^{٦٩٧}: «بالخلافة».

«بعد أن كان» أى: عثمان.

ص: ٢٥٤

«سأله مثل ذلك» أى: خروجه إلى ينبع.

«من قبل» هذه المرّة.

«فقال عليه السّلام» الكلمة تأكيد، و إلّا فلا حاجة إليها بعد قوله: «و من كلام له عليه السّلام».

^{٦٩١} (١) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٢٢: «فيها» أيضا.

^{٦٩٢} (٢) الصحاح ٣: ١٢٨٨: مادة (نبع).

^{٦٩٣} (٣) القاموس المحيط ٣: ٨٧: مادة (نبع).

^{٦٩٤} (٤) جمهرة اللغة ١: ٣٦٨: مادة (نبع).

^{٦٩٥} (٥) معجم البلدان ٥: ٤٥٠.

^{٦٩٦} (٦) المصدر نفسه ٥: ٤٤٩ - ٤٥٠.

^{٦٩٧} (٧) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٢٢: «للخلافة» أيضا.

قوله عليه السّلام: «يا بن عبّاس ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً» هكذا في (المصرية)^{٦٩٨} و الصواب: «ما يريد عثمان أن يجعلني إلّا جملاً» كما في (ابن ميثم و الخطيب)^{٦٩٩}.

«ناضحا» أى: مستقيا عليه.

«بالغرب» أى: الدلو العظيم.

«اقبل» بلفظ المتكلّم من الإقبال.

«و ادبر» كما يقبل و يدبر الجمل الناضح بالغرب.

«بعث إلىّ أن أخرج ثمّ بعث إلىّ أن اقدم، ثمّ هو الآن يبعث إلىّ أن أخرج» و في (ابن ميثم): «ثمّ هو يبعث الآن إلىّ أن أخرج»^{٧٠٠}.

في (العقد الفريد): قال ابن عبّاس: أرسل إلىّ عثمان فقال لى: اكفنى ابن عمّك! فقلت: إنّ ابن عمّى ليس بالرجل يرى له و لكنّه يرى لنفسه، فأرسلنى إليه بما أحببت. قال: قل له: فليخرج إلى ماله بينبع، فلا أعتّم به و لا يعتّم بى. فأتيته فأخبرته، فقال: ما اتّخذنى عثمان إلّا ناضحا، ثمّ أنشد يقول:

فيدوى فلا ملّ الدواء و لا الداء

فكيف به أتى ادوى جراحه

- إلى أن قال:- فخرج على عليه السّلام إلى ينبع، فكتب إليه عثمان حين اشتدّ

ص: ٢٥٥

عليه الأمر: أمّا بعد، فقد بلغ السيل الزبى، و جاوز الحزام الطّيبين، و طمع فىّ من كان يضعف عن نفسه.

ضعيف و لم يغلبك مثل مغلب

و إنك لم يفخر عليك كفخر

^{٦٩٨} (١) نهج البلاغة ٢: ٢٦١.

^{٦٩٩} (٢) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٣٢: «إلّا أن يجعلني جملاً» أيضا.

^{٧٠٠} (٣) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٣٢ «ثمّ هو الآن هو يبعث إلىّ أن أخرج».

فأقبل إليّ، وكن لي أم عليّ، صديقا كنت أم عدواً.

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل

و إلاً فأدركني و لماً امزق^{٧٠١}

و في (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنه لما اشتدّ الطعن على عثمان، استأذنه عليّ عليه السّلام في بعض بواديه ينتحى إليها، فأذن له، فلما اشتدّ الأمر عليه بعد خروج عليّ عليه السّلام، ورجا الزبير و طلحة أن يميلا إليهما قلوب الناس، و يغلبا عليهم، و اغتنما غيبة عليّ عليه السّلام كتب عثمان إلى عليّ عليه السّلام: أما بعد، فقد بلغ السيل الزبّي، و جاوز الحزام الطيبين، و ارتفع أمر الناس في شأنى فوق قدره، و زعموا أنّهم لا يرضون دون دمي، و طمع فيّ من لا يدفع عن نفسه.

و إنك لم يفخر عليك - البيت - و قد كان يقال: أكل السبع خير من افتراس الثعلب^{٧٠٢}.

«و الله لقد دفعت عنه حتى خشيت أن أكون آثما» بالدفاع عن ظالم.

في (الطبرى): قال أبو حبيبة: نظرت إلى سعد يوم قتل عثمان، دخل عليه ثم خرج و هو يسترجع ممّا يرى على الباب، فقال له مروان: الآن تندم! أنت أشعرت^{٧٠٣} - إلى أن قال - فقال له مروان: إن كنت تريد أن تذبّ عنه، فعليك بابن أبي طالب، فإنه مستتر، و هو لا يجبه، فخرج حتى أتى عليّاً عليه السّلام و هو بين القبر و المنبر - إلى أن قال - فقال له عليّ عليه السّلام: و الله ما زلت أذبّ عنه حتى إنّي

ص: ٢٥٦

لأستحيى، و لكن مروان و معاوية و عبد الله بن عامر و سعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى، فإذا نصحتة و أمرته أن ينحّهم استغشنى حتى جاء ما ترى. فبيناهم كذلك إذ جاء محمد بن أبي بكر، فسارّ عليّاً عليه السّلام، فأخذ عليّ عليه السّلام بيدي، و نهض و هو يقول: أى خير توبته هذه! فو الله ما بلغت دارى حتى سمعت الهائعة^{٧٠٤}، أن عثمان قد قتل^{٧٠٥}.

^{٧٠١} (١) العقد الفريد ٥: ٥٩ - ٦٠.

^{٧٠٢} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٣٤.

^{٧٠٣} (٣) قال الزمخشري: أشعرت أمر فلان: جعلته معلوما مشهورا، و أشعرت فلانا: جعلته علما بقييحة أشدتها عليه.

(أساس البلاغة: ٢٣٦، مادة: شعر).

^{٧٠٤} (١) الهائعة: الصوت الشديد (الصاح ٣: ١٣٠٩، مادة: هيج).

^{٧٠٥} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٧٧ - ٣٧٨، سنة ٣٥.

و فى (الطبرى) أيضا: لما خرج ابن عديس من مصر فى خمسمائة إلى عثمان و جاءوا حتى نزلوا اذا خشب، قال عثمان لعلّى عليه السّلام: احبّ أن تركب إليهم فتردّهم عنّى، فإنّى لا احبّ أن يدخلوا علىّ، فإنّ ذلك جرأة منهم علىّ، و يسمع (ليسمع) بذلك غيرهم.

فقال علىّ عليه السّلام له: علام أردّهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به علىّ و رأيتك لى، و لست أخرج من يديك. فقال علىّ عليه السّلام له: إننى قد كنت كلّمك مرّة بعد مرّة، فكلّ ذلك تخرج و تكلمّ، و تقول و تقول، و ذلك كلّ فعل مروان و سعيد بن العاص و ابن عامر و معاوية، أطعهم و عصيتنى. قال عثمان: فإنّى أعصيههم و أطيعك.

فركب على عليه السّلام إلى أهل مصر، فردّهم عنه، فانصرفوا راجعين^{٧٠٦}.

و روى أيضا: أنّه عليه السّلام جاء إلى عثمان بعد انصراف المصريين، و قال له:

تكلمّ كلاما يسمعه الناس منك و يشهدون عليه، و تشهد (يشهد) الله على ما فى قلبك من النزوع و الإنابة، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمن ركبا آخرين يقدمون من الكوفة، فتقول: اركب إليهم. و يقدم ركب آخرون من البصرة،

ص: ٢٥٧

فتقول: اركب إليهم، فإن لم أفل رأيتنى قد قطعت رحمك. فخرج فخطب الخطبة التى نزع فيها- إلى أن قال:- فخرج مروان إلى الباب و الناس يركب بعضهم بعضا، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب! شأهت الوجوه! تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! فإنّا و الله ما نحن بمغلوبين على ما فى أيدينا.

فرجع الناس و خرج بعضهم حتى أتى عليّا عليه السّلام فأخبره الخبر، فجاء مغضبا حتى دخل على عثمان، فقال له: أما رضيت من مروان و لا رضى منك إلّا بتحرّفك عن دينك و عن عقلك، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به، و الله ما مروان بذى رأى فى دينه و لا فى نفسه، و ايم الله إننى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك، و ما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتيتك، أذهبت شرفك، و غلبت على أمرك.

فلما خرج دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته، فقالت: قد سمعت قول على لك، و إنّه ليس يعاودك، و قد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فما ذا (فما) أصنع؟ قالت: تتقى الله، و تتبع سنّة صاحبيك من قبلك، فإنك متى أطعت مروان قتلك، و مروان ليس له عند الناس قدر و لا هيبة و لا محبة، و إنّما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى علىّ فاستصلحه. فأرسل إليه فأبى أن يأتيه، و قال: قد أعلمته أنّى لست بعائد^{٧٠٧}.

^{٧٠٦} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٧-٣٥٩، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٧٠٧} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٠-٣٦٣، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

و روى الطبرى أيضا: عن عبد الرحمن بن الأسود، قال: جاء رسول عثمان إلى على عليه السلام أن اتنى. فقال بصوت مرتفع عال مغضب: قل له: ما أنا بداخل عليك و لا عائد- إلى أن قال:- قال عبد الرحمن: فعدوت فجلست معه عليه السلام، فقال: جاءنى عثمان البارحة، فجعل يقول: إنك (إنى) غير عائد، و إنى

ص: ٢٥٨

فاعل. فقلت له: بعد ما تكلمت به على منبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و أعطيت من نفسك، ثم دخلت بيتك، و خرج مروان إلى الناس فشتتهم على بابك، فرجع عثمان و هو يقول: قطعت رحمى، و خذلتنى، و جرأت الناس على.

فقلت: و الله إنى لأذب الناس عنك، و لكنى كلما جئت بهنة أظنها لك رضا جاء باخرى، فسمعت قول مروان على، و استدخلت مروان.

قال عبد الرحمن: فلم أزل أرى عليا عليه السلام منكبا عنه لا يفعل ما كان يفعل، إلا أنى أعلم أنه قد كلم طلحة حين حصر فى أن يدخل عليه الروايات و غضب فى ذلك غضبا شديدا، حتى دخلت الروايات على عثمان^{٧٠٨}.

و روى أبو حذيفة فى كتابه مقتل عثمان- كما فى (جمل المفيد)- عن ابن إسحاق عن الزهرى قال: لما قدم أهل مصر فى ستمائة ركب، عليهم عبد الرحمن بن عديس البكرى (البلوى) فنزلوا ذا خشب و فيهم كنانة بن بشر الكنانى (الكندى)، و ابن بديل الخزاعى، و أبو عروة الليثى، و اجتمع معهم حكيم بن جبلة العبدى فى طائفة من أهل البصرة، و كميل بن زياد، و مالك الأستر، و صعصعة بن صوحان، و حجر بن عدى، فى جماعة من قرأ الكوفة الذين كانوا سيرهم عثمان من الكوفة إلى الشام حين شكوا أحداثه التى أنكرها عليه المهاجرون و الأنصار، فاجتمع فاجتمع القوم على عيب عثمان، و جهروا بذكر أحداثه، فمر بهم نفران، فقالا لهم: إن شئتم بلغنا عنكم أزواج النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فإن أمرنكم أن تقدموا فأقدموا. فقالا لهم: افعلا و اقصدا عليا عليه السلام آخر الناس.

فانطلقا فبدأ بعائشة و باقى أزواجه، ثم بأصحاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم فأمروا أن يقدموا المدينة، و صارا إلى على عليه السلام فأخبراه، فقال: هل أتيتما أحدا قبلى؟ قالوا:

نعم، أزواج النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه من المهاجرين و الأنصار، فأمروا أن يقدموا.

ص: ٢٥٩

فقال عليه السلام: لكنى لا أمرهم، بل يستغيثون بمن (يستعقبونه ممن) قرب، فإن أغائهم (أعتبهم) فهو خير لهم، و إن أبى فهم أعلم.

^{٧٠٨} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٤، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرف.

فخرجوا إليهم و تسرع جماعة من المدينة إليهم و اجتمعوا مع أهل ذى خشب و ذى مروة (أهل الحسب و ذوى المروآت).

فلما بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلى عليّ عليه السلام و قال: يا أبا الحسن اخرج إلى هؤلاء القوم و ردّهم. فخرج عليه السلام إليهم، فلما رأوه رحّبوا به و قالوا له: قد علمت ما أحدثه هذا الرجل من الأعمال الخبيثة، و ما يلقاه المسلمون منه و من عمّاله، و كُنّا لقيناه و استعتبناه فلم يعتبنا، و كلّمناه فلم يصغ إلى كلامنا و أغراه ذلك بنا، و قد جئناه نطالبه بالاعتزال عن إمرة المسلمين، و استأذنا فى ذلك المهاجرين و الأنصار و أزواج النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، فأذّنوا لنا فى ورود المدينة و نحن على ذلك.

فقال عليه السلام لهم: يا هؤلاء، تلبّثوا (تريثوا) و لا تسرعوا إلى شيء لا تعرفون عاقبته. فقالوا: هيهات! لا نقنع منه إلّا بالاعتزال عن هذا الأمر ليقوم به من يوثق به. فرجع عليه السلام إلى عثمان و أخبره بمقاتلتهم.

فخرج عثمان فخطب و جعل يدعو إلى نصرته، فقام إليه عمرو بن العاص فقال: إنك قد ركبت الناس بالتهمة (بالنهايير)، فتب إلى الله. فقال له:

و إنك لها هنا يا بن النابغة، ثمّ رفع يده إلى السماء و قال: أتوب إلى الله، اللهمّ إنى أتوب إليك.

فأنفذ عليّ عليه السلام إلى القوم بما صار إليه من التوبة و الإقلاع، و مع ذلك ساروا إليه بأجمعهم، و سار إليه عمرو بن معدى كرب فى ناس كثيرين و جعل يحرض على عثمان، و انضمّ إليهم من المهاجرين و الأنصار طلحة و الزبير و جمهور الأنصار، فخرج على عليه السلام إليهم و قال لهم: اتقوا الله ما لكم و للرجل!؟

ص: ٢٦٠

أما رجع عمّا أنكرتموه، أما تاب على المنبر توبة جهر بها؟! و لم يزل يلفظ بهم حتى سكنت فورتهم.

ثمّ سأله أهل مصر أن يلقاه فى عزل ابن أبى سرح، و أهل الكوفة فى عزل سعيد بن العاص، و أهل البصرة فى عزل ابن كريز، و يعدل عمّا كان عليه من منكر الأفعال. فدخل عليه السلام عليه، و لم يزل به حتى أعطاه ما أراد القوم، و بذل لهم اليهود و الأيمان. فخرج على عليه السلام إليهم بما ضمنه له، و لم يزل بهم حتى تفرّقوا.

فلما سار أهل مصر ببعض الطريق - إلى أن قال -: رأوا كتابا من عثمان إلى ابن أبى سرح: إذا أتاك كتابى فاضرب عنق عمرو بن بديل، و عبد الرحمن البكرى (البلوى)، و اقطع أيدى علقمة، و كنانة، و عروة و أرجلهم، ثمّ دعهم يتشخّطون فى دمائهم، فإذا ماتوا فأوقفهم على جذوع النخيل (النخل).

فدخل عليّ عليه السّلام على عثمان و قال له: إنّك وسطنتني أمرا بذلت الجهد فيه لك، أمّا أنا فمعتز لك و شأنك و أصحابك. و خرج من عنده و دخل داره و أغلق عليه بابه^{٧٠٩}.

١٠

الخطبة (١٣٥) و من كلام له عليه السّلام:

يَا ابْنَ اللَّعِينِ الْأُبْتَرِ - وَ الشَّجْرَةَ الَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَ لَا فَرْعَ - أَنْتَ تَكْفِينِي - فَوَاللَّهِ مَا أَعَزَّ اللَّهُ مِنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ - وَ لَا قَامَ مِنْ أَنْتَ مُنْهَضُهُ - أَخْرَجَ عَنَّا أَبْعَدَ اللَّهُ نَوَاكٍ ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ - فَلَا أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ

ص: ٢٤١

أقول: قال ابن أبي الحديد ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغه - ج ٨ ص ٣٠٢ و ٣٠٣: روى عوانة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي: أن عثمان لما كثرت شكايته من عليّ عليه السّلام، أقبل لا يدخل عليه أحد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم إلّا شكاه إليه، فقال له زيد بن ثابت الأنصاري - و كان من شيعته و خاصّته -: أ فلا أمشى إليه فاخبره بموجدتك فيما يأتي إليك؟ قال:

بلى. فأتاه زيد و معه المغيرة بن الأحنس بن شريق الثقفي - و عداده في بنى زهرة، و أمّه عمّة عثمان - في جماعة فدخلوا عليه.

ثمّ قال له زيد: إنّ الله قدّم لك سلفا صالحا في الإسلام، و جعلك من الرسول بالمكان الذي أنت به، فأنت للخير كلّ الخير أهل، و عثمان ابن عمّك، و والي هذه الامّة، فله عليك حقّان: حقّ الولاية و حقّ القرابة، و قد شكنا إلينا أن عليّا يعرض لي، و يردّ عليّ أمرى، و قد مشينا إليك نصيحة لك، و كراهية أن يقع بينك و بين ابن عمّك أمر نكرهه لكما.

فقال عليّ عليه السّلام: و الله ما احبّ الاعتراض، و لا الردّ عليه، إلّا أن يأبى حقّا لله لا يسعني أن أقول فيه إلّا بالحقّ، و و الله لأكفّن عنه ما وسعني الكفّ.

فقال المغيرة بن الأحنس - و كان رجلا وقاحا، و كان من شعبة عثمان و خلصائه -: إنّك و الله لتكفّن عنه أو لتكفّن، فإنّه أقدر عليك منك عليه! و إنّما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعدارا (إعزازا) إليك ليكون له الحجّة عندهم عليك.

فقال له عليّ عليه السّلام: يا بن اللعين الأبتري، و الشجرة التي لا أصل لها و لا فرع، أنت تكفّني؟! فوالله ما أعز الله امرأ أنت ناصره، اخرج أبعد الله نواك، ثمّ أجهد جهدك، فلا أبقي الله عليك و لا على أصحابك إن أبقيتم.

^{٧٠٩} (١) تاريخ المدينة المنورة: ٣: ١١٢٤، و ٤: ١١٥١ - ١١٤١، الإمامة و السياسة ١: ٣٤ - ٣٨، أنساب الأشراف، الجمل للمفيد: ١٣٧ - ١٤١، و نقله الشارح عن الجمل بتصرّف و تلخيص.

فقال زيد: إنا والله ما جئناك لنكون عليك شهودا، ولا ليكون مشينا (ممشانا) إليك حجة، ولكن (مشينا فيما بينكما) التماس الأجر أن يصلح الله

ص: ٢٤٢

ذات بينكما، ثم قام فقاموا معه^{٧١٠}.

قال ابن أبي الحديد: وهذا الخبر يدل على أن اللفظة «تكفني» لا «تكفيني» كما ذكره الرضى، لكن الرضى طبق هذه اللفظة على ما قبلها، وهو قوله: «أنا أكفيكه» ولا شبهة أنه رواية أخرى^{٧١١}.

قلت: ورواه أئتم الكوفى فى (تاريخه ابن أئتم الكوفى - الفتوح - ج ١ ص ١٦ تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت) مثل (ابن أبى الحديد) و زاد: أن الأصل فى وقوع المشاجرة بين على عليه السلام و عثمان، أن عثمان أراد إخراج عمّار بعد أبى ذرّ إلى الربذة أيضا.

و مختصر روايته: أن عمّار لما سمع بوفاء أبى ذر فى الربذة ترخّم عليه فى حضور عثمان، فغضب و قال: ارسلوه إلى محل كان فيه أبو ذر. فقال له عمّار: مجاورة الكلاب و الخنازير أحبّ إلىّ من جوارك.

و خرج من عنده و عزم عثمان على إخراجهم، فاجتمع بنو مخزوم حلفاء عمّار إلى على عليه السلام و قالوا له: ضربه مرّة و فتقه اخرى، و الآن أراد إخراجهم، فالتقى عثمان ينصرف عن هذا و إلّا تكون فتنة. فدخل على عليه السلام على عثمان و قال له: أخرجت أبا ذر و هو من أجل الصحابة حتى مات فى الغربية، فانصرف وجوه المسلمين عنك، و الآن أردت إخراج عمّار فاتق الله. فغضب عثمان و قال:

يجب إخراجك أولا حتى لا تجترىء أمثال عمّار و فسادهم منك.

فقال له على عليه السلام: إنك لا تقدر على ذلك، و فساد أمثال عمّار من أعمالك لا منى، فأعمالك خلاف الدين فينكرون عليك. ثم خرج من عنده فاجتمع الناس إليه و قالوا: أراد عثمان أن يخرجنا جميعا حتى نموت بعيدين من أهاليها.

فقال عليه السلام: قولوا لعمّار: لا يخرج من بيته. فاطمأن بنو مخزوم

ص: ٢٤٣

باستظهاره عليه السلام، و قالوا له: لو كنت معنا لم يقدر عثمان على إضرارنا. فبلغ ذلك إلى عثمان، فشكاه عليه السلام إلى الناس فقال له زيد بن ثابت: لو تأذن القى عليّا.

^{٧١٠} (١) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٣٠٢ - ٣٠٣.

^{٧١١} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٣٠٣.

فخرج هو والمغيرة بن الأحنس إليه عليه السلام إلى آخر ما مر^{٧١٣}.

و تاريخ تأليف كتاب أعثم سنة (٢٠٤) كما صرح به مترجمه المتوفى، وكلّ منهما عامي^{٧١٣}.

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السلام» اقتصر عليه في (المصرية)^{٧١٤}، مع أنّه قال المصنّف بعده: «و قد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأحنس لعثمان: أنا أكفيكه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمغيرة» كما يشهد له نقل (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{٧١٥} مع اختلاف يسير، و اخترنا لفظ ما في (ابن ميثم) لكون نسخته بخطّ المصنّف.

ص: ٢٦٤

ثمّ من مشاجراته عليه السلام مع عثمان غير ما في المتن ما في (مروج المسعودي): أن عليّاً عليه السلام لمّا رجع من تشييع أبي ذرّ استقبله الناس و قالوا له:

إنّ عثمان عليك غضبان لتشييعك لأبي ذرّ، فقال عليه السلام: غضب الخيل على اللّجم^{٧١٦} - إلى أن قال: - فقال له عثمان: أو لم يبلغك أنّي نهيت الناس عن تشييع أبي ذرّ؟ فقال له عليّ عليه السلام: أو كلّ شيء أمرتنا به نرى طاعة الله و الحقّ في خلافه أتبعنا فيه أمرك؟ لا و الله. قال عثمان: أقد مروان - إلى أن قال: -

قال عثمان له عليه السلام: فو الله ما أنت عندي بأفضل من مروان. فغضب عليّ عليه السلام و قال: ألي تقول هذا القول، و بمروان تعدلني؟ - إلى أن قال: - فلمّا كان من الغد و اجتمع الناس إلى عثمان شكّا إليهم عليّاً عليه السلام و قال: إنّّه يعيبي و

^{٧١٢} (١) الفتوح لابن أعثم الكوفي ١: ١٦، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

^{٧١٣} (٢) قال ياقوت في معجم الأديب ٢: ٢٣٠ - ٢٣١ ما لفظه: «أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمّد الاخباريّ المؤرّخ، كان شيعياً، و هو عند أصحاب الحديث ضعيف، و له كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقدّر، ابتداءه بأيام المأمون، و يوشك أن يكون ذبلاً على الأوّل، رأيت الكتابين».

و عدّ العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ١: ٢٥ كتاب الفتوح من كتب تواريخ العامّة، و قال: و تاريخ الفتوح للأعثم الكوفي و تاريخ الطبري و ... و قال حاجي خليفة في كشف الظنون في ذيل عنوان فتوح الشام: و صنّف فيها أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفيّ و ترجمه أحمد بن محمّد المنوفيّ إلى الفارسيّة.

و قال الشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعة ٣: ٢٢١: قال المنوفيّ في أوّل ترجمة «الفتوح»: «ذكر عندي كتاب الفتوح الذي ألف سنة ٢٠٤» و هذا فيه غلط في تاريخ التّأليف جزماً، فإنّ ياقوت المعاصر للمترجم، لأنّه توفي سنة ٦٢٦، أخبر بأنّه رأى الكتابين: الفتوح المنتهى إلى عصر الرشيد، و التاريخ المنتهى فيه إلى أيام المقدّر المقتول سنة ٣٢٠، و هما لأحمد بن أعثم. فمؤلف هذا التاريخ كيف يكون تأليف فتوحه سنة ٢٠٤؟ فالظاهر أنّ المترجم بما أنّه لم يظفر بتاريخ ابن أعثم و إنّما ظفر بفتوحه فقط المنتهى إلى حدود سنة ٢٠٤، حسب ذلك تاريخ الفراغ لمؤلفه و ترجمه إلى الفارسيّة ...

^{٧١٤} (٣) نهج البلاغة ٢: ٢٥.

^{٧١٥} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١، شرح ابن ميثم ٣: ١٦٣.

^{٧١٦} (١) قال الميدانيّ في مجمع الأمثال ٢: ٥٦ ما لفظه: يضرب لمن يغضب غضباً لا ينتفع به، و لا موضع له، و نصب «غضب» على المصدر، أي: غضب غضب الخيل.

يُظَاهِرُ مِنْ يَعْينِي - يَرِيدُ بِذَلِكَ أَبَا ذَرٍّ وَعَمَّارًا وَغَيْرَهُمَا - فَدَخَلَ النَّاسَ بَيْنَهُمَا، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا أَرَدْتَ بِتَشْيِيعِ أَبِي ذَرٍّ إِلَّا اللَّهَ^{٧١٧}.

وَمَا فِي (تَارِيخِ التَّقْفِي) - عَلَى مَا فِي تَقْرِيبِ الْحَلْبِيِّ - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ بِأَبِي ذَرٍّ مِنَ الشَّامِ إِلَى عَثْمَانَ كَانَ مِمَّا أَتَبَهُ^{٧١٨} عَثْمَانَ بِهِ أَنْ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: أَجَلٌ، أَنَا أَقُولُ، وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَنِي رَابِعَ أَرْبَعَةٍ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مَا أَسْلَمَ غَيْرِنَا، وَمَا أَسْلَمَ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ، وَلَقَدْ وُلِّيَا وَمَا وُلِّيَتْ.

فَقَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتَهُ وَإِنَّهُ لَرَبِيعُ الْإِسْلَامِ. فَردَّ عَثْمَانَ ذَلِكَ عَلِيَّ عَلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ بَيْنَهُمَا كَلَامٌ، فَقَالَ عَثْمَانُ: وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ بِكَ. قَالَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

ص: ٢٤٥

وَأَنَا وَاللَّهِ لِأَهْمَّ بِكَ. فَقَامَ عَثْمَانُ وَدَخَلَ بَيْتَهُ^{٧١٩}.

وَنَقَلَ (ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ) أَيْضًا مَقْدَارًا مِنْ مَشَاجِرَاتِهِ^{٧٢٠}.

هَذَا، وَقَالُوا: كَانَ اسْمُ أَبِي الْمَغِيرَةِ بْنِ أَخْنَسِ أَبِييًّا، فَلَمَّا خَرَجَتْ قَرِيشٌ إِلَى بَدْرٍ، وَاتَّاهَمَ الْخَبْرُ عَنْ أَبِي سَفْيَانَ بِسَلَامَةِ الْعَيْرِ، قَالَ أَبِي لَبْنِي زَهْرَةَ - وَكَانَ حَلِيفًا لَهُمْ - : ارجعوا. فرجعوا. فقيل: خنس بهم أبي، فسمي الأخنس^{٧٢١}.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَا بْنَ اللَّعِينِ» قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: جَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَاهُ لَعِينًا، لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْبَرِ الْمُنَافِقِينَ، ذَكَرَهُ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ كُلَّهُمْ فِي الْمُؤَلَّفَةِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا يَوْمَ الْفَتْحِ بِأَسْنَتِهِمْ دُونَ قُلُوبِهِمْ، وَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَنَائِمِ حَنِينِ مَائَةً مِنَ الْإِبِلِ لِتَأْلِيفِهِ^{٧٢٢}.

قُلْتُ: وَرَوَى (أَسْبَابُ نَزُولِ الْوَاحِدِي): أَنْ فِيهِ نَزَلُ «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ»^{٧٢٣}.

^{٧١٧} (٢) مروج الذهب ٢: ٣٥٠-٣٥١، ونقله الشارح بتصريف و تلخيص.

^{٧١٨} (٣) التأنيب: المبالغة في التوبيخ والتعنيف. النهاية ١: ٧٣، مادة (أنب).

^{٧١٩} (١) نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، ٨: ٣٣٧ ط الكمباني.

^{٧٢٠} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٤-٢٥٥.

^{٧٢١} (٣) اسد الغاية ١: ٤٧-٤٨، الإصابة ١: ٢٥.

^{٧٢٢} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١.

^{٧٢٣} (٥) أسباب النزول: ٣٩، والآيات ٢٠٤-٢٠٦ من سورة البقرة.

ففيه قال السّدى: أقبل الأخنس بن شريق التقفى إلى المدينة فأظهر الإسلام، فأعجب النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم ذلك منه، وقال الأخنس: إنّما جئت أريد الإسلام، والله يعلم إنّى لصادق. ثمّ خرج من عند النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم فمرّ بزرع القوم من

ص: ٢٦٦

المسلمين و حمر، فأحرق الزرع و عقر الحمر، فأنزل فيه تلك الآيات ^{٧٢٤}.

و منه يظهر قول ابن أبي الحديد: أسلم يوم الفتح ^{٧٢٥}.

قال ابن أبي الحديد: و أبو الحكم بن الأخنس أخو المغيرة، قتله أمير المؤمنين عليه السّلام يوم احد كافرا فى الحرب، و الحقد الذى فى قلب المغيرة عليه عليه السّلام من جهة أخيه هذا ^{٧٢٦}.

قلت: و خرج ابنه عبد الله بن المغيرة، و ابن أخيه عبد الله بن أبى عثمان يوم الجمل عليه عليه السّلام فى الناكثين فقتلا ^{٧٢٧}.

و فى (إرشاد محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد): مرّ أمير المؤمنين عليه السّلام يوم الجمل فى القتل على عبد الله بن المغيرة، فقال عليه السّلام: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان فى الدار، فخرج مغضبا لقتل أبيه و هو غلام حدث حين ^{٧٢٨} لقتله.

ثمّ مرّ عليه السّلام بعبد الله بن أبى عثمان بن الأخنس، فقال عليه السّلام: أمّا هذا فكأنّى أنظر إليه - و قد أخذ القوم السيوف - هاربا يعدو من الصفّ، فنهته عنه فلم يسمع من نهته فقتله ^{٧٢٩}.

«الأبتر» قال ابن أبي الحديد: جعل عليه السّلام أباه أبتر، لأنّ من كان عقبه ضالّا خبيثا، فهو كمن لا عقب له، بل من لا عقب له خير منه ^{٧٣٠}.

قلت: الأصل فى كلامه عليه السّلام قوله تعالى: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ» ^{٧٣١} نزل

ص: ٢٦٧

^{٧٢٤} (١) أسباب النزول: ٣٩.

^{٧٢٥} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١.

^{٧٢٦} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١.

^{٧٢٧} (٤) الجمل للمفيد: ٣٩٣-٣٩٤.

^{٧٢٨} (٥) الحين - بالفتح -: الهلاك، يقال: حان يحين حيننا، و حينه الله فتحين. (لسان العرب ٣: ٤٢٣-٤٢٤، مادة: حين).

^{٧٢٩} (٦) الإرشاد ١: ٢٥٥-٢٥٦، الجمل: ٣٩٣-٣٩٤، بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٨.

^{٧٣٠} (٧) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١.

^{٧٣١} (٨) الكوثر: ٣.

في العاص أبي عمرو بن العاص.

و في (الأسباب) أيضا: تحدّث العاص مع النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند باب بني سهم، ثمّ دخل المسجد فقالت له قريش: من كنت تحدّث؟ قال ذاك الأبتّر- وقد كان ابنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من خديجة مات، وكانوا يسمّون من ليس له ابن أبتّر- فأُنزل تعالى سورة الكوثر^{٧٣٢}.

«و الشجرة التي لا أصل لها ولا فرع» قال ابن أبي الحديد: قال عليه السّلام ذلك لكون المغيرة من ثقيف، و في نسب ثقيف طعن، فهم يزعمون أنّهم من هوازن من قيس عيلان، وقيل: إنّهم من إباد بن نزار، وقيل: إنّهم من بقايا ثمود^{٧٣٣}.

و قال الحجاج: يزعمون أنّا من بقايا ثمود، و قد قال تعالى: «وَ ثَمُودَ فَمَا أَبْقَى»^{٧٣٤}.

قلت: و مع كونه بهذه المثابة من الخبائث افتعل له سيف الوضّاع خبرا في كون قاتله من أهل النار^{٧٣٥}، لكونه قتل مع عثمان يوم الدار^{٧٣٦}.

«أنت تكفيني؟ فو الله ما أعزّ الله من أنت ناصره» يعني عليه السّلام عثمان.

«و لا قام من أنت منهضه» أي: مقيمه، و ناهضة الرجل بنو أبيه الذين يغضبون له، هذا، و في (بلاغات أحمد بن أبي طاهر البغدادي): لمّا قتل عليّ عليه السّلام بعث معاوية في طلب شيعته، فكان في من طلب عمرو بن الحمق الخزاعي فراغ منه فأرسل إلى امرأته فحبسها في سجن دمشق سنتين، ثم إنَّ عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمر بن الحمق في بعض بلاد الجزيرة، فقتله

ص: ٢٤٨

و بعث برأسه إلى معاوية- و هو أول رأس حمل في الإسلام- فبعث معاوية بالرأس إلى امرأته في السجن- إلى أن قال:- فسمعها الاسلع الهلالي، و كان رجلا أسود أصلع أصعل، تذكر معاوية فقال: من تعنى هذه عليها لعنة الله.

فالتفتت إليه، فلمّا رأته قالت: خزيا لك و جدعا، أ تلعنني و اللعن بين جنبيك، و ما بين قرنك إلى قدميك، اخسأ يا هامة الصل و وجه الجعل، فأذلل بك نصيرا و اقلل بك نصيرا. فبهت الاسلع منها و اعتذر إليها^{٧٣٧}.

^{٧٣٢} (١) أسباب النزول: ٣٠٦-٣٠٧.

^{٧٣٣} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٣-٣٠٥.

^{٧٣٤} (٣) المصدر نفسه ٨: ٣٠٦، و الآية ٥١ من سورة النجم.

^{٧٣٥} (٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٩٠، سنة ٣٥.

^{٧٣٦} (٥) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٢، سنة ٣٥، شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٦.

^{٧٣٧} (١) بلاغات النساء لابن أبي طاهر البغدادي: ٨٧، دار النهضة الحديثة، بيروت.

و فى (كنايات الجرجانى) قال أبو حيان: رأيت أبا حامد فى مجلس ابن أمّ شيبان يناظر خصما له، فابتدر أبو جعفر الأبهري ليتكلّم مداخلا، فأنشد أبو حامد:

فإن تك قيس قدمتك لنصرها فقد خزيت قيس و ذلّ نصيرها^{٧٣٨}

«أخرج عنّا أبعاد الله نواك» فى (الصحيح): النوى: الوجه الذى ينويه المسافر من قرب أو بعد، و هى مؤنّثة^{٧٣٩}.

«ثمّ ابلغ جهدك» فى (الصحيح): قال الفراء: الجهد بالضمّ الطاقة، و بالفتح من قولك: اجهد جهدك فى هذا الأمر، أى: ابلغ غايتك، و المراد فيما تستطيع من الإيذاء و الإضرار^{٧٤٠}.

«فلا أبقي الله عليك إن أبقيت» شيئا ممّا يأتى من يديك. و قد قال عليه السّلام نظير هذا الكلام لحبيب بن مسلمة الفهريّ لمّا بعثه معاويةً إليه عليه السّلام فى صفّين، ففى (الطبرى): أنّ حبيبا قال له عليه السّلام: كان عثمان خليفةً مهديّا، يعمل بكتاب الله، و ينبى إلى أمر الله، فاستنقلتم حياتاه، و استبطّأتم وفاته، فعدوتم عليه

ص: ٢٦٩

فقتلتموه، فادفع إلينا قتلة عثمان - إن زعمت أنّك لم تقتله - تقتلهم به، ثمّ اعتزل أمر الناس، فيكون أمرهم شورى بينهم، يولّى الناس أمرهم من أجمع عليه رأيهم.

فقال عليه السّلام له: و ما أنت - لا أمّ لك - و هذا الأمر؟ اسكت فإنّك لست هنا لك و لا بأهل له! فقام و قال: و الله لترينى بحيث تكره. فقال عليه السّلام: و ما أنت، و لو أجلبت بخيلك و رجلك؟ لا أبقي الله عليك إن أبقيت علىّ، أحقره و سوءاً! اذهب فصوّب و اصعد (صعد) ما بدا لك^{٧٤١}.

ص: ٢٧٠

أبى طالب عليه السّلام و عقيلاً أخاه، و الحسن و الحسين عليهما السّلام و عمّارا، فإنّهم خرجوا معه يشيّعونه، فجعل الحسن عليه السّلام يكلمّ أبا ذرّ، فقال له مروان: ألا تعلم أنّ الخليفة قد نهى عن كلام هذا الرجل؟ فإن كنت لا تعلم ذلك فاعلم. فحمل

^{٧٣٨} (٢) الكنايات للجرجانى: ١٠٠، مطبعة السعادة، مصر.

^{٧٣٩} (٣) الصحيح ٦: ٢٥١٦، مادة (نوى).

^{٧٤٠} (٤) المصدر نفسه ٢: ٤٦٠، مادة (جهد).

^{٧٤١} (١) تاريخ الطبرى سنة ٥: ٧، ٣٧.

علیّ علیه السّلام علی مروان بالسوط بین اذنی راحلته، و قال له: تنحّ نحّاك (لحاك) اللّٰه إلى النّار! فرجع مروان مغضبا إلى عثمان، فأخبره الخبر، فتلطّی علی علیّ علیه السّلام. و وقف أبو ذرّ فودّعه القوم، و معه ذكوان مولى امّ هانى بنت أبی طالب.

قال ذكوان: فحفظت كلام القوم- و كان حافظا- فقال له علیّ: یا ابا ذرّ، إنّك غضبت للّٰه. أنّ القوم خافوك علی دنياهم، و خفتهم علی دينك، فامتحنوك بالقلی، و نفوك إلى العلی (الفلا)، لو كانت السماوات و الأرض علی عبد رتقا، ثمّ اتقى اللّٰه لجعل اللّٰه له منها مخارجا. یا ابا ذرّ لا یؤنسّك إلّا الحقّ، و لا یوحسّك إلّا الباطل.

ثمّ قال لأصحابه: ودّعوا عمّكم. و قال لعقیل: ودّع أخاك. فتكلّم عقیل، فقال: ما عسى أن نقول یا ابا ذرّ و أنت تعلم أنّا نحبّك، و أنت تحبّنا، و اتق اللّٰه فإنّ التقوى نجاه، و اصبر فإنّ الصبر كرم، و اعلم أنّ استتقالك الصبر من الجزع، و استبطاءك العافیة من الیأس، فدع الیأس و الجزع.

ثمّ تكلمّ الحسن علیه السّلام فقال: یا عمّاه لو لا أنّه لا ینبغی للمودّع أن یسكت.

و (لا بدّ- ظ) للمشیّع أن ینصرف، لقصر الكلام و إن طال الأسف، و قد أتى القوم إلیك ما ترى، فضع عنك (هم- ظ) الدنیا بتذکر فراقها، و شدّه ما اشتدّ منها برحاء (برجاء) ما بعدها، و اصبر حتّى تلقى نبیّك و هو عنك راض.

ثمّ تكلمّ الحسين علیه السّلام فقال: یا عمّاه، إنّ اللّٰه تعالی قادر علی أن یغیّر ما ترى، و اللّٰه کلّ یوم هو فی شأن، و قد منعك القوم دنياهم، و منعتهم دينك،

ص: ٢٧١

فما أغناك عمّا منعوك، و أوجههم إلى ما منعتهم، فاسأل اللّٰه تعالی الصبر و النصر، و استعذ به من الجشع و الجزع، فإنّ الصبر من الدین و الكرم، و إنّ الجشع لا یقدّم رزقا، و الجزع لا یؤخر أجلا.

ثمّ تكلمّ عمّار رضی اللّٰه عنه مغضبا فقال: لا آنس اللّٰه من أوحشك، و لا آمن من أخافك. أما و اللّٰه لو أردت دنياهم لأمنوك، و لو رضیت أعمالهم لأحبّوك، و ما منع الناس أن یقولوا بقولك إلّا الرضا بالدنیا، و الجزع من الموت، و مالوا إلى سلطان جماعتهم علیه، و الملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، و منحهم القوم دنياهم، فخرسوا و الدنیا و الآخرة، و ذلك هو الخسران المبین.

فبکی أبو ذرّ و كان شیخا كبيرا، و قال: رحمكم اللّٰه یا أهل بیت الرحمة! إذا رأیتكم ذكرت بكم رسول اللّٰه صلّی اللّٰه علیه و آله و سلّم، مالی بالمدينة سكن و لا شجن^{٧٤٢} غیركم، إنّی ثقلت علی عثمان بالحجاز، كما ثقلت علی معاوية بالشام، و کره أن أجاور أخاه و ابن خاله بالمصرین، فافسد الناس علیهما، فسیرنی إلى بلد لیس لی به ناصر و لا دافع إلّا اللّٰه، و اللّٰه ما ارید إلّا اللّٰه صاحبها، و ما أخشى مع اللّٰه وحشة.

^{٧٤٢} (١) الشجن - بفتح الحاء - الحاجة (المصباح المنیر ١: ٣٦٨، مادة: شجن).

ثم رجعوا إلى المدينة، فقال عثمان لعليّ عليه السّلام: ما حملك على ردّ رسولي، و تصغير أمرى؟ فقال: أمّا رسولك، فأراد أن يردّ وجهي فرددته. قال: أمّا بلغك نهبي عن كلام أبي ذرّ؟ قال: أو كلّما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه؟ قال: أقد مروان. قال: ممّ؟ قال: من شتمه و جذب راحلته. قال: أمّا راحلته فراحلتى بها، و أمّا شتمه إيتاي، فو الله لا شتمنى شتمه إلّا شتمتكم مثلها، و لا أكذب عليكم.

فغضب عثمان، و قال: لم لا يشتمك، كأنك خير منه؟ قال عليّ عليه السّلام: أي و الله و منك. ثمّ قام فخرج - إلى أن قال -: فقالت قريش و بنو اميّة لمروان: أ أنت

ص: ٢٧٢

رجل! جبهك علي، و ضرب راحلتك، و قد تفانت وائل في ضرع ناقه، و ذبيان و عبس في فرس، و الأوس و الخزرج في نسعة! أ فتحمل لعليّ ما أتاه إليك؟

فقال مروان: و الله لو أردت ذلك لما قدرت عليه^{٧٢٣}.

قلت: و رواه محمّد بن يعقوب في (روضته الكليني - الكافي - الروضة ج ٨ ص ٢٠٦ تا ٢٠٨) عن عدّة من أصحابه، عن سهل الآدمي، عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن حفص التميمي، عن أبي جعفر الخثعمي قال: لمّا سير عثمان أبا ذرّ إلى الربذة شيّعه أمير المؤمنين عليه السّلام و عقيل و الحسنان عليهما السّلام و عمّار، فلمّا كان عند الوداع قال عليه السّلام له: يا أبا ذرّ، إنّما غضبت لله عزّ و جلّ، فارح من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، و خفتهم على دينك، فأرحلوك عن الفناء و امتحنوك بالبلاء و و الله لو كان السماوات و الأرض على عبد رتقا ثمّ اتقى الله جعل الله له منها مخرجاً، فلا يؤنسنك (يونسك) إلّا الحقّ، و لا يوحشك (يوحشك) إلّا الباطل.

ثمّ تكلم عقيل فقال: يا أبا ذرّ، أنت تعلم أنّا نحبك، و نحن نعلم أنّك تحبنا، فإنّك قد حفظت منا (فيينا) ما ضيع الناس إلّا القليل، فتوابك على الله عزّ و جلّ، و لذلك أخرجك المخرجون و سيرك المسيرين، فاتق الله، و اعلم أنّ استثقالك (استعفاءك) البلاء من الجزع، و استبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس و الجزع و قل: حسبي الله و نعم الوكيل.

ثمّ تكلم الحسن عليه السّلام فقال: يا عمّاه، إنّ القوم قد أتوا إليك ما ترى، و إنّ الله عزّ و جلّ بالمنظر الأعلى، فدع عنك ذكر الدنّيا بذكر فراقها، و شدّة ما يرد عليك لرخاء ما بعدها، و اصبر حتّى تلقى نبيك صلى الله عليه و آله و سلّم و هو عنك راض.

ثمّ تكلم الحسين عليه السّلام فقال: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر على أن يغيّر ما ترى و هو كلّ يوم في شأن، إنّ القوم منعوك دنياهم، و منعتهم دينك، فما

^{٧٢٣} (١) السقيفة و فدك: ٧٦ - ٧٩. شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢ - ٢٥٥، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

أغناك عمّا منوعك، و ما أحوجهم إلى ما منعتهم، فعليك بالصبر و إنّ الخير في الصبر، و الصبر من الكرم، و دع الجزع فإنّ الجزع لا يغنيك.

ثمّ تكلم عمّار رضی الله عنه فقال: يا أبا ذرّ، أوحش الله من أوحشك، و أخاف من أخافك، إنّه و الله ما منع الناس أن يقولوا الحقّ إلّا الركون إلى الدّنيا و الحبّ لها، ألا إنّما الطاعة مع الجماعة، و الملك لمن غلب عليه، و إنّ هؤلاء القوم دعوا الناس إلى دنياهم فأجابوهم إليها، و وهبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا و الآخرة و ذلك هو الخسران المبين.

ثمّ تكلم أبو ذرّ فقال: عليكم منّي السلام و رحمة الله و بركاته، بأبي و امّی هذه الوجوه، فإنّی إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و مالى بالمدينة شجن و لا سكن غيركم، و إنّه ثقل على عثمان جوارى بالمدينة كما ثقل على معاوية بالشام، فألى أن يسيرنى إلى بلدة، فطلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفة، فزعم أنّه يخاف أن افسد على أخيه الناس بالكوفة، و آلى بالله أن يسيرنى إلى بلدة لا أرى بها أنيسا و لا أسمع لها حسيسا^{٧٤٤}، و إنى و الله ما أريد إلّا الله عزّ و جلّ صاحبا و مالى مع الله و حشة «حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^{٧٤٥}.

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السّلام لأبى ذرّ رضی الله عنه لمّا خرج» هكذا فى (المصرية)^{٧٤٦}، و الصواب: «لمّا اخرج» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{٧٤٧}، و أيضا لم يخرج هو بل اخرج كما عرفت و تعرف.

«إلى الرّبذة» فى (المعجم): الرّبذة من قرى المدينة على ثلاثة أميال

(إيام)، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت فى فيد تريد مكة، و بها قبر ابى ذرّ^{٧٤٨}.

قال ابن أبى الحديد: اعلم أنّ الذى عليه أكثر أرباب السيرة و علماء الأخبار و النقل، أنّ عثمان نفى أبا ذرّ أولا إلى الشام، ثمّ استقدمه إلى المدينة لمّا شكّا منه معاوية، ثمّ نفاه من المدينة إلى الرّبذة لمّا عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام.

^{٧٤٤} (١) الحسيس: الصوت الخفى. (المصباح المنير ١: ١٦٦، مادة: حسس).

^{٧٤٥} (٢) الكافى ٨: ٢٠٦-٢٠٨، و الآية ١٢٩ من سورة التوبة.

^{٧٤٦} (٣) نهج البلاغة ٢: ١٧.

^{٧٤٧} (٤) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٥٢، شرح ابن ميثم ٣: ١٤٥.

^{٧٤٨} (١) معجم البلدان ٣: ٢٤.

و أصل هذه الواقعة أنّ عثمان لما أعطى مروان بن الحكم و غيره بيوت الأموال، و اختصّ زيد بن ثابت بشيء منها، جعل أبو ذرّ يقول بين الناس و فى الطرقات و الشوارع: بشر الكافرين بعذاب أليم، و يرفع بذلك صوته، و يتلو قوله تعالى: «و الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ»^{٧٤٩}، فرجع ذلك إلى عثمان مرارا و هو ساكت.

ثمّ إنّه أرسل إليه مولى من موالیه: أن انتہ عمّا بلغنى عنک. فقال أبو ذرّ:

أ ينهانى عثمان عن قراءة كتاب الله؟ فو الله لأنّ أرضى الله بسخط عثمان أحبّ إلىّ من أن اسخط الله برضا عثمان.

فأغضب عثمان ذلك و أحفظه، فتصابر و تمالك (تماسك) - إلى أن قال عثمان يوما، و الناس حوله: أ يجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال شيئا قرضا، فإذا أيسر قضي؟

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك. فقال أبو ذرّ: يا بن اليهوديين، أ تعلمنا ديننا! فقال عثمان: قد كثر أذاك لى، و تولّعك بأصحابى، الحق بالشام. فأخرجه إليها.

ص: ٢٧٥

فكان أبو ذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذرّ لرسوله: إن كانت من عطائي الذى حرمتونيه عامى هذا أقبلها، و إن كانت صلة فلا حاجة لى فيها، و ردّها عليه.

ثمّ بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذرّ: يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله فهى الخيانة، و إن كانت من مالك فهى الإسراف. و كان أبو ذرّ يقول بالشام: و الله لقد حدثت أعمال ما أعرفها، و الله ما هى فى كتاب الله و لا سنة نبيّه، و الله إنى لأرى حقاً يظفأ و باطلا يحيى، و صادقاً مكذباً، و إمرة (أثرة) بغير تقى، و صالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهريّ لمعاوية: إنّ أبا ذرّ لمفسد عليكم الشام، فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة^{٧٥٠}.

و قال ابن أبى الحديد أيضاً: روى شيخنا الجاحظ فى (سفيانيتها) عن جلام بن جندل الغفارىّ، قال: كنت عاملاً (غلاماً) لمعاوية على قنّسرين و العواصم فى خلافة عثمان، فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملى، إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتتكم القطار تحمل (بحمل) النار، اللهمّ العن الآمرين بالمعروف، التاركين له، اللهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.

فازبأر^{٧٥١} معاوية و تغبّر لونه و قال: يا جلام، أ تعرف الصارخ؟ قلت: لا.

^{٧٤٩} (٢) التوبة: ٣٤.

^{٧٥٠} (١) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٥٥ - ٢٥٧.

^{٧٥١} (٢) ازبأر الرجل: اقشعر. (لسان العرب ٦: ١٣، مادة: زبر).

قال: من عذيري من جندب بن جنادة! يأتينا كل يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت! ثم قال: أدخلوه. فجاء أبى ذرّ بين قوم يقودونه، حتى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدوّ الله و عدوّ رسوله! تأتينا كل يوم فتصنع ما تصنع، أما إنّي لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمّد من غير إذن عثمان

ص: ٢٧٦

لقتلتك، ولكنّي أستأذن فيك.

قال جلام: و كنت احبّ أن أرى أبا ذرّ، لأنّه رجل من قومي، فالتفتّ إليه فإذا رجل أسمر ضرب^{٧٥٢} من الرجال، خفيف العارضين، فى ظهره حنى (جنأ)، فأقبل على معاوية و قال: ما أنا بعدوّ لله و لا لرسوله، بل أنت و أبوك عدوان لله و لرسوله، أظهرتما الإسلام و أبطنتما الكفر، و لقد لعنك النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و دعا عليك مرّات أن لا تشبع، و سمعته يقول: «إذا ولى الامّة الأعين الواسع البلعوم، الذى يأكل و لا يشبع، فلنأخذ الامّة حذرهما منه».

فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل. قال أبو ذرّ: بل أنت ذلك، أخبرنى بذلك النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و سمعته يقول - و قد مررت به -: «اللهمّ العنه و لا تشبعه إلّا بالتراب»، و سمعته يقول: «است^{٧٥٣} معاوية فى النار». فضحك معاوية و أمر بحبسه، و كتب إلى عثمان فيه. فكتب عثمان إليه: «أن احمل جندبا على أغلظ مركب و أوعره». فوجّه به من سار به الليل و النهار، و حمّله على شارف^{٧٥٤} ليس عليها إلّا قتب، حتىّ قدم به المدينة، و قد سقط لحم فخذيّه من الجهد. فلما قدم بعث إليه عثمان أن الحق بأبى أرض شئت. قال: بمكّة؟ قال: لا. قال: بيت المقدس؟ قال: لا. قال: بأحد المصرين؟ قال: لا، و لكنّي مسيرك إلى الربذة.

فسيرّه إليها، فلم يزل بها حتىّ مات.

قال: و فى رواية الواقديّ: أنّ أبا ذرّ لمّا دخل على عثمان قال له:

ص: ٢٧٧

^{٧٥٢} (١) الضرب: الرجل الخفيف اللحم. قال طرفة:

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه

خشاش كرأس الحيّة المتوقّد

(الصحاح ١: ١٦٨، مادة: ضرب).

^{٧٥٣} (٢) الاست: العجز. و قد يراد به حلقة الدبر، و أصلها سته على فعل بالتحريك، يدلّ على ذلك أنّ جمعه أستاه، مثل جمل و أجمال. (الصحاح ٦: ٢٢٣٣، مادة: سته).

^{٧٥٤} (٣) ناقة شارف: عالية السنّ. (أساس البلاغة: ٢٣٣، مادة: شرف).

لا أنعم الله بقين عينا

نعم و لا لقاء يوما زينا

تحية السخط إذا التقينا

فقال أبو ذرّ: ما عرفت اسمي «قينا». و في رواية أخرى، قال: لا أنعم الله بك عينا يا جنيدب! فقال: أنا جندب، و سمّاني النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عبد الله، فاخترت اسمه الذي سمّاني به على اسمي. فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنا نقول:

«يُدُّ اللهُ مَعْلُولَهُ»^{٧٥٥} و «إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ»^{٧٥٦}؟ فقال أبو ذرّ: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده، و لكنّي أشهد أنّي سمعت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا، جعلوا مال الله دولا و عباده خولا».

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من النبيّ؟ قالوا: لا. قال عثمان:

ويلك يا أبا ذرّ! أ تكذب على النبيّ؟ فقال أبو ذرّ لمن حضر: أما تدرون أنّي صدقت! قالوا: لا و الله ما ندرى. فقال عثمان: ادعوا لي عليّ. فلمّا جاء فقال عثمان لأبي ذرّ: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص. فأعاده، فقال عثمان لعليّ عليه السّلام: أ سمعت هذا من النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ؟ قال: لا، و قد صدق أبو ذرّ. قال عثمان:

كيف عرفت صدقه؟ قال: لأنّي سمعت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ يقول: «ما أظلت الخضراء، و لا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبي ذرّ». فقال من حضر: أمّا هذا، فسمعناه كلّنا من النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ. فقال أبو ذرّ: احذّركم أنّي سمعت هذا من النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فتتّهموني! ما كنت أظنّ أنّي أعيش حتّى أسمع هذا من أصحاب محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.^{٧٥٧}

و قال ابن أبي الحديد: و روى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن

ص: ٢٧٨

صبهان، مولى الأسلميين، قال: رأيت أبا ذرّ يوم دخل به على عثمان، فقال له:

^{٧٥٥} (١) المائة: ٦٤.

^{٧٥٦} (٢) آل عمران: ١٨١.

^{٧٥٧} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٧ - ٢٥٩.

أنت الذى فعلت و فعلت! فقال أبو ذرّ: نصحتك فغششتنى، و نصحت صاحبك فاستغشنتى! قال عثمان: كذبت، و لكنك تريد الفتنة و تحبها، قد أنعلت^{٧٥٨} الشام علينا. فقال له أبو ذرّ: أتبع سنة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال له عثمان: مالك و ذلك لا امّ لك! قال أبو ذرّ: ما وجدت عذرا لى إلّا الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر. فغضب عثمان و قال: أشيروا علىّ فى هذا الشيخ الكذاب، اضربه، أو أحبسه، أو اقتله، فإنه فرق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلّم علىّ عليه السّلام- و كان حاضرا- فقال: اشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: «و إن يك كاذبا فعليه كذبه و إن يك صادقا يصبكُم بعض الذى يعدكُم إن الله لا يهدى من هو مسرف كذاب»^{٧٥٩} فأجابه عثمان بجواب غليظ، و أجابه علىّ عليه السّلام بمثله، و لم يذكر الجوابين تدمما منهما^{٧٦٠}.

قلت: ذكر إبراهيم الثقفى الجوابين و هما: أن عثمان قال له عليه السّلام: بفيك التراب فقال عليه السّلام له: بل بفيك^{٧٦١}.

و قال ابن أبى الحديد: قال الواقدى: ثمّ إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذرّ، أو يكلموه. فمكث كذلك أيّاما ثمّ أتى به فوقف بين يديه، فقال أبو ذرّ: ويحك يا عثمان! أما رأيت النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم، و رأيت أبا بكر و عمر! هل هديك كهديهم؟ أما إنك لتبطش بى بطش جبار (عنيد).

فقال عثمان: اخرج عنا. قال أبو ذرّ: فما أبغض إلىّ جوارك! فإلى أين

ص: ٢٧٩

أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد؟ قال: إنّما جلبتكم من الشام لما قد أفسدتها، أ فأردك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق. قال: لا، إنك إن تخرج إليها تقدم على قوم اولى شبه و طعن على الأئمة و الولاة، اخرج إلى البادية. قال: أصير أعرايبا بعد الهجرة؟ قال: نعم. قال أبو ذرّ: فأخرج إلى بادية نجد. قال: لا تعدون الربذة^{٧٦٢}.

و قال: و روى الواقدى أيضا عن مالك بن أبى الرجال، عن موسى بن ميسرة: أن أبا الأسود الدؤلى قال: كنت احب لقاء أبى ذرّ لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة، فجئته فقلت له: ألا تخبرنى، أخرجت من المدينة طائعا، أم أخرجت كرها؟ فقال: كنت فى ثغر من ثغور المسلمين أغنى عنهم، فأخرجت إلى المدينة، فقلت: دار هجرتى و أصحابى. فأخرجت من المدينة إلى ما ترى.

^{٧٥٨} (١) أنعلهم حديثنا سمعه: ثمّ إليهم به، و النغل: الإفساد بين القوم و النميمة. (لسان العرب ١٤: ٢٢٢، مادة: نغل).

^{٧٥٩} (٢) غافر: ٢٨.

^{٧٦٠} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٥٩.

^{٧٦١} (٤) بحار الأنوار ٨: ٣٢٤ ط الكمباني، عن تقريب المعارف.

^{٧٦٢} (١) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٥٩ - ٢٦٠.

ثم قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، إذ مرّ بي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فصرّني برجله وقال: لا أراك نائماً في المسجد. فقلت: بأبي أنت وأمي! غلبتني عيني، فنمت فيه. قال: فكيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ قلت: آخذ سيفي فأضربهم به. فقال: ألا أدلك على خير من ذلك؟ انسق معهم حيث ساقوك، و تسمع و تطيع. فسمعت و أطعت، و الله ليلقين الله عثمان و هو آثم في جنبى^{٧٦٣}.

قلت: و روى الثقفى في (تاريخه) - كما في (تقريب الحلبي) - كثيراً ممّا رواه الواقدي^{٧٦٤}.

و روى أيضاً: أن أبا الدرداء و صاحبا له لقياً رجلاً شهدا الجمعة عند معاوية بالجابية، فقال الرجل: خبر كرهت أن أخبركما به. فقال أبو الدرداء:

ص: ٢٨٠

لعلّ أبا ذرّ قد نفى؟ قال: نعم و الله. فاسترجع أبو الدرداء و صاحبه قريباً من عشر مرّات، ثمّ قال أبو الدرداء: «فَارْتَبَهُمْ وَ اصْطَبِرْ»^{٧٦٥} كما قيل لأصحاب الناقفة، اللهمّ إن كانوا كذبوا أبا ذرّ فإنّي لا أكذبه، و إن اتهموه فإنّي لا أتهمه، و إن استغشوه فإنّي لا أستغشه، إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتنيه حيث لا يأتني أحداً، و يسرّ إليه حتّى لا يسرّ إلى أحد. أما و الذى نفسى بيده لو أنّ أبا ذرّ قطع يمينى ما أبغضته بعد ما سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذرّ^{٧٦٦}.

و روى عن الأحنف بن قيس: بينا نحن جلوس مع أبى هريرة إذ جاء أبو ذرّ، فقال: يا أبا هريرة، هل افتقر الله منذ استغنى؟ فقال أبو هريرة: سبحان الله! بل الله الغنى الحميد و نحن الفقراء إليه. قال أبو ذرّ: فما بال هذا المال يجمع بعضه إلى بعض. فقال: مال الله قد منعه أهله من الناس و المساكين.

ثمّ انطلق أبو ذرّ، فقلت لأبى هريرة: ما لكم لا تأبون مثل هذا؟ قال: هذا رجل (قد) وطّن نفسه على أن يذبح فى الله، أما إنى أشهد أنى سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء على ذى لهجة أصدق من أبى ذرّ، فإذا أردتم أن تنظروا إلى أشبه الناس بعيسى بن مريم برّاً و زهداً و نسكا فعليكم به^{٧٦٧}.

و روى أيضاً مسنداً أنّ معاوية قام بالشام خطيباً فقال: أيّها الناس، إنّما أنا خازن، فمن أعطيته فالله يعطيه، و من حرّمته فالله يحرمه.

^{٧٦٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٦٠ - ٢٦١.

^{٧٦٤} (٣) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار، ٨: ٣٣٦ - ٣٣٨ ط الكمباني.

^{٧٦٥} (١) القمر: ٢٧.

^{٧٦٦} (٢) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار، ٨: ٣٣٧ ط الكمباني.

^{٧٦٧} (٣) المصدر نفسه.

فقام إليه أبو ذرّ فقال: كذبت و الله يا معاوية! إنك لتعطي من حرم الله،

ص: ٢٨١

و تمنع من أعطى الله^{٧٦٨}.

و روى عن المغرور بن سويد قال: كان عثمان يخطب، فأخذ أبو ذرّ بحلقه الباب فقال: أنا أبو ذرّ، من عرفنى فقد عرفنى و من لم يعرفنى فأنا جندب، سمعت النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم يقول: إنّما مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح فى قومه، من تخلف عنها هلك، و من ركبها نجا.

فقال له عثمان: كذبت. فقال له على عليه السّلام: إنّما كان عليك أن تقول كما قال العبد الصالح: «إِنَّ يَكُ كاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنْ يَكُ صادِقاً يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُّكُمْ»^{٧٦٩}.

و روى المفيد فى (أماليه) عن الثقفى أيضا عن محمّد بن على، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن أبى جهضم الأزدي، عن أبيه قال: لما أخرج عثمان أبا ذرّ من المدينة إلى الشام كان يقوم فى كلّ يوم فيعظ الناس، و يأمرهم بالتمسك بطاعة الله، و يحذّرهم من ارتكاب معاصيه، و يروى عن النّبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم ما سمعه فى فضائل أهل بيته، و يحضّهم على التمسك بعترته.

فكتب معاوية إلى عثمان: أمّا بعد، فإنّ أبا ذرّ يصبح إذا أصبح، و يمسى إذا أمسى و جماعة من الناس كثيرة عنده فيقول كيت و كيت، فإن كان لك فى الناس قبلى حاجة فأقدم أبا ذرّ إليك، فإنّى أخاف أن يفسد الناس عليك.

فكتب عثمان إليه: أشخص أبا ذرّ إلىّ حين تنظر فى كتابى هذا.

فبعث معاوية إلى أبى ذرّ و دعاه، و أقرأه كتاب عثمان، فقال: النجا^{٧٧٠}

ص: ٢٨٢

الساعة. فخرج أبو ذرّ إلى راحلته، فشدّها بكورها^{٧٧١}، و أنساعها^{٧٧٢}، فاجتمع إليه الناس فقالوا له: رحمك الله! أين تريد؟ قال: أخرجونى إليكم غضبا علىّ، و أخرجونى منكم إليهم الآن عبثا بى، و لا يزال هذا الأمر فيما أرى فيما بينى و بينهم حتى يستريح برّ، أو يستراح من فاجر. و مضى.

^{٧٦٨} (١) المصدر نفسه.

^{٧٦٩} (٢) بحار الأنوار، ٨: ٣٣٧-٣٣٨ ط الكمباني، و الآية ٢٨ من سورة غافر.

^{٧٧٠} (٣) النجا- بالمد و القصر- مصدر منصوب بفعل مضمر، و النجاء: السرعة. (لسان العرب ١٤: ٦٢، مادة نجا:).

^{٧٧١} (١) الكور- بالضم-: الرجل بأداته. (الصحاح ٢: ٨١٠، مادة: كور).

و سمع الناس بخروجه حين خرج من دمشق، فساروا معه حتى انتهى إلى دير مران^{٧٧٣} - إلى أن قال:- فلما دخل على عثمان قال له: لا قرب الله بعمر وعينا. فقال أبو ذر: والله ما سماني أبواي عمرا ولكن لا قرب الله من عصاه وخالف أمره، فارتكب هواه. فقام إليه كعب الأخبار فقال: ألا تتقى الله يا شيخ! وتجيب أمير المؤمنين بهذا الكلام! فرفع أبو ذر عصا كانت في يده فضرب بها رأس كعب، ثم قال له: يا بن اليهوديين! ما كلامك مع المسلمين؟ فوالله ما خرجت اليهودية من قلبك بعد. فقال عثمان: والله لا جمعنتي وإياك دار، قد خرفت، وذهب عقلك، أخرجوه من بين يدي حتى تركبوه قتب ناقة بغير وطاء، ثم انخسوا^{٧٧٤} به الناقة، و تعتوه حتى توصلوه الريدة، فنزلوه بها من غير أنيس حتى يقضى الله فيه ما هو قاض. فأخرجوه متعتعا^{٧٧٥} موهونا (ملهوزا) بالعصى.

و تقدم عثمان أن لا يشبعه أحد من الناس، فبلغ ذلك عليا عليه السلام، فبكى حتى بلّ لحيته بدموعه، ثم قال: أ هكذا يصنع بصاحب رسول الله؟ إنا لله وإنا

ص: ٢٨٣

إليه راجعون، ثم نهض و معه الحسنان عليهما السلام، و عبد الله بن العباس، و الفضل، و قثم، و عبيد الله حتى لحقوا أبا ذر فشيّعوه- إلى أن قال:- فرجعوا و هم يبكون على فراقه^{٧٧٦}.

و في (مروج المسعودي): ممّا أنكر الناس على عثمان فعله بأبي ذر، و هو أنّه حضر أبو ذر يوماً مجلس عثمان، فقال عثمان: أ رأيتم من زكى ماله هل فيه حق لغيره؟ فقال كعب: لا، فدفع أبو ذر في صدره، و قال له: كذبت يا بن اليهودي، ثم تلا: «لَيْسَ الْبِرُّ»^{٧٧٧}. فقال عثمان: أ ترون بأسا أن نأخذ مالا من بيت مال المسلمين فننقله فيما ينوبنا من أمورنا و نعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب و قال: يا بن اليهودي، ما أجرأك على القول في ديننا! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي! غيب وجهك عني فقد آذيتني.

فخرج أبو ذر إلى الشام فكتب معاوية إلى عثمان: أن أبا ذر تجتمع إليه الجموع، و لا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك.

فكتب عثمان إليه بحمله، فحمله على بعير عليه قتب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيطون به، حتى أتوا به المدينة قد تسلّخت بواطن أفخاذه و كاد أن يتلف، فقيل له: إنك تموت من ذلك. فقال: هيهات! لن أموت حتى انفي. و ذكر جوامع ما نزل به بعد، و

^{٧٧٢} (٢) الأنساع: جمع التسعة: التي تنسج عريضا للتصدير. (الصالح ٣: ١٢٩٠، مادة: نسج).

^{٧٧٣} (٣) هذا الدير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران و رياض حسنة، و بناؤه بالجص. (معجم البلدان ٢: ٥٣٣).

^{٧٧٤} (٤) نخسوا بفلان: نخسوا دأبته و طردوه. (أساس البلاغة: ٤٥٠، مادة: نخس).

^{٧٧٥} (٥) التعتة: الحركة العنيفة. (لسان العرب ٢: ٣٤، مادة: تع). (مع).

^{٧٧٦} (١) أمالي المفيد: ١٦١-١٦٥ بتلخيص من الشارح.

^{٧٧٧} (٢) البقرة: ١٧٧.

من يتولّى دفنه، فاحتبس في داره أياماً، ثمّ دخل على عثمان فجلس على ركبتيه، و تكلم بأشياء، و ذكر الخير في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا عباد الله خولاً^{٧٧٨}، و مرّ في الخبر بطوله، و تكلم بكلام

ص: ٢٨٤

كثير، و كان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف، فنضت (فشرت) البدر حتى حالت بين عثمان و بين الرجل القائم، فقال عثمان: إنني لأرجو لعبد الرحمن خيراً، لأنّه كان يتصدق، و يقرى الضيف، و ترك ما ترون.

فقال كعب الأحبار: صدقت. فشال أبو ذرّ العصا، فضرب بها رأس كعب، و لم يشغله ما كان فيه من الألم، و قال: يا بن اليهودي، أتقول لرجل مات و ترك هذا المال: إن الله أعطاه خير الدنيا و خير الآخرة، و تقطع على الله بذلك؟ و إنني سمعت النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: ما يسرنّي أن أموت و أدع ما يزن قيراطاً.

فقال له عثمان: وار عنّي وجهك. فقال: أسير إلى مكّة. قال: لا و الله. قال:

فتمنعني من بيت ربّي أعبده فيه حتى أموت؟ قال: أي و الله. قال: فيالي الشام؟

قال: لا و الله. قال: فالبصرة؟ قال: لا و الله، اختر غير هذه البلدان. قال: لا و الله ما اختار غير ما ذكرت لك، و لو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان، فسيرني حيث شئت. قال: فأني مسيرك إلى الربذة. قال: الله أكبر، صدق رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قد أخبرني بكلّ ما أنا لاق.

قال عثمان: و ما قال لك؟ قال: أخبرني أنّي أمنع عن مكّة و المدينة و أموت بالربذة، و يتولّى مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز.

و بعث أبو ذرّ إلى جمل له فحمل عليه امرأته - و قيل: ابنته - و أمر عثمان أن يتجافاه الناس حتى يسير إلى الربذة، فلمّا طلع عن المدينة و مروان يسيره إذ طلع عليه علىّ عليه السّلام و معه ابناه، و أخوه، و عبد الله بن جعفر، و عمّار، فاعترض مروان و قال: يا علىّ، إنّ الخليفة قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذرّ في مسيره و أن يشيعوه، فإن كنت لم تدر بذلك فقد أعلمتك. فحمل عليه علىّ عليه السّلام بالسوط بين اذني راحلته، و قال له: تنحّ نحّاك الله إلى النار.

و مضى مع أبي ذرّ فشيّعه ثمّ ودّعه و انصرف، فلمّا أراد الانصراف

ص: ٢٨٥

^{٧٧٨} (٣) خول الرجل: حشمه، الواحد: خائل. (الصحاح ٤: ١٦٩٠، مادة: خول).

بكى أبو ذرّ و قال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن و ولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم - إلى أن قال:- فلمّا رجع علىّ عليه السّلام قالوا له: إنّ عثمان عليك غضبان لتشييعك أبا ذرّ. فقال عليه السّلام: غضب الخيل على اللّجج^{٧٧٩} - إلى أن قال:-

فقال عثمان له عليه السّلام: أو لم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن أبي ذرّ و عن تشييعه؟

فقال علىّ عليه السّلام: أو كلّ ما أمرتنا به من شيء يرى طاعة الله و الحقّ في خلافه اتّبعنا فيه أمرك؟ لا، بالله لا نفعل. قال عثمان: أقد مروان، فو الله ما أنت عندي بأفضل منه. فعضب علىّ عليه السّلام و قال: ألي تقول هذا؟ و بمروان تعدلني؟ ...^{٧٨٠}.

قال ابن أبي الحديد: إخراج أبي ذرّ إلى الرّبذة أحد الأحداث التي تقمت على عثمان^{٧٨١}.

قلت: هو أعظم أحداثه مع كون أبي ذرّ في تلك المرتبة من الجلالة، و معاملة عثمان معه تلك المعاملة توجب نفاقه الذي في حدّ الكفر، و لذا أعرض عنه رأسا كثير من مؤرّخيههم كابن قتيبة في (خلفائه) و ابن عبد ربّه في (عقده)^{٧٨٢}، فذكرا كثيرا من أحداثه و سكتا عن هذا، و تمجج بعضهم كابن عبد البرّ في (استيعابه)، فأنكر إخراجة أوّلا إلى الشام، بل قال: خرج بنفسه^{٧٨٣}.

و أتى في إخراجة إلى الرّبذة بلفظ مجمل فقال: خرج بعد وفاة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتّى ولي عثمان، ثمّ استقدمه عثمان بشكوى معاوية،

ص: ٢٨٦

و أسكنه الرّبذة فمات بها^{٧٨٤}.

كما أنّه نقل بعض أخباره كذلك، فروى عن عبد الرحمن بن غنم قال:

كنت عند أبي الدرداء إذ دخل رجل من أهل المدينة فسأله، فقال: أين تركت أبا ذرّ؟ قال: بالرّبذة. فقال أبو الدرداء: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، لو أنّ أبا ذرّ قطع منّي عضوا لما هجته، لمّا سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يقول فيه^{٧٨٥}.

^{٧٧٩} (١) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٥٦ ما نصّه: يضرب لمن يغضب غضبا لا ينتفع به، و لا موضع له. و نصب «غضب» على المصدر، أي: غضب غضب الخيل.

^{٧٨٠} (٢) مروج الذهب ٢: ٣٤٨ - ٣٥١ بتصرّف و تلخيص من الشارح.

^{٧٨١} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢.

^{٧٨٢} (٤) الإمامة و السياسة ١: ٣٢، العقد الفريد ٥: ٥٥ - ٦٠.

^{٧٨٣} (٥) الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ٢١٤.

^{٧٨٤} (١) الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ٢١٤.

^{٧٨٥} (٢) المصدر نفسه ١: ٢١٧.

و روى حديث «ما أظلت الخضراء» عن أبي هريرة، و عن أبي الدرداء، قال: و روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: أبو ذرّ في امتي شبيه عيسى بن مريم في زهده ^{٧٨٦}.

و سئل علىّ عليه السلام عن أبي ذرّ، فقال: ذلك رجل وعى علما عجز عنه الناس، ثم أوكأ عليه و لم يخرج شيئا منه ^{٧٨٧}.

و روى عن أبي ذرّ أنه قال: أنا ربيع الإسلام ^{٧٨٨}.

قال ابن أبي الحديد: حكى قاضى القضاة فى (المغنى) عن شيخنا أبى علىّ: أنّ الناس اختلفوا فى أمر أبى ذرّ، و أنّ الرواية وردت أنّه قيل له: أ عثمان أنزلك الربذة؟ قال: لا، بل أنا اخترت ذلك.

قال: و روى أبو على أيضا عن زيد بن وهب، قال: قلت لأبى ذرّ و هو بالربذة: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: اخبرك أنّى كنت بالشام، فذكرت قوله تعالى: «و الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَ الفِضَّةَ وَ لَا يُنْفِقُونَهَا» ^{٧٨٩} فقال لى

ص: ٢٨٧

معاوية: هذه نزلت فى أهل الكتاب. فقلت: فيهم و فينا. فكتب معاوية إلى عثمان فى ذلك، فكتب إلىّ أن أقدم، فقدمت، فانتال الناس إلىّ كأنهم لم يعرفونى، فشكوت ذلك إلى عثمان فخيّرنى و قال: انزل حيث شئت. فنزلت الربذة.

قال: و روى أبو على أيضا: أنّ معاوية كتب يشكوه و هو بالشام، فكتب إليه عثمان: أنّ صر بالمدينة. فلمّا صار إليها، قال له: ما أخرجك إلى الشام؟

قال: إنّى سمعت النبيّ يقول: «إذا بلغت عمارة المدينة موضع كذا فاخرج منها»، فلذلك خرجت. فقال: أى البلاد أحبّ إليك بعد الشام؟ قال: الربذة. فقال:

صر إليها ^{٧٩٠}.

ثم قال ابن أبي الحديد: و هذه الأخبار و إن كانت قد رويت، لكنّها ليست فى الاشتهار و الكثرة كتلك الأخبار، و الوجه أن يقال فى الاعتذار عن عثمان و حسن الظن بفعله: إنّّه خاف الفتنة و اختلاف كلمة المسلمين، فيغلب على ظنّه أن إخراج أبى ذرّ إلى الربذة أحسم للشعب، و أقطع لأطماع من يشرببّ إلى شقّ العصا، فأخرجه مراعاة للمصلحة، و مثل ذلك يجوز للإمام. و هكذا يقول أصحابنا المعتزلة، و هو الأليق بمكارم الأخلاق، فقد قال الشاعر:

^{٧٨٦} (٣) المصدر نفسه ١: ٢١٦.

^{٧٨٧} (٤) المصدر نفسه.

^{٧٨٨} (٥) المصدر نفسه ١: ٢١٣.

^{٧٨٩} (٦) التوبة: ٣٤.

^{٧٩٠} (١) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٤١.

وإنما يتأول أصحابنا حال من يحتمل التأويل كعثمان، فأما من لا يحتمل حاله التأويل، وإن كانت له صحبة سالفه ك معاوية و
أضرابه، فإنهم لا يتأولون لهم، إذا كانت أعمالهم وأفعالهم لا وجه لتأويلها، ولا تقبل العلاج^{٧٩١}.

قلت: شيخ تاريخهم الطبرى تأول لمعاوية أيضا، فقال: و فى سنة (٣٠) كان ما ذكر من أمر أبى ذرّ و معاوية، و إشخاص معاوية
إياه من الشام، و قد

ص: ٢٨٨

ذكر فى سبب إشخاصه إياه من الشام امور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها.

فأما العاذرون معاوية فى ذلك، فإنهم ذكروا فى ذلك قصة كتب بها إلى السرى، يذكر أن شعيبا حدثه عن سيف، بسند أنه لما
ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذرّ، فقال له: ألا تعجب إلى معاوية، يقول: «المال مال الله! ألا إن كل شىء لله» كأنه يريد أن
يحتججه دون المسلمين، و يمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذرّ فقال: ما يدعوك إلى أن تسمى مال المسلمين مال الله - إلى أن
قال: - و جعل أبو ذرّ يقول بالشام: يا معشر الأغنياء، و اسوا الفقراء. فما زال حتى ولع الفقراء بمثل ذلك، و أوجبوه على
الأغنياء، و حتى شكوا الأغنياء ما يلقون من الناس.

فكتب معاوية إلى عثمان: إن أبا ذرّ قد أعضل بى^{٧٩٢}، و قد كان من أمره كيت و كيت. فكتب إليه عثمان: جهّز أبا ذرّ إلىّ، و
ابعث معه دليلا و زوده، و رافق به - إلى أن قال: - و دخل على عثمان، فقال له عثمان: ما لأهل الشام يشكون ذربك؟ فأخبره
أنه لا ينبغي أن يقال: مال الله، و لا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالا.

فقال: يا أبا ذرّ، علىّ أن أفضى ما علىّ، و آخذ ما على الرعيّة، و لا أجبرهم على الزهد. قال: فتأذن لى بالخروج، فإن المدينة
ليست لى بدار؟ فقال: لا تستبدل بها إلّا شرّاً منها.

قال: أمرنى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم أن أخرج منها إذا بلغ البناء سلعا. قال: فانفذ لما أمرك به. فخرج حتى نزل الربذة،
فخطّ بها مسجدا، و أقطعه عثمان صرمة^{٧٩٣} من الإبل و أعطاه مملوكين، و أرسل إليه: أن تعاهد المدينة حتى

^{٧٩١} (٢) المصدر نفسه ٨: ٢٤١-٢٤٢.

^{٧٩٢} (١) عضل بى الأمر و أعضل بى و أعضلتى: اشتدّ و غلظ و استغلق: قال الاموى فى قوله: أعضل بى: هو من العضال و هو الأمر الشديد الذى لا يقوم به صاحبه،
أى: ضاقت علىّ الحيل فى أمرهم، و صعبت على مداراتهم. (لسان العرب ٩: ٢٦٠، مادة: عضل).

^{٧٩٣} (٢) الصرمة - بالكسر - القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين. (المصباح المنير ١: ٤٠٩، مادة: صرم).

لا ترتدّ أعرابيا. ففعل^{٧٩٤}.

و عنه بإسناد قال: كان أبو ذرّ يختلف من الربذة إلى المدينة مخافة الأعرابية، و كان يحبّ الوحدة و الخلوة. فدخل على عثمان، و عنده كعب الأحبار، فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكفّ الأذى حتّى يبذلوا المعروف، و قد كان ينبغي للمؤدّي الزكاة أن لا يقتصر عليها حتّى يحسن إلى الجيران و الإخوان، و يصل القربات. فقال كعب: من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه.

فرفع أبو ذرّ محجته فضربه فشجّه، فاستوهبه عثمان، فوهبه له، و قال له: يا أبا ذرّ، اتّق الله و كفّ يدك و لسانك، و قد كان قال له: يا بن اليهودية، ما أنت و ما ها هنا؟- إلى أن قال (الطبري)-: و أمّا الآخرون، فإنّهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة، و امورا شنيعة، كرهت ذكرها^{٧٩٥}.

فتراه لم يذكر اسما من عثمان، و اقتصر على إشخاص معاوية له من الشام، و قال: إنّ عاذرى معاوية ذكروا في ذلك قصة^{٧٩٦}.

و لو اريد الدفاع فالعلاج ما فعل الطبري من طهارة ساحة معاوية، دون ما قاله ابن أبي الحديد من معذورية عثمان، و عدم معذورية معاوية. فإنّ قصة أبي ذرّ لم تكن أيّام معاوية بل أيّام عثمان، فما فعل معاوية إنّما كان فعل عثمان. فكيف يعذر هو دونه؟ اللهمّ إلّا أن يقول ابن أبي الحديد- كعثمان في أمر كتابه إلى مصر بخطّ كاتبه على يد غلامه على جملة بقتل الجماعة، بأنّه ما كان عن اطلاعه^{٧٩٧}-: بأنّ معاوية فعل بأبي ذرّ ما فعل، من دون اطلاع عثمان، و حينئذ فيقال في جواب ابن أبي الحديد: ما أجاب الناس عثمان من عدم

معذوريته على صدقه و كذبه^{٧٩٨}.

ثمّ العجب من الطبري كيف ترك روايات الواقدي و المدائني و الثقفى و غيرهم من أهل النقل الموثوق بهم، و اقتصر على روايات السرى عن شعيب، عن سيف التي كلّها كذب قطعيّ مخالف لجميع السير، فإذا كان عثمان بتلك الدرجة من العدالة حتّى يعظ أبا ذرّ بأن لا يتعرّب بعد الهجرة، و لا يؤذى الناس بغير حقّ، لم قال الطبري نفسه في عنوان دفن عثمان- و دفن كلّ مسلم

^{٧٩٤} (١) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٣-٢٨٤، سنة ٣٠، بتلخيص من الشارح.

^{٧٩٥} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٤-٢٨٦، سنة ٣٠. و قد نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٧٩٦} (٣) المصدر نفسه ٤: ٢٨٣، سنة ٣٠.

^{٧٩٧} (٤) تاريخ المدينة المنورة ٤: ١١٥٥، الإمامة و السياسة ١: ٤٠، الجمل للمفيد: ١٤٠-١٤١.

^{٧٩٨} (١) تاريخ المدينة المنورة ٤: ١١٥٥، الإمامة و السياسة ١: ٤٠، الجمل للمفيد: ١٤٠-١٤١.

واجب-: نبذ عثمان ثلاثة أيام لم يدفن، و لم يشهد جنازته إلّا مروان و ثلاثة من مواليه، و أخذ الناس الحجارة، و قالوا: نعتل نعتل^{٧٩٩}؟

و من الغريب أن ياقوتا قال فى عنوان الربذة: كان أبو ذرّ خرج إليها مغاضبا لعثمان، فأقام بها إلى أن مات فى سنة (٣٢) ^{٨٠٠}.

فالطبرى و إن اقتصر فى نقل الروايات على رواية السرى، إلّا أنّه قال:

و أمّا الآخرون، فإنّهم رووا فى سبب ذلك أشياء كثيرة، و امورا شنيعة، كرهت ذكرها^{٨٠١}. فأشار إلى الحقيقة، و أقرّ بأنّه أخذ جانب العصبية، لكنّ ياقوتا أرسل المطلب إرسالا مسلّما.

فهل الرجل أنصب من الجاحظ، الذى يصحّ من درجة نصبه أن يعدّ فى عداد بنى أمية؟ فقد عرفت أنّه قال فى (سفيانيتها): إنّ عثمان كتب إلى معاوية أن يحمل أبا ذرّ على أغلظ مركب و أوعره، ففعل ما أمره به، حتّى سقط لحم فخذه فى الطريق، و لم يخلّه عثمان يذهب إلى البصرة

ص: ٢٩١

و الكوفة، و سيّره إلى الربذة^{٨٠٢}.

و أما قول ابن أبى الحديد: إنّ أخبار خروج أبى ذرّ بنفسه إلى الربذة كانت شواذًا، و أخبار إخراجها إليها مشتهرة، و الوجه فى الاعتذار عنه أن يقال:

إنّه أخرجها لأنّه خاف الفتنة- إلى آخر ما مرّ-^{٨٠٣} فيقال له: نعم، إنّه خاف فتنة بنى أمية بأن يقطع طمعهم فى الخلافة لو عزل عثمان عن الخلافة، فيوم بويع عثمان علم بنو أمية أنفسهم وراث الخلافة.

قال المسعودى فى (مروجه): و قد كان عمّار حين بويع عثمان بلغه قول أبى سفيان فى دار عثمان عقيب الوقت الذى بويع فيه و دخل داره مع بنى أمية: أفيكم أحد من غيركم؟ و قد كان عمى. قالوا: لا. قال: يا بنى أمية تلقّفوها تلقّف الكرة، فوالذى يحلف به أبو سفيان ما زلت أرجوها لكم، و لتصيرنّ إلى صبيانكم وراث^{٨٠٤}.

^{٧٩٩} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٤١٢، سنة ٣٥.

^{٨٠٠} (٣) معجم البلدان ٣: ٢٤.

^{٨٠١} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٢٨٦، سنة ٣٠.

^{٨٠٢} (١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ٨: ٢٥٨.

^{٨٠٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٦١-٢٦٢.

^{٨٠٤} (٣) مروج الذهب ٢: ٣٥١-٣٥٢.

و روي أنّ أبا سفيان مرّ في أيّام عثمان بقبر حمزة، فضربه برجله و قال: يا أبا عمار، إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس (أمسى) في يد غلماننا اليوم يتلعبون به!^{٨٥} و رضى عثمان بقتله دون عزله لذلك، فإنّه إن كان عزل، لصاروا أذلّ الناس بل كان الناس، يستأصلونهم بجناياتهم في كفرهم و إسلامهم، فرأى عثمان أنّ عمره قد فنى حيث كان بلغ ثمانين، و أنّه إن قتل يصير وسيلةً لبني أميّة بأن يقولوا: قتل مظلوما، و إنّهم يطلبون ثأره حتّى أنّه- أى عثمان- جعل طلب دمه إلى معاوية، و صار الأمر كما دبر، و آل إلى ما أمّل لبني أميّة.

ص: ٢٩٢

فنى (صفين نصر بن مزاحم): قام عمّار بصفين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما فى كتاب الله، إنّما قتله الصالحون، المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لأحدائه، و ذلك لأنّه مكّنهم من الدّنيا فهم يأكلونها و يرعونها و لا يباليون لو انهدّت عليهم الجبال. و الله ما أظنّهم يطلبون دمه. إنّهم ليعلمون إنّهم لظالم، و لكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها و استمروها، و علموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها، و لم يكن للقوم سابقةً فى الإسلام يستحقّون بها الطاعة و الولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوما، ليكونوا بذلك جبابرةً و ملوكا ...^{٨٦}.

كما أنّ أعمال أبي ذرّ و عمّار و أمثالهما كانت موجبةً لياس أعداء الله من نيل خلافة الله، فمنعهم عثمان بالضرب و الكسر و الحبس و النفي لاستحكام طمعهم.

و أمّا ما أنشده ابن أبي الحديد لحمل أفعال إمامه على الصّحة، و الإغماض عمّا فيها من قول الشاعر^{٨٧}، فلم يقله الشاعر لبناء الدين و تصنّع إمام له، بل فى المصاحبات الدّنيوية، فلا مناسبة لما أنشده من الشعر، و إنّما المناسب للمقام تلاوة قوله تعالى: «اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ»^{٨٨} بالتمثيل.

و قول ابن أبي الحديد نظير قول زيد بن ثابت- و كان مع عثمان يوم

ص: ٢٩٣

الدار، و لم ينصره من الأنصار غيره- للأنصار مرغبا لهم فى نصره عثمان: يا معشر الأنصار، انصروا و الله مرتين^{٨٩}.

^{٨٥} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٣٦.

^{٨٦} (١) وقعة صفين: ٣١٩، شرح ابن أبي الحديد ٥: ٢٥٢.

^{٨٧} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٦٢.

^{٨٨} (٣) التوبة: ٣١.

^{٨٩} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣٠، سنة ٣٥: كونوا أنصارا لله ... مرتين.

و جواب ابن أبى الحديد جواب الأنصار لزيد: يا زيد، إننا نكره أن نلقى الله تعالى، فنقول له كما قال القوم: «رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا»^{٨١٠}.

«يا أبا ذرٍّ، إنك غضبت لله» بإنكار ما أنكره، و من لم يغضب له جلّ و علا فليس منه فى شىء، و فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: بعث الله تعالى ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها، فلما انتهيا إلى المدينة و جدا رجلا يدعوا الله و يتضرّع، فقال أحدهما لصاحبه: أما ترى هذا الداعى؟ فقال: قد رأيته و لكن أمضى لما أمر به ربى. فقال: و لكننى لا أحدث شيئا حتى اراجع - إلى أن قال - فقال الله تعالى له: امض لما أمرتك به، فإنّ ذا رجل لم يتمر^{٨١١} وجهه غيظا لى قط^{٨١٢}.

و عن الباقر عليه السّلام: أوحى الله تعالى إلى شعيب: أنى معذب من قومك مائة ألف، أربعين ألفا من شرارهم، و ستين ألفا من خيارهم. فقال: يا ربّ، فما بال الأختيار؟ قال عزّ و جلّ: داهنوا أهل المعاصى، و لم يغضبوا لغضبى^{٨١٣}.

و روى أيضا: أنّ الله عزّ و جلّ أوحى إلى داود عليه السّلام: أنّى قد غفرت ذنبك، و جعلت عار ذنبك على بنى إسرائيل. فقال: يا ربّ، كيف و أنت لا تظلم؟ قال:

إنهم لم يعاجلوك بالنكرة^{٨١٤}.

ص: ٢٩٤

و عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله عزّ و جلّ ليغضض المؤمن الضعيف الذى لا دين له. فقيل له: و ما المؤمن الذى لا دين له؟ قال: الذى لا ينهى عن المنكر^{٨١٥}.

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام: أمرنا النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أن نلقى أهل المعاصى بوجوه مكفّهة^{٨١٦}.

و روى الثّقفى - كما فى (أمالى المفيد) -: أنّ أبا ذرٍّ لما ودّع جمعا كانوا أتبعوه فى الشام لما أخرج منها، قال لهم: اجمعوا مع صلاتكم و صومكم غضبا لله تعالى إذا عصى فى الأرض، و لا ترضوا أئمتكم بسخط الله، و إذا أحدثوا ما لا تعرفون فجانبواهم،

^{٨١٠} (٢) أنساب الأشراف للبلاذرى ٥: ٧٨، و الآية ٦٧ من سورة الأحزاب.

^{٨١١} (٣) تمعّر لونه عند الغضب: تغبّر. (الصحيح ٢: ٨١٨، مادة: معر).

^{٨١٢} (٤) الكافى ٥: ٥٨، فقه الرضا عليه السّلام:

^{٨١٣} (٥) الكافى ٥: ٥٦، تهذيب الأحكام ٦: ١٨١.

^{٨١٤} (٦) الكافى ٥: ٥٨، و قال الفيروزآبادى: النكرة - بالتحريك - اسم من الإنكار كالنفقة من الإنفاق. (القاموس المحيط ٢: ١٤٨، مادة: نكر).

^{٨١٥} (١) الكافى ٥: ٥٩.

^{٨١٦} (٢) الكافى ٥: ٥٩، و قال الجوهرى: اكفهر الرجل، إذا عبس، و منه قول ابن مسعود: إذا لقيت الكافر فالحقه بوجه مكفهر، يقول: لا تلقه بوجه منبسط. (الصحيح ٢: ٨٠٩، مادة: كفهر).

و أزرؤا عليهم؁ و إن عذبتهم و حرمتهم و سيرتهم حتى يرضى الله تعالى؁ فإن الله أعلى و أجلّ و لا ينبغي أن يسخط برضا المخلوقين؁ غفر الله لى و لكم^{٨١٧}.

«فارج من غضبت له» و هو الله تعالى حتى يثيبك على عملك؁ قال جلّ و علا: «وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ»^{٨١٨}.

«إنّ القوم خافوك على دنياهم» فعاملوك بما عاملوك؁ من الإخراج تارة إلى الشام؁ و اخرى إلى الربذة؁ لئلا تفسد عليهم دنياهم؁ فمن حال بين أهل الدنيا و بين دنياهم جهدوا فى دفعه بأى قيمة كانت؁ فلما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن^{٨١٩} على المنصور بالمدينة قال المنصور: لو حاول صاحب القبر

ص: ٢٩٥

- يعنى قبر النبى صلى الله عليه و آله و سلم- إزالة سلطانى لم يكن لى بدّ من قتله فكيف هذا الرجل؟.

«و خفتهم على دينك» حيث خالفهم ليسلم لك.

و فى (الكافى) عن الباقر عليه السلام سئل عن أعمالهم؁ فقال: لا و لا مدّة قلم^{٨٢٠}؁ إنّ أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلّا أصابوا من دينه مثله^{٨٢١}.

و عن الصادق عليه السلام: ما أحبّ أنى عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء^{٨٢٢}؁ و إنّ لى ما بين لا بيتها لا و لا مدّة بقلم؁ إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة فى سرادق من النار (نار) حتى يحكم الله تعالى بين العباد^{٨٢٣}.

و عنه عليه السلام: من خضع لصاحب سلطان و لمن يخالفه على دينه طلبا لما فى يديه من دنياه أخمله^{٨٢٤} الله تعالى؁ و مقتنه عليه؁ و وكله إليه؁ فإن غلب على شىء من دنياه نزع الله تعالى البركة منه؁ و لم يأجره على شىء ينفقه منه فى حجّ و لا عتق و لا بر^{٨٢٥}.

^{٨١٧} (٣) أمالى المفيد: ١٦٣.

^{٨١٨} (٤) الحجّ: ٤٠.

^{٨١٩} (٥) هو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب عليه السلام؁ أبو عبد الله؁ الملقب بالنفس الزكية؁ ولد و نشأ بالمدينة؁ و كان يقال له: صريح قريش؁ لأنّ أمّه وجدّاته لم يكن فيهنّ أمّ ولد. خرج محمد بن عبد الله على المنصور فى أيام خلافته و انتدب المنصور لقتاله ولىّ عهده عيسى بن موسى العبّاسى فقتله عيسى فى المدينة و بعث برأسه إلى المنصور.

انظر: مقاتل الطالبين: ١٥٧-١٨٦؁ عمدة الطالب فى أنساب آل أبى طالب: ١٠٣-١٠٥؁ الأعلام: ٦: ٢٢٠؁ سفينة البحار: ١: ٣٢٦.

^{٨٢٠} (١) قال العلامة المجلسى رحمه الله فى مرآة العقول: ١٩: ٦٣ ما لفظه: أى لا يجوز إعطاؤهم مدّة من السواد و لا يجوز أخذ المدّ منهم؁ و لا يجوز إعمال مدّة قلم فى ديوانهم. و قال الفيروزآبادى: المدّة- بالضمّ-: اسم ما استمددت به من المداد على القلم.

^{٨٢١} (٢) الكافى: ٥: ١٠٦-١٠٧؁ تهذيب الأحكام: ٦: ٣٣١.

^{٨٢٢} (٣) الوكاء- بالكسر-: الذى يشدّ به رأس القرية. (الصاح: ٦: ٢٥٢٨؁ مادة: وكى).

^{٨٢٣} (٤) الكافى: ٥: ١٠٧؁ تهذيب الأحكام: ٦: ٣٣١.

و في (العقد): عن مالك بن أنس قال: بعث المنصور إلى و إلى ابن طاوس،

ص: ٢٩٦

فأتيناه فإذا هو جالس على فرش قد نضدت، و بين يديه نطاع قد بسطت، و بين يديه جلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فأوماً إلينا، فجلسنا. فأطرق عتاً، ثم رفع رأسه إلى ابن طاوس فقال: حدثني عن أبيك. فقال: نعم، حدثني أبي أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: «أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله»، فأمسك ساعة، ثم ضمنت ثيابي من ثياب ابن طاوس مخافة أن يملأني من دمه. ثم التفت إليه، فقال له: عظني. قال: نعم، يقول الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادِ إِرِمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ... «إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ»^{٨٢٦}، فأمسك ساعة، ثم قال: يا بن طاوس ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه، ثم قال:

ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه، فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؟ قال: أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها. فلما سمع ذلك قال: قوما عني. فقال ابن طاوس له: ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم.

قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاوس فضله^{٨٢٧}.

«فاترك في أيديهم ما خافوك عليه» من دنياهم و لا تشاركهم فيها فتكون مثلهم، و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أن قوما ممن آمن بموسى قالوا: «لو أتينا عسكر فرعون و كنا فيه، و لنا من دنياه فإذا كان الذي نرجو من ظهور موسى عليه السلام صرنا إليه» ففعلوا. فلما توجه موسى عليه السلام و من معه هارين من فرعون، ركبوا دوابهم، و أسرعوا في السير ليلحقوا موسى عليه السلام و عسكره ليكونوا معهم، فبعث الله عزّ و جلّ ملكاً، فضرب وجوه دوابهم فردهم إلى عسكر فرعون فكانوا في من غرق مع فرعون. و قال لهم: حقّ على الله تعالى أن

ص: ٢٩٧

تصيروا مع من عشتم معه في دنياه^{٨٢٨}.

«و اهرب بما» هكذا في (المصرية)^{٨٢٩} و الصواب: «و اهرب منهم بما» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٨٣٠}.

^{٨٢٤} (٥) خمل ذكره و صوته خمولا: خفى و أخمله الله تعالى، فهو حامل ساقط لا نباهة له. (القاموس المحيط ٣: ٣٧١، مادة: خمل).

^{٨٢٥} (٦) الكافي ٥: ١٠٥-١٠٦، ثواب الأعمال و عقاب الأعمال: ٢٩٢، أمالي المفيد: ١٠٠، تهذيب الأحكام ٦: ٣٠٣.

^{٨٢٦} (١) الفجر: ٦-١٤.

^{٨٢٧} (٢) العقد الفريد ١: ٥٢-٥٣، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

^{٨٢٨} (١) الكافي ٥: ١٠٩.

^{٨٢٩} (٢) نهج البلاغة ٢: ١٨.

^{٨٣٠} (٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢ و لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٤٥ «و اهرب بما» أيضا.

«خفتهم عليه» من دينك ليسلم، قال الصادق عليه السّلام لجهم بن حميد: أما تغشى^{٨٣١} سلطان هؤلاء؟ قال: لا. قال: و لم؟ قال: فرارا بديني. قال: و عزمت على ذلك؟ قال: نعم. قال: الآن سلم لك دينك^{٨٣٢}.

و فى (عيون ابن قتيبة): طلب أبو قلابة للقضاء فلحق بالشام هربا، فأقام حيناً ثمّ قدم البصرة، فقال له أيّوب: لو أنّك وليت القضاء، و عدلت بين الناس رجوت لك فى ذلك أجرا، فقال له: إذا وقع السابح فى البحر فكم عسى أن يسبح!^{٨٣٣} و قال زياد: أى الناس أنعم؟ قالوا: معاوية. قال: فأين ما يلقى من الناس؟

قالوا: فأنت. قال: فأين ما ألقى من الثغور و الخراج؟ قالوا: فمن؟ قال: شابّ له سداد من عيش، و امرأة قد رضيها و رضيتها، لا يعرفنا و لا نعرفه، فإن عرفنا و عرفناه، أفسدنا عليه دينه و دنياه^{٨٣٤}.

و مرّ طارق صاحب شرطة خالد القسرى بابن شبرمة فى موكبه، فقال ابن شبرمة:

ص: ٢٩٨

سحابة صيف عن قريب تقشع

أراها و إن كانت تحبّ كأنها

اللهمّ لهم دنياهم، و لى دينى^{٨٣٥}. ثمّ استعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء، فقال له ابنه: أ تذكر يوم مرّ بك طارق فى موكبه و قلت ما قلت؟ فقال: يا بنى، إنّهم يجدون مثل أبيك و لا يجد أبوك مثلهم. يا بنى، إنّ أباك أكل من حلوائهم، و حطّ فى أهوائهم^{٨٣٦}.

و قال أبو العتاهية:

تغنى الملوك بديناهم عن الدين^{٨٣٧}

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اس

^{٨٣١} (٤) غشيه يغشاه غشيانا: إذا جاءه. (لسان العرب ١٠: ٧٧، مادة: غشى).

^{٨٣٢} (٥) الكافي ٥: ١٠٨، تهذيب الأحكام ٦: ٣٣٢.

^{٨٣٣} (٦) عيون الأخبار ٢: ٣٧٣.

^{٨٣٤} (٧) عيون الأخبار ١: ٢٦٤، العقد الفريد ١: ٧٧.

^{٨٣٥} (١) فى المصدرين: اللهمّ لى دينى، و لهم دنياهم.

^{٨٣٦} (٢) عيون الأخبار ١: ٥٦، العقد الفريد ١: ٧٥.

^{٨٣٧} (٣) عيون الأخبار ٢: ٣٧٣.

«فما أحوجهم إلى ما منعهم» من الدين، و في الخبر: أخوك دينك فاحتط لدينك^{٨٣٨}.

«و ما أغناك» هكذا في (المصرية)^{٨٣٩} و الصواب: «و أغناك» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٨٤٠} بكونه عطفًا على «أحوجهم».

«عمًا منعوک» من الدنيا، لأنها فانية تمنع عن الباقية.

ذكر عند أعرابي أهل السلطان فقال: أما و الله لئن عزّوا في الدنيا بالجور لقد ذلّوا في الآخرة بالعدل، و لقد رضوا بقليل فان عن كثير باق.

هذا، و قال العباس بن الأحنف في جارية مسماة بفوز:

ص: ٢٩٩

ألا يفوز بدنيا آل عباس^{٨٤١}

يا فوز ما ضرّ من يمسي و أنت له

«و ستعلم من الرابع» أنت أو هم.

«غدا» يوم القيامة، فيهم: «و سيعلم الكفار لمن عقبى الدار»^{٨٤٢}، و فيه:

«إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ»^{٨٤٣}.

^{٨٣٨} (٤) رواه المفيد رحمه الله في الأمالي: ٢٨٣، عن علي بن موسى الرضا عليهما السلام.

^{٨٣٩} (٥) نهج البلاغة ٢: ١٨.

^{٨٤٠} (٦) في شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢، و شرح ابن ميثم ٣: ١٤٥ «و ما أغناك» أيضا.

^{٨٤١} (١) الأغاني ١٧: ٧٣.

^{٨٤٢} (٢) الرعد: ٤٢.

^{٨٤٣} (٣) فصلت: ٣٠ - ٣١.

«و الأكثر حسدا» كان الصادق عليه السلام يقول لشيعته: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط و يرى السرور و قرّة العين إلّا أن تبلغ نفسه ها هنا- و أوما بيده إلى حلقه^{٨٤٤} «و لو أنّ السماوات و الأرض كانتا على عبد رتقا، ثمّ اتقى الله لجعل الله له منهما مخرجا» عن أبي جعفر عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: ما اعتصم بي أحد من عبادي دون أحد من خلقى، عرفت ذلك من نيّته، ثمّ تكيده السماوات و الأرض و من فيهنّ إلّا جعلت له المخرج ممّا (من) بينهنّ. و ما اعتصم أحد من عبادي بأحد من خلقى، عرفت ذلك من نيّته إلّا قطعت أسباب السماوات و الأرض من يديه، و أسخت الأرض من تحته، و لم ابال بأىّ واد هلك^{٨٤٥}.

و ورد: أن أصحاب الرقيم كانوا ثلاثة رجال، لجؤوا إلى كهف من المطر فخرت قطعة من الجبل و. طبقت عليهم، ثمّ ذكر كلّ منهم ما فعله لله اتقاء منه،

ص: ٣٠٠

من ترك أحدهم امرأة علقها، و أعطها ما طلبت، و قعد منها مقعد الرجل من امرأته، و قيام آخر منهم على أبويه لإطعامهما- و كانا غلبهما التّوم- و خلّى امرأته و ولده جائعين لئلا يستيقظ أبواه، و يبقياء جائعين، و لم ينبهما لئلا يتأذيا، و ردّ ثالثهم ما حصل بيده من زرع أرزّ عيّنه لأجيريه إليه، ففرّج الله عنهم، و كشف تلك القطعة لتقواهم حتّى نجوا^{٨٤٦}.

«لا يؤنسنك إلّا الحقّ، و لا يوحشّنك إلّا الباطل» فى (تاريخ بغداد): قال المنتصر: و الله ما عزّ ذو باطل و لو طلع القمر من جبينه، و لا ذلّ ذو حقّ و لو أطبق العالم عليه^{٨٤٧}.

«فلو قبلت دنياهم لأحبّوك» لأنّ محبّ الحبيب محبوب و إن كانت بينهم مخاصمات، و مبغض الحبيب مبغوض و إن لم يكن بينهم مزاحمات. و لذا كانت طوائف قريش على اختلاف مشاربهم لاتفاقهم على حبّ الدّنيا يتآلفون كمعاوية مع طلحة و الزبير و عائشة، مع كونهم من قتلة عثمان، و من أهل البيت عليهم السلام لكونهم ملتزمين بالحقّ متنافرون لعلمهم بأنّهم لو ولّوا لحالوا بينهم و بين دنياهم.

«و لو قرضت منها» أى: قطعت من دنياهم لنفسك قطعة.

«لأتمّوك» فى (الكشّى) عن الصادق عليه السلام: أرسل عثمان إلى أبى ذرّ موليّين و معهما مائتا دينار، فقال لهما: انطلقا إلى أبى ذرّ و قولاه: إنّ عثمان يقرؤك السلام و يقول لك: هذه مائتا دينار فاستعن بهما على ما نأبىك. فقال أبو ذرّ: هل اعطى أحد من المسلمين مثل ما أعطانى؟ قالوا: لا. قال: فإنّما أنا رجل من المسلمين يسعنى ما يسعهم. قالوا له: إنّ يقول: هذا من صلب مالى، و بالله

^{٨٤٤} (٤) الكافى ٣: ١٣١ ح ٤.

^{٨٤٥} (٥) الكافى ٢: ٤٣، كنز العمال ٣: ١٠١.

^{٨٤٦} (١) الخصال ١: ١٨٤-١٨٥، قصص الأنبياء: ٢٦٢-٢٦٣، بحار الأنوار ١٤: ٤٢١.

^{٨٤٧} (٢) لم أجد هذا النصّ فى تاريخ بغداد بتتبع فهرسه.

الذى لا إله إلا هو ما خالطها حرام، و لا بعثت بها إليك إلا من حلال. فقال: لا حاجة لى فيها، و قد أصبحت يومى هذا و أنا من أغنى الناس. فقالا له: ما نرى فى بيتك قليلا و لا كثيرا. فقال: بلى تحت هذا الإكاف^{٨٤٨} الذى (التى) ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيام فما أصنع بهذه الدنانير، لا و الله حتى يعلم الله أنى لا أقدر على قليل و لا كثير، و قد أصبحت غنيا بولاية على بن أبى طالب و عترته الهادين عليهم السلام الذين يهدون بالحق و به يعدلون.

و كذلك سمعت النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول: فإنه لقبيح بالشيخ أن يكذب. فرداها عليه، و أعلماه أنه لا حاجة لى فيها و لا فيما عنده، حتى ألقى الله ربي فيكون هو الحاكم فيما بينى و بينه^{٨٤٩}.

بسم الله الرحمن الرحيم. باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين إلى أعدائه و امراء بلاده. و يدخل فى ذلك ما اختير من عهوده إلى عماله، و وصاياه لأهله و أصحابه.

الكتاب (١) من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

من عبد الله؟ على أمير المؤمنين؟ إلى أهل؟ الكوفة؟ - جبهة الأنصار و سنام العرب - أما بعد فإنى أخبركم عن أمر عثمان؟ - حتى يكون سمعه كعبانه - إن الناس طعنوا عليه - فكننت رجلا من المهاجرين أكثر استعبابه - و أقل

عتابه - و كان؟ طلحة؟ و الزبير؟ أهون سيرهما فيه الوجيف - و أرفق حدائهما العنيف - و كان من؟ عائشة؟ فيه فلتة غضب - فأتيح له قوم فقتلوه - و بايعنى الناس غير مستكرهين - و لا مجبرين بل طائعين مخيرين - و اعلموا أن دار الهجرة قد قلعت بأهلها و قلعوا بها - و جاشت جيش المرجل - و قامت الفتنة على القطب - فأسرعوا إلى أميركم - و بادروا جهاد عدوكم إن شاء الله قول المصنف: «بسم الله الرحمن الرحيم» ليس فى (ابن ميثم)^{٨٥٠}.

«باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين» ليس فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) كلمة «مولانا»^{٨٥١}.

«إلى أعدائه و امراء بلاده» و فى (ابن أبى الحديد): «باب المختار من كتب أمير المؤمنين على عليه السلام، و رسائله إلى أعدائه و أولياء بلاده»^{٨٥٢}، فزاد و بدّل.

^{٨٤٨} (١) الإكاف - ككتاب و غراب - الحمار. (القاموس المحيط ٣: ١١٨، مادة: أكف).

^{٨٤٩} (٢) اختيار معرفة الرجال (الكشنى) ١: ١١٨ - ١٢٠.

^{٨٥٠} (١) شرح ابن ميثم ٤: ٣٣٧.

^{٨٥١} (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٥، و شرح ابن ميثم ٤: ٣٣٧ المطبوعين: «مولانا أمير المؤمنين» أيضا.

«و يدخل في ذلك ما اختير من عهوده إلى عمّاله، و وصاياه لأهله و أصحابه».

قال ابن الحديد: كلامه عليه السّلام لشريح القاضي، و لشريح بن هانئ لما جعله مقدّمته إلى الشام بباب الخطب أشبه^{٨٥٣}.

قلت: كلامه كما ترى، أمّا الأوّل، فصرّح فيه بأنّه كتاب لكنّه كتاب بيع لا كتاب رسالة، و الثّاني من عهوده عليه السّلام إلى عمّاله التي صرّح بدخولها في الكتب إلحاقا.

ص: ٣٠٣

و لكن لو لم يسقط من عنوان المصنّف بعد «إلى أعدائه» كلمة «و أوليائه» أو «و غيرهم» خرج من هذا الباب كتبه الثلاثة إلى أهل الكوفة الأوّل و الثّاني و السّابع و الخمسون، و كتابه إلى أهل الأمصار و هو (٥٨) من الكتب، و كتاباه إلى أهل مصر (٣٨) و (٦٢) منها، و كتابه عليه السّلام إلى أخيه عقيل (٣٦) منها، و كتابه عليه السّلام إلى سلمان و هو (٦٨) منها لعدم دخولها في كتبه عليه السّلام إلى أعدائه، و لا إلى امراء بلاده، و لا في عهوده عليه السّلام و وصاياه.

أقول: قال ابن أبي الحديد: روى محمّد بن إسحاق عن عمّه عبد الرحمن بن يسار القرشيّ، قال: لما نزل علىّ عليه السّلام الربذة متوجّها إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمّد بن جعفر و محمّد بن أبي بكر، و كتب إليهم هذا الكتاب، و زاد في آخره:

فحسبى بكم إخوانا، و للدين أنصارا، ف «انفروا خفافاً و ثقلاً و جاهدوا بأموالكم و أنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون»^{٨٥٤}.

قلت: و رواه ابن قتيبة في (خلفائه ابن قتيبة- الإمامة و السياسة- ج ١ ص ٦٥ تا ٦٧)^{٨٥٥} إلّا أنّه قال: بعث علىّ عليه السّلام أوّلا محمّد بن أبي بكر و عمّارا، فمنعهما أبو موسى فانصرفا، فبعث الحسن عليه السّلام، و ابن عبّاس، و عمّارا، و قيس بن سعد، و كتب معهم هذا الكتاب، و فيه زيادة هكذا: أمّا بعد، فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سامعه كمن عاينه، إنّ الناس طعنوا على عثمان، فكنت رجلا من المهاجرين أقلّ عيبه، و أكثر استغتابه.

و كان هذان الرجلان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه اللهجة

ص: ٣٠٤

^{٨٥٢} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٥.

^{٨٥٣} (٤) المصدر نفسه.

^{٨٥٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٨، و الآية ٤١ من سورة التوبة.

^{٨٥٥} (٢) رواه ابن قتيبة في الإمامة و السياسة ١: ٦٦، و الشيخ الطوسي في الأمالي الشيخ الطوسي- الأمالي- ج ٢ ص ٣٢٩: ٣٢٩، و ابن شهر آشوب في المناقب

ابن شهر آشوب- المناقب- ج ٣ ص ١٥١: ١٥١.

و الوجيف، و كان من عائشة فيه قول على غضب، فانتحى له قوم فقتلوه، و بايعى الناس غير مستكرهين، و هما أول من بايعنى على ما بويح عليه من كان قبلى، ثم استأذنا إلى العمرة، فأذنت لهما، فنقضا العهد، و نصبنا الحرب، و أخرجنا عائشة من بيتها ليتخذها فتنة، و قد سارا إلى البصرة اختيارا لأهلها، و لعمري ما إيتاى تجيبون، ما تجيبون إلا الله، و قد بعثت ابني الحسن، و ابن عمي عبد الله بن العباس، و عمار بن ياسر، و قيس بن سعد فكونوا عند ظننا بكم، و الله المستعان^{٨٥٦}.

و رواه المفيد فى (جملة الشيخ المفيد - الجمل - ص ٢٤٤) مثله إلا أنه لم يذكر ابن عباس^{٨٥٧}.

قول المصنّف: «من كتاب له عليه السلام لأهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة».

أقول: قد عرفت من رواية محمد بن إسحاق أنه كتبه من الربذة^{٨٥٨}. و يفهم من (الخلفاء) أنه كان من قرب الكوفة فى مسيره إلى البصرة^{٨٥٩}.

قوله عليه السلام: «من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار» أى: أنصار الحق، و ليس المراد أنصار المدينة.

«و سنام العرب» أى: أعلاهم، كما أن سنام البعير أعلى أعضائه.

قال ابن أبي الحديد: قال الطبرى: كتب على عليه السلام من الربذة إلى أهل الكوفة: أمّا بعد، فإننى اخترتك و آثرت النزول بين أظهركم، لما أعرف من مودتكم و حبكم لله و لرسوله، فمن جاءنى و نصرنى فقد أجاب

ص: ٣٠٥

الحق، و قضى الذى عليه^{٨٦٠}.

قلت: و روى النعمانى عن أبى هارون: أنه سأل أبا سعيد الخدرى عن السمك الذى يزعم أهل الكوفة أنه حرام، فقال أبو سعيد: سمعت النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول: الكوفة جمجمة العرب، و رمح الله تعالى^{٨٦١}، و كنز الإيمان، فخذ عنهم^{٨٦٢}.

^{٨٥٦} (١) الإمامة و السياسة ١: ٦٥-٦٧، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

^{٨٥٧} (٢) الجمل: ٢٤٤.

^{٨٥٨} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٨.

^{٨٥٩} (٤) الإمامة و السياسة ١: ٦٥.

^{٨٦٠} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٧٧، سنة ٣٦، شرح ابن أبى الحديد ١٤: ١٦.

^{٨٦١} (٢) قال ابن الأثير فى النهاية ١: ٢٩٩، مادة (جمجم) ما نصّه: فى الحديث: «أنت الكوفة فإن بها جمجمة العرب» أى: ساداتها، لأن الجمجمة: الرأس، و هو أشرف الأعضاء. و قيل: جماجم العرب: التى تجمع البطون فينسب إليها دونهم.

و قال فيه أيضا ٢: ٢٦٢، مادة (رمح): العرب تجعل الرمح كناية عن الدفع و المنع.

و فى (خلفاء ابن قتيبة) - بعد ذكر بعثه عليه السّلام ابنه الحسن عليه السّلام و جمع معه و قراءته كتابه عليه السّلام عليهم - ثمّ قام، فقال: أيّها الناس، إنّهُ قد كان فى مسير أمير المؤمنين عليه السّلام ما قد بلغكم، و قد أتيناكم مستنفرين، لأنّكم جبهة الأنصار، و رءوس العرب، و قد كان من نقض طلحة و الزبير بعد بيعتهما و خروجهما بعائشة ما بلغكم، و تعلمون أنّ وهن النساء و ضعف رأيهنّ إلى التلاشى، و من أجل ذلك جعل الله الرجال قوامين على النساء^{٨٦٣}.

«أمّا بعد، فإنّي أخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه» فى (خلفاء ابن قتيبة): لمّا أقرأهم الحسن عليه السّلام كتاب أبيه عليه السّلام و خطبهم فى ذلك، قام شريح بن هانئ فقال: لقد أردنا أن نركب إلى المدينة، حتّى نعلم قتل عثمان، فقد أتانا الله به فى بيوتنا، فلا تخالفوا عن دعوته، و الله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعا و طاعة^{٨٦٤}.

«إنّ الناس طعنوا عليه» فى (أغانى أبى الفرج): قال مطر الوراق: قدم رجل

ص: ٣٠٦

من أهل الكوفة إلى المدينة فقال لعثمان: إنّي صلّيت صلاة الغداة خلف الوليد، فالتفت فى الصلاة إلى الناس فقال: أزيدكم فإنّي أجد اليوم نشاطا؟ و شممنّا منه رائحة الخمر. فضرب عثمان الرجل. فقال الناس لعثمان: عطّلت الحدود، و ضربت الشهود^{٨٦٥}.

و فى (الطبرى): قال عبد الرحمن بن يسار: لمّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب من بالمدينة من أصحاب النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى من بالآفاق منهم و كانوا قد تفرّقوا فى الثغور: «إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا فى سبيل الله، و تطلبون دين محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، فإنّ دين محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم قد أفسد من خلفكم و ترك، فهلموا فأقيموا دين محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم» فأقبلوا من كلّ أفق حتّى قتلوه^{٨٦٦}.

و فى (الطبرى) أيضا: قال أبو حبيبة: خطب عثمان فقام إليه جهجاه الغفارى، فصاح: يا عثمان! إنّ هذه شارف^{٨٦٧} قد جئنا بها، عليها عباءة و هذه جامعة، فانزل فلندرعك العباءة، و لنطرحك فى الجامعة، و لنحملك على الشارف، ثمّ نطرحك فى جبل الدخان. و لم يكن ذلك منه إلّا عن ملأ من الناس، و قام إلى عثمان حزبه من بنى امية فحملوه فأدخلوه الدار. قال: فكان آخر ما رأيت^{٨٦٨}.

^{٨٦٢} (٣) علل الشرائع ٢: ٤٦٠-٤٦١ الباب ٢٢٢ ح ١.

^{٨٦٣} (٤) الامامة و السياسة ١: ٦٧.

^{٨٦٤} (٥) الامامة و السياسة ١: ٦٧.

^{٨٦٥} (١) الأغاني ١: ٢٠، ٥: ١٣١.

^{٨٦٦} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٧، سنة ٣٥.

^{٨٦٧} (٣) الشارف: المسنة من النوق، و الجمع الشرف. (الصاح ٤: ١٣٨٠، مادة: شرف).

^{٨٦٨} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٦، سنة ٣٥.

«فكنت رجلاً من المهاجرين» قال ابن أبي الحديد: هو من لطيف الكلام، فإنّ فيه من التخلّص و التبرّي ما لا يخفى على المتأمل، ألا ترى أنّه لم تبق عليه في ذلك حجّة لطاعن، من حيث جعل نفسه كواحد من عرض المهاجرين، الذين بنفّر يسير منهم انعقدت خلافة أبي بكر، و هم أهل الحلّ و العقد، و إنّما كان

ص: ٣٠٧

الإجماع حجّة لدخولهم فيه^{٨٦٩}.

قلت: نعم كلامه عليه السّلام من لطيف الكلام لكن لا لما قال، بل لأنّه دلّ على أنّ الطاعنين على عثمان و المنكرين لعثمان كان فيهم من المهاجرين الحقيقيين الملتزمين بالشريعة عند الكلّ كأبي ذرّ، و المقداد، و عمّار، و حذيفة و نظرائهم، و لم ينحصروا بالعامّة الغوغاء و لا بالمغرضين، كعمرو بن العاص.

فروى الطبري عن الواقدي: أنّ عثمان لمّا عزل عمرو بن العاص عن مصر، و استعمل ابن أبي سرح قدم المدينة و جعل يطعن على عثمان، فقال له عثمان: يا بن النابغة، ما أسرع ما قمل جربان جبّتك - إلى أن قال -: و لمّا سمع عمرو بن العاص بقتل عثمان قال: إنّني كنت لأحرّض عليه الناس، حتّى إنّني لأحرّض الراعي عليه في رأس الجبل. و فارق عمرو حين عزله عثمان اخت عثمان لأمّه أمّ كلثوم بنت أبي معيط^{٨٧٠}.

و قول ابن أبي الحديد: «الذين بنفّر يسير منهم انعقدت خلافة أبي بكر»^{٨٧١} ممّا يضحك الثكلى، فالمهاجرون الذين جعل أمير المؤمنين عليه السّلام نفسه أحدهم قلنا: هم أبو ذرّ، و عمّار و نظراؤهما.

و أمّا ببيعة أبي بكر فكانت عن توطئة بينه و بين عمر و أبي عبيدة، و هم فعلوا أفعال عثمان حيث كانوا السبب لأفعاله لا كانوا من مستعنييه، فكتب عثمان - و كان كاتب أبي بكر - في غشوة أبي بكر استخلافه لعمر، فكافأه عمر مع علمه بأنّه يفعل ما يفعل بما دبّر في أمر الشورى لصيرورته خليفته.

و أمّا أهل حلّه و عقده فكانوا اولئك الثلاثة، فكان أبو بكر يقول للناس:

ص: ٣٠٨

بايعوا أحد هذين: عمر أو أبي عبيدة. و هما كانا يقولان: ما كنّا لتتقدّمك^{٨٧٢}.

^{٨٦٩} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٧.

^{٨٧٠} (٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٦-٣٥٧، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٨٧١} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٧.

^{٨٧٢} (١) تاريخ الطبري ٣: ٢٢١، سنة ١١.

و روى الثقفى فى (تاريخه) عن رجالهم، و رواه أبو نعيم فى (حليته): أن رجلا جاء إلى ابى بن كعب فقال: يا أبا المنذر، ألا تخبرنى عن عثمان، ما قولك فيه؟ فأمسك عنه، فقال له الرجل: جزاكم الله شراً يا أصحاب محمد! شهدتم الوحى و عاينتموه، ثم نسألکم التفقه فى الدين فلا تعلمونا. فقال ابى عند ذلك:

«هلك أصحاب العدة و ربّ الكعبة! ^{٨٧٣} أما و الله ما عليهم آسى و لكن آسى على من أهلكوا» ^{٨٧٤} و الله لئن أبقانى الله إلى يوم الجمعة لأقومنّ مقاما أتكلّم فيه بما أعلم، قتلت أو استحييت. فمات يوم الخميس ^{٨٧٥}.

«أكثر استغابه» أى: طلب رجوعه عن الباطل.

«و اقلّ عتابه» العتاب: إظهار الموجهة، و قد كان مستحقاً لكلّ عتاب.

و يعبر عن العتاب فى الفارسية ب (سرزنش).

و أمّا المهاجرون، فكانوا يكترون من عتابه، روى الثقفى فى (تاريخه):

أنّ أبا ذرّ كان يقول لعثمان: حدّثنى النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه يجاء بك و بأصحابك يوم القيامة، فتبطحون على وجوهكم، فتمرّ عليكم البهائم فتطأكم ^{٨٧٦}.

و ذكر الواقدى فى (تاريخه): أنّ أبا ذرّ أظهر عيب عثمان بالشام، فجعل كلّما دخل المسجد أو خرج منه شتم عثمان، و ذكر منها خلاصاً قبيحاً ^{٨٧٧}.

ص: ٣٠٩

و نقل ابن أبى الحديد عن كتاب (أبى مخنف) روايته عن عبد الرحمن بن أبى ليلى (عن أبيه): أنّه سمع عمّاراً لما جاء إلى الكوفة لاستنفارهم يقول: ما تركت فى نفسى حزة أهمّ إلىّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره، ثمّ أحرقناه بالنار ^{٨٧٨}.

و قد روى الثقفى فى (تاريخه): أنّ رجلاً قام إلى أبى بن كعب، فقال له: إنّ عثمان كتب للرجل من آل أبى معيط بخمسين ألف درهم من بيت المال. فقال ابى: لا تزال تأتونى بشيء ما أدرى ما هو. فبينما هو كذلك إذ مرّ به الصكّ، فقام فدخل على عثمان

^{٨٧٣} (٢) قال ابن الأثير فى النهاية ٣: ٢٧٠: و فى حديث ابى: «هلك أصحاب العدة و ربّ الكعبة» يريد البيعة المعقودة للولاء.

^{٨٧٤} (٣) قول أبى مذکور فى حلية الأولياء ١: ٢٥٢.

^{٨٧٥} (٤) رواه عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى البحار ٨: ٣٣٦، ط الكمباني، و قريب منه ما فى شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ٢٤.

^{٨٧٦} (٥) رواه عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى البحار ٨: ٣٣٦، ط الكمباني.

^{٨٧٧} (٦) المصدر نفسه ٨: ٣٣٨.

^{٨٧٨} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ١١.

فقال: يا بن الهاوية! يا بن النار الحامية! أ تكتب لبعض آل أبي معيط إلى بيت مال المسلمين بصكّ بخمسين ألف درهم؟ فغضب عثمان^{٨٧٩}.

و روى هو أيضا في (تاريخه)، و الواقدي في كتاب (داره) عن عبيدة السلمانيّ قال: سمعت ابن مسعود يلعن عثمان، فقلت له في ذلك. فقال: سمعت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يشهد له بالنار^{٨٨٠}.

و عن خيثمة قال ابن مسعود: بينا نحن في بيت، و نحن اثنا عشر رجلا نتذاكر أمر الدجال و فتنته، إذ دخل النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: ما تتذكرون من أمر الدجال، و الذي نفسى بيده إن في البيت لمن هو أشدّ على امتي من الدجال.

قال ابن مسعود: و قد مضى من كان في البيت غيري و غير عثمان، (ثمّ) قال ابن مسعود: و الذي نفسى بيده لوددت أنّي و عثمان برمّل عالج^{٨٨١} نتجائي

ص: ٣١٠

التراب حتّى يموت الأعجز^{٨٨٢}.

و روى الأول عن جمع من أصحاب ابن مسعود، قالوا: قال ابن مسعود:

لا يعدل عثمان عند الله تعالى جناح بعوضة^{٨٨٣}.

و روى عن همّام بن الحارث، قال: دخلت مسجد المدينة فإذا الناس مجتمعون على عثمان، و إذا رجل يمدحه، فوثب المقداد و أخذ كفا من حصي أو تراب فأخذ يرميه به، فرأيت عثمان يتقيّه بيده^{٨٨٤}.

و روى عن عيسى بن زيد قال: كان عبد الرحمن بن حنبل القرشي - و هو من أهل بدر - من أشدّ الناس على عثمان، و كان يذكره في الشعر، و يذكر جوره، و يطعن عليه و يبرأ منه، و يصف صنائعه، فلمّا بلغ ذلك عثمان ضربه مائة سوط، و حمله على بعير، و طاف به في المدينة ثمّ حبسه موثقا في الحديد^{٨٨٥}.

^{٨٧٩} (٢) نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٣٣٦، ط الكمباني.

^{٨٨٠} (٣) نقله عنه العلامة المجلسي رضي الله في البحار ٨: ٣٣٦، ط الكمباني.

^{٨٨١} (٤) قال الطريحي: نقل أنّ رمل عالج جبال متواصلة يتصل أعلاها بالدهناء، و الدهناء بقرب يمامة، و أسفلها بنجد.

و في كلام البعض: رمل عالج محيط بأكثر أرض العرب. (مجمع البحرين ٢: ٣١٨ - ٣١٩، مادة: علج).

^{٨٨٢} (١) بحار الأنوار ٨: ٣٣٨، ط الكمباني.

^{٨٨٣} (٢) نقله عن تاريخ النقيّ العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٣٨، ط الكمباني.

^{٨٨٤} (٣) المصدر نفسه ٨: ٣٣٩.

^{٨٨٥} (٤) نقله عن تاريخ النقيّ العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٣٨، ط الكمباني.

و روى عن قيس بن أبي حازم قال: جاءت بنو عبس إلى حذيفة يستشفعون به إلى عثمان، فقال حذيفة: لقد أتيتموني من عند رجل وددت أن كلّ سهم في كنانتي في بطنه^{٨٨٦}.

و أمّا هو عليه السّلام فكان أقلّهم عتابا له، و أكثرهم استعتابا، رعاية لكرم الأخلاق، و براءة عن التّهم.

روى الواقدي في (شوراه) - و نقله ابن أبي الحديد في عنوان «و من كلام له عليه السّلام و قد وقعت بينه و بين عثمان مشاجرة» - عن ابن عباس قال: شهدت

ص: ٣١١

عتاب عثمان لعلّيّ عليه السّلام يوما، فقال له في بعض ما قاله: نشدتك الله أن تفتح للفرقة بابا! فلعهدي بك و أنت تطيع عتيقا و ابن الخطّاب - إلى أن قال -: فإن كنت تزعم أن هذا الأمر جعله النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لك، فقد رأيتك حين توفّي النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم نازعت ثمّ أقررت، فإن كانا لم يركبا من الأمر جدّا فكيف أذعنت لهما بالبيعة، و بخعت بالطاعة - إلى أن قال -: فقال عليّ عليه السّلام: أمّا الفرقة، فمعاذ الله أن أفتح لها بابا، أو أسهلّ إليها سبيلا، و لكنّي أنهاك عمّا ينهاك الله و رسوله عنه، و أهديك إلى رشدك، و أمّا عتيق و ابن الخطّاب فإن كانا أخذّا ما جعله النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لي، فأنت أعلم بذلك و المسلمون، و مالي و لهذا الأمر و قد تركته منذ حين - إلى أن قال -: و أمّا التسوية بينك و بينهما، فلست كأحدهما، إنّهما وليّا هذا الأمر، فظلفا^{٨٨٧} أنفسهما و أهلها عنه، و عمت فيه و قومك عوم السابح في اللجة، فارجع إلى الله أبا عمرو، و انظر هل بقي من عمرك إلّا كظمء الحمار^{٨٨٨}. فحتي متي و إلى متي! لا تنهي (الآ تنهي) سفهاء بني أميّة عن أعراض المسلمين و أبشارهم و أموالهم! و الله لو ظلم عامل من عمالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركا بينه و بينك.

فقال عثمان: لك العتبي، و افعل و اعزل (من عمالي) كلّ من تكرهه و يكرهه المسلمون، ثمّ افترقا فصدّه مروان، و قال: يجتريء عليك الناس، فلم يعزل (فلا تعزل) أحدا منهم^{٨٨٩}.

«و كان طلحة و الزبير أهون سيرهما فيه الوجيف» الوجيف: ضرب من سير الإبل و الخيل سريع، روى (جمل المفيد) عن كتاب (مقتل عثمان) لأبي حذيفة

ص: ٣١٢

^{٨٨٦} (٥) المصدر نفسه.

^{٨٨٧} (١) ظلف نفسه: كفّها عمّا لا يجمل. (أساس البلاغة: ٢٨٩، مادة: ظلف).

^{٨٨٨} (٢) قال ابن الأثير: و في حديث بعضهم: «حين لم يبق من عمري إلّا ظمء حمار» أي: شيء يسير، و إنّما خصّ الحمار لأنّه أقلّ الدواب صبرا عن الماء. (النهاية ٣: ١٦٢، مادة: ظمأ).

^{٨٨٩} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥ - ١٦، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

القرشيّ من أهل حديث العامّة: قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: و الله كأنّي لأنظر إلى طلحة، و عثمان محصور، و هو على فرس، و بيده رمح يجول حول دار عثمان^{٨٩٠}.

و روى أيضا أنه لما اشتدّ الحصار بعثمان عمد بنو أميّه على إخراجهم ليلا إلى مكّة، و عرف الناس ذلك و جعلوا عليه حرسا، و كان على الحرس طلحة و هو أوّل من رمى بسهم في دار عثمان^{٨٩١}.

و في (صّفين نصر بن مزاحم): قدم خفاف الطائي الشام، فقال له معاوية: هات يا أخا طي! حدّتنا عن عثمان. قال: حصره المكشوح، و حكم فيه حكيم، و ولى في أمره محمّد و عمّار، و تجرّد في أمره ثلاثة نفر: عديّ بن حاتم، و الأشتر، و عمرو بن الحمق، و جدّ في أمره طلحة و الزبير^{٨٩٢}.

و قال عبيد الله بن عمر:

و قد كان فيها للزبير عجاجة و طلحة فيها جاهد غير لاعب^{٨٩٣}

و في (أنساب البلاذري): ذكروا أنّ عثمان نازع الزبير، فقال الزبير: إن شئت تقاذفنا. فقال: بماذا أبلعير؟ قال: لا و الله و لكن بطبع خباب و ريش المقعد - و كان خباب يطبع السيوف، و كان المقعد يريش النبل^{٨٩٤}.

«و أرفق حدائهما» قال الجوهري: الحدو: سوق الإبل، و الغناء لها^{٨٩٥}.

«العنيف» أي: الشديد، في (الطبري): قال عبد الرحمن بن الأسود: لم أزل

ص: ٣١٣

أرى عليّا عليه السّلام منكّبا عن عثمان لما أعطى الناس عهدا على المنبر، و دخل بيته فخرج مروان و شتمهم، و فرّقهم عن الباب، إلّا أنّي أعلم أنه قد كَلّم طلحة حين حصر عثمان في أن يدخل عليه الروايا، و غضب في ذلك غضبا شديدا حتّى دخلت الروايا على عثمان^{٨٩٦}.

^{٨٩٠} (١) الجمل: ١٤٤.

^{٨٩١} (٢) المصدر نفسه، و الرواية عن أبي إسحاق.

^{٨٩٢} (٣) وقعة صفين: ٦٥، شرح ابن أبي الحديد ٣: ١١١.

^{٨٩٣} (٤) وقعة صفين: ٨٤، شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٢.

^{٨٩٤} (٥) أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ١٤، مكتبة المثنى، بغداد.

^{٨٩٥} (٦) الصحاح ٦: ٢٣٠٩، مادة (حدا).

و فيه: قال عبد الله بن عبيد بن ربيعة: دخلت على عثمان، فتحدثت عنده ساعة، فقال: تعال. فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على الباب، فسمعنا منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع.

فبينما أنا و هو واقف إذ مرّ طلحة، فقال: أين ابن عديس؟ فقيل: ها هو ذا. فجاءه ابن عديس، فواجه طلحة بشيء، ثم رجع ابن عديس؟ فقال لأصحابه: لا تتركوا أحدا أن يدخل على هذا الرجل، و لا يخرج من عنده^{٨٩٧}.

و فى (مقتل أبى حذيفة): اطلع عثمان و قد اشتد به الحصار و ظمى من العطش، فنادى أيها الناس اسقونا شربة من الماء و أطعمونا ممّا رزقكم الله.

فناداه الزبير يا نعل و الله لا تذوقه.

و فيه أيضا: قال ثعلبة الحماني: أتيت الزبير و هو عند أحجار الزيت فقلت له: قد حيل بين أهل الدار و بين الماء. فنظر نحوهم و قال: «و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل إنهم كانوا فى شك مريب»^{٨٩٨}.

و فيه أيضا: أنفذ عثمان إلى على عليه السلام إن طلحة و الزبير قد قتلا من العطش و إن الموت بالسلح أحسن، فخرج معتمدا على يد مسور بن مخزوم الزهرى حتى دخل على طلحة و هو جالس فى داره يسوى نبلا و عليه قميص

ص: ٣١٤

هندي، فلما رآه طلحة رحب به و وسع له على الوسادة، فقال له على عليه السلام: إن عثمان قد أرسل إلى أنكم أهلكتموه عطشا، و أن ذلك ليس بحسن، و القتل بالسلح أحسن، و كنت آليت على نفسى أن لا أردّ عنه أحدا بعد أهل مصر، و أنا أحب أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه. فقال طلحة: و الله لا نعلمه عينا و لا نتركه يأكل و يشرب. فقال على عليه السلام: ما كنت أظن أن أكلّم أحدا من قريش فيردنى، دع ما كنت فيه يا طلحة. فقال طلحة: ما كنت أنت يا على فى ذلك من شيء. فقام على عليه السلام مغضبا و قال: ستعلم يا بن الحضرمية أكون فى ذلك من شيء أم لا؟ ثم انصرف^{٨٩٩}.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أن طلحة و الزبير أتيا عليا عليه السلام بعد خلافته، فقالا له: هل تدري على ما بايعناك؟ - و كان الزبير لا يشك فى ولاية العراق، و طلحة فى اليمن - إلى أن قال: - فلما استبان لهما أن عليا عليه السلام غير مواليهما شيئا، أظهر الشكاية (الشكاه)، فتكلم الزبير فى ملاء من قريش، فقال:

^{٨٩٦} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٤، سنة ٣٥.

^{٨٩٧} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٧٨ - ٣٧٩، سنة ٣٥.

^{٨٩٨} (٣) سبأ: ٥٤.

^{٨٩٩} (١) الجمل للمفيد: ٧٤.

هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب، و سببنا له القتل و هو جالس في بيته و كفى الأمر. فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا.

فقال طلحة: ما اللوم إلّا لنا، كنّا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا و بايعناه، و أعطيناه ما في أيدينا، و منعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا^{٩٠٠}.

قلت: و مراد طلحة بكونهم ثلاثة من أهل الشورى: هما مع سعد بن أبي وقاص، فهما بايعاه عليه السّلام طمعا، و اعتزله سعد يأسا.

و فيه أيضا: ولما نزل طلحة و الزبير و عائشة بأوطاس^{٩٠١}، من أرض

ص: ٣١٥

خيبر، أقبل عليهم سعيد بن العاص على نجيب له، فأقبل على مروان- و كان مع طلحة و الزبير- فقال له: و أين تريد؟ قال: البصرة. قال: و ما تصنع بها؟ قال:

أطلب قتلة عثمان. قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك، إن هذين الرجلين- يعني طلحة و الزبير- قتلا عثمان و هما يريدان الأمر لأنفسهما، فلمّا غلبا عليه قالا: نغسل الدم بالدم، و الحوبة^{٩٠٢} بالتوبة^{٩٠٣}.

و فيه أيضا- بعد ذكر دخول طلحة و الزبير البصرة-: فبيناهم كذلك أتاهم رجل من أشرف البصرة بكتاب كتبه طلحة في التأييب على قتل عثمان، فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردك على ما كنت عليه؟

و كنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على قتل عثمان، و أنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه^{٩٠٤}.

و عن (تاريخ الواقدي): ما كان أحد من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلّم أشدّ على عثمان من عبد الرحمن بن عوف حتى مات عبد الرحمن، و من سعد بن أبي وقاص حتى مات عثمان، و من طلحة- و كان أشدهم- فإنه لم يزل كهف المصريين

^{٩٠٠} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٥١.

^{٩٠١} (٣) قال ياقوت: أوطاس: واد في ديار هوازن، فيه كانت وقعة حنين للنبي صلى الله عليه و آله و سلّم بيني هوازن. (معجم البلدان ١:

٢٨١).

^{٩٠٢} (١) الحوبة- بالفتح-: الخطيئة. (المصباح المنير ١: ١٩٠، مادة: حوب).

^{٩٠٣} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٦٣.

^{٩٠٤} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٦٨.

و غيرهم، يأتونه بالليل يتحدثون عنده إلى أن حاربوه (جاهدوا)، فكان وليّ الحرب و القتال، و عمل المفاتيح على بيت المال، و تولى الصلاة بالناس، و منع عثمان و من معه من الماء، و ردّ شفاعه علىّ عليه السّلام فى حمل الماء إليه، و قال: لا و الله...^{٩٠٥}.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): أقبل الأشر من الكوفة فى ألف رجل، و أقبل محمّد بن أبى حذيفة من مصر فى أربعمئة رجل، فأقام أهل الكوفة و أهل

ص: ٣١٦

مصر بباب عثمان ليلا و نهارا، و طلحة يحرّض الفريقين جميعا على عثمان، ثمّ إنّ طلحة قال لهم: إنّ عثمان لا يبالي ما حصرتموه، و هو يدخل إليه الطعام و الشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه^{٩٠٦}.

و ممّن هيج على عثمان غير طلحة و الزبير، و سار فيه الوجيف و حدا فيه العنيف عبد الرحمن بن عوف، و هو الذى عيّن عثمان إماما، و لم يذكره عليه السّلام، لأنّ كلامه عليه السّلام فى أصحاب الجمل الذين قاتلوا عثمان حتى قتلوه، ثمّ حاربوه عليه السّلام باسم ثاره. فقد عرفت كون عبد الرحمن أيضا ممّن كانوا أشدّاء عليه إلاّ أنّه مات قبل عثمان.

و عن (تاريخ الثقفى): قال طارق بن شهاب: رأيت عبد الرحمن و هو يقول: إنّ عثمان أبى أن يقيم فيكم كتاب الله. فقيل له: فأنت أوّل من بايعه، و أوّل من عقد له. قال: إنّّه نقض، و ليس لناقض عهد^{٩٠٧}.

و عن (تاريخ الواقدي): قال عثمان بن شريد: دخلت على عبد الرحمن بن عوف فى شكواه الذى مات فيه أعوده، فذكر عنده عثمان، فقال: عاجلوا طاعتكم هذه قبل أن يتمادى فى ملكه. قالوا: فأنت وليّته. قال: لا عهد لناقض^{٩٠٨}.

و عن (تاريخ الثقفى): قال أبو إسحاق: أصبح الناس يوما حين صلّوا الفجر فى خلافة عثمان، فنادوا بعبد الرحمن، فحوّل وجهه إليهم، و استدبر القبلة، ثمّ خلع قميصه عن جيبه فقال: يا معشر أصحاب محمّد، يا معشر المسلمين، أشهد الله و اشهدكم أنّى قد خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالى هذا. فأجابه مجيب من الصفّ الأوّل: «الآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ»

ص: ٣١٧

«وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ»^{٩٠٩}. فنظروا من الرجل فإذا هو علىّ بن أبى طالب عليه السّلام^{٩١٠}.

^{٩٠٥} (٤) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار ٨: ٣٣٩، ط الكمباني.

^{٩٠٦} (١) الإمامة و السياسة ١: ٣٨.

^{٩٠٧} (٢) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار ٨: ٣٤٠، ط الكمباني.

^{٩٠٨} (٣) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار ٨: ٣٤٠، ط الكمباني.

^{٩٠٩} (١) يونس: ٩١.

^{٩١٠} (٢) المصدر نفسه.

«وكان من عائشة فيه فلتة غضب» روى الجوهري في (سقيفته)^{٩١١}، ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر مسندا عن أبي بن كعب الحارثي في خبر طويل، قال: تبعت عثمان حتى دخل المسجد، فإذا عمّار جالس إلى سارية، و حوله نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبيكون، فقال عثمان: يا وثاب علي بالشرط، فجاءوا، فقال: فرقوا هؤلاء. ففرقوا بينهم.

ثم اقيمت الصلاة، فتقدم عثمان فصلّى بهم، فلما كبر قالت امرأة من حجرتها: أيها الناس، و تكلمت، ثم ذكرت النبي صلى الله عليه وآله وسلم و ما بعثه الله به، ثم قالت:

تركتم أمر الله و عهده، و نحو هذا، ثم صمتت و تكلمت اخرى بمثل ذلك، فإذا هما عائشة و حفصة.

فسلم عثمان ثم أقبل على الناس، و قال: إن هاتين لفتانتان، يحلّ لى سبهما، و أنا بأصلها عالم ...^{٩١٢}.

و في (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أن عائشة لما أتتها أنه بويع عليّ عليه السلام - و كانت خارجة عن المدينة - قالت: ما كنت أبالي أن تقع السماء على الأرض، قتل عثمان و الله مظلوما، و أنا طالبة بدمه. فقال عبيد: إن أول من طعن فيه و أطمع الناس فيه لأنت، و لقد قلت: اقتلوا نعتلا فقد كفر (فجر). فقالت: قلت و قال الناس، و آخر قولي خير من أوله. فقال عبيد: عذر ضعيف و الله. ثم قال:

و منك الرياح و منك المطر

فمنك البداء و منك الغير

و قلت لنا إنه قد فجر

و أنت أمرت بقتل الإمام

ص: ٣١٨

و قاتله عندنا من أمر^{٩١٣}

فهينا أظنناك في قتله

و في (الطبري): عن ابن عباس، قال: قال لى عثمان، إنى قد استعملت خالد بن العاص على مكة، و قد بلغ أهل مكة ما صنع الناس، فأنا خائف أن يمنعه الموقف (فيأبى)، فيقاتلهم، فرأيت أن أوليك أمر الموسم. و كتب معه إلى أهل الموسم بكتاب

^{٩١١} (٣) السقيفة و فدك: ٨٠.

^{٩١٢} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٥.

^{٩١٣} (١) الإمامة و السياسة ١: ٥٢، تاريخ الطبري ٤: ٤٥٨ - ٤٥٩، سنة ٣٦.

يسألهم أن يأخذوا له بالحق ممّن حصره. فخرج ابن عباس، فمرّ بعائشة في الصلصل^{٩١٤}، فقالت: يا بن عباس، انشدك الله - فإنّك قد أعطيت لسانا ذلقا (إزعيلًا) - أن تجادل (تخذل) عن هذا الرجل، و أن تشكّك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم و أنهجت، و رفعت لهم المنار، و تحلّبوا من البلدان لأمر قد حمّ، و قد رأيت طلحة قد اتّخذ على بيوت الأموال و الخزائن مفاتيح، فإن يل يسر بسيرة ابن عمّه أبي بكر^{٩١٥} و فيه: أقبل غلام من جهينة على محمّد بن طلحة - و كان عابدا - يوم الجمل، فقال له: أخبرني عن قتله عثمان. فقال: نعم، دم عثمان على ثلاثة أثلاث، ثلث على صاحبة اليهودج - يعني عائشة - و ثلث على صاحب الجمل الأحمر - يعني أباه طلحة - و ثلث على عليّ. فضحك الغلام، و قال: أراني على ضلال! و لحق بعليّ عليه السّلام، و قال:

سألت ابن طلحة عن هالك
فقال ثلاثة رهط هم
فثلث على تلك في خدرها
و ثلث على ابن أبي طالب
بجوف المدينة لم يقبر
أماتوا ابن عفّان و استعبر
و ثلث على راكب الأحمر
و نحن بدويّة قرقر

ص: ٣١٩

فقلت صدقت على الأولين
و أخطأت في الثالث الأزهر^{٩١٦}

و رواه (خلفاء ابن قتيبة)، و زاد: و بلغ طلحة قول ابنه محمّد، و كان من عباد الناس، فقال له: أ تزعم أنّي قاتل عثمان، كذلك تشهد على أبيك؟ كن كعبد الله بن الزبير، فو الله ما أنت بخير منه، و لا أبوك بدون أبيه، كفّ عن قولك، و إلّا فارجع فإنّ نصرتك نصره واحد، و فسادك فساد عامّة. فقال: ما قلت إلّا حقّا و لا (لن) أعود^{٩١٧}.

^{٩١٤} (٢) قال ياقوت: صلصل: بناوحي المدينة على سبعة أميال، منها نزل بها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يوم خرج من المدينة إلى مكّة عام الفتح. (معجم البلدان ٣: ٤٢١).

^{٩١٥} (٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٠٧، سنة ٣٥، و نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ١٠: ٦.

^{٩١٦} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٦٥ - ٤٦٦، سنة ٣٦، الإمامة و السياسة ١: ٦٥.

^{٩١٧} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٦٥.

و عن (تاريخ الثقفى): جاءت عائشة إلى عثمان فقالت: أعطنى ما كان يعطينى أبى و عمر. قال: لا أجد له موضعا فى الكتاب، و لا فى السنّة، و لكن كان أبوك و عمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما و أنا لا أفعل.

قالت: فأعطينى ميراثى من النبى. قال: أو لم تجىء فاطمة تطلب ميراثها منه، فشهدت أنت، و مالك بن أوس البصرى أن النبى لا يورث، و أبطلت حقّ فاطمة و جئت تطالبين الميراث؟ لا أفعل. فكان عثمان إذا خرج إلى الصلاة أخرجت عائشة قميص النبى صلى الله عليه و آله و سلّم، و تنادى: أن عثمان خالف صاحب هذا القميص^{٩١٨}.

و عنه: أن عثمان سعد المنبر، فنادته عائشة، و رفعت قميص النبى صلى الله عليه و آله و سلّم: لقد خالفت صاحب هذا. فقال عثمان: إن هذه الزعراء^{٩١٩} عدوة الله، ضرب الله مثلها و مثل صاحبته حفصة فى الكتاب^{٩٢٠} بامرأة

ص: ٣٢٠

نوح و امرأة لوط^{٩٢١}.

و عنه: عن موسى التغلبى عن عمّه قال: دخلت المسجد فإذا الناس مجتمعون، و إذا كفّ مرتفعة و صاحب الكفّ يقول: «إن فيكم فرعون أو مثله» فإذا هى عائشة تعنى عثمان^{٩٢٢}.

و عن الحسن بن سعيد قال: رفعت عائشة ورقات من ورق المصحف، و عثمان على المنبر، فقالت: يا عثمان، أقم ما فى كتاب الله، إن تصاحب تصاحب غادرا و إن تفارق تفارق عن قلبى. فقال عثمان: أما و الله لنتنهين أو لأدخلنّ عليك حمران الرجال و سودها. قالت: أما إن فعلت لقد لعنك النبى صلى الله عليه و آله و سلّم ثم ما استغفر لك^{٩٢٣}.

و روى عن عدّة طرق: أنه لما اشتدّ الحصار على عثمان تجهّزت عائشة للحجّ، فجاءها مروان، و عبد الرحمن بن عتاب فسألاها الإقامة و الدفع عنه، فقالت: قد غريت غرائرى، و أدنيت ركابى، و فرضت على نفسى الحجّ، فلست بالتى أقيم - إلى أن قال -: فقالت لمروان: لعلك ترى أنّى إنّما قلت هذا الذى قلتك شكّا فى صاحبك! فو الله لو ددت أن عثمان مخيط عليه فى بعض غرائرى حتى أكون أفذفه فى اليم. ثم ارتحلت حتى نزلت بعض الطريق، فلحقها ابن عباس أميرا على الحجّ، فقالت له: إن الله قد أعطاك لسانا و علما، فانشدك الله أن تخذل عن قتل هذا الطاغية غدا - إلى أن قال -: قال ابن عباس: دخلت عليها بالبصرة، فذكرتها هذا الحديث، فقالت: ذاك المنطق أخرجنى، لم أر لى توبة إلا الطلب بدم عثمان. فقلت لها: فأنت قتلتك بلسانك فأين تخرجين؟ توبى و أنت فى بيتك، أو

^{٩١٨} (٣) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار ٨: ٣٤١، ط الكمباني.

^{٩١٩} (٤) زعر الرجل إذا ساء خلقه و قلّ خير: و هو أزعر و هى زعراء. (أساس الاقتباس ١٩١، مادة: زعر).

^{٩٢٠} (٥) التحريم: ١٠.

^{٩٢١} (١) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى البحار ٨: ٣٤١، ط الكمباني.

^{٩٢٢} (٢) المصدر نفسه.

^{٩٢٣} (٣) المصدر نفسه.

ارضى ولاة دم عثمان ولده. قالت: دعنا^{٩٢٤}.

و فى (الأغانى) قال الزهرى: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان فى أمر الوليد بن عقبه، و شربه الخمر، و صلاته الصبح أربعاً سكران، و تغنيه فى الصلاة، فقال عثمان: أكلما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحت لكم لأنكّلن بكم. فاستجاروا بعائشة، و أصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً و كلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد مراق أهل العراق ملجأ إلا بيت عائشة! فسمعت فرفعت نعل النبى صلى الله عليه و آله و سلم و قالت: تركت سنة صاحب هذا النعل. فتسمع الناس فجاءوا فملأوا المسجد، فمن قائل: أحسنت، و من قائل: ما للنساء و لهذا! حتى تحاصبوا و تضاربوا بالنعال، و دخل رهط من الصحابة على عثمان، فقالوا له: اتقى الله و لا تعطل الحد، و اعزل أخاك عنهم^{٩٢٥}.

و فى (أنساب البلاذرى): يقال، إن عائشة أغلظت لعثمان و أغلظ لها و قال: و ما أنت و هذا؟ إنما امرت أن تقرى فى بيتك. فقال قوم مثل قوله، و قال آخرون: و من أولى بذلك منها. فاضطربوا بالنعال و كان ذلك أول قتال بين المسلمين بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم^{٩٢٦}.

و بالجملة: إن عثمان كان يطعن فيه لأعماله و عماله البرّ و الفاجر، إلا أن أمير المؤمنين عليه السلام و شيعته من أبى ذر، و المقداد، و عمار، و حذيفة، و عمرو بن الحمق، و مالك الأشر و نظرائهم كانوا يطعنون فيه لله تعالى، فإنه عزّ و جلّ «أخذ على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم، و لا سغب مظلوم»^{٩٢٧}.

و أمّا عمرو بن العاص، فإنه كان يطعن فيه لأنه عزله عن مصر، كما أن

عبد الرحمن بن عوف كان يطعن فيه لأنه أعطاه الخلافة ليردّها إليه، و يكون شريكه فيها كما أعطى عمر أباً بكر الخلافة، فردّها إليه بعده، و كان شريكه فيها فى وقته. و عثمان لم يرد تولية غير بنى امية - بنى أبيه - فى حياته و بعد وفاته.

و كذلك سعد بن أبى وقاص يطعن فيه لأنه تجافى عن سهمه فى السورى ليوليه. و كذلك طلحة و الزبير كانا بايعا عثمان طمعا أن يكونا شريكه فى حكومته، و كيف لا و طمعا ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام الذى كانا هما و غيرهما يعلمون أنه لا يراقب أحداً غير الله تعالى، و كانا يريان أنفسهما فوق عثمان - و كانا فوقه - فلما رأيا أنه لا ينظر غير بنى امية سعيًا فى قتله ليليا الأمر كما عرفت اعترافهما بذلك.

^{٩٢٤} (١) نقله عنه العلامة المجلسى رحمه الله فى البحار ٨: ٣٤١، ط الكمباني.

^{٩٢٥} (٢) الأغانى ٥: ١٣٠ - ١٣١.

^{٩٢٦} (٣) أنساب الأشراف للبلاذرى ٥: ٣٤، مكتبة المننى، بغداد.

^{٩٢٧} (٤) نهج البلاغة ١: ٣٢.

و كذلك عائشة كانت تطمع أن يعطيها عثمان ما كان أبوها و صاحبه يعطيها زائدا على حقها في قبال فعاليتها لخلافتهما، فلما خابت منه طعنت فيه و فطن معاوية بذلك، فكان يعطيها سياسة مثل ما يعطيها أبوها و صاحبه، فلما أرادت الطعن فيه بقتل حجر بن عدى العابد المجاهد قال لها: هل عطاؤك حسن؟ قالت: نعم. قال لها: فخليني و حجرا إلى المعاد. فسكتت^{٩٢٨}.

و أمّا عثمان، فلما جبهها بآنك تدعين ما ليس لك، حرّضت على قتله طمعا أن يصير الأمر إلى ابن عمّها - طلحة - فإذا كان صار إليه، كان كأنه صار إليها كما في أيام أبيها و أيام صاحبه، فلما سمعت بقتل عثمان و ظنّت صيرورة الأمر إلى طلحة قالت: «أبعد الله عثمان بما قدّمت يدها، الحمد لله الذي قتله»^{٩٢٩}، و قالت مشيرة إلى طلحة: «إيها

ص: ٣٢٣

ذا الإصبع»^{٩٣٠} فلما بلغها بيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السّلام قالت: «وددت أن هذه - تعنى السماء - وقعت على هذه - تعنى الأرض»^{٩٣١}.

كما أن طلحة و الزبير لما أيسا من وصول الأمر إليهما ندما، فاتفقت عائشة معهما - و كان طلحة ابن عمّها، و الزبير زوج اختها أسماء - على أن يقولوا: «قتل عثمان مظلوما، و إن قاتله على» لعل الأمر يرجع إليهم^{٩٣٢}.

و في (خلفاء ابن قتيبة): بعث عثمان بن حنيف عامل على عليه السّلام على البصرة بعمران بن الحصين، و أبي الأسود الدؤلى إلى طلحة و الزبير و عائشة لإتمام الحجّة عليهما، فبدئا بطلحة، فقال له أبو الأسود: إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله، و بايعتم عليّا غير مؤامرين لنا في بيعته، فلم غضب لعثمان إذ قتل، و لم غضب لعليّ إذ بويع، ثمّ بدا لكم.

و قال له عمران: إنكم قتلتم عثمان و لم غضب له إذ لم تغضبوا، ثمّ بايعتم عليّا و بايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صوابا فمسيركم لما ذا؟

و إن كان خطأ فحظكم منه الأوفر، و نصيبكم منه الأوفى.

فقال لهما طلحة: إن صاحبكما لا يرى أن معه في هذا الأمر غيره، و ليس على هذا بايعناه.

فقال أبو الأسود لعمران: أمّا هذا فقد صرح أنه إنّما غضب للملك^{٩٣٣}.

^{٩٢٨} (١) ذكر بأعلام الورى بشكل آخر: ٤٤، و نقله المجلسى فى بحار الأنوار ١٨: ١٢٦.

^{٩٢٩} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٦: ٢١٦.

^{٩٣٠} (١) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٨٠، شرح ابن أبى الحديد ٦: ٢١٥.

^{٩٣١} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٥٢، تاريخ اليعقوبى ٢: ١٨٠، شرح ابن أبى الحديد ٦: ٢١٥.

^{٩٣٢} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٥١ - ٥٢.

^{٩٣٣} (٤) الإمامة و السياسة ١: ٦٤ - ٦٥.

و فيه: قال عمّار لأهل الكوفة: إنّ طلحة و الزبير كانا أوّل من طعن (فى عثمان)، و آخر من أمر (بقتله)، و كانا أوّل من بايع عليّاً عليه السّلام، فلمّا أخطأهما ما

ص: ٣٢٤

أملاه نكتنا بيعتهما من غير حدث^{٩٣٤}.

هذا، و ما قالته عائشة لعثمان: إنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لعنه، و شبّهه بنعتل اليهودى^{٩٣٥}، و غير ذلك، و ما قاله عثمان لعائشة^{٩٣٦} من أنّ الله تعالى ضرب لها و لحفصة المثل المذكور فى قوله جلّ و علا: «ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ»^{٩٣٧} صحيحان، حيث إنّ عند إخواننا: عثمان إمام، و عائشة صديقه، فلا بدّ من صحّة قولهما.

و أيضاً، أنّهما مع شدّة عداوة كلّ منهما للآخر أقرّ بما نسبه إليه، لكن قابله بكون طرفه مثله معيوباً «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ»^{٩٣٨} و كلّ منهما صدق.

«فاتيح» أى: قدر.

«له قوم فقتلوه» و فى (ابن أبى الحديد و الخطيبة): «قتلوه»^{٩٣٩}.

فى (العقد الفريد): إنّ نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان كتبت إلى معاوية كتاباً مع النعمان بن بشير، و بعثت إليه بقميص عثمان مخضوباً بالدماء، و كان فى كتابها: أنى أقصّ عليكم خبره، أنى شاهدة أمره كله.

إنّ أهل المدينة حصروه فى داره، و حرسوه ليلهم و نهارهم قياماً على أبوابه بالسلاح، يمنعونه من كلّ شيء قدروا عليه، حتّى منعه الماء، فمكث هو و من معه خمسين ليلة، و أهل المصر قد أسندوا أمرهم إلى علىّ عليه السّلام،

ص: ٣٢٥

و محمّد بن أبى بكر، و عمّار، و طلحة، و الزبير، فأمرهم بقتله، و كان معهم من القبائل: خزاعة، و سعد بن بكر، و هذيل، و طوائف من جهينة، و مزينة، و أنباط يثرب- إلى أن قالت:- و دخل عليه القوم يقدمهم محمّد بن أبى بكر، فأخذ بلحيته و دعوه باللقب، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، و طعنوه فى صدره ثلاث طعنات، و ضربوه على مقدم العين (الجبين) فوق الأنف

^{٩٣٤} (١) المصدر نفسه ١: ٦٧.

^{٩٣٥} (٢) أورده العلامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٣٤١.

^{٩٣٦} (٣) المصدر نفسه.

^{٩٣٧} (٤) التحريم: ١٠.

^{٩٣٨} (٥) البقرة: ١١٣.

^{٩٣٩} (٦) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٦.

ضربةً أسرع في العظم، فسقطت عليه و قد أثنوه و به حياة، يريدون أن يقطعوا رأسه فيذهبوا به، فأنتنى ابنة شيبه فألقت بنفسها عليه معى، فوطئنا وطئنا شديدا ...^{٩٤٠}.

«و بايعنى الناس غير مستكرهين و لا مجبرين» الاستكراه: عدم الرغبة، و الإيجابار: القهر.

«بل طائعين مخيرين» بل ألجئوه عليه السّلام إلى البيعة معه، و كانت رغبتهم فى بيعته كما وصفها خفاف الطائى لمعاوية، قال: تهاقت الناس على على عليه السّلام بالبيعة تهاقت الفراش حتى ضلّت النعل، و سقط الرداء، و وطىء الشيخ^{٩٤١}.

و قال الحسن عليه السّلام: «و الله ما دعا إلى نفسه و لقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم^{٩٤٢} (عند) و رודה»^{٩٤٣}.

«و اعلموا أنّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها و قلعوا بها و جاشت» من «جاشت القدر» أى: غلت.

«جيش المرجل» فى (الصحاح) فى «رجل»: المرجل قدر من نحاس^{٩٤٤}.

ص: ٣٢٦

فى (جمل المفيد): روى الواقدى عن عبيد (عبد) الله بن الحارث بن الفضل (الفضيل)، عن أبيه قال: لما عزم على عليه السّلام على المسير من المدينة بعث محمد بن جعفر (الحنفيّة) و محمد بن أبى بكر إلى الكوفة - إلى أن قال بعد ذكر رجوعهما، و قولهما: إنّ أبى موسى يمنع الناس عتاً - فبعث عمّارا و الحسن عليه السّلام و كتب معهما كتابا: أمّا بعد، فإنّ دار الهجرة تقلعت بأهلها فانقلعوا عنها، و جاشت جيش المرجل، و كانت فاعلة يوما ما فعلت، و قد ركبت المرأة الجمل، و نبحتها كلاب الحوآب، و قامت الفتنة (الفتنة) الباغية يقودها (رجال) يطلبون بدم هم سفكوه، و عرض هم شتموه، و حرمة انتهكوها، و أباحوا ما أباحوا، يعتذرون إلى الناس دون الله «يخلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين»^{٩٤٥}، اعلموا - رحمكم الله - أنّ الجهاد مفترض على العباد، فقد جاءكم فى داركم من يحتكم عليه، و يعرض عليكم رشدكم، و الله يعلم أنّى لم أجد بدا من الدخول فى هذا الأمر، و لو علمت أنّ أحدا أولى به منى لما تقدّمت (قدمت) إليه، و قد بايعنى طلحة و الزبير طائعين غير مكرهين، ثمّ خرجا يطلبان بدم عثمان، و هما اللذان فعلا بعثمان ما فعلا، و عجبت لهما كيف أطاعا أبى بكر و عمر فى الغيبة، و أيبا ذلك على^{٩٤٦}.

^{٩٤٠} (١) العقد الفريد ٥: ٥٠-٥١، و نقله الشارح بتصرف.

^{٩٤١} (٢) وقعة صفين: ٦٥، شرح ابن أبى الحديد ٣: ١١١.

^{٩٤٢} (٣) الهيم: العطاش. (الصحاح ٥: ٢٠٦٣، مادة: هيم).

^{٩٤٣} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ١٢.

^{٩٤٤} (٥) الصحاح ٤: ١٧٠٥، مادة رجل (١).

^{٩٤٥} (١) التوبة: ٩٦.

^{٩٤٦} (٢) الجمل: ٢٥٧-٢٦٠، بتصرف و تلخيص، و ذكره ابن شهر آشوب فى مناقب آل أبى طالب ٣: ١٥١، مع اختلاف.

«و قامت الفتنة على القطب» قال ابن أبي الحديد: قال الطبري: أقبل زيد بن صوحان و معه كتاب من عائشة إليه خاصة، و كتاب منها إلى أهل الكوفة عامة، تثبتهم عن نصره على عليه السلام، و تأمرهم بلزوم الأرض، فقال زيد: انظروا إلى هذه المرأة، امرت أن تقرّ في بيتها، و أمرنا نحن أن نقاتل، حتى لا تكون

ص: ٣٢٧

فتنة، فأمرت بما امرت به، و ركبت ما امرنا به، - إلى أن قال:- فقام و شال يده المقطوعة، و أوماً بيده إلى أبي موسى و هو على المنبر: أتردّ الفرات عن أواجه! دع عنك ما لست تدريه. ثم قرأ: «الم أ حَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»^{٩٤٧}.

قال: و روى أبو مخنف عن الكلبي، عن أبي صالح: أن علياً عليه السلام لما نزل ذاقار في قلّة من عسكره، صعد الزبير منبر البصرة، فقال: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ، فأبيته بياتا، و اصبحه صباحا، قبل أن يأتيه المدد! فلم يجبه أحد، فنزل واجما، و قال: هذه و الله الفتنة التي كنّا نتحدّث بها! فقال له بعض مواليه:

تسميها فتنة ثمّ تقاتل فيها! فقال: ويحك! و الله إنا لنبصر ثمّ لا نصبر. فاسترجع المولى ثمّ خرج في الليل فاراً إلى عليّ عليه السلام فأخبره، فقال: اللهمّ عليك به!^{٩٤٨}.

و في (العقد): عن الحسن البصري قال الزبير: لقد نزلت: «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً»^{٩٤٩} و ما ندرى من يختلف إليها. فقال بعضهم: فلم جئت إلى البصرة؟ فقال: ويحك! إنا ننظر و لا نبصر^{٩٥٠}.

و في (الاستيعاب): عن أبي ليلي الغفاري، عن النبي صلى الله عليه و آله و سلّم قال:

ستكون بعدى فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فإنه أول من يراني، و أول من يصافحني يوم القيامة، و هو الصّدّيق الأكبر، و هو فاروق هذه الامة، يفرّق بين الحقّ و الباطل، و هو يعسوب المؤمنين،

ص: ٣٢٨

و المال يعسوب المنافقين^{٩٥١}.

^{٩٤٧} (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٣-٤٨٤، سنة ٣٦، شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١٩-٢٠، و الآية ١-٣ من سورة العنكبوت.

^{٩٤٨} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١٤.

^{٩٤٩} (٣) الأنفال: ٢٥.

^{٩٥٠} (٤) العقد الفريد ٥: ٥٦.

^{٩٥١} (١) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤: ١٧٠.

«فأسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوكم» قال ابن أبي الحديد: قال الطبري: قام زيد بن صوحان - أى فى الخبر المقدّم بعد تلاوته «الم أ حسبّ النَّاسُ أن يُترَكُوا أن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ»^{٩٥٢} - ثمّ نادى: سيروا إلى أمير المؤمنين، و صراط سيّد المرسلين.

و قام الحسن عليه السّلام فقال: أيّها الناس، أجيئوا دعوة إمامكم، و سيروا إلى إخوانكم، فإنّه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، و الله لأنّ يليه أولو النهى أمثل فى العاجلة، و خير فى العاقبة، فأجيئوا دعوتنا، و أعينونا على أمرنا^{٩٥٣}.

و قال: و روى أبو مخنف عن ابن أبي ليلى، قال: لما دخل الحسن عليه السّلام و عمّار الكوفة، قال الحسن عليه السّلام: أيّها الناس، إنّنا جئنا ندعوكم إلى الله و إلى كتابه و سنّة رسوله، و إلى أفقه من تفقه من المسلمين، و أعدل من تعدّلون، و أفضل من تفضّلون، و أوفى من تبايعون، من لم يعيه (يعبه) القرآن، و لم تجهله السنّة، و لم تتعد به السابقة، إلى من قرّبه الله تعالى إلى رسوله قرابتين:

قراءة الدين و قرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كلّ مأثرة، إلى من كفى الله به رسوله و الناس متخاذلون، فقرب منه و هم متباعدون، و صلّى معه و هم مشركون، و قاتل معه و هم منهزمون، و بارز معه و هم محجمون، و صدّقه و هم مكذبون (يكذبون) إلى من لم تردّ له راية (رواية) و لا تكافأ له سابقة، و هو يسألكم النصر، و يدعوكم إلى الحقّ، و يأمركم بالمسير إليه، لتوازروه و تنصروه على قوم نكثوا بيعته، و قتلوا أهل الصّلاح من أصحابه، و مثّلوا

ص: ٣٢٩

بعمّاله، و انتهبوا بيت ماله، فأشخصوا إليه - رحمكم الله - فمروا بالمعروف ...^{٩٥٤}.

و عن تميم الناجى قال: قدم علينا الحسن عليه السّلام و عمّار يستنفران الناس إلى على عليه السّلام، و معهما كتابه، فلمّا فرغا من قراءة كتابه، قام الحسن عليه السّلام - و هو فتى حدث، و إنى لإرثى له من حدائث سنّه و صعوبة مقامه - فرماه الناس بأبصارهم و هم يقولون: اللهمّ سدّد منطق ابن بنت نبيّنا صلّى الله عليه و آله و سلّم! فوضع يده على عمود يتساند إليه، و كان عليلا من شكوى به، فقال: الحمد لله العزيز الجبار، الواحد القهار، الكبير المتعال، «سواءٌ منكم من أسرّ القولَ و من جهر به و من هو مُستخفٌ بالليلِ و ساربٌ بالنهار»^{٩٥٥}. أحمده على حسن البلاء، و تظاهر النعماء، و على ما أحببنا و كرهنا من شدّة و رخاء - إلى أن قال -: أمّا بعد، فإنّى لا أقول (لكم) إلّا ما تعرفون، إن أمير المؤمنين - أرشد الله أمره، و أعزّ نصره - بعثنى إليكم يدعوكم إلى الصواب، و إلى العمل بالكتاب، و الجهاد فى سبيل الله، فإن كان فى عاجل ذلك ما تكرهون، فإن فى آجله ما تحبّون إن شاء الله تعالى، و لقد علمتم أنّ عليّا عليه السّلام صلّى مع الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم وحده، و أنّه يوم صدّق به لفى

^{٩٥٢} (٢) العنكبوت: ١ - ٢.

^{٩٥٣} (٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٤ - ٤٨٥، سنة ٣٦، شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٢٠.

^{٩٥٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١١.

^{٩٥٥} (٢) الرعد: ١٠.

عاشرة من سنّه، ثمّ شهد مع الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم جميع مشاهدته. وكان من اجتهاده في مرضاء الله و طاعة رسوله و آثاره الحسنه في الإسلام ما قد بلغكم، و لم يزل الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم راضيا عنه، حتّى غمّضه بيده و غسّله وحده، و الملائكة أعوانه، و الفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء، ثمّ أدخله حفرتّه، و أوصاه بقضاء دينه و عاداته، و غير ذلك من اموره، كلّ ذلك من منّ الله عليه.

ص: ٣٣٠

ثمّ و الله ما دعا إلى نفسه ...^{٩٥٦}.

قلت: و روى المفيد في (جملة): أنّ الحسن عليه السّلام صعد المنبر و قال: أيّها الناس! إنّ عليّا عليه السّلام باب هدى، فمن دخله اهتدى، و من خالفه تردّى.

ثمّ نزل فصعد عمّار و قال بعد الثناء: أيّها الناس! إنّنا لَمّا خشينا على هذا الدين أن يهدم جوانبه، و أن يتعرّى أديمه، نظرنا لأنفسنا و لديننا فاخترنا عليّا خليفة و رضينا إماما، فنعم الخليفة، و نعم الإمام (المؤدّب)، مؤدّب لا يؤدّب، و فقيه لا يعلم، و صاحب بأس لا ينكر، و ذو سابقه في الإسلام ليس لأحد من الناس غيره، و قد خالفه قوم من أصحابه، حاسدون له، و باغون عليه، و قد توجّهوا إلى البصرة، فاخرجوا إليهم رحمكم الله، فإنكم لو شاهدتموهم و حاججتموهم تبيّن لكم أنّهم ظالمون.

ثمّ قام الأشتر و قال - بعد ذكر أبي بكر و عمر -: ثمّ ولى بعدهما رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره، و عمل في أحكام الله بهوى نفسه، فسألناه أن يعتزل لنا نفسه فلم يفعل، فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا و دنيانا، و لا يبعد الله إلّا القوم الظالمين، و قد جاءكم الله بأعظم الناس مكانا، و أكبرهم في الإسلام سهما، ابن عمّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، و أفقه الناس في الدين، و أقرئهم للكتاب، و أشجعهم عند اللقاء يوم البأس، و قد استنفركم فما تنتظرون؟ أ تنتظرون سعيدا (الذى جعل سوادكم فطير قريش)، أم الوليد الذى شرب الخمر و صلّى بكم على سكر (الصبح أربعا) و استباح ما حرّمه الله فيكم، أىّ هذين تريدون؟ قبح الله من له هذا الرأى! فانفروا مع ابن بنت نبيكم. و إنّى لكم ناصح إن كنتم تعقلون^{٩٥٧}.

قال ابن أبي الحديد: قال الطبرى: روى الشعبى عن أبى الطفيل، قال

ص: ٣٣١

علىّ عليه السّلام: يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف (رجل) و رجل واحد. قال: فو الله لقد عدت على نجفة^{٩٥٨} ذى قار، فأحصيتهم واحدا واحدا، فما زادوا رجلا، و لا نقصوا رجلا^{٩٥٩}.

^{٩٥٦} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١١-١٢.

^{٩٥٧} (٢) الجمل: ٢٥٣-٢٥٥، بتصرّف و تلخيص من الشارح، المعيار و الموازنة: ١١٧-١٢١.

^{٩٥٨} (١) التجف و النجفة - بالتحريك -: مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد، و الجمع نجاف. (الصحاح ٤: ١٤٢٩، مادة:

قلت: و قال المفيد فى (جملة): روى نصر بن مزاحم عن عمرو (عمر) بن سعد، عن الأجلح، عن زيد بن علىّ، قال: لما أبطأ علىّ علىّ عليه السّلام خبر أهل الكوفة (البصرة) قال ابن عباس: أخبرت علىّ عليه السّلام بذلك فقال لى: اسكت، فو الله ليأتينا فى هذين اليومين من الكوفة ستّة آلاف و ستّمائة رجل، و ليغلبنّ أهل البصرة، و ليقتلنّ طلحة و الزبير. قال: فو الله إنى لأستشرف الأخبار و أستقبلها، حتّى إذا أتى راكب فاستقبلته و استخبرته، فأخبرنى بالعدّة التى سمعتها من علىّ عليه السّلام، لم ينقص رجلا واحدا^{٩٦٠}.

و فى (إرشاده): و قال عليه السّلام بذى قار و هو جالس لأخذ البيعة: يأتىكم من قبل الكوفة ألف رجل، لا يزيدون رجلا و لا ينقصون رجلا، يبايعوننى على الموت.

قال ابن عباس: فجزعت لذلك، و خفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه فيفسد الأمر علينا، فلم أزل مهموما، حتّى ورد أوائلهم، فجعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة (رجل) و تسعة و تسعين رجلا، ثمّ انقطع مجىء القوم، فقلت: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، ما ذا حملة على ما قال؟! فبينما أنا مفكّر فى ذلك إذ رأيت شخصا قد أقبل، حتّى إذا دنا و إذا هو راجل

ص: ٣٣٢

عليه قباء صوف معه سيفه و ترسه و إداوته^{٩٦١}، فقرب من أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: امدد يدك أبايعك. فقال علىّ عليه السّلام علام؟ قال: على القتال بين يديك حتّى أموت أو يفتح الله عليك. فقال له: ما اسمك؟ قال: أويس. فقال عليه السّلام: أنت أويس القرنى؟ قال: نعم. قال: الله أكبر! أخبرنى حبيبى أنى أدرك رجلا من أمته يقال له أويس القرنى، يكون من حزب الله و رسوله، يموت على الشهادة، يدخل فى شفاعته مثل ربيعة و مضر^{٩٦٢}.

١٣

الخطبة (١٧٤) و من كلام له عليه السّلام فى طلحة بن عبيد الله^{٩٦٣}:

قَدْ كُنْتُ وَ مَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ - وَ لَا أُرْهَبُ بِالضَّرْبِ - وَ أَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدْتَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ - وَ اللَّهُ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمٍ؟ عُثْمَانُ؟ - إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَطْنَتُهُ - وَ لَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ - فَأَرَادَ أَنْ يُعَالِطَ بِمَا أَجَلَبَ فِيهِ - لِيُلْبِسَ الْأَمْرُ وَ يَقَعَ الشُّكُّ - .

نجف).

^{٩٥٩} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦، شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٢١.

^{٩٦٠} (٣) الجمل: ٢٩٣.

^{٩٦١} (١) الإداوة - بالكسر - إناء صغير من جلد يتخذ للماء كالسطيحة و نحوها. (لسان العرب ١: ١٠٠، مادة: أدا).

^{٩٦٢} (٢) الإرشاد ١: ٣١٥ - ٣١٦. و أخرجه الكنى فى اختيار معرفة الرجال ١: ٣١٥.

^{٩٦٣} (٣) قال الشيخ محمد عبده: فى جميع النسخ المطبوعة من الكتاب «طلحة بن عبد الله» و فى النسخة التى شرح عليها ابن أبى الحديد «طلحة بن عبيد الله» و هذا هو الموافق لما فى كتب الصحابة فى ترجمة طلحة... (نهج البلاغة ٤: ١٠٧).

وَ اللَّهُ مَا صَنَعَ فِي أَمْرٍ؟ عُنْمَانٌ؟ وَاحِدَةٌ مِنْ ثَلَاثٍ - لَتِنْ كَانَ؟ ابْنُ عَفَّانٍ؟ ظَالِمًا كَمَا كَانَ يَزْعُمُ - لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُؤَازَرَ قَاتِلِيهِ - أَوْ أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ - .

وَ لَتِنْ كَانَ مَظْلُومًا - لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَنَهِّينَ عَنْهُ - وَ الْمُعْذِرِينَ فِيهِ -

ص: ٣٣٣

وَ لَتِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ الْخَصْلَتَيْنِ - لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ - وَ يَرُكِّدَ جَانِبًا وَ يَدْعُ النَّاسَ مَعَهُ - فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةٌ مِنَ الثَّلَاثِ - وَ جَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بِأَبِهِ وَ لَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: «وَ مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ» هَكَذَا فِي (المصرية) ^{٩٦٤}، وَ الصَّوَابُ: «فِي مَعْنَى طَلْحَةَ» لَا «فِي طَلْحَةَ» كَمَا فِي (ابن أبي الحديد وَ ابن ميثم وَ الخطيب) ^{٩٦٥}.

ثم عند إخواننا كونه أحد العشرة المبشرة مسلم ^{٩٦٦}، و لو صح ما قالوا لكان دين الإسلام ديننا متناقضا، حيث إن هذا المبشر قتل واحدا من العشرة، و قاتل آخر منهم و هما عندهما إمامان، و لعمرى إنّه من طائفة بشرهم الله بعذاب أليم على أعمالهم في كتاب «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ» ^{٩٦٧} و صرح الذي شهد له من لا ينطق بالهوى بكونه مع الحق عملا و قولاً، بكونه من أهل النار.

ففي (جمل أبي مخنف): مرّ عليّ عليه السّلام بطلحة قتيلا، فقال: أجلسوه.

فأجلس، فقال: ويل امك طلحة! لقد كان لك قدم لو نفعك! و لكنّ الشيطان أظلك فأزلك فعجلك إلى النار ^{٩٦٨}.

ص: ٣٣٤

و في (إرشاد محمد بن محمد بن النعمان): مرّ عليّ عليه السّلام بطلحة، فقال:

هذا الناكث بيعتي، و المنشيء الفتنة في الامّة، و المجلب عليّ، و الداعي إلى قتلي و قتل عترتي، أجلسوه. فاجلس، فقال عليه السّلام له: يا طلحة، قد وجدت ما وعدني ربّي حقّا، فهل وجدت ما وعدك ربك حقّا؟ - إلى أن قال: - فقال له بعض من كان

^{٩٦٤} (١) نهج البلاغة ٢: ١٠٧.

^{٩٦٥} (٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣ و لكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٤٤ «في طلحة بن عبيد الله» أيضا.

^{٩٦٦} (٣) انظر الطبقات الكبرى ٣: ٣٨٣، الجرح و التعديل ٤: ٤٧١، المستدرک علی الصحیحین ٣: ٣٦٤، أسد الغابة ٣: ٥٩، شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٢٥، الإصابة ٢:

٣٢٩.

^{٩٦٧} (٤) فصلت: ٤٢.

^{٩٦٨} (٥) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ٢٤٨، و قريب منه ما في الشافعي ٤: ٣٤٤ و الاحتجاج ١: ١٦٣، و نقله العلامة المجلسي رحمه الله في البحار

٣٢: ٢٠٠.

معه: أ تكلم كعبا و طلحة بعد قتلها؟ فقال: أم و الله، لقد سمعا كلامي كما سمعوا كلام النبي صلى الله عليه و آله و سلم يوم بدر^{٩٦٩}.

و كيف كان مبشرا بما قالوا و لما أصاب السهم خصره في أحد قال:

(حسن) فقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم - كما في (أنساب البلاذري)-: لو قال «بسم الله» و لم يقل حس لدخل الجنة^{٩٧٠}.

و فاروقهم، و إن قال أولا: إن طلحة من سنة توفي النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هو عنهم راض^{٩٧١}، إلا أنه قال له ثانيا: أما إنني أعرفك منذ أصيبت إصبعك يوم احد بالبأ و الذي حدث لك، و لقد مات النبي صلى الله عليه و آله و سلم ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم انزلت (آية) الحجاب - و أشار إلى قول طلحة: «ما الذي يغني محمدا (يعنيه) حجاب نسائه اليوم، و سيموت غدا فنكحهن».

قال الجاحظ: من كان يجسر أن يقول لعمر: ناقضت^{٩٧٢}؟

«قد كنت و ما اهدد بالحرب، و لا ارهب بالضرب» في (جمل المفيد):

لما أرسل عليه السلام ابن عباس مع مصحف إلى طلحة و الزبير و عائشة يدعوهم إلى ما فيه، نادى طلحة: ناجزوا القوم، فإنكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب.

قال ابن عباس: فقلت: يا أبا محمد، أبا لسيف تخوف ابن أبي طالب؟! أما

ص: ٣٣٥

و الله ليعاجلنك السيف (للسيف)!^{٩٧٣}.

و تهديد طلحة له عليه السلام بالحرب و الضرب مضحك.

^{٩٦٩} (١) الإرشاد ١: ٢٥٦-٢٥٧، الجمل: ٣٩٢، الشافي ٤: ٣٤٤، الاحتجاج ١: ١٦٣-١٦٤، بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٩.

^{٩٧٠} (٢) أنساب الاشراف للبلاذري ١: ٣١٨، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر.

^{٩٧١} (٣) صحيح البخارى ٣: ١٣٥٥ ح ٣٤٩٧.

^{٩٧٢} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٥-١٨٦، و نقله الشارح بتصريف يسير.

^{٩٧٣} (١) الجمل: ٣٣٦-٣٣٧، و نقله الشارح بتصريف.

و فى (الطبرى): قال الزبير بن الحرث (الخرّيث): قلت لأبى لييد: لم تسبّ عليّ؟ قال: ألا أسبّ رجلا قتل منّا فى الجمل ألفين و خمسمائة، و الشمس ها هنا؟! و قال ابن أبى يعقوب: قتل علىّ عليه السّلام يوم الجمل ألفين و خمسمائة رجل، ألف و ثلثمائة و خمسون من الأزد، و ثمانمائة من بنى ضبّة، و ثلاثمائة و خمسون من سائر الناس^{٩٧٤}.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): شقّ علىّ عليه السّلام يوم الجمل فى عسكر القوم يطعن و يقتل بعد أخذه الراية من ابنه محمّد، ثمّ خرج و هو يقول: الماء الماء. فأتاه رجل بإداوة فيها عسل، و قال له: لا يصلح لك الماء فى هذا المقام. فقال عليه السّلام له:

هات، فحسا منه حسوة، ثمّ قال له: إنّ عسلك لطائفى. فقال له الرجل: عجبا منك! و الله لمعرفتك الطائفى من غيره فى هذا اليوم، و قد بلغت القلوب الحناجر! فقال عليه السّلام له: يا بن أخى، ما ملأ صدر عمّك شىء و لا أهابه شىء، ثمّ أعطى الراية لابنه، و قال له: هكذا فاصنع^{٩٧٥}.

و فى (المروج): لمّا أخذ علىّ عليه السّلام فى الجمل الراية من ابنه محمّد، حمل و حمل معه الناس، فما كان القوم إلّا «كرمادٍ اشتدّت به الرّيحُ فى يومٍ عاصفٍ»^{٩٧٦}.

و فيه: نادى علىّ عليه السّلام يا زبير، اخرج إلىّ. فخرج شاكا^{٩٧٧} فى سلاحه، فقيل

ص: ٣٣٦

لعائشة، فقالت: و احرباه لأسماء! فقيل لها: إنّ عليّا حاسر. فاطمأنت^{٩٧٨}.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ عبد الله بن أبى محجن الثقفى قدم على معاوية، و قال له: إنّى أتيتك من عند العيبى (الغيبى) البخيل الجبان ابن أبى طالب. فقال له معاوية: لله أنت! تدرى ما قلت؟ أمّا قولك: العيبى (الغيبى)، فو الله لو أنّ ألسن الناس جمعت فجعلت لسانا واحدا لكفاها لسان علىّ، و أمّا قولك: إنّه بخيل، فو الله لو كان له بيتان أحدهما من تير و الآخر من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه، و أمّا قولك: إنّه جبان، فشكلك أمك! هل رأيت أحدا بارزه إلّا قتله؟ فقال الثقفى: فعلام تقاتله إذن؟ قال: على دم عثمان، و على هذا الخاتم الذى جعله فى يده جازت طينته، و أطعم عياله، و ادّخر لأهله. فضحك الثقفى ثمّ لحق بعلىّ عليه السّلام، و قال له: لا دنيا أصبت، و لا آخرة غنمت. فضحك علىّ عليه السّلام ثمّ قال له: أنت على رأس أمرك ...^{٩٧٩}.

^{٩٧٤} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٥٤٥، سنة ٣٦.

^{٩٧٥} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٧٦، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{٩٧٦} (٤) مروج الذهب ٢: ٣٧٥، و الآية ١٨ من سورة إبراهيم.

^{٩٧٧} (٥) الشاك فى السلاح: هو اللابس للسلاح التام. (الصحاح ٤: ١٥٩٤، مادة شكك:).

^{٩٧٨} (١) مروج الذهب ٢: ٣٧١.

^{٩٧٩} (٢) الإمامة و السياسة ١: ١١٤ - ١١٥.

و فى (صفين نصر): ذكروا أنّ عتبه بن أبى سفيان، و الوليد بن عقبه، و مروان بن الحكم، و عبد الله بن عامر، و ابن طلحه الطلحات اجتمعوا عند معاوية، فقال عتبه: إنّ أمرنا و أمر على لعجيب، ليس منّا إلّا موتور، أمّا أنا فقتل جدّى، و أشرك فى دم عمومى يوم بدر، و أمّا أنت يا وليد فقتل أباك، و أيتّم إخوتك، و أمّا أنت يا مروان فكما قال الأوّل:

و أفلتهنّ علباء جريضا
و لو أدركنه صفر الوطاب^{٩٨٠}

فقال لهم معاوية: فهذا الإقرار و أين الغير^{٩٨١}؟ قال مروان: أى غير تريد؟

ص: ٣٣٧

قال: أريد أن يشجر بالرماح. فقال له: و الله إنك لهازل، أو لقد ثقلنا عليك.

و قال الوليد:

يقول لنا معاوية بن حرب	أما فيكم لو اترككم طلبوب
يشدّ على أبى حسن علىّ	بأسمر لا تهجّنه الكعوب
فيهتك مجمع اللّبات منه	و تقع القوم مطّرد يشوب
فقلت له أ تلعب يا بن هند	كأنك وسطنا رجل غريب
أ تأمرنا بحية بطن واد	إذا نهشت فليس لها طبيب؟
و ما ضيع يدبّ ببطن واد	أتيح له به أسد مهيب
بأضعف حيلة منّا إذا ما	لقيناه و ذا منّا عجيب
و ما لاقاه فى الهيجاء لاق	فأخطأ نفسه الأجل القريب
سوى عمرو ووقته خصيتاه	نجا وقلبه منها وجيب

^{٩٨٠} (٣) قال فى هامش المصدر: ٤١٧: البيت لامرئ القيس، و علباء هذا هو قاتل والد امرئ القيس، و هو علباء بن حارث الكاهلى: و الجريض: الذى يأخذ بريقه. صفر و طابه: قتل.

^{٩٨١} (٤) الغير: جمع غيور، و الغيور فحول من الغيرة، و هى الحمية و الأنفة. (تاج العروس ١٣: ٢٨٨، مادة: غير).

و فيه: قال جابر بن نمير (عمير) الأنصاري قال: لا والله الذي بعث محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالحقّ نبيًّا، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب عليّ عليه السّلام، إنّه قتل فيما ذكر العادّون زيادةً على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنيًا، فيقول:

معذرةً إلى الله عزّ وجلّ وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه (أصقله) ولكن حجزني عنه أنّي سمعت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول كثيرًا: «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ». وأنا اقاتل به دونه، فكنا نأخذه فنقومه ثمّ يتناوله من أيدينا فيتقحم به في عرض الصفّ، ولا والله ما ليث بأشدّ نكايّة في عدوّه منه عليه السّلام^{٩٨٣}.

ص: ٣٣٨

«و أنا علي ما قد وعدني» هكذا في (المصرية)^{٩٨٤}، والصواب: «ما وعدني» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{٩٨٥}.

«رَبِّي مِنَ النَّصْرِ» وهذا يدلّ على أنّه عليه السّلام كان موعودًا من الله تعالى بالظفر على أهل الجمل. و مرّ أنّه عليه السّلام لَمَّا مرّ على طلحة قتيلا قال: أجلسوه.

فاجلس. فقال عليه السّلام له: يا طلحة، قد وجدت ما وعدني ربّي حقًا، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقًا؟^{٩٨٦} و روى النعماني في (غيبته) عن الصادق عليه السّلام قال: لَمَّا التقى أمير المؤمنين عليه السّلام وأهل البصرة نشر راية النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفتزلت أقدامهم فما اصفرت الشمس حتّى قالوا: آمنا يا بن أبي طالب! فعند ذلك قال: لا تقتلوا الاسراء، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا موليًا، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن، و لَمَّا كان يوم صقّين سأله نشر الراية فأبى عليهم فتحملوا عليه بالحسنين عليهما السّلام، و عمّار، فقال عليه السّلام: إنّ للقوم مدّة يبلغونها، و إنّ هذه راية لا ينشرها بعدى إلّا القائم^{٩٨٧}.

^{٩٨٢} (١) وقعة صفين: ٤١٧-٤١٨.

^{٩٨٣} (٢) وقعة صفين: ٤٧٧-٤٧٨، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٠-٢١١.

^{٩٨٤} (١) نهج البلاغة ٢: ١٠٧.

^{٩٨٥} (٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣، و لكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٤٤ «ما قد وعدني» أيضًا.

^{٩٨٦} (٣) الإرشاد ١: ٢٥٦، و الجمل للمفيد: ٣٩٢، الشافي ٤: ٣٤٤، الاحتجاج ١: ١٦٣.

^{٩٨٧} (٤) كتاب الغيبة: ٣٠٧.

«و الله ما استعجل (طلحة) متجرّدا للطلب بدم عثمان إلّا خوفا من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته». في (العقد): لمّا رأى مروان يوم الجمل طلحة، قال: لا أنتظر بعد اليوم بثأرى في عثمان، فانتزعه بسهم فقتله^{٩٨٨}.

و في (الاستيعاب): كان مروان مع طلحة يوم الجمل، فلمّا اشتبكت الحرب قال مروان: لا أطلب بثأرى بعد اليوم، ثمّ رماه بسهم فأصاب ركبته

ص: ٣٣٩

فما رقأ الدم حتّى مات، فالتفت مروان إلى أبان بن عثمان، فقال: قد كفيّناك بعض قتلة أبيك^{٩٨٩}.

«و لم يكن في القوم أحرص عليه» أي: على قتل عثمان.

«منه» أي: من طلحة، قال ابن أبي الحديد: روى الطبرى عن ابن عبّاس، قال: لمّا حججت بالناس نيابة عن عثمان و هو محصور، مرت بعائشة بالصّلصل^{٩٩٠}، فقالت: يا ابن عباس، انشدك الله، فإنّك قد اعطيت لسانا و عقلا، أن تخذل الناس عن طلحة، فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان، و رفعت لهم المنار، و تحلّبوا من البلدان لأمر قد حمّ، و إنّ طلحة - فيما بلغني - قد أتخذ رجالا على بيوت الأموال و الخزائن، و أظنّه يسير بسيرة ابن عمّه أبي بكر. فقلت: يا أمّه، لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا. فقالت: إيها عنك يا بن عبّاس إنى لست اريد مكابرتك و لا مجادلتك^{٩٩١}.

قال: و روى المدائنى في كتاب (مقتل عثمان): أنّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيّام، و أنّ عليّا عليه السّلام لم يبايعه (لم يبايع) الناس إلّا بعد قتل عثمان بخمسة أيّام، و أنّا حكيم بن حزام، و جبير بن مطعم استنجدا بعليّ عليه السّلام على دفنه، فأقعد لهم طلحة في الطريق ناسا بالحجارة، فخرج به نفر يسير من أهله و هم يريدون به حائطا بالمدينة يعرف بحشّ كوكب^{٩٩٢}، كانت اليهود تدفن موتاهم فيه، فلمّا صار هناك رجم سريره، و همّوا بطرحه، فأرسل عليّ عليه السّلام إلى الناس

ص: ٣٤٠

يعزم عليهم ليكفّوا عنه فكفّوا، فانطلقوا به حتّى دفنوه في حشّ كوكب^{٩٩٣}.

^{٩٨٨} (٥) العقد الفريد ٥: ٧٠.

^{٩٨٩} (١) الاستيعاب بهامش الإصابة ٢: ٢٢٣.

^{٩٩٠} (٢) صلصل: بنواحي المدينة على سبعة أميال منها، نزل بها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم يوم خرج من المدينة إلى مكة عام الفتح.

(معجم البلدان ٣: ٤٢١).

^{٩٩١} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٠٧، سنة ٣٥، شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٦.

^{٩٩٢} (٤) حشّ كوكب: موضع عند بقيق الغرقد، اشتراه عثمان بن عفّان، و زاده في البقيع، و لمّا قتل التى فيه ثمّ دفن في جنبه.

(معجم البلدان ٢: ٢٦٢).

^{٩٩٣} (١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٠: ٦.

قال: و روى الطبرى نحو ذلك إلاً أنه لم يذكر طلحة بعينه^{٩٩٤}.

قال: و روى الواقدى أن عثمان لما قتل، تكلموا فى دفنه، فقال طلحة:

يدفن بدير سلع - يعنى مقابر اليهود-^{٩٩٥}.

قال: و ذكر الطبرى فى (تاريخه) مثل هذا، إلاً أنه ورى عن طلحة، فقال:

قال رجل: يدفن بدير سلع ...^{٩٩٦}.

«فأراد» أى: طلحة.

«أن يغالط» أى: يوقع الناس فى الغلط.

«بما أجلب» و جمع من الجند.

«فيه» متعلق بقوله «يغالط»، أى: فى كونه قاتل عثمان.

«ليلبس الأمر» أى: يشتبه.

«و يقع الشك» فى كونه قاتلا بأن يقول الناس: لو كان قاتلا لما طلب بدمه.

«و و الله ما صنع» أى: طلحة.

«فى أمر عثمان واحدة» أى: خصلة واحدة.

«من ثلاث» خصال كانت واجبة عليه عقلا.

«لئن كان ابن عفان ظالما كما كان يزعم» قبل قتله.

«لقد كان ينبغى له أن يؤازر» أى: يعين.

«قاتليه أو أن» هكذا فى (المصرية)^{٩٩٧}، و الصواب «و أن» كما فى (ابن

^{٩٩٤} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٤١٢، سنة ٣٥، شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٧.

^{٩٩٥} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٧.

^{٩٩٦} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٤١٣، سنة ٣٥، شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٧.

ص: ٣٤١

ميثم^{٩٩٨}، ولأنّ الواجب الأمران معا.

«ينابذ» أى: يكاشف بالحرب و العداوة.

«ناصرية» بعد قتله.

«و لئن كان مظلوما لقد كان ينبغى له أن يكون من المنهين» أى: الكافين و الزاجرين.

«عنه» أى: عن قتله.

«و المعذرين» أى: يعملون عملا يصيرون به معذورين.

«فيه» أى: فى الدفاع عنه.

«و لئن كان فى شكّ من الخصلتين» كونه ظالما و كونه مظلوما.

«لقد كان ينبغى له أن يعتزله و يركد» أى: يسكن و يهدأ.

«جانبا» أى: فى جانب.

«و يدع الناس» محاربيه.

«معه» و فى (خلفاء ابن قتيبة): قال الزبير لعبد الله بن عامر: من رجال البصرة؟ قال: ثلاثة، كلّهم سيّد مطاع: كعب بن سور فى اليمن، و المنذر فى ربيعة، و الأحنف فى مضر. فكتب هو و طلحة إلى كعب: أمّا بعد، فإنّك قاضى عمر، و شيخ أهل البصرة، و سيّد أهل اليمن، و قد كنت غضبت لعثمان من الأذى، فاغضب له من القتل.

و كتبنا إلى الأحنف: أمّا بعد، فإنّك وافد عمر، و سيّد مضر، و حلیم أهل العراق، و قد بلغك مصاب عثمان، فنحن قادمون عليك، و العيان أشفى لك من الخبر.

و كتبنا إلى المنذر: أمّا بعد، فإنّ أباك كان رئيسا فى الجاهلية، و سيّدا فى

ص: ٣٤٢

^{٩٩٧} (٥) نهج البلاغة ٢: ١٠٧.

^{٩٩٨} (١) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٤٤ «أوأن» أيضا.

الإسلام، و إنك من أبيك بمنزلة المصلّى^{٩٩٩} من السابق، يقال: كاد أو لحق، و قد قتل عثمان من أنت خير منه، و غضب له من هو خير منك.

فلما وصلت كتبهما إليهم، قام زياد بن مضر، و النعمان، و غزوان، فقالوا: ما لنا و لهذا الحيّ من قريش؟ يريدون أن يخرجونا من الإسلام بعد أن دخلنا فيه؟ و يدخلونا في الشرك بعد أن خرجنا منه؟ قتلوا عثمان، و بايعوا عليًا، لهم ما لهم، و عليهم ما عليهم. و كتب كعب إليهما: فإن يك عثمان قتل ظالما، فما لكما و له؟ و إن كان قتل مظلوما فغيركما أولى به، و إن كان أمره أشكل على من شاهده، فهو على من غاب عنه أشكل. و كتب المنذر: إنّما أوجب حقّ عثمان اليوم حقّه أمس، و قد كان بين أظهركم فخذلتموه، فمتى استنبطتم هذا العلم، و بدا لكم هذا الرأي؟^{١٠٠٠} «فما فعل» أي: طلحة.

«واحدة من الثلاث» المتقدمة.

«و جاء بأمر لم يعرف بابه، و لم تسلم معاذيره» قيل:

إنّ المعاذير يشوبها الكذب^{١٠٠١}

قد عذرتك غير معتذر

في (خلفاء ابن قتيبة): لما نزل طلحة و الزبير البصرة، بعث عثمان بن حنيف إليهما عمران بن الحصين، و أبا الأسود، فقال عمران: يا طلحة، إنّكم قتلتم عثمان و لم تغضب له إذ لم تغضبوا، ثمّ بايعتم عليًا فبايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صوابا فمسيركم لما ذا؟ و إن كان خطأ فحظّكم منه الأوفر، و نصيبكم منه الأوفى. فقال طلحة: يا هذا، إنّ صاحبك (يا هذان، إنّ صاحبكما)

ص: ٣٤٣

لا يرى أنّ معه في هذا الأمر غيره، و ليس على هذا بايعناه. فقال أبو الأسود لعمران: أمّا هذا، فقد صرح أنّه إنّما غضب للملك. ثمّ أتيا الزبير، فقال لهما: إنّ طلحة و إياي كروح في جسدين، و إنّّه و الله يا هذان، قد كان منّا في عثمان فلتات، احتجنا إلى المعاذير^{١٠٠٢}.

و فيه: لما قال مروان- و كان مع طلحة و الزبير في مسيرهما إلى البصرة- لسعيد بن العاص: اريد البصرة، أطلب قتلة عثمان. قال له سعيد:

^{٩٩٩} (١) المصلّى: تالي السابق. (الصحاح ٦: ٣٤٠٢، مادة: صلو).

^{١٠٠٠} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٦٠-٦١، و نقله الشارح بتلخيص.

^{١٠٠١} (٣) الصحاح للجوهري ٢: ٧٣٧، مادة (عذر).

^{١٠٠٢} (١) الإمامة و السياسة ١: ٦٤-٦٥، و نقله الشارح بتلخيص.

هؤلاء قتلة عثمان معك. إن هذين الرجلين قتلا عثمان، و هما يريدان الأمر لأنفسهما، فلما غلبا عليه قالوا: نغسل الدم بالدم، و الحوبة بالتوبة^{١٠٠٣}.

و فيه - بعد ذكر خطبة عائشة و اختلاف الناس - فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل من أشراف البصرة، بكتاب كان كتبه طلحة في التأييب على قتل عثمان، فقال له: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردك عما كنت عليه؟ و كنت أمس تكتب إلينا تؤلِّبنا على قتل عثمان، و أنت اليوم تدعوننا إلى الطلب بدمه؟

قالا: ذكرنا ما كان من طعننا عليه، و خذلانا إياه، فلم نجد مخرجا إلّا الطلب بدمه. قال: ما تأمراني به؟ قالوا: بايعنا على قتال عليّ، و نقض بيعته. قال:

أ رأيتما إن أتانا بعدكما من يدعوننا إلى ما تدعون إليه، ما نصنع؟ قالوا: لا تبايعه.

قال: ما أنصفتما، أ تأمراني أن اقاتل عليّا عليه السّلام و أنقض بيعته و هى فى أعناقكما، و تنهينى عن بيعه من لا بيعه عليه لكما (له عليكما) ...^{١٠٠٤}؟

و لو أراد التوبة - كما زعما أخيرا - من حوبة قتل عثمان كان عليهما أن يسلما أنفسهما إلى أولياء عثمان ليقتلوهما - كما صرح بذلك الأشر - لا أن

ص: ٣٤٤

يقتلا الناس، و يقاتلا أمير المؤمنين عليه السّلام مع اعتزاله.

١٤

الكتاب (٥٤) و من كتاب له عليه السّلام إلى طلحة و الزبير مع عمران بن الحصين الخزاعى، ذكره أبو جعفر الإسكافى فى كتاب (المقامات) فى مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام:

أما بعد فقد علمت ما و إن كنتما - أنى لم أرد الناس حتى أراؤنى - و لم أبايعهم حتى أبايعونى - و إنكما ممن أراؤنى و أبايعنى - و إن العامة لم تبايعنى لسلطان غالب و لا لعرض حاضر - فإن كنتما أبايعتما طائعين - فأرجعا و توبا إلى الله من قريب - و إن كنتما أبايعتما كارهين - فقد جعلت ما لى عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة - و إسراركما المعصية - و لعمري ما كنتما بأحق المهاجرين - بالثقيّة و الكتمان - و إن دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلوا فيه - كان أوسع عليكما من خروجكما منه - بعد إقراركما به - و قد زعمت ما أنى قتلت عثمان؟ - فبيني و بينكما من تخلف عنى و عنكما من أهل المدينة؟ - ثم يلزم كل امرئ

^{١٠٠٣} (٢) المصدر نفسه ١: ٦٣، و نقله الشارح بتصرف.

^{١٠٠٤} (٣) المصدر نفسه ١: ٦٨ - ٦٩، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ - فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا - فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ - مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَعَ الْعَارُ وَ النَّارُ - وَ السَّلَامُ
قول المصنّف: «و من كتاب له عليه السّلام إلى طلحة و الزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي» روى الكشي عن الفضل بن
شاذان أن عمران من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام^{١٠٠٥}.

ص: ٣٤٥

و عن (جامع الأصول): سئل عمران عن متعة النساء، فقال: أتانا بها كتاب الله، و أمرنا بها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، ثم قال فيها رجل برأيه ما شاء^{١٠٠٦}.

و في (حلية أبي نعيم) في محمّد بن واسع مسندا عنه، قال: تمتعنا مع النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم مرتين، فقال رجل برأيه
ما شاء. قال أبو نعيم: هو حديث صحيح أخرجه مسلم في (صحيحه)^{١٠٠٧}.

و روى الكشي في أبي عبد الله الجدليّ، عن أبي داود قال: حدّثني عمران بن الحصين الخزاعي أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم
سأله أمر فلانا و فلانا أن يسلمنا على عليّ عليه السّلام بإمرة المؤمنين، فقالا: من الله أو من رسوله؟ «فقال: من الله و من
رسوله»^{١٠٠٨}.

قال ابن أبي الحديد: هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد (بن) نهم بن سالم بن غاضرة...^{١٠٠٩}.

قلت: أخذ ما قاله عن أبي عمرو. قال ابن مندّة و أبو نعيم جدّ جدّه عبد نهم بن حذيفة بن جهمة بن غاضرة^{١٠١٠}. و قال الكلبي:
جدّ جدّه عبد نهم بن جرمة بن جهيمة كما في (الجزري)^{١٠١١}.

و في (الجزري): قال محمّد بن سيرين: لم نر في البصرة أحدا من أصحاب النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم يفضل على عمران،
و كان مجاب الدعوة و لم يشهد الفتنة^{١٠١٢}.

ص: ٣٤٦

^{١٠٠٥} (١) اختيار معرفة الرجال (الكشي) ١: ١٧٩-١٨٨، و ذكره شيخ الطائفة في رجاله: ٢٤، في الصحابة.
^{١٠٠٦} (١) نقله عن جامع الأصول، الميرداماد الأسترابادي في تعليقه على رجال الكشي ١: ١٨٧، و تجده في صحيح البخارى ٤: ١٦٤٢ ح ٤٢٤٦، صحيح مسلم (باب
الحج جواز التمتع رقم ١٢٢٦)، مسند أحمد ٤: ٤٣٦.
^{١٠٠٧} (٢) حلية الأولياء ٢: ٣٥٥، صحيح مسلم:
^{١٠٠٨} (٣) اختيار معرفة الرجال (الكشي) ١: ٣٠٨. و ليست هذه العبارة في المصدر.
^{١٠٠٩} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٢.
^{١٠١٠} (٥) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤: ١٣٧.
^{١٠١١} (٦) المصدر نفسه.
^{١٠١٢} (٧) أسد الغابة ٤: ١٣٧-١٣٨.

و روى عنه: أن النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم نهى عن الكيِّ فاكثونا فما أفلحنا، و كان فى مرضه تسلّم عليه الملائكة، فاكثوى ففقد التسليم، ثمّ عادت إليه و كان به استسقاء فطال به سنين و هو صابر عليه، و شقّ بطنه و أخذ منه شحم و ثقب له سرير فبقى ثلاثين سنة توفى سنة (٥٢) ١١٣.

«ذكره أبو جعفر الاسكافى» محمّد بن عبد الله، قال ابن أبى الحديد: عدّه قاضى القضاة فى الطبقة السابقة من المعتزلة مع عباد بن سليمان الصيمرى و مع زرقان و مع عيسى بن الهيثم الصوفى، و جعل أول الطبقة ثمامة بن أشرس أبا معن ثم الجاحظ ثم أبا موسى عيسى بن صبيح المرदार ثم أبا عمران يونس بن عمران ثمّ محمّد بن إسماعيل بن العسكرى ثم عبد الكريم بن روح العسكرى ثمّ أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ثم أبا الحسين الصالحى ثم جعفر بن جرير و جعفر بن ميسر ثم أبا عمران بن النقاش ثم أبا سعيد أحمد بن سعيد الأسدى ثم عبّاد بن سليمان ثم أبا جعفر الاسكافى، و قال: كان أبو جعفر فاضلا، عالما، صنّف سبعين كتابا فى علم الكلام، و هو الذى نقض كتاب العثمانية على الجاحظ فى حياته، - فدخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال: من هذا الغلام السوادى الذى بلغنى أنّه تعرّض لنقض كتابى.

و أبو جعفر جالس، فاختنى منه حتى لم يره - و كان علوى الرأى، محققا، منصفا، قليل العصبية، يقول بالتفضيل و يبالغ فيه ١١٤.

«فى كتاب المقامات» و ذكره ابن قتيبة فى (خلفائه) و زاد: و زعمتما أنّى آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا فى طاعتى ثم يخاصموا إلى قتلة أبيهم، و ما أنتما و عثمان إن كان قتل ظالما أو مظلوما؟ و لقد بايعتmani و أنتما

ص: ٣٤٧

بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكما، و إخراجكما أمكما ١١٥.

و ذكره أعثم الكوفى فى عنوان محاربة الجمل ١١٦.

«فى مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام» هكذا فى (المصرية) ١١٧.

و قوله: (فى مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام) زائدة فليس فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) ١١٨، و الظاهر أنّه كان حاشية خلط بالمتن، مع أنّه لم يعلم موضوع المقامات، هل هو فى المناقب أو شىء آخر؟

١١٣ (١) المصدر نفسه ٤: ١٣٨.

١١٤ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٣٢-١٣٣.

١١٥ (١) الإمامة و السياسة ١: ٧٠.

١١٦ (٢) كتاب الفتوح ٢: ٤٦٥.

١١٧ (٣) نهج البلاغة ٣: ١٢٢.

١١٨ (٤) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٣١، و لكن فى شرح ابن ميثم المطبوع ٥: ١٨٧ بزيادة «فى مناقب أمير المؤمنين عليه السّلام».

قوله عليه السّلام: «أما بعد فقد علمتما- وإن كنتمما- أنّي لم أرد الناس حتى أراذوني و لم أبايعهم حتى بايعوني» في (الطبرى) قال أبو بشير العابدی: كنت بالمدينة حين قتل عثمان، و اجتمع المهاجرون و الأنصار فيهم طلحة و الزبير فأتوا عليًا عليه السّلام فقالوا: هلم نبايعك. فقال لهم: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به. فقالوا: و الله لا نختار غيرك. فاختلّفوا إليه مرارا، ثمّ أتوه في آخر ذلك فقالوا له: لا يصلح الناس إلا بإمرة و قد طال الأمر. فقال لهم: إنكم قد اختلفتم إليّ و أتيتم عندي مرارا، و إنّي قائل لكم قولا إن قبلتموه قبلت أمركم و إلّا فلا حاجة لي فيه. قالوا: ما قلت من شيء قبلناه. فقال: إنّي كنت كارها لأمركم فأبيتكم إلّا أن أكون عليكم، ألا و إنّه ليس لي أمر دونكم إلّا إن مفاتيح مالكم معي، ألا و إنّه ليس أن آخذ منه درهما دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم. قال:

اللهمّ اشهد عليهم. ثمّ بايعهم على ذلك^{١٠١٩}.

ص: ٣٤٨

«و إنكما ممّن أراذني و بايعني» في (الطبرى) عن أبي المليح قال: لما قتل عثمان خرج عليّ عليه السّلام إلى السوق- و ذلك يوم السبت لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجّة- فاتبعه الناس و بهشوا في وجهه، فدخل حايط بنى عمرو بن مبدول، و قال لأبى عمرة بن محصن: أغلق الباب. فجاء الناس ففرعوا الباب فدخلوا، و فيهم طلحة و الزبير فقالا: يا على ابسط يدك. فبايعه طلحة و الزبير، فنظر حبيب بن ذؤيب الى طلحة حين بايع، فقال: أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاء، لا يتم هذا الأمر ...^{١٠٢٠}.

«و إن العامّة لم تبايعني لسليطان غالب» هكذا في (المصرية)^{١٠٢١}، و الصواب:

(غاصب) كما في (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{١٠٢٢}، كما في بيعة أبى بكر، فعن البراء بن عازب- كما روت العامّة عنه- : لم أزل لبني هاشم محبّا، فلما قبض النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، فكنت أتردد إلى بنى هاشم و هم عند النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم في الحجرة، و أتفقد وجوه قريش، فإنّي كذلك إذ فقدت أبا بكر و عمر، و إذا قائل يقول: القوم في سقيفة بنى ساعدة، و إذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر، فلم ألبث و إذا أنا بأبى بكر قد أقبل و معه عمر و أبو عبيدة و جماعة من أصحاب السقيفة و هم محتجزون بالازر الصنائية، لا يمرون بأحد إلّا خبطوه و قدموه، فمدوا يده فمسحوه على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى، فأنكرت عقلى ...^{١٠٢٣}.

هذا و في (خلفاء ابن قتيبة): دعا عبد الملك في مرض موته ابنه الوليد

^{١٠١٩} (٥) تاريخ الطبرى ٤: ٤٢٧-٤٢٨، سنة ٣٥.

^{١٠٢٠} (١) المصدر نفسه ٤: ٤٢٨، سنة ٣٥.

^{١٠٢١} (٢) نهج البلاغة ٣: ١٢٢.

^{١٠٢٢} (٣) في شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٣١، و شرح ابن ميثم ٥: ١٨٨ «غالب» أيضا.

^{١٠٢٣} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢١٩.

و قال له: حضر الوداع. فبكى الوليد، فقال له عبد الملك: لا تعصر عينيك عليّ كما تعصر الأمة الوكساء، إذا متّ فاغسلني و كفنّي و صلّ عليّ و أسلمني إلى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتي، و اخرج أنت إلى الناس و البس لهم جلد نمر، و اقعده على المنبر و ادع الناس الى بيعتك، فمن مال بوجهه كذا فقل له بالسيف كذا، و تنكّر للصديق و القريب و اسمح للبعيد. فلما توفي- و مات من يومه ذلك- خرج الوليد إلى الناس و قعد على المنبر، ثم دعا الناس الى البيعة فلم يختلف عليه أحد، ثم كان أوّل ما ظهر من أمر الوليد أن أمر بهدم كلّ دار من دار عبد الملك إلى قبره، فهدمت من ساعتها و سوّيت بالأرض لئلا يعرج بسرير عبد الملك يمينا و شمالا، ثم كتب ببيعته إلى الآفاق فلم يختلف عليه أحد^{١٠٢٤}.

«و لا لعرض حاضر» هكذا في (المصرية)^{١٠٢٥}، و لكن في نسخة (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٠٢٦}: «و لا لحرص حاضر»، و (سقيفة الجوهري) عن القاسم بن محمّد قال: لما توفيّ النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم اجتمعت الأنصار إلى سعد- إلى أن قال:- فتكلّم أبو بكر و قال: نحن الامراء و أنتم الوزراء، و الأمر بيننا نصفان كشقّ الابلمة. فبويع، و كان أول من بايعه بشير بن سعد و والد النعمان بن بشير، فلما اجتمع الناس قسم قسما بين نساء المهاجرين و الأنصار فبعث إلى امرأة من بنى عدى بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا؟ قال قسم قسمه أبو بكر للنساء. قالت: أ تراشوني عن ديني؟! و الله لا أقبل منه شيئا.

فردته^{١٠٢٧}.

«فان كنتما بايعتmani طائعين» هكذا في (النهج)^{١٠٢٨}، و كأن «طائعين» محرّف «راغبين» لأن بعده «و إن كنتم بايعتmani كارهين»، و مقابل الكراهة الرغبة لا الطائعية، كما ان مقابل الطوع الإكراه لا الكره، ففي (الصحاح): «يقال جاء فلان طائعا غير مكره»^{١٠٢٩}، اللهمّ إلّا أن يقال: بأن المراد بالطوع هنا الرغبة فتصحّ المقابلة.

«فارجعا و توبا إلى الله من قريب» من نكث البيعة، فقد قال تعالى: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ»^{١٠٣٠}.

و كان بين ابن الزبير و ابن عبّاس مشاجرة، فقال ابن الزبير لابن عبّاس- معرضا بأسر العبّاس أبيه يوم بدر و فدائه نفسه و خلو الزبير من ذلك:-

^{١٠٢٤} (١) الامامة و السياسة ٢: ٥٧-٥٨.

^{١٠٢٥} (٢) نهج البلاغة ٣: ١٢٢.

^{١٠٢٦} (٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣١، و لكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٥: ١٨٨ «و لا لعرض حاضر» أيضا.

^{١٠٢٧} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٢-٥٣.

^{١٠٢٨} (١) نهج البلاغة ٣: ١٢٢.

^{١٠٢٩} (٢) الصحاح ٣: ١٢٥٥، مادة (طوع).

^{١٠٣٠} (٣) الفتح: ١٠.

و صديق متباح في الشرف الانيق خير من طليق. فقال له ابن عباس: و أما ما ذكرت من الطليق فوالله لقد ابتلى فصبر و انعم عليه فشكر، و ان كان و الله وفيًا كريما، غير ناقض بيعته بعد توكيدها، و لا مسلم كتيبة بعد التأمير عليها. فقال ابن الزبير: أ تعير الزبير بالجبن؟ و الله أنك لتعلم منه خلاف ذلك. قال ابن عباس: و الله إنى لا أعلم إلا أنه فر و ماكر، و حارب فما صبر، و بايع فما تم، و قطع الرحم، و أنكر الفضل، و رام ما ليس له بأهل.

و كان بين القاسم بن محمد بن يحيى بن طلحة - و هو على شرطة عيسى بن موسى - و بين إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام مشاجرة، فقال القاسم لإسماعيل: لم يزل فضلنا و إحساننا سابقا عليكم يا بني هاشم و على بني عبد مناف. فقال إسماعيل: أى فضل و إحسان أسديتموه إلى بني عبد

ص: ٣٥١

مناف، أغضب أبوك جدى بقوله: «ليموتن محمد و لنجولن بين خلاخيل نساءه كما جال بين خلاخيل نساتنا». فأنزل تعالى مراغمة لأبيك: «و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا»^{١٣١}، و منع ابن عمك امي حقها من فذك و غيرها من ميراث أبيها و اجلب أبوك على عثمان و حصره حتى قتل و نكت بيعة على عليه السلام و شام السيف فى وجهه و أفسد قلوب المسلمين عليه ...

«و إن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لى عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة و اسراركما المعصية» فعلى كل حال لم يكن لهما النكت طائعين كانا أو كارهين، و أنما كان لهما النكت لو كانا مكرهين، مع أنه لم يكن قطعاً و إن كانا ادعياء باطلا كما نسباً قتل عثمان - مع كونهما هما المحرضين فى قتله - إليه عليه السلام باطلا.

روى الطبرى عن سعد بن أبى وقاص: أن طلحة قال: «بايعت و السيف فوق رأسى» و قال سعد: لا أدرى أن السيف كان على رأسه أم لا، إلا أنى أعلم أنه بايع كارها^{١٣٢}.

«و لعمرى ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقية و الكتمان» و الظاهر وقوع سقط فى الكلام من المصنف أو من نقل عنه، و أن الأصل «المهاجرين و الأنصار» فتخلف جمع كثير من الأنصار أيضا عن البيعة معه عليه السلام فتركهم.

ففى (الطبرى): لما قتل عثمان بايعت الأنصار علياً عليه السلام، إلا حسان بن ثابت و كعب بن مالك و مسلمة بن مخلد و أبو سعيد الخدرى و محمد بن مسلمة و النعمان بن بشير و زيد بن ثابت و رافع بن حديج و فضالة بن عبيد

ص: ٣٥٢

^{١٣١} (١) الاحزاب: ٥٣.

^{١٣٢} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣١، سنة ٣٥.

و كعب بن عجرة- كانوا عثمانية- فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبى هؤلاء بيعة علىّ عليه السلام؟ قال: أمّا حسان فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع، و أمّا زيد فولّاه عثمان الديوان و بيت المال، فلما حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين. فقال له أبو أيوب: ما تنصره إلّا أنّه أكثر لك من العُضدان، فأما كعب فاستعمله على صدقة مزينة و ترك عثمان له ما أخذ منهم، و أمّا المهاجرون فكان منهم سعد بن أبى وقاص و عبد الله بن عمر^{١٠٣٣}.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): خاطب علىّ عليه السلام بين الصّفين طلحة فقال له:

أو ما بايعتنى طائعا غير مكره؟ فقال طلحة: بايعتك و السيف فى عنقى. قال: أ لم تعلم أنّى ما أكرهت أحدا على البيعة، و لو كنت مكرها أحدا لأكرهت سEDA و ابن عمر و محمّد بن مسلمة، أبو البيعة و اعتزلوا فتركتمهم^{١٠٣٤}.

و فيه: أنّ عمّارا دعا ابن عمر و سEDA و محمّد بن مسلمة إلى بيعته عليه السلام فأبوا، فأخبر عليّا عليه السلام بذلك فقال عليه السلام: دع هؤلاء الرهط، اما ابن عمر ضعيف، و أما سعد فحسود و ذنبى إلى محمّد بن مسلمة أنّى قتلت أخاه يوم خيبر^{١٠٣٥}.

و ذكر المسعودى: تخلف قدامة بن مظعون و وهبان بن صيفى و عبد الله بن سلام و المغيرة بن شعبة عن بيعته عليه السلام أيضا^{١٠٣٦}.

و يمكن أن يقال بعدم سقط و أنّه عليه السلام اقتصر على ذكر المهاجرين، لأن طلحة و الزبير كانا منهم، و ان كان جمع من الأنصار أيضا تخلفوا عن بيعته عليه السلام فتركهم.

و كيف كان، فهما كانا أقوى من سعد و ابن عمر، فكيف لم يتقيا و هما

ص: ٣٥٣

اتقيا، فيكون معلوما كذبهما؟ و ان كان سيف الذى يروى الطبرى عن السرى عن شعيب عنه روى إكراههما، و لا غرو فإن سيفا ذاك أحد الوضّاعين، و رواياته جميع خلاف السير و خلاف العقل و النقل، فروى عمّن افترى عليه:

أنّه لما اجتمع الناس علىّ علىّ عليه السلام ذهب الأشتر فجاء بطلحة فقال له: دعنى أنظر ما يصنع الناس. فلم يدعه و جاء به يتله تلا عنيقا، و سعد المنبر فبايع.

و جاء حكيم بن جبلة بالزبير حتّى بايع فكان الزبير يقول: جاءنى لص من لصوص عبد القيس فبايعت و اللج فى عنقى.

^{١٠٣٣} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٢٩-٤٣١، سنة ٣٥.

^{١٠٣٤} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٧٤-٧٥.

^{١٠٣٥} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٥٣-٥٤.

^{١٠٣٦} (٤) مروج الذهب ٢: ٣٦١.

«و إنَّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلوا فيه كان أوسع عليكم من خروجكما منه بعد اقراركما به» في (الطبرى) قال الزهرى: قد بلغنا أنَّ عليًّا عليه السَّلام قال لطلحة و الزبير: إن أحببنا أن تبايعا لى، و إن أحببنا بايعتكما؟ فقالا: بل نبايعك.

و قال بعد ذلك: إنَّما صنعنا ذلك خشيةً على أنفسنا، و قد عرفنا أنَّه لم يكن ليبايعنا. فظهرنا إلى مكَّة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر^{١٠٣٧}.

«و قد زعمت أنَّى قتلت عثمان فبينى و بينكما من تخلف عنى و عنكما» فلا يكون متَّهما بالميل إلى من معه.

«من أهل المدينة ثم يلزم كلَّ امرئ بقدر ما احتمل» فغاية ما قالوا: إنَّه عليه السَّلام خذل عثمان و كان راضيا بقتله و كان منتظرا لقتله، و كان عليه السَّلام لا ينكر ذلك، بل يقربُه كما مرَّ عند قوله عليه السَّلام: «ما أمرت به و لا نهيت عنه»، و أما هما فكانت دخالتهما فى قتله من الواضحات.

فمن تخلف عنه و عنهما عبيد الله بن عمر و مع أنَّه عليه السَّلام أراد قتله بدم الهرمزان ففرَّ منه عليه السَّلام إلى معاوية، و طلب منه معاوية أن ينسب قتل عثمان إليه عليه السَّلام، لم يرض مع لجأه إليه بذلك، بل نسبه إلى طلحة و الزبير، و إنَّما نسب

ص: ٣٥٤

إليه عليه السَّلام انتظاره قتل عثمان.

فقال نصر بن مزاحم فى (صفينته): فى حديث محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال: لما قدم عبيد الله بن عمر على معاوية أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فقال: إنَّ الله أحيا لنا عمر بالشام بقدم عبيد الله و قد رأيت أن أقيمه خطيبا فيشهد على عليّ بقتل عثمان و ينال منه. فقال عمرو: الرأى ما رأيت.

فبعث إليه فأتى فقال له معاوية: يا بن أخ إنَّ لك اسم أبيك فانظر بملء عينيك و تكلم بكلِّ فيك، فأنت المأمون المصدّق، فاشتم عليًّا و اشهد عليه أنَّه قتل عثمان. فقال: أمَّا شتمه فإنَّه ابن أبى طالب، و أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول فى حسبه، و أمَّا بأسه فهو الشجاع المطرق، و أمَّا أيامه فما قد عرفت، و لكننى ملزمه دم عثمان. فقال عمرو: اذن و الله قد نكأت القرحة. فلما خرج عبيد الله قال معاوية لعمرو: أما و الله لو لا قتله الهرمزان و مخافته من عليّ على نفسه ما أتانا أبدا، أ لم تر إلى تقرّظه عليًّا؟ فقال عمرو: يا معاوية إنَّ لم تغلب فاخلب. فخرج حديثه إلى عبيد الله فلما قام خطيبا تكلم بحاجته حتّى إذا أتى إلى أمر عليّ عليه السَّلام أمسك، فقال له معاوية: إنَّك بين عى أو خيانة. فقال:

كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، و قال أبياتا و منها مشيرا إليه عليه السَّلام و ذاكرا لطلحة و الزبير:

حواليه ديبب العقارب

و لكنّه قد قرّب القوم و دبا

فما قال أحسنتم ولا قد أسأتم

و أطرق إطراق الشجاع الموابب

و قد كان فيها للزبير عجاجة

و طلحة فيها جاهد غير لاعب^{١٠٣٨}

و فى (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنه لما كان فى الصباح بعد قتل عثمان اجتمع الناس فى المسجد، و كثر الندم و التأسف على عثمان و سقط فى أيديهم

ص: ٣٥٥

و أكثر الناس على طلحة و الزبير و اتهموهما بقتل عثمان، فقال الناس لهما: قد وقعتما فى أمر عثمان فخلينا عن أنفسكما. فقال طلحة: أيها الناس إنا و الله ما نقول اليوم إلا ما قلناه أمس، ان عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته و كرهنا أن نقتله، و سرنا أن نكفاه و قد كثر فيه اللجاج، و أمره إلى الله.

ثم قام الزبير فقال: أيها الناس إن الله قد رضى لكم الشورى فأذهب بها الهوى، و قد تشاورنا فرضينا عليا فبايعوه، و أما قتل عثمان فإننا نقول فيه: إن أمره إلى الله و قد أحدث أحداثا و الله وليه فى ما كان - فقام الناس فأتوا عليا فى داره، فقالوا: نبايعك^{١٠٣٩}.

بل مر أن ابن طلحة مع كونه مع أبيه و الزبير يحاربه أقر بأن ثلث دم عثمان على أبيه، فغضب عليه أبوه و قال له: كن كابن الزبير. فقال له: لم أقل إلا حقا.

«فارجع أيها الشيخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمركما العار» فى (الطبرى) قال قتادة: سار على عليه السلام من الزاوية يريد طلحة و الزبير، و سارا من الفرضة يريدان عليا عليه السلام، فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد فى النصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦) فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقبل لعلى عليه السلام: هذا الزبير. فقال عليه السلام: أما أنه أحرى الرجلين ان ذكر بالله أن يذكر.

و خرج طلحة فخرج إليهما على عليه السلام و قال لهما: لقد أعددتما سلاحا و خيلا و رجالا إن كنتم أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله و لا تكونا «كألتى تقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا»^{١٠٤٠} ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرمان دمي و احرم دماءكما فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال طلحة: ألّبت الناس على عثمان. قال

^{١٠٣٨} (١) وقعة صفين: ٨٢ - ٨٤.

^{١٠٣٩} (١) الإمامة و السياسة النحل ١: ٤٦.

^{١٠٤٠} (٢): ٩٢.

علىّ عليه السلام: «يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ»^{١٠٤١} يا طلحة تطلب بدم عثمان؟ فلعن الله قتلة عثمان - إلى أن قال - بعد ذكره للزبير قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم له: (و لتقاتلنه و أنت ظالم)، قال الزبير: و لو ذكرت ما سرت مسيرى هذا، و الله لا اقاتلك أبدا و رجع إلى عايشة فقال لها: ما كنت فى موطن مذ عقلت إلّا و أنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا. قالت: ما تريد؟ قال:

أن أدعهم و أذهب. فقال له ابنه: أحسست رايات ابن أبى طالب و علمت أنّها تحملها فتية أنجاد! قال: إننى قد حلقت آلا اقاتله - و أحفظه ما قال له - فقال له ابنه: كفر عن يمينك و قاتله. فدعا بغلام له يقال له مكحول فأعتقه فقال بعضهم:

أعجب من مكفر الأيمان

لم أر كالיום أخوا اخوان

بالتق فى معصية الرحمن

أيضا:

كفارة لله عن يمينه

يعتق مكحولا لصون دينه

و النكت قد لاح على جبينه^{١٠٤٢}

«من قبل أن يتجمع» هكذا فى (المصرية)^{١٠٤٣} و الصواب: (يجتمع) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{١٠٤٤}.

«العار و النار» فى (جمل المفيد): فى رواية سفیان بن عنبسة عن أبى موسى عن الحسن بن أبى الحسن قال: خرج طلحة من رساتيق أقطعه إياها عثمان، فلم يعرف له ذلك حتى سعى فى دمه، فلما كان يوم البصرة خرج

^{١٠٤١} (١) النور: ٢٥.

^{١٠٤٢} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٥٠١-٥٠٢، سنة ٣٦.

^{١٠٤٣} (٣) نهج البلاغة ٣: ١٢٣.

^{١٠٤٤} (٤) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٣١، و لكن فى شرح ابن ميثم المطبوع ٥: ١٨٨ «يتجمع» أيضا.

للقِتال - و قد لبس درعا استجن به من السهام - إذ أتاه سهم فأصابه و كان أمر الله قدرا مقدورا.

قال الحسن: و رأيتُه يقول حين أصابه سهم: ما رأيت كالليوم مصرع شيخ أضيع من مصرعي. قال: و قد كان قبل ذلك جاهد جهادا مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم و وقاه بيده فضيع أمر نفسه. قال: و لقد رأيت قبره مأوى الشقاء، فيضع عنده غريبه ثم يقضى عنده حاجته.

و أما الزبير فإنه أتى حيّا من أحياء العرب فقال: أجيروني - و كان قبل ذلك يجير و لا يجار عليه - قالوا: و ما الذى أخافك، و الله ما أخافك إلا ابنك؟

فاتبعه ابن جرموز - تولّهُ من أتاليل العرب - فقتله، و هذا قبره بوادى السباع مخرأة للشعالب. قال: فخرجا و لم يدركا ما طلبا، و لم يرجعا إلى ما تركا فعزّ عليّ هذه الشقوة التي كتبت عليهما^{١٠٤٥}.

و فيه: و فى رواية عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون - إلى أن قال - : فلما رأى عليّ عليه السلام رأس الزبير و سيفه، هزّ السيف و قال: سيف طالما قاتل بين يدي الرسول صلى الله عليه و آله و سلم، و لكن الحين و مصارع السوء، ثم تفرّس فى وجه الزبير و قال: لقد كان لك بالرسول صلى الله عليه و آله و سلم صحبة و منه قرابة، و لكن دخل الشيطان منخرک، فأوردك هذا المورد^{١٠٤٦}.

و فيه: و مر عليه السلام فى قتلى الجمل على طلحة بعد كعب بن سور فرأى طلحة صريعا، فقال أجلسوه. فاجلس، فقال: يا طلحة بن عبيد الله قد وجدت ما وعدنى ربّى حقّا، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّا؟ - إلى أن قال - : فوقف رجل من القراء أمامه فقال: يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه، الهام قد صدت

ص: ٣٥٨

لا تسمع كلاما و لا ترد جوابا؟ فقال عليه السلام: أنّهما ليسمعان كلامي كما تسمع أصحاب القليب كلام النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و لو أذن لهما فى الجواب لرأيت عجا^{١٠٤٧}.

و من العجب أن العامة وضعوا فى مقابل هذا منكر عجا، ففى (العقد الفريد): من حديث سفيان الثورى، لما انقضى يوم الجمل خرج على فى ليلة ذلك اليوم و معه مولاه، و بيده شمعة يتصفّح وجه القتلى، حتى وقف على طلحة فى بطن واد متعفّرا، فجعل يمسح الغبار عن وجهه و يقول: اعزز عليّ يا أبا محمّد أن أراك متعفّرا تحت نجوم السماء و بطون الأودية، إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، شفيت نفسى و قتلت معشرى، إلى الله أشكو عجرى و بجرى. ثمّ قال:

^{١٠٢٥} (١) الجمل للمفيد: ٣٨٤ - ٣٨٥، شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٣ - ١١٤.

^{١٠٢٦} (٢) الجمل: ٣٨٩ - ٣٩٠.

^{١٠٢٧} (١) الجمل: ٣٩٢، الإرشاد ١: ٢٥٦ - ٢٥٧.

و الله انى لأرجو أن أكون أنا و عثمان و طلحة و الزبير من الذين قال الله فيهم:

«وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»^{١٠٤٨}، و إذا لم يكن نحن فمن هم^{١٠٤٩}؟ و كم لإخواننا أخبار نظير هذا، مما يجعل الملاحظة أحق من الموحدة إن فرض تحققها.

١٥

الخطبة (٢٢) و من خطبة له عليه السلام:

أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ وَ اسْتَجَلَبَ جَلْبَهُ - لِيَعُودَ الْجُورُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَ يَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ - وَ اللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَى مُنْكَرًا - وَ لَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصِيفًا وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ - فَلَيْنَ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ - وَ لَيْتَن كَانُوا وَلَوْهُ

ص: ٣٥٩

دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ - وَ إِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ - يَرْتَضِعُونَ أُمَّا قَدْ فَطَمَتْ وَ يُحْيُونَ بَدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ - يَا خَيِّبَةَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا وَ إِلَّا مَ أُجِيبَ - وَ إِنِّي لَرَاضٌ بِحُجَّةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ عِلْمِهِ فِيهِمْ - فَإِنَّ أَبَوًا أُعْطِيَتْهُمْ حَدَّ السَّيْفِ - وَ كَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ الْبَاطِلِ وَ نَاصِرًا لِلْحَقِّ - وَ مِنَ الْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أُبْرَزَ لِلطَّعَانِ وَ أَنْ أَصِيرَ لِلْجِلَادِ - هَبَلْتَهُمُ الْهَبُولُ - لَقَدْ كُنْتُ وَ مَا أَهْدُدُ بِالْحَرْبِ وَ لَا أَرْهَبُ بِالضَّرْبِ - وَ إِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي وَ غَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي وَ فِي الْخُطْبَةِ (١٣٧) وَ من كلام له عليه السلام فى معنى طلحة و الزبير:

وَ اللَّهُ مَا أَنْكَرُوا عَلَى مُنْكَرًا - وَ لَا جَعَلُوا بَيْنِي وَ بَيْنَهُمْ نَصِيفًا - وَ إِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ وَ دَمًا هُمْ سَفَكُوهُ - فَإِنَّ كُنْتُ شَرِيكُهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ - وَ إِنَّ كَانُوا وَلَوْهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ - وَ إِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ - وَ إِنَّمَعَى لَبْصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَ لَا لُبْسَ عَلَى - وَ إِنَّهَا لَلْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ فِيهَا الْحَمَاءُ وَ الْحُمَّةُ - وَ الشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ وَ إِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ - وَ قَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ - وَ انْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَعْبِهِ - وَ أَيْمَ اللَّهُ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضًا أَنَا مَا تَحُهُ - لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بَرِيٌّ - وَ لَا يُعْبُونَ بَعْدَهُ فِي حَسَنِي وَ فِي الْخُطْبَةِ (١٠) وَ من خطبة له عليه السلام:

أَلَا وَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ - وَ اسْتَجَلَبَ خَيْلَهُ وَ رَجِلَهُ - وَ إِنَّمَعَى لَبْصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ عَلَى نَفْسِي وَ لَا لُبْسَ عَلَى - وَ أَيْمُ اللَّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ

ص: ٣٤٠

^{١٠٤٨} (٢) الحجر: ٤٧.

^{١٠٤٩} (٣) العقد الفريد ٥: ٧٠.

حَوْضاً أَنَا مَا تَحُهُ - لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ وَ لَا يُعُودُونَ إِلَيْهِ أَقُول: ترى التكرار فى الثلاث، و عذره ما قاله فى (ديباجته): و ربما بعد العهد بما اختير أولاً، فاعيد بعضه سهواً أو نسيانا لا قصداً و اعتماداً^{١٥٠}.

قال ابن أبى الحديد ابن أبى الحديد - شرح نهج البلاغه - ج ١ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ بعد الاولى: ذكر كثيرا من هذه الخطبة أبو مخنف فقال: قال مسافر بن عفيف بن أبى الأخنس لما رجعت رسل على عليه السلام من عند طلحة و الزبير و عايشة يؤذونه بالحرب قال: أيها الناس انى قد راقبت هؤلاء القوم كى يروعوا أو يرجعوا، و وبختهم بنكتهم و عرفتهم بغيبهم فلم يستحيوا، و قد بعثوا إلى أن أبرز للطعان و أصبر للجلاد، إنما تمنى نفسك أمانى الباطل و تعدك الغرور. ألا هبلتهم الهبول لقد كنت و ما اهدد بالحرب و لا اذهب بالضرب، و لقد أنصف القارة من رامها، فليرعدوا و ليرفقا فقد رأونى قديما و عرفوا نكايتى، فكيف رأونى أنا أبو الحسن الذى فللت حدّ المشركين و فرقت جماعتهم؟ و بذلك القلب ألقى عدوى اليوم، و انى لعلى ما وعدنى ربى من النصر و التأييد، و على يقين من أمرى و فى غير شبهة من دينى، أيها الناس ان الموت لا يفوته المقيم، و لا يعجزه الهارب، و ليس عن الموت محيد و لا محيص، و من لم يقتل مات. إن أفضل الموت القتل، و الذى نفس على بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش، اللهم ان طلحة نكت بيعتى و آلب على عثمان حتى قتله، ثم عضه به و رمانى، اللهم فلا تمهله، اللهم ان الزبير قطع رحمى و نكت بيعتى و ظاهر على عدوى، فاكفنيه اليوم بما شئت^{١٥١}.

قلت: و روى (جهاد الكافى الكلينى - الكافى - كتاب الجهاد ج ٥ ص ٥٣ و ٥٤) عن على بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن محبوب رفعه: أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب يوم الجمل فقال: أيها الناس اتى أتيت

ص: ٣٦١

هؤلاء و دعوتهم و احتججت عليهم، فدعونى إلى أن أصبر للجلاد - إلى آخره مثل ما نقله عن أبى مخنف مع اختلاف يسير^{١٥٢}.

و قال ابن ميثم ابن ميثم - شرح نهج البلاغه - ج ١ ص ٣٣٣ بعد الأولى: تمام الخطبة هكذا: أيها الناس ان الله افترض الجهاد فعظمه و جعله نصرته و ناصره، و الله ما صلحت دنيا و لا دين إلا به، و قد جمع الشيطان حزبه و استجلب خيله، و من أطاعه ليعود له دينه و سننه و خدعه و قد رأيت امورا قد تمخضت، و الله ما أنكروا على منكرا و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا، و إنهم ليطلبون حقاً تركوه و دما سفكوه، فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبتهم منه، و إن كانوا ولوه دونى فما الطلبة إلا قبلهم، و إن أول عدلهم لعلى أنفسهم و لا اعتذر مما فعلت، و لا أتبرأ مما صنعت، و إن معى لبصيرتى ما لبست و لا لبس على و إنها للفتنة الباغية فيها الحم و الحمة، طالت جلبتها و انكفت جونتها، ليعودن الباطل فى نصابه، يا خيبة الداعى من دعا لو قبل ما أنكر من ذلك و ما امامه و فى من سنته و الله اذن لزاح الباطل عن نصابه و انقطع لسانه، و ما أظن الطريق له فيه واضح حيث نهج، و الله ما تاب من قتلوه قبل موته، و لا تنصل من خطيئته. و ما اعتذر اليهم فعدروه، و لا دعا فنصروه، و ايم الله لافرطن لها

^{١٥٠} (١) نهج البلاغة ١: ٥.

^{١٥١} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٠٥ - ٣٠٦، أمالى الشيخ الطوسى - الأمالى - ج ١ ص ١٧١ و ١٧٢ الطوسى ١: ١٧١ - ١٧٢.

^{١٥٢} (١) الكافى ٥: ٥٣ - ٥٤.

حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه برى و لا يعيون حسوه أبدا و انها لطيفة نفسى بحجة الله عليهم و علمه فيهم و إني داعيهم فمعدر اليهم، فإن تابوا و قبلوا و أجابوا و أنابوا، فالتوبة مبدولة و الحق مقبول و ليس على كفى، و إن أبوا أعطيتهم حدّ السيف، و كفى به شافيا من باطل و ناصرا لمؤمن، و مع كل صحيفة شاهدها و كاتبها، و الله أن الزبير و طلحة و عايشة ليعلمون أنّى على الحق و أنّهم مبطلون^{١٠٥٣}.

ص: ٣٦٢

قلت: كان عليه ان ينقله فى الثانى لأنه تضمن جميع فقرات الثانى مع زيادة، و لم ينقل فى الثانى شيئا فهو غفل كما غفل المصنّف. و كيف كان فبعض فقرات ما نقل بلا محصل و قد رواه (الإرشاد) صحيحا. ففى (الارشاد):

و استجلب خيله و شبه فى ذلك، و خدع و قد بانت الامور و تمحصت و الله ما أنكروا^{١٠٥٤}.

و فيه: فىا خيبة للداعى و من دعا لو قيل له: إلى من دعوك، و إلى من أجبت، و من إمامك و ما سنته؟ إذن لزاح الباطل عن مقامه و لصمت لسانه فما نطق) ...^{١٠٥٥}.

قال ابن أبى الحديد: و اعلم أنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام و كلام أصحابه و عمّاله فى واقعة الجمل كلّه يدور على هذه المعانى، فمن ذلك خطبة رواها المدائنى عن عبد الله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز اريد العراق فى أول إمارة على عليه السلام فمررت بمكة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت المسجد إذ نودى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس و خرج على عليه السلام متقلدا سيفه فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله و صلّى على رسوله ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لما قبض نبيه صلّى الله عليه و آله و سلّم قلنا: نحن أهلنا و ورتته و عترته و أولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، و لا يطمع فى حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم فصارت الإمرة لغيرنا، و صرنا سوقة يطمع فىنا الضعيف و يتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك و خشنت الصدور و جزعت النفوس، و ايم الله لو لا مخافة الفرقة بين المسلمين و أن يعود الكفر و يبور الدين لكننا على غير ما كنّا لهم، فولى الأمر ولاة لم يألوا الناس خيرا، ثم

ص: ٣٦٣

استخرجتمونى أيها الناس من بيتى، فبايعتمونى على شأن منى لأمركم، و فراسة تصدقنى ما فى قلوب كثير منكم، و بايعنى هذان الرجلان فى أول من بايع - تعلمون ذلك - و قد نكنا و غدرا و نهضا إلى البصرة باعيشة ليفرقا جماعتكم، و يلقيا بأسكم بينكم، اللهم فخذهما بما عملا «أخذة رابية»^{١٠٥٦}، و لا تتعش لهما صرعة و لا تقلهما عثرة و لا تمهلها فوفا، فإنهما يطلبان

^{١٠٥٣} (٢) شرح ابن ميثم ١: ٣٣٣.

^{١٠٥٤} (١) الإرشاد ١: ٢٥١.

^{١٠٥٥} (٢) المصدر نفسه.

^{١٠٥٦} (١) الحاكمة: ١٠.

حقاً تركاه و دما سفكاه، اللهم إني أقتضيك وعدك فإنك قلت و قولك الحق و لمن «بُعِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ»^{١٠٥٧} اللهم فأنجز لي موعدي، و لا تكلني إلى نفسي «إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^{١٠٥٨}.

و قال: و روى الكلبي: أن علياً عليه السلام لما أراد المسير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله و صلى على رسوله: إن الله لما قبض نبيه صلى الله عليه و آله و سلم استأثرت علينا قريش بالأمر و دفعتنا عن حق نحن أحق به من الناس كافةً، فرأيت أن الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين و سفك دماهم و الناس حديثوا عهد بالإسلام، و الدين يمحض محض الوطء، يفسده أدنى و هن و يعكسه أقل خلق، فولى الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ثم انتقلوا إلى دار الجزاء، و الله وليّ تمحيص سيئاتهم و العفو عن هفواتهم، فما بال طلحة و الزبير - و ليسا من هذا الأمر بسبيل - لم يصبرا على حولا و لا شهراً حتى وثبا و مرقا و نازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً، بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أما قد فطمت، و يحييان بدعة قد اميتت، آدم عثمان زعماً؟! و الله ما التبعة إلا عندهم و فيهم و إن أعظم حجتهم

ص: ٣٦٤

لعلي أنفسهم، و أنا راض بحجة الله عليهم و علمه فيهم، فإن فاء و أنابا فحظهما أحرزا و أنفسهما غنما و أعظم بهما غنيمه، و إن أبا أعطيتهما حدّ السيف و كفى به ناصر الحق و شافيا لباطل. ثم نزل^{١٠٥٩}.

و قال: و روى أبو مخنف عن زيد بن صوحان قال: شهدت علياً عليه السلام بذي قار و هو معتمّ بعمامة سوداء، ملتف بساج يخطب، فقال في خطبة: الحمد لله على كل أمر و حال في الغدو و الآصال، و أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً عبده و رسوله صلى الله عليه و آله و سلم ابتعته رحمة للعباد و حياة للبلاد حين امتلات الأرض فتنة و اضطرب حبلها و عبد الشيطان في أكنافها، و اشتمل إبليس عدو الله على عقائد أهلها، فكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي اطفأ الله به نيرانها، و أخدم به شرارها و نزع به أوتادها و أقام به ميلها، امام الهدى و النبي المصطفى، فلقد صدع بما امر به و بلغ رسالات ربه، فأصلح الله به ذات البين، و آمن به السبل و حقن به الدماء و آلف به بين ذوى الضغائن الواغرة في الصدور، حتى أتاه اليقين. ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده، ثم استخلف الناس عثمان فنال منكم و نلت مني، حتى إذا كان في أمره ما كان أتيتموني لتبايعوني فقلت: لا حاجة لي في ذلك. و دخلت منزلي فاستخرجت مني، فقبضت يدي فبسطتموها و تداككتم عليّ حتى ظننت أنكم قاتلي، و أن بعضكم قاتل بعض فبايعتموني و أنا غير مسرور بذلك و لا جذل، و قد علم الله سبحانه أنني كنت كارها للحكومة بين أمة محمد صلى الله عليه و آله و سلم و لقد سمعته يقول صلى الله عليه و آله و سلم: «ما من وال يلي شيئاً من أمر أمتي إلا أتى به يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه على رؤس الخلائق، ثم ينشر كتابه فإن كان عادلاً نجاً، و إن كان جائراً هوى» حتى اجتمع عليّ ملائكم، و بايعني طلحة و الزبير و أنا أعرف الغدر

ص: ٣٦٥

^{١٠٥٧} (٢) الحج: ٦٠.

^{١٠٥٨} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٧-٣٠٨، و الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

^{١٠٥٩} (١) المصدر نفسه ١: ٣٠٨-٣٠٩.

فى أوجههما، و النكث فى أعينهما، ثم استأذنانى فى العمرة فأعلمتهما ان لىس العمرة ىریدان، فسارا إلى مكة و استخفا عایشة و خدعاها، و شخص معهما أبناء الطلقاء، فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمین و فعلوا المنكر، و یا عجا لاستقامتهما لأبى بكر و عمر و بغیها علىّ، و هما یعلمان أنّى لست دون أحدهما- و لو شئت أن أقول لقلت- و لقد كان معاویة كتب إلیهما من الشام كتابا یخدعهما فیه، فكتماه عنى و خرجا یوهمان الطعام أنّهما یطلبان بدم عثمان، و الله ما أنكرا علىّ منکرا و لا جعلنا بینى و بینهم نصفًا، و إنّ دم عثمان لمعصوب بهما و مطلوب منهما، یا خبیبة الداعى إلام دعا و بما ذا اجیب، و الله إنّهما لعلی ضلالة صماء و جهالة عمیاء، و إنّ الشیطان قد ذمر لهما حزبه، و استجلب منهما خيله و رجله، لیعید الجور إلى أوطانه و یرد الباطل إلى نصابه- ثم رفع یدیه فقال:- اللهم إنّ طلحة و الزبیر قطعانى و ظلمانى و آلبا علىّ و نكنا بیعتى، فاحلل ما عقدا و انكث ما أبرما و لا تغفر لهما أبدا، و أرهما المساءة فى ما عملا و أملا.

فقام إلیه الأشتر فقال: الحمد لله الذى منّ علینا فأفضل، و أحسن إلینا فأجمل، قد سمعنا كلامك و لقد أصبت و وفقت، و أنت ابن عمّ نبینا و صهره و وصیّه، و أول مصدّق به و مصلّ معه، شهدت مشاهدته كلّها فكان لك الفضل فیهما علىّ جمیع الأمة، فمن اتبعك أصاب حظّه و استبشر بقلجه، و من عصاك و رغب عنك فالى امّه الهاویة، لعمری ما أمر طلحة و الزبیر و عایشة علینا بمخیل، و لقد دخل الرجلان فى ما دخلا فیه و فارقا علىّ غیر حدث أحدثت و لا جور صنعت، فان زعما أنّهما یطلبان بدم عثمان فلیقیدا من أنفسهما، فإنّهما أول من آلب علیه و أغرى الناس بدمه، و اشهد الله لئن لم یدخلا فى ما خرجا

ص: ٣٤٤

منه لنلحقنهما بعثمان، فإن سیوفنا فى عواتقنا و قلوبنا فى صدورنا ... ١٠٦٠.

قلت: إنّّه و إن نقلها للأول إلا أنّها اشتملت علىّ الثانى و الثالث أيضا قوله علیه السّلام فى الأول.

«ألا و إنّ الشیطان قد ذمر» أى: حتّ.

«حزبه و استجلب جلیه» أى: جمع جمعه، و مثله قوله فى الثالث.

«ألا و إنّ الشیطان قد جمع حزبه و استجلب خيله و رجله» أى: صاح بركابه و مشاته، و الأصل فیه قوله تعالى للشیطان: «وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَبْلِكَ وَ رَجِلِكَ» ١٠٦١.

ثم الغریب أن ابن أبى الحدید لم یتفطن أنّ الثالث فى طلحة و الزبیر أيضا، فقال فى قوله علیه السّلام: «و ان الشیطان قد جمع حزبه»: یمکن أن یرید علیه السّلام بالشیطان الشیطان الحقیقى، و أن یرید به معاویة ١٠٦٢.

١٠٦٠ (١) شرح ابن أبى الحدید ١: ٣٠٩-٣١١.

١٠٦١ (٢) الإسراء: ٦٤.

١٠٦٢ (٣) شرح ابن أبى الحدید ١: ٢٣٩.

قوله عليه السّلام فى الأوّل: «ليعود الجور الى أوطانه و يرجع الباطل إلى نصابه» أى: أصله كما فعلوا ذلك يوم السقيفة و يوم الدار، فحالوا بينه عليه السّلام و بين حقّه هربا من عدله عليه السّلام فيهم و منعهم من الجور و الباطل.

قوله عليه السّلام فى الأوّل و الثانى: «و الله ما أنكروا على منكرا» حتى تقضوا بيعتى، بل أنكروا التزامه عليه السّلام بالمعروف حتى انّ المغيرة بن شعبه - الذى كان منافقا و اعتزل أمير المؤمنين عليه السّلام و لحق بالطائف أيامه، فلم ينصره عليه السّلام لعرفانه بدعائه و أنّه لا يستقر أمره لعداوة قريش و بنى أمية، و لم يحاربه عليه السّلام لعرفانه بأسه و شجاعته - أنكر عليهم ذلك.

ص: ٣٦٧

ففى (خلفاء ابن قتيبة): لما أشرف المغيرة مع سعيد بن العاص على طلحة و الزبير و عايشة و من معهم أقبل المغيرة عليهم و قال: أيها الناس إن كنتم إنّما خرجتم مع أمكم فارجعوا خيرا لكم، و إن كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان، و إن كنتم نقتم على على شيئا فبيئوا ما نقتم عليه، انشدكم الله فتنين فى عام واحد^{١٠٦٣}! «و لا جعلوا بينى و بينهم نصفا» إذ قتلوا عثمان و نسبوا قتله إليه عليه السّلام، ثم إن ابن أبى الحديد أغرب فقال فى شرح الفقرة فى الأوّل: النصف الذى ينصف.

و قال الراوندى: «النصف النصف» و لا معنى لقوله «و لا جعلوا إنصافا فى البين»^{١٠٦٤} و فى الثانى: النصف و الإنصاف، قال الفرزدق:

بنو عبد شمس من قريش و هاشم

و لكن نصفا لو سببت و سبى

و هو على حذف المضاف أى: ذا نصف - فما أنصفه^{١٠٦٥}.

«و إنهم ليطلبون حقا هم تركوه» هكذا فى (المصرية)^{١٠٦٦} فى الأوّل و الثانى و لكن فى (شرح ابن ميثم) فى الأوّل «حقا تركوه» بدون «هم»^{١٠٦٧}.

«و دما هم سفكوه» قال حسان:

^{١٠٦٣} (١) الإمامة و السياسة ١: ٦٣.

^{١٠٦٤} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٠٤.

^{١٠٦٥} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٣.

^{١٠٦٦} (٤) نهج البلاغة ١: ٥٥، و ٢: ٢٧.

^{١٠٦٧} (٥) شرح ابن ميثم ١: ٣٣٣.

و في (خلفاء ابن قتيبة): لما حاصر أهل الكوفة و أهل مصر عثمان ليلا و نهارا، كان طلحة يحرض الفريقين و يقول لهم: إنَّ عثمان لا يبالي ما

ص: ٣٦٨

حصرتموه و هو يدخل عليه الطعام و الشراب، فامنعوه أن يدخل عليه^{١٠٦٨}.

قوله في الأوّل: «فلئن كنت شريكهم فيه» هكذا في (المصرية)^{١٠٦٩}، و لكن في (ابن ميثم): «فان كنت شريكهم فيه»^{١٠٧٠}، مثله في الثاني.

«فإن لهم لنصيبهم منه» قال ابن أبي الحديد: روى الذين صنفوا في واقعة الدار: أن طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن أعين الناس، يرمى الدار بالسهم^{١٠٧١}.

و قال: و روى: أنه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها و تسوروا منها على عثمان داره فقتلوه^{١٠٧٢}.

و قال: و روى أيضا: أن الزبير أيضا يقول: اقتلوه فقد بدل دينكم. فقالوا:

إن ابنك يحامي عنه بالباب. فقال: ما أكره أن يقتل عثمان و لو بدىء بابني، إن عثمان لجيفة على الصراط غدا^{١٠٧٣}.

و قال: و روى: أن عثمان قال: ويلي على ابن الحضرمية - يعني طلحة - أعطيته كذا و كذا بهارا ذهبيا و هو يروم دمي و يحرض على نفسي^{١٠٧٤}.

^{١٠٦٨} (١) الإمامة و السياسة ١: ٣٨.

^{١٠٦٩} (٢) نهج البلاغة ١: ٥٥.

^{١٠٧٠} (٣) شرح ابن ميثم ١: ٣٣٣.

^{١٠٧١} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٥.

^{١٠٧٢} (٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٥ - ٣٦.

^{١٠٧٣} (٦) المصدر نفسه ٩: ٣٦.

^{١٠٧٤} (٧) المصدر نفسه ٩: ٣٥.

و فى (الطبرى): عن عبد الرحمن بن ابرى قال: رأيت اليوم الذى دخل فيه على عثمان، فدخلوا من دار عمرو بن حزم من خوخة هناك، فوالله ما نسييت

ص: ٣٤٩

أن خرج سودان بن حمران يقول: أين طلحة، قد قتلنا ابن عفان^{١٠٧٥}؟

قوله عليه السلام فى الأول: «و لئن كانوا ولّوه دونى فما التبعة إلّا عندهم و إنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم» و فى (شرح ابن ميثم): «ان كانوا»^{١٠٧٤} كما فى الثانى.

«و إن كانوا ولّوه دونى فما الطلبة إلّا قبلهم و إنّ أول عدلهم للحكم على أنفسهم» فى (خلفاء ابن قتيبة): تكلم الزبير فى ملاً من قريش فقال: هذا جزاؤنا من على، قمنا له فى أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب و سببنا له القتل، و هو جالس فى بيته و كفى الأمر، فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا ...^{١٠٧٧}.

و فى (جمل المفيد): روى سليمان بن عبد الله بن عويمر الأسلمى عن ابن الزبير قال: سمعت عمّارا يقول لأصحابنا: ما تريدون و ما تطلبون؟ فناديناها:

نطلب بدم عثمان، فإن خليتيم بيننا و بين قتلته رجعنا. فنادانا عمّار: قد فعلنا، هذه عايشة و طلحة و الزبير قتلوه عطشاننا، فابدءوا بهم، فإذا فرغتم منهم تعالوا إلينا نبذل لكم الحق. فأمسك و الله أصحاب الجمل كلهم^{١٠٧٨}.

و لم يذكر عليه السلام شقاً ثالثاً و هو توليته دونهم لأنه أمر لا يمكنهم التفوه بذلك لأنه واضح البطلان، فمن يدعى باطلا إن كان عاقلاً لا بدّ أن يدعى ما يمكنه التلبيس فيه دون ما لا يمكن، و تصديهما و التحريض على قتله كان أمراً معلوماً شاهده جميع الناس، و إنّما اتهموه عليه السلام بشراكته، لأنه آوى قاتليه و لم ينههم عن قتله، و لما سألوه عن رأيه فى قتله قال: ما ساءنى. و هو إنّما يدلّ على رضاه دون دخالته.

و مما يوضح رضاه قول الأشر له عليه السلام- و هو من أخص أصحابه:- إنّ

ص: ٣٧٠

طلحة و الزبير إن لم يرجعا لنلحقنهما بعثمان. كما مر عن أبى مخنف.

^{١٠٧٥} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٧٩، سنة ٣٥.

^{١٠٧٤} (٢) شرح ابن ميثم ١: ٣٣٣.

^{١٠٧٧} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٥١.

^{١٠٧٨} (٤) الجمل للمفيد: ٣٦٥.

قوله عليه السّلام فى الأوّل: «يرتضعون أمّا قد فطمت» فى (خلفاء ابن قتيبة): قام عثمان بن حنيف عامل على عليه السّلام على البصرة- لمّا سمع بدنوّ طلحة و الزبير- فقال: أيّها الناس إنّما بايعتم الله، يد الله فوق أيديكم «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»^{١٠٧٩} و الله لو علم على عليه السّلام أنّ أحدا أحقّ بهذا الأمر منه ما قبله، و ما به إلى أحد من الصحابة حاجة و ما بأحد منه غنى، و لقد شاركهم فى محاسنهم و ما شاركوه فى محاسنه، و لقد بايعه هذان الرجلان و ما يريدان الله، فاستعجلا الفطام قبل الرضاع، و الرضاع قبل الولادة و الولادة قبل الحمل^{١٠٨٠}.

«و يحيون بدعة قد اميتت» فعمر بايع أبا بكر، ليكون شريكه فى أمره و ليرد الأمر إليه بعده ففعل، و كتب عثمان- و كان كاتب أبى بكر- استخلاف أبى بكر لعمر فى غشوته، و إن أفاق و أمضاه ليدبر عمر له فى استخلافه، فدبر له مع كونه من بنى امية، و كون سوابقه الدفاع عن أعداء الله حتى لا يقتلهم النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم بجعل شورى، و أنّه من بنى عبد مناف كعلّى، و جعل ابن عوف زوج اخته حكما، فحكم ابن عوف لعثمان ليردّ الأمر إليه و يكون شريكه كعمر مع أبى بكر، إلّا أنّ عثمان لم يعرف غير بنى أبيه فالّ الأمر بينهما بالفساد. و قد كان عليه السّلام دعا عليه لما فوّض الأمر إلى عثمان فقال له: «دقّ الله بينكما عطر منشم» فكان يسعى فى عزله بعد نصبه إلى أن مات قبله، فبايعه عليه السّلام طلحة و الزبير أوّل الناس بهذا الطمع، إلّا أنّه عليه السّلام لم يكن أهل ذاك و كانوا يعرفونه بذلك، و لذلك اتفقوا على دفعه عن الأمر يوم السقيفة و يوم الشورى، إلّا أنّهم

ص: ٣٧١

بعد قتل عثمان لم يمكنهم دفعه، لأنّ شوق الناس إليه كان بحيث كاد أن يقتل بعضهم بعضا فى السبقة إليه، إلّا أنّ الطمع يسلب العقل، فقالا له عليه السّلام: إنّنا بايعناك على أنّا شركاؤك فى الأمر. و قال طلحة بعد قول الزبير المتقدم: ما اللوم إلّا لنا، إنّنا كنّا ثلاثة من أهل الشورى- أى: هما مع سعد- كرهه أحدنا و بايعناه، و أعطيناه ما فى أيدينا و منعنا ما فى يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا.

«يا خبيبة الداعي» من الاجابة.

«من دعا» أى: إلى طلب دم عثمان. إنّما دعا إليه طلحة و الزبير اللذان حنّا على قتله، و دعا إليه من كان مثلهما فى الحثّ على قتله عايشة، و كانت مأمورة بنص القرآن بالقرار فى بيتها، و بنص النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم لها أنّ تكون صاحبة كلاب الحوآب.

سبحان الله من هؤلاء المنتمين إلى السنّة القاتلين بجلال هؤلاء من ذاك اليوم إلى يومنا، و هل باطل أوضح من هذا؟- إلّا أنّ لازم كونهم أهل سنّة- سنّة أبى بكر و عمر- ذلك و لا غرو، يقول تعالى: «وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَ

^{١٠٧٩} (١) الفتح: ١٠.

^{١٠٨٠} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٦٣-٦٤.

حَسْرَتْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا»^{١٠٨١} - وإلّا فكون أهل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أهل عصمة و طهارة و مثل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فى كلِّ صفة بنص القرآن و السنة المتواترة و إجماع مخالفيهم فضلا عن موافقيهم، و كون جميع أمتهم معدن كل عوار و مثلبة، و كون أولهم كآخريهم، و كون أبى بكر و عمر كعثمان، و عثمان كبنى امية فى عداوتهم لله و لرسوله و أهل بيت نبيه من أوضح الواضحات.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): أتى طلحة و الزبير عبد الله بن خلف فقال لهما:

ص: ٣٧٢

إنه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه فى عثمان شىء إلّا و قد بلغ أهل العراق، و قد كان منكما فى عثمان من التخليب و التأييب ما لا يدفعه جحود، و لا ينفعكما فيه عذر، و أحسن الناس فيكما قولاً من أزال عنكما القتل و ألزكما الخذلان، و قد بايع الناس علياً بيعة عامة، و الناس لا قوكمما غدا فما تقولان؟

فقال طلحة: نكر القتل و نقر بالخذلان، و لا ينفع الإقرار إلّا مع الندم، و لقد ندمنا على ما كان منا. و قال الزبير: نقول: بايعنا علياً و السيف على أعناقنا، حيث تواتب الناس بالبيعة إليه دون مشورتنا، و لم نصب عثمان قتلاً خطأ فيجب علينا الدية، و لا عمدا فيجب علينا القصاص. فقال لهما: عذركما أشد من ذنبكما^{١٠٨٢}.

و فيه: جاء جارية بن قدامة إلى عايشة فقال لها: قتل عثمان كان أهون علينا من خروجك على هذا الجمل الملعون^{١٠٨٣}.

«و إلام» و فى نسخة (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٠٨٤}: «و إلى ما».

«اجيب» أى: اجيب إلى الطلب بدم عثمان الذى استحل المؤمنون دمه، و منع المسلمون من دفنه فى مقابر المسلمين، ففى (جمل المفيد): روى عبد الله بن رباح مولى الأنصار بن زياد مولى عثمان قال: خرج عمّار يوم الجمل إلينا فقال: يا هؤلاء على أى شىء تقاتلوننا؟ فقلنا: على أن عثمان قتل مؤمنا. فقال عمّار: نحن نقاتلكم على أنه قتل كافرا. و الله لو ضربتمونا حتى نبلى سعات هجر لعلنا آنا على الحقّ و أنكم على الباطل. و الله ما نزل تأويل هذه الآية: «يا أيّها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم»

ص: ٣٧٣

«و يحبونه»^{١٠٨٥} إلّا اليوم^{١٠٨٦}.

^{١٠٨١} (١) الأنعام: ١١١.

^{١٠٨٢} (١) الإمامة و السياسة ١: ٦١ - ٦٢.

^{١٠٨٣} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٦٩.

^{١٠٨٤} (٣) فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٠٣، و شرح ابن ميثم ١: ٣٣٢ «إلام» أيضا.

و فى (صفيين نصر): قال عمرو بن العاص لعمار: هل كنت مع من قتل عثمان؟ قال: كنت مع من قتله و أنا اليوم أقاتل معهم. فقال عمرو: فلم قتلتموه؟

قال عمار: أراد أن يغير ديننا فقتلناه. فقال عمرو لمن معه: ألا تسمعون، قد اعترف بقتل عثمان؟ قال عمار: و قال قبلك فرعون لقومه: «أ لا تستمعون»^{١٠٨٧}.

هذا و فى (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا: أن عبد الله بن عامر لحق بالشام و لم يأت معاوية، فبعث إليه معاوية أن يأتيه و ألح عليه، فكتب إليه ابن عامر:

اخبرك أنى أقحمت طلحة و الزبير إلى البصرة، و أنا أقول: إذا رأى الناس أم المؤمنين مالوا إليها، و إن فر الناس لم يفر الزبير، و إن غدر الناس لم يغدر مروان. فغضبت عايشة و رجع الزبير و قتل مروان طلحة و ذهب مالى بما فيه، و الناس أشباه، و اليوم كأمس. فكتب إليه معاوية: فإنك قلدت أمر دينك قتلة عثمان، و أنفقت مالك لابن الزبير و آثرت العراق على الشام، فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين، ليس لك حظ الحق و لا ثار القتل^{١٠٨٨}.

«و إنى لراض بحجة الله عليهم و علمه فيهم» فى (جمل المفيد): روى الواقدى عن عمر بن على قال: لما سمع أبى عليه السلام أصوات الناس يوم الجمل و قد ارتفعت، قال لابنه محمد: ما يقولون؟ قال: يقولون: يا ثارات عثمان. فقال عليه السلام:

فقاتلوهم صابرين محتسبين، فالكتاب معكم و السنة معكم، و من كانا معه فهو القوى^{١٠٨٩}.

ص: ٣٧٤

«فإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف» روى الواقدى - كما فى (الجمل) للمفيد - عن محمد بن على قال: رمقت لضرب أبى و لحظته، فاذا هو يورد السيف و يصدره و لا أرى فيه دما، و إذا هو يسرع اصداره فيسبق الدم، و صاح أبى بمحمد بن أبى بكر: اقطع البطان. فقطعه، و تلقوا اليهودج فكان الحرب و الله جمره صبّ عليها الماء^{١٠٩٠}.

و روى ابراهيم بن نافع - كما فيه - عن سعيد بن أبى هند عمّن حضر الجمل: أن عليا عليه السلام قاتل يومئذ أشد القتال، و سمعوه و هو يقول: تبارك الله الذى أذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع^{١٠٩١}.

^{١٠٨٥} (١) المائة: ٥٤.

^{١٠٨٦} (٢) الجمل للمفيد: ٣٦٦ و قريب منه ما فى وقعة صفين: ٣٢٢ و الشافى فى الإمامة ٤: ٣٥٥.

^{١٠٨٧} (٣) وقعة صفين: ٣٣٨ - ٣٣٩.

^{١٠٨٨} (٤) الإمامة و السياسة ١: ٨٨ - ٨٩.

^{١٠٨٩} (٥) الجمل للمفيد: ٣٥٧ - ٣٥٨.

^{١٠٩٠} (١) الجمل للمفيد: ٣٦٠ - ٣٦١.

^{١٠٩١} (٢) الجمل للمفيد: ٣٦١.

و فى (الطبرى) - فى عنوان كثرة قتلى يوم الجمل - قال الزبير بن الحرث: قلت لأبى لييد: لم تسبّ عليّا؟ قال: ألا أسبّ رجلا قتل منّا ألفين و خمسمائة، و الشمس ها هنا^{١٠٩٢}.

«و كفى به شافيا من الباطل و ناصرا للحق» قالوا عليهم السّلام: لا يقيم الناس على الحقّ إلّا السيف^{١٠٩٣}. و قيل فيه من الشعر:

فى حدّه الحدّ بين الجدّ و اللعب

السيف أصدق أنباء من الكتب

محا السيف ما قال ابن داره اجمعا

«و من العجب بعثهم» هكذا فى (المصرية)^{١٠٩٤}، و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{١٠٩٥}: «بعثهم».

ص: ٣٧٥

«إلىّ أن أبرز للطعان» بالرماح.

«و أن أصبر للجلاد» بالسيوف.

«هبلتهم الهبول» بالفتح أى: ثكلتهم الثكول.

«لقد كنت و ما أهدّد بالحرب و لا ارهب بالضرب» مرت هاتان الجملتان فى (١٣) من الفصل من أول العنوان قوله هنا.

«و إنيّ لعلّى يقين من ربّي و غير شبهة من ديني» و فى الثانى و الثالث: «و إنّ معى لبصيرتى ما لبست على نفسى و لا لبس على» فى (الصحيح): اللبس: مصدر لبست عليه الأمر خلطت، من قوله تعالى: «و لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ»^{١٠٩٦}.

كان ابن عمر و سعد و محمّد بن مسلمة لبسوا على أنفسهم فاعتزلوه عليه السّلام، فحاجّهم عمّار و أتمّ عليهم الحجّة.

ففى (الخلفاء) ذكروا: أنّ عمّارا أتى ابن عمر بعد استيذانه عليّا عليه السّلام فقال له: إنّه بايع عليا عليه السّلام المهاجرون و الأنصار، و من إن فضلناه عليك لم يسخطك، و إن فضلناك عليه لم يرضك، و قد أنكرت السيف فى أهل الصلاة، و قد علمت

^{١٠٩٢} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٥٤٥، سنة ٣٦.

^{١٠٩٣} (٤) نواب الأعمال: ٢٢٦ بإسناده إلى أبى عبد الله عليه السّلام.

^{١٠٩٤} (٥) نهج البلاغة ١: ٥٥.

^{١٠٩٥} (٦) فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٣٠٣ و شرح ابن ميثم ١: ٣٣٢ «بعثهم» أيضا.

^{١٠٩٦} (١) الصحيح ٣: ٩٧٣، مادة: (لبس)، و الآية ٩ من سورة الأنعام.

أنّ على القاتل القتل و على المحصن الرجم، و هذا يقتل بالسيف و هذا بالحجارة. فقال: إنّ أبى جمع أهل الشورى فكان أحقّهم بها علىّ عليه السّلام، غير أنّه جاء أمر فيه السيف و لا أعرفه، و لكن و الله ما أحبّ أنّ لى الدنيا، و أنّى أضمرت عداوة علىّ عليه السّلام.

فأتى بمحمد بن مسلمة فقال: يا عمّار لو لا ما فى يدى من النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لبايعت عليّاً، و لو أنّ الناس كلهم عليه لكنت معه. فقال له عمّار: أفتريد من النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قولاً بعد قوله فى حجّة الوداع «دماؤكم و أموالكم حرام إلّا بحدث»، أفتقول: لا تقاتل المحدثين؟ قال: حسبك.

ص: ٣٧٦

ثم أتى سعداً فكلمه، فأظهر الكلام القبيح فانصرف إلى على عليه السّلام فقال عليه السّلام له: دع هؤلاء الرهط، أمّا ابن عمر فضعيف، و أمّا سعد فحسود، و ذنبي إلى محمّد بن مسلمة أنّى قتلت أخاه^{١٠٩٧}.

قوله عليه السّلام فى الثانى: «و إنّها للفتنة الباغية» قال ابن أبى الحديد: لام التعريف فى الفتنة يشعر بأنّ نصّاً كان عنده: أنّه سيخرج عليه فتنة باغية و لم يعين له وقتها و لا كلّ صفاتها، بل بعض علاماتها، فلمّا خرج أصحاب الجمل و رأى تلك العلامات فيهم قال ذلك^{١٠٩٨}.

قلت: بل الظاهر أنّ قوله عليه السّلام: «و إنّها للفتنة الباغية» إشارة إلى قوله تعالى: «فإنّ بعثت إحداهما على الأخرى فقاتلوا اللّتى تبغى حتّى تفيء إلى أمر الله»^{١٠٩٩}.

ثم إنّ عليه السّلام كان يعلم تفاصيل تلك الفتنة، فروى نصر بن مزاحم - كما فى (جمل المفيد) - مسنداً عن زيد بن ابن عباس قال: أبطأ خبر أهل الكوفة علينا و نحن فى فلاة، فأخبرت علياً عليه السّلام بذلك فقال لى: اسكت يا بن عباس، فو الله لتأتين فى هذين اليومين من الكوفة سنة آلاف و ستمائة رجل، و لتغلبن أهل البصرة و ليقتلنّ طلحة و الزبير. قال ابن عباس: فو الله إنّى أستشرف الأخبار و أستقبلها، حتى إذا أتى ركب فاستقبلته و استخبرته فأخبرنى بالعدة التى سمعتها منه عليه السّلام لم ينقص واحد^{١١٠٠}.

و إنّما كان الزبير و عايشة أخبرهما النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم من أمر الجمل، و أنّهم من أهل البغى و أهل الفتنة، و من الفتنة الباغية، فلمّا اتفق لهم ما اتفق، و رأوا

ص: ٣٧٧

^{١٠٩٧} (١) الإمامة و السياسة ١: ٥٣-٥٤.

^{١٠٩٨} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٧.

^{١٠٩٩} (٣) الحجرات: ٩.

^{١١٠٠} (٤) الجمل للمفيد: ٢٩٣، تاريخ الطبرى ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦، شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٨٧.

العلامات فيهم من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعائشة «تنبحك كلاب الحوآب» و قوله عليه السّلام للزبير: «تقاتل عليًا و أنت له ظالم» فهموا أنّهم المرادون.

ففي (الخلفاء): لما انتهوا إلى ماء الحوآب في الطريق و معهم عائشة نبحتها كلاب الحوآب، فقالت لمحمد بن طلحة: أيّ ماء هذا؟ قال: ماء الحوآب، قالت: ما أراني إلّا راجعة. قال: و لم؟ قالت: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنسائه: «كأني بإحدكن تنبحها كلاب الحوآب». فقال لها محمد: تقدمي و دعي هذا القول...^{١١١}.

و في (العقد): عن شريك عن الأسود بن قيس قال: حدّثني من رأى الزبير يوم الجمل يقمص الخيل بالرمح قعصا، فنوّه به على عليه السّلام: أ تذكر يوما أتانا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و أنا أناجيك، فقال: «أ تناجيه، و الله ليقاتلنك و هو ظالم لك؟» فصرف الزبير وجهه دابته و انصرف^{١١٢}.

«فيها الحما و الحمّة» الظاهر أنّ الحمّة: إشارة بعائشة، و الحما: بطلحة ابن عمّ أبيها- فأبو بكر ابن أبي قحافة بن عامر بن عمرو، و طلحة ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو- و بالزبير زوج اختها أسماء، قال ابن دريد: الحما: مصدر حامى عنه، يقال: أنا الحما لك و الفداء. و هما كانا حاميا عنها و بها نهضا^{١١٣}.

قال ابن أبي الحديد: قد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعلم عليا عليه السّلام بأنّ فتنة من المسلمين تبغى عليه أيام خلافته، فيها بعض زوجاته و بعض أحمائه، فكّنى على عليه السّلام عن الزوجة بالحمّة، و هي اسم العقرب، و الحما بالألف المقصورة كناية عن الزبير لأنّ كلّ ما كان بسبب الرجل فهم الاحماء، واحدهم حما، مثل:

قفا و اقفاء، و ما كان بسبب المرأة فهم الاحمات، فأما الأصهار فيجمع الجهتين،

ص: ٣٧٨

و كان الزبير ابن عمّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و ظهر أنّ الحما الذي أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الزبير ابن عمّته^{١١٤}.

قلت: قوله: «و بعض أحمائه» لا معنى له لأنّه لم يقل أحد إنّ الأحماء بمعنى مطلق الأقرباء، حتى يكون المعنى بعض أقربائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و هو الزبير ابن عمّته، و إنّما الاحماء أقرباء زوج المرأة، فعن عائشة: ما كان بيني و بين علي عليه السّلام إلّا ما كان بين المرأة و أحمائها.

^{١١١} (١) الإمامة و السياسة ١: ٦٣.

^{١١٢} (٢) العقد الفريد ٥: ٧١.

^{١١٣} (٣) جمهرة اللغة ٢: ١٠٥٢، مادة: (حما).

^{١١٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٤.

و قال امرؤ القيس:

إذا ما عدّ أربعة فسال

فزوجك خامس و حماك سادى^{١١٠٥}

و معنى فسال: ضعاف، و معنى سادى: سادس.

و قال آخر:

هى ما كنتى و تزعم

أنى لها حمو^{١١٠٦}

و الكنة: امرأة الابن.

و قال آخر:

قلت لبواب لدى دارها

تتذن فإنى حموها و جارها^{١١٠٧}

و أمّا قول ابن دريد فى الحمو: «حمو الرجل: أبو امرأته أو أخوها أو عمّها»^{١١٠٨}، و نقل البيهقي الأولين، فوهم أو تصحيف، لأن البيهقي يدلّان على خلاف قوله، و لأنّه قال بعد فى (حمى): أحماء المرأة أهل زوجها^{١١٠٩}. كما أن قول

ص: ٣٧٩

ابن أبى الحديد: «و ما كان بسبب المرأة فهم الاحمات»^{١١١٠} أيضا بلا معنى، و إنّما حماء المرأة أمّ زوجها، و كأنّه أراد أن يقول: «فهم الاختان»، فقال: الاحمات.

^{١١٠٥} (٢) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ٥٧٣، مادة: (حمو).

^{١١٠٦} (٣) المصدر نفسه.

^{١١٠٧} (٤) الصحاح للجوهري ٦: ٢٣١٩، مادة: (حمى).

^{١١٠٨} (٥) جمهرة اللغة ١: ٥٧٣، مادة: (حمو).

^{١١٠٩} (٦) جمهرة اللغة ٢: ١٠٥٢، مادة: (حما).

قال الجوهري: كل شيء من قبل الزوج مثل الأب والأخ فهم الاحماء، وكل شيء من قبل المرأة فهم الاختان، والصهر يجمع هذا كله^{١١١١}.

وكيف كان، فروى ابن بابويه باسناده عن عبد الرزاق عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف عن ابن مسعود قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: من يغسلك إذا مت؟

قال: يغسل كل نبي وصيه. قلت: من وصيك؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبي طالب. قلت:

كم يعيش بعدك؟ قال: ثلاثين سنة، فإن يوشع وصى موسى عليه السلام عاش بعده ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى فقالت: أنا أحق بالأمر منك. فقاتلتها وقتل مقاتلتها وأسرها فأحسن أسرها، وإن بنت أبي بكر ستخرج على علي عليه السلام في كذا وكذا ألفا من أمتي فيقاتلها ويقتل مقاتلتها ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^{١١١٢} يعني بالجاهلية الأولى: صفراء بنت شعيب^{١١١٣}.

وعن الحميدى فى (الجمع بين الصحيحين): عن ابن عمر: قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً فأشار إلى نحو مسكن عايشة وقال: ها هنا الفتنة - ثلاثاً - منه يطلع قرن الشيطان.

قلت: والظاهر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال ثلاث مرات: ها هنا الفتنة. لأنها كانت منشأ الفتنة قبل الجمل أيضاً، يوم بعث أباهما يصلى بالناس فى مرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجعله رفيقه الفاروق شبهه لاستخلافه، وبعد الجمل فى منعها من

ص: ٣٨٠

دفن الحسن عليه السلام عند جدّه^{١١١٤}.

وروى الواقدي - كما فى (جمل المفيد) -: أن أبا بكره أقبل يريد أن يدخل مع طلحة والزبير، فلما رأى تدبير عايشة لهما رجع عنهما وقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: - وقد ذكر ملكة سبأ - لا أفلح قوم تدبرهم امرأة^{١١١٥}.

«و الشبهة المغدقة» أى: الوسيعه الغزيرة.

^{١١١٠} (١) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٤.

^{١١١١} (٢) الصحاح ٦: ٢٣١٩، مادة: (حمى).

^{١١١٢} (٣) الأحزاب: ٣٣.

^{١١١٣} (٤) كمال الدين ١: ٢٧.

^{١١١٤} (١) صحيح البخارى ٨: ٩٥، صحيح مسلم ٨: ١٨١.

^{١١١٥} (٢) الجمل للمفيد: ٢٩٧، وقريب منه ما فى تلخيص الشافى ٤: ١٦٤، وشرح ابن أبى الحديد ٦: ٢٢٧.

«وإنَّ الأمرَ لَوَاضِحٌ وَقد زاح» من زاح يزيع أى: بعد و ذهب.

«الباطل عن نصابه» أى: أصله.

«و انقطع لسانه عن شغبه» أى: تهييجه للشر، فى (جمل المفيد): لَمَّا سار عليه السَّلام من ذى قار قدّم صعصعة بكتاب إلى طلحة و الزبير و عايشة يعظّم عليهم حرمة الاسلام، و يخوفهم فى ما صنعوا من قتل من قتلوا و يدعوهم إلى الطاعة، قال صعصعة: فبدأت بطلحة و أعطيته الكتاب، فقال: الآن حين عض ابن أبى طالب الحرب ترقق لنا. ثم جئت إلى الزبير فوجدته أليّن من طلحة، ثم جئت إلى عايشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشرّ، فقالت: نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان و الله لأفعلن و أفعلن. فعدت فلقيته عليه السَّلام قبل أن يدخل البصرة فقال لى: ما وراءك؟ قلت: رأيت قوما لا يريدون إلّا قتالك. قال: الله المستعان.

ثم دعا ابن عباس و قال له: انطلق إليهم و ذكّرهم العهد الذى فى رقابهم.

قال: فبدأت بطلحة فقال: لقد بايعت و اللج على رقبتى. قال: فقلت: أنا رأيتك بايعت طائعا، أو لم يقل لك قبل بيعتك إن أحببت أبايعك؟ فقلت: لا بل نحن نبايعك. فقال: إنّما قال ذلك لى و قد بايعه قوم فلم أستطع خلافهم، أما علمت أنّى جئت إليه و الزبير و لنا من الصحبة ما لنا و القدم فى الإسلام، و قد أحاط به

ص: ٣٨١

الناس قياما على رأسه بالسيف فقال لنا- يهزل-: إن أحببتما بايعت لكما. فلو قلنا: نعم، أفتراه يفعل و قد بايع الناس له، يخلع نفسه و يبائعنا، لا و الله ما كان يفعل و حتى ان يغرى بنا من لا يرى لنا حرمة فبايعناه كارهين، و قد جئنا نطلب بدم عثمان، فقل لابن عمك: إن يريد حقن الدماء و إصلاح أمر الامّة فليمكّننا من قتلة عثمان، فهم معه، و يخلع نفسه و يرد الأمر ليكون شورى، و إن أبى أعطيناها السيف. قال: فقلت له: لست تنصف، ألم تعلم أنّك حصرت عثمان حتى مكث عشرة أيام يشرب ماء بثره، حتى كلّمك على عليه السَّلام فى أن تخلّى الماء له و أنت تأبى ذلك، و لَمَّا رأى أهل مصر فعلك و أنت من الصحابة، دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه؟

ثمّ بايع الناس رجلا له من السابقة و الفضل و القرابة من النبى صلى الله عليه و آله و سلّم و البلاء العظيم ما لا يدفع، و جئت أنت و صاحبك طائعين غير مكرهين حتى بايعتما ثم نكثتما، فعجب و الله إقراارك لأبى بكر و عمر و عثمان بالبيعة، و وثبك على علىّ عليه السَّلام، فو الله ما على عليه السَّلام دون أحد منكم، و أمّا قولك: يمكننى من قتلة عثمان. فما يخفى عليك من قتل عثمان؟ و أمّا قولك: إن أبى علىّ فالسيف. فو الله إنّك لتعلم أنّ عليّا عليه السَّلام لا يتخوّف. فقال طلحة: دعنا من جدالك. فخرجت إلى على عليه السَّلام و قد دخل البيوت، فقال: ما وراءك؟ فأخبرته، فقال: ... اللهمَّ «أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا» «وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ»^{١١٦}.

قوله عليه السَّلام فى الثالث: «و ايم الله لأفرطن» من (أفرطت المزادة ملاتها).

^{١١٦} (١) الجمل للمفيد: ٣١٤-٣١٦، و نقله الشارح بتصرّف، و الآية ٨٩ من سورة الأعراف.

«لهم حوضاً» قال العماني:

حوضاً بمكة واسع الأركان

و ابن السقاء إذا الحجيج تفارطوا

«أنا ماتحه» أي: مستقيه، و الماتح: الذي ينزع الدلو، و بئر متوح: قريبة

ص: ٣٨٢

المنزح كأنها تمتح بنفسها.

«لا يصدرون عنه و لا يعودون إليه» و قوله عليه السلام في الثاني. «و أيم الله لأفرطن حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون برى» في (الصحاح): يقال: من أين ريتكم مفتوحة الرأء أي: من أين ترتوون الماء^{١١١٧}؟

«و لا يعبّون» العب: شرب الماء بغير مص.

«بعده في حسي» بالكسر، قال الجوهري: الحسى: ما تنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلابة أمسكته، فيحفز عنه الرمل فيستخرج^{١١١٨}.

في (العقد): كان عدى بن حاتم فقئت عينه يوم الجمل فقال له ابن الزبير:

متى فقئت عينك؟ قال: يوم قتل أبوك و هربت عن خالتك، و أنا للحق ناصر و أنت له خاذل^{١١١٩}.

و روى الجاحظ: أن الحسن عليه السلام دخل على معاوية و عنده ابن الزبير، و كان معاوية يحب أن يغرى بين قريش، فقال: يا أبا محمد أيهما أكبر سنّاً عليّ عليه السلام أم الزبير؟ فقال عليه السلام: ما أقرب بينهما و عليّ عليه السلام أسنّ من الزبير رحم الله عليا. فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير- و هناك أبو سعيد بن عقيل- فقال: يا عبد الله و ما يهيجك من أن يترحم الرجل على أبيه؟ قال: و أنا أيضا ترحمت على أبي. قال: أ تظنّه ندا له و كفوا؟ قال: و ما يقعد به من ذلك، كلاهما من قريش، كلاهما دعا إلى نفسه و لم يتم له. قال: دع ذا يا عبد الله إنّ عليّاً عليه السلام من قريش و من الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم حيث تعلم، و لمّا دعا إلى نفسه اتبع فيه و كان رأسا. و دعا الزبير إلى أمر كان الرأس فيه امرأة، و لما تراءت الفئتان نكص على عقبيه

^{١١١٧} (١) الصحاح ٦: ٢٣٦٤، مادة: (روى).

^{١١١٨} (٢) الصحاح ٦: ٢٣١٣، مادة: (حسا).

^{١١١٩} (٣) العقد الفريد ٤: ١٢٠.

و ولي مدبرا قبل أن يظهر الحقّ فيأخذه الحق، أو يدحض الباطل فيتركه، فأدرکه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر، فضرب عنقه و أخذ سلبه و جاء برأسه، و مضى على عليه السّلام قدما كعادته مع ابن عمه الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم رحم الله عليا. فقال ابن الزبير: أما لو غيرك يا أبا سعيد تكلم بهذا لعلم، فقال: إن الذي تعرض به - يعنى الحسن عليه السّلام - يرغب عنك.

و اخبرت عايشة بمقاتلتهم، و مر أبو سعيد بفنائها، فنادته: أنت القاتل لابن اختي كذا؟ فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئا، فقال: إن الشيطان يراک و لا تراه. فضحكت و قالت: لله أبوك ما أدلق لسانك^{١١٢٠}.

و روى كتاب مصعب إلى عبد الملك و جواب عبد الملك له، و فى جوابه: ثم دعا الناس إلى على و بايعه أبوك، فلما دانت له امور الامّة، و أجمعت له الكلمة أدركه الحسد القديم لبني عبد مناف، فنقض عهده و نكث بيعته بعد توكيدها، ففكر و قدر و قتل كيف قدر، و مزقت لحمه السباع بوادى الضباع^{١١٢١}.

و فى (الطبرى) عن ابن عباس قال: خرج أصحاب الجمل فى ستمائة معهم عبد الرحمن بن أبى بكره و عبد الله بن صفوان الجمحى، فلما جازوا بئر ميمون إذا هم بجزور قد نحرت، و نحرها ينشعب فتطيرا^{١١٢٢}.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): أن عليا عليه السّلام دعا طلحة و الزبير و أتمّ عليهما الحجّة، ثم سئل عليه السّلام بم كلمتهما؟ فقال عليه السّلام: إن شأنهما لمختلف، أمّا الزبير فزاده اللجاج و لن يقا تلکم، و أمّا طلحة فسألته عن الحق فأجابنى بالباطل، و لقيته باليقين فلقينى بالشك، فو الله ما نفعه حقى و لا ضرّنى باطله، مقتول غدا

فى الرعيّل الأوّل^{١١٢٣}.

و روى أبو مخنف عن جندب بن عبد الله قال: مررت بطلحة و معه عصابة يقاتل بهم، و قد فشت فيهم الجراح و كثرهم الناس، فرأيتهم جريحا و السيف فى يده و أصحابه يتصدعون عنه رجلا فرجلا و اثنين فاثنين، و هو يقول: الصبر الصبر فإن بعد الصبر

^{١١٢٠} (١) نقله ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ١١: ١٩ - ٢٠.

^{١١٢١} (٢) نقله ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ١١: ١٨ - ١٩، و نقله الشارح بتلخيص.

^{١١٢٢} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٥٤، سنة ٣٦.

^{١١٢٣} (١) الإمامة و السياسة ١: ٧١ - ٧٢، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

النصر و الأجر. فقلت له: النجا ثكلتك أمك، فوالله ما اجرت و لا نصرت، و لكنك هزمت و خسرت. ثم صحت بأصحابه فانزعروا عنه - إلى أن قال -: قلت له: و إن دمك لحلال ...^{١١٢٤}.

و روى المدائني قال: لما أدبر طلحة و هو جريح يرتاد منزلا، و جعل يقول لمن يمرّ به من أصحاب علي عليه السلام: أنا طلحة من يجيرني - يكررها -.

فكان الحسن البصرى إذا ذكر ذلك قال: لقد كان في جوار عريض^{١١٢٥}.

و روى الكلبي: أن العرق الذي أصابه السهم من طلحة إذا أمسكه بيده استمسك، و إذا رفع يده عنه سال، فقال طلحة: هذا سهم أرسله الله، و كان أمر الله قدرا مقدورا، ما رأيت كالיום دم قرشى أضيع. و كان الحسن البصرى إذا حكى له هذا يقول: ذق عقق^{١١٢٦}.

هذا و فى (الأغانى): نهض النبي صلى الله عليه و آله و سلم فى بدر بإشارة الحباب بن منذر عليه بأن يأتى أدنى ماء من مياه القوم ينزله و يعور^{١١٢٧} ما سواه من القلب، ثم بينى عليه حوضا فيملؤه ماء، ثم يقاتلهم فيشرب و لا يشربون - و فعل النبي صلى الله عليه و آله و سلم ما قال - فأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض - إلى أن قال :-

ص: ٣٨٥

و خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومى حين الحرب، فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتنّ دونه.

فلما خرج خرج له حمزة^{١١٢٨} فلما التقيا ضربه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه و هو دون الحوض، فوقع على ظهره، تشخب^{١١٢٩} رجله دما، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه - يريد أن يبرّ يمينه، و أتبعه حمزة فضربه حتى قتله فى الحوض^{١١٣٠}.

١٦

الكتاب (٥٥) و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

^{١١٢٤} (٢) أورده ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ٩: ١١٤ - ١١٥.

^{١١٢٥} (٣) المصدر نفسه ٩: ١١٥.

^{١١٢٦} (٤) المصدر نفسه ٩: ١١٤.

^{١١٢٧} (٥) عور عين الركبة إذا كبسها و أفسدها حتى نضب الماء. (أساس البلاغة: ٣١٦، مادة: عور).

^{١١٢٨} (١) هو حمزة بن عبد المطلب.

^{١١٢٩} (٢) شخب المائع: درّ و سال. المصباح المنير ١: ٣٦٩، مادة: (شخب).

^{١١٣٠} (٣) الأغانى ٤: ١٨٣ - ١٨٩، سيرة ابن هشام ٢: ٢٧٢ - ٢٧٧، بتصرف و تلخيص من الشارح.

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا - وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا - وَلسْنَا لِلدُّنْيَا خُلُقْنَا وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أَمْرًا - وَإِنَّمَا وَضِعْنَا فِيهَا لِنَبْتَلِيَ بِهَا - وَقَدْ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي - فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ - فَعَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا بَتَاوِيلَ؟ الْقُرْآنُ؟ - فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي - وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ؟ الشَّامُ؟ بِي - وَالْأَبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلُكُمْ وَ قَائِمُكُمْ فَاعِدُكُمْ - فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ وَ نَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ - وَ اصْرَفْ إِلَى الْآخِرَةِ وَجْهَكَ - فَهِيَ طَرِيقُنَا وَ طَرِيقُكَ - وَ اخْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللَّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ - تَمَسُّ الْأَصْلَ وَ تَقَطُّعُ الدَّابِرَ - فَإِنِّي أَوْلَى لَكَ بِاللَّهِ إِلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ - لَتُنْ جَمَعْتَنِي وَ إِيَّاكَ جَوَامِعُ الْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحْتِكَ - «حَتَّى يَحْكُمَ»

ص: ٣٨٦

«اللَّهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» «أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ» هكذا في (المصرية) ١١٣١، و الصواب:

(جعل) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة) ١١٣٢، إِلَّا أَنَّ الْمَصْرِيَّةَ جَعَلَتْ (قد) بين قوسين، و هو دأبها فيما تأخذه من (شرح ابن أبي الحديد) و ليس فيه، و لعل نسختها كانت مشتتة عليه.

«الدنيا لما بعدها» لأنها مزرعتها و متزودتها.

«و ابتلى فيها أهلها ليعلم أيهم أحسن عملاً» «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» ١١٣٣.

«و لسنا للدنيا خلقنا و لا بالسعي فيها» أي: لها.

«امرنا» بل بالسعي للآخرة «وَ ابْتَغِ فِيهَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَ لَا تَنْسَ نَفْسِيكَ مِنَ الدُّنْيَا» ١١٣٤.

«و قد ابتلاني الله بك» هكذا في (المصرية) ١١٣٥، و الصواب: (و قد ابتلاني بك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطبة) ١١٣٦، و الضمير راجع إلى الله في قوله: «فإن الله».

«و ابتلاك بي» كابتلاء موسى بفرعون و فرعون بموسى و محمد صلى الله عليه و آله و سلم بأبي جهل و أبي جهل بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم.

«فجعل أحدنا حجة على الآخر» كون المعصوم حجة على الناس يجب عليهم

١١٣١ (١) نهج البلاغة ٣: ١٢٣.

١١٣٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥، شرح ابن ميثم ٥: ١٩٠.

١١٣٣ (٣) الملك: ٢.

١١٣٤ (٤) القصص: ٧٧.

١١٣٥ (٥) نهج البلاغة ٣: ١٢٣.

١١٣٦ (٦) في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥ و شرح ابن ميثم ٥: ١٩٠: «و قد ابتلاني الله بك أيضا».

اتباعه معلوم، و أمّا كون غيره حجّة عليه فبمعنى أنّه إن سكت عن عطفه إلى الحق وكفه عن الباطل يكن مؤاخذا عند الله.

روى الكشّي في أبي الخطاب عن مصادف قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام لما لبي القوم الذين لبوا بالكوفة له عليه السلام، فأخبرته بذلك فخرّ ساجدا و دق جوجؤه بالأرض و بكى و يقول: بل عبدقنّ صاغر- مرارا كثيره- ثمّ رفع رأسه و دموعه تسيل على لحيته، فقلت: جعلت فداك و ما عليك أنت من ذا؟

فقال: يا مصادف إن عيسى عليه السلام لو سكت عمّا قالت النصارى فيه، لكان حقّا على الله أن يصمّ سمعه و يعمي بصره، و لو سكت عمّا قال فيّ أبو الخطاب لكان حقّا على الله أن يصمّ سمعي و يعمي بصري^{١١٣٧}.

«فعدوت على الدنيا» هكذا في (المصرية)^{١١٣٨}، و الصواب: (على طلب الدنيا) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيئة)^{١١٣٩}، قال ابن أبي الحديد:

«عدوت» بمعنى: تعديت و ظلمت. و «على الدنيا»: متعلّق بمحذوف، أي:

مثابرا على طلب الدنيا^{١١٤٠}.

قلت: بل الظاهر أنّ «عدوت» هنا من قولهم (ذئب عدوان)، أي: يعدو على الناس فلا يحتاج إلى تقدير.

«بتأويل القرآن» قال ابن أبي الحديد: أراد عليه السلام به ما كان يموّه به معاوية على أهل الشام بأنّه ولي عثمان، و قال تعالى: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا»^{١١٤١}، ثم يعدهم الظفر على العراق بقوله تعالى:

«فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا»^{١١٤٢}.

قلت: و مع ذلك أشار عليه السلام إلى قوله تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زِينَةٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ»^{١١٤٣}.

^{١١٣٧} (١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي) ٢: ٥٨٧-٥٨٨ ح ٥٣١.

^{١١٣٨} (٢) نهج البلاغة ٣: ١٢٣.

^{١١٣٩} (٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥، و لكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٥: ١٩٠ «على الدنيا» أيضا.

^{١١٤٠} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٦.

^{١١٤١} (٥) الإسراء: ٣٣.

^{١١٤٢} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٦، و الآية ٣٣ من سورة الاسراء.

و فى (صفيين نصر): أن عمّارا قام بصفيين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون فى ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما فى كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لأحدائهم. فقالوا: ما أحدث شيئا، و ذلك لأنّه مكّنهم من الدنيا، فهم يأكلونها و يرعونها و لا يبالون لو انهدت عليهم الجبال، و الله ما أظنّهم يطلبون الله، إنّهم ليعلمون إنّهم لظالم، و لكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها و استمروها، و علموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها، و لم يكن للقوم سابقة فى الإسلام يستحقون بها الطاعة و الولاية، فخدعوا أتباعهم بأنّ قالوا: قتل إمامنا مظلوما، ليكونوا بذلك جبابرة و ملوكا، و تلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون، و لو لا هى ما بايعهم من الناس رجلا^{١١٤٤}.

«فطلبتنى بما لم تجن» بكسر النون، من (جنى يجنى) من الجناية.

«يدى» بمباشرة لقتل.

«و لا لسانى» بالأمر لآخر بالقتل، و معلوم أنّه عليه السّلام لم يباشره، و لا أمر به كما فعل طلحة و الزبير، بل جلس فى بيته و اعتزل الناس. و لمّا خدع معاوية

ص: ٣٨٩

شرحيبيل و هيّا له رجالا يشهدون عنده أن عليا عليه السّلام قتل عثمان، كتب جرير إلى شرحيبيل أبياتا منها:

و قال ابن هند فى علىّ عضيّه	و لله فى صدر ابن أبى طالب أجل
و ما لعلّى فى ابن عفّان سقطه	بأمر و لا جلب عليه و لا قتل
و ما كان إلّا لازما قعر بيته	إلى أن أتى عثمان فى بيته الأجل
فمن قال قولا غير هذا فحسبه	من الزور و البهتان قول الذى احتمل
وصىّ رسول الله من دون أهله	و فارسه الأولى به يضرب المثل ^{١١٤٥}

«و عصبته» أى: شدّدته.

^{١١٤٣} (٢) آل عمران: ٧.

^{١١٤٤} (٣) وقعة صفين: ٣١٩.

^{١١٤٥} (١) وقعة صفين: ٤٦ - ٤٩.

«أنت و أهل الشام بي» فى (صفين نصر): بعث معاوية الى عمرو بن العاص و قال له: إني أدعوك الى جهاد هذا الرجل الذى قتل الخليفة، و أظهر الفتنة و فرق الجماعة و قطع الرحم. قال عمرو: الى جهاد من؟ قال: الى جهاد على.

فقال عمرو: و الله يا معاوية ما أنت و على بعكمى بغير^{١١٤٦}، مالك هجرته و لا سابقته و لا صحبته و لا جهاده و لا فقهاءه و لا علمه، و لكن لك مع ذلك جدًا و جدودا و حظًا و حظوة، فما تجعل لى إن شايعتك على حربه، و أنت تعلم ما فيه من الغرر و الخطر؟ قال: حكمك. قال: مصر طعمة- الى أن قال:- فقال له عمرو إن رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندى، و هو عدو جريير الذى أرسله على إليك، فأرسل إليه و وطن له ثقاتك، فليفشوا فى الناس أن عليًا قتل عثمان، و ليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل، فإنها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب، و أن تعلق بقلبه لم يخرجه شىء أبدا.

ص: ٣٩٠

فكتب معاوية الى شرحبيل: أن جرييرا قدم علينا من عند على بأمر فطيح فاقدم. و دعا يزيد بن أسد و بسر بن أرطاة و عمر بن سفيان و مخارق بن الحرث و حمزة بن مالك و حابس بن سعد- و هم رؤساء قحطان و اليمن، و كانوا ثقات معاوية و خاصته و بنى عم شرحبيل- فأمرهم أن يلقوه و يخبروه أن عليا قتل عثمان، فلما قدم قال له معاوية: إن جرييرا يدعوننا الى بيعة على، و على خير الناس لو لا أنه قتل عثمان و حبست نفسى عليك، و إنما أنا رجل من أهل الشام، أرضى ما رضوا و أكره ما كرهوا. فقال شرحبيل: أنا أخرج فانظر. فخرج فلقبه هؤلاء النفر الموطنون له، فكلمهم يخبره أن عليا قتل عثمان. فخرج مغضبا الى معاوية، فقال: يا معاوية أبى الناس إلا أن عليا قتل عثمان. و الله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك. قال معاوية: ما كنت لاخالف عليكم، إن أنا إلا رجل من أهل الشام. قال: فاردد هذا الرجل الى صاحبه. فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته فى حرب أهل العراق، و أن الشام كله مع شرحبيل^{١١٤٧}.

«و الألب» و التاليب: التحريض.

«عالمكم جاهلكم و قائمكم قاعدكم» فى (صفين نصر): بعث معاوية الى شرحبيل: إنه قد كان من إجابتك الحق و قبله عنك صلحاء الناس ما علمت، و أن هذا الأمر لا يتم إلا برضاء العامة، فسر فى مدائن الشام و ناد فيهم: بأن عليا قتل عثمان، و أنه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه. فسار فبدأ بأهل حمص، فقام خطيبا- و كان مأمونا فى أهل الشام ناسكا متألها- فقال: أيها الناس إن عليا قتل عثمان، و قد غضب له قوم فقتلهم على و هزم الجميع و غلب على الأرض، فلم يبق إلا الشام، و هو وادع سيفه على عاتقه، ثم

ص: ٣٩١

^{١١٤٦} (٢) العكمان: عدلان يشدان على جانبي الهودج بنوب، و من أمثالهم قولهم: هما كعكمى البعير. يقال: للرجلين يتساويان فى الشرف. لسان العرب ٩: ٣٤٤، مادة: (عكم).

^{١١٤٧} (١) وقعة صفين: ٣٧-٤٧، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

خائض به غمار الموت حتى يفنيكم أو يحدث الله له أمرا، و لا نجد أحدا أقوى على قتاله من معاوية، فجدّوا فأجابه الناس الانساک من حمص.

و جعل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها، لا يأتي قوم إلّا قبلوا ما أتاهم به^{١١٤٨}.

«فاتق الله في نفسك و نازع الشيطان قيادك» و لا تدعه يقودك حيث شاء و (القياد): حبل يقاد به الدابة.

«و اصرف الى الآخرة وجهك فهي طريقنا و طريقك» «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ»^{١١٤٩}.

«و احذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة» أي: شديدة.

«تمسّ» هكذا في النسخ^{١١٥٠}، و الظاهر كونه محرّف (تحس) أي: تستأصل.

«الأصل» قال ابن أبي الحديد: «تمسّ الأصل» أي: تقطعه. و منه ماء مسوس، أي: يقطع الغلة^{١١٥١}.

قلت: لم يقل أحد: إن المس يجيء بمعنى القطع، و أمّا الماء المسوس فقال الجوهري: هو الذي بين العذب و الملح قال الشاعر:

لو كنت ماء كنت لا عذب المذاق و لا مسوسا^{١١٥٢}

«و تقطع الدابر» أي: الآخر و الباقي، و قطع دابر أمر معاوية بأخذ الله تعالى لابنه يزيد أخذ عزيز مقتدر.

«فإني أولى» من الايلاء، أي: اقسام.

ص: ٣٩٢

«لك بالله أليّة» أي: قسما، قال الشاعر:

^{١١٤٨} (١) المصدر نفسه: ٥٠-٥١.

^{١١٤٩} (٢) الزمر: ٣٠-٣١.

^{١١٥٠} (٣) نهج البلاغة ٣: ١٢٤، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥، شرح ابن ميثم ٥: ١٩٠.

^{١١٥١} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٧.

^{١١٥٢} (٥) الشاعر هو ذو الإصبع العدواني، و البيت في الصحاح ٣: ٩٧٩-٩٧٨، مادة: (مسس).

و الألياء: جمع الأليئة.

«غير فاجرة» أى: كاذبة، قال الجوهري: فجر أى: كذب، و أصله الميل، قال الشاعر^{١١٥٤}: و إن أخرت فالكفل فاجر.

أى: مقعد الرديف مائل^{١١٥٥}.

«لئن جمعتنى و إياك جوامع الأقدار لا أزال» أى: دائما.

«بياحتك» أى: ساحتك، و فى (ابن ميثم)^{١١٥٦} (ساحتك).

«حتى يحكم الله بيننا و هو خير الحاكمين» و لما قال معاوية لجريز: اكتب الى صاحبك يجعل لى الشام و مصر جباية، و اكتب إليه بالخلافة، كتب إليه الوليد بن عقبة:

على طمع يزجى إليك الدواهيا

و إن كتابا يا بن حرب كتبتة

و لو نلتة لم تبق إلّا لياليا

سألت عليّا فيه ما لن تناله

بقاء فلا تكثر عليك الأمانيا

و سوف ترى منه الذى ليس بعده

و قد كان ما جربت من قبل كافيا؟!

أمثل على تعتريه بخدعة

حداك ابن هند منه ما كنت حاذيا^{١١٥٧}

و لو نشبت أظفاره فيك مرة

ص: ٣٩٣

^{١١٥٣} (١) أورده الجوهري فى الصحاح ٦: ٢٢٧١، مادة: (ألا).

^{١١٥٤} (٢) هو لبيد يخاطب عمّه أبا مالك.

^{١١٥٥} (٣) الصحاح ٢: ٧٧٨، مادة: (فجر).

^{١١٥٦} (٤) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٥: ١٩٠ «بياحتك» أيضا.

^{١١٥٧} (٥) وقعة صفتين: ٥٢-٥٣.

الكتاب (٤) و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا؟ أبا بكر؟ و؟ عمر؟ و؟ عثمان؟- عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيَّ- فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ- وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ- وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ- فَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَيَّ رَجُلٌ وَ سَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا- فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ- بَطَعْنَ أَوْ بَدَعَهُ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ- فَإِنْ أَبِي قَاتَلُوهُ عَلَيَّ اتَّبَاعَهُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ- وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى- وَ لَعَمْرِي يَا؟ مُعَاوِيَةُ؟ لَئِنْ نَظَرْتُ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ- لَتَجِدَنَّيَ أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ؟- وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُ- إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَأَ لَكَ وَالسَّلَامُ أَقُولُ: الَّذِي يَفْهَمُ مِنْ (صَفِينِ نَصْرِ بْنِ مِزَاحِمٍ- وَقَعَةُ صَفِينِ- ص ٢٩ نَصْر) وَ (أَخْبَارِ الدِّينُورِيِّ- الْأَخْبَارِ الطُّوَالِ- ص ١٥٦ وَ ١٥٧ الدِّينُورِيِّ) أَنْ أَوَّلَ مَا فِي الْمَتْنِ إِلَى قَوْلِهِ: «أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ»، كِتَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ مَعَ جَرِيرِ الْبَجَلِيِّ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ، وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ: «وَ لَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عَزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنَّ مَا بَدَأَ لَكَ»، جِزَاءَ كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ أَخِيرًا مَعَ أَبِي مُسْلِمِ الْخَوْلَانِيِّ^{١١٥٨}.

ففي (أخبار الدينوري): فسار جرير إلى معاوية بكتاب على عليه السلام، فقدم عليه فألفاه و عنده وجوه أهل الشام، فناوله كتاب على عليه السلام و قال: هذا كتاب على عليه السلام إليك و إلى أهل الشام، يدعوكم إلى الدخول في طاعته، فقد اجتمع له الحرمان و المصران و الحجازان و اليمن و البحرين و عمان و اليمامة و مصر و فارس و الجبل و خراسان، و لم يبق إلا بلادكم هذه، و إن سال عليها

ص: ٣٩٤

و أدمن من أوديته غرقها.

و فتح معاوية الكتاب ففيه: أما بعد، فقد لزمك و من قبلك من المسلمين بيعتي، و أنا بالمدينة و أنتم بالشام لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان، فليس للشاهد أن يختار و لا للغائب أن يرد، و إنما الأمر في ذلك للمهاجرين و الأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل مسلم فسموه إماما كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم أحد بطعن فيه أو رغبة عنه، رد إلى ما خرج منه، فإن أبي قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، و ولَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى و يصله جهنم و ساءت مصيرا، فادخل فيما دخل فيه المهاجرون و الأنصار، فإن أحب الامور إلىّ فيك و في من قبلك العافية، فإن قبلتها و إلا فأذن بحرب. و قد أكثرت في قتله عثمان، فادخل ما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إلىّ أحملك و إيَّاهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريد فخذعة الصبي عن الرضاع^{١١٥٩}.

و مثله (صفين نصر) و زاد بعد «و ساءت مصيرا»: و أن طلحة و الزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي و كان نقضهما كردتهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق و ظهر أمر الله و هم كارهون- و زاد في آخره- و لعمرى لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ

^{١١٥٨} (١) وقعة صفين: ٢٩، الأخبار الطوال: ١٥٧.

^{١١٥٩} (١) الأخبار الطوال: ١٥٦-١٥٧.

قريش من دم عثمان. و اعلم أنك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة، و لا تعرض فيهم الشورى^{١١٦٠}. و مثله (خلفاء ابن قتيبة- الإمامة و السياسة- ج ١ ص ٩٣ ابن قتيبة)^{١١٦١}.

و روى (اخبار الدينوري)- بعد ذكر كتاب معاوية إليه عليه السلام مع أبي مسلم الخولاني- أنه عليه السلام كتب جوابه معه: أما بعد فإن أخا خولان قد قدم عليّ

ص: ٣٩٥

بكتاب منك، تذكر فيه قطع رحمة عثمان و تأليبي الناس عليه، و ما فعلت ذلك غير أنه عتب الناس عليه، فمن بين قاتل و خاذل، فجلست في بيتي و اعتزلت أمره إلا أن تتجنى، فتجنّ ما بدا لك^{١١٦٢}.

و رواه (صفيين نصر) مع إضافات^{١١٦٣}.

و في (العقد) في عنوان (أخبار علي و معاوية): و كتب عليّ عليه السلام إلى معاوية بعد وقعة الجمل: أما بعد، فإن بيعتي بالمدينة لزمتمك و أنت بالشام لأنه بايعني الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان علي ما بايعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، و لا للغائب أن يرد- الي- لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان، و اعلم أنك من الطلقاء ... إلخ بدون قوله (و لتعلمن ...) ^{١١٦٤}.

و في (خلفاء القتيبي) في عنوان (كتاب علي عليه السلام إلى معاوية مرة ثانية) أيضا ذكره مثل (العقد)^{١١٦٥}.

«إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر و عمر و عثمان علي ما بايعوهم عليه» قال ابن أبي الحديد: هذا الفصل دال على كون الاختيار طريقا إلى الإمامة، لأنه احتجّ ببيعة أهل الحل و العقد لأبي بكر، لأنه لم يبايعه سعد بن عباد و لا أحد من أهل بيته و ولده، و لأنّ عليا عليه السلام و بنى هاشم و من انضوى إليهم لم يبايعوه في مبدأ الأمر، و امتنعوا- و هذا دليل على صحّة الاختيار و كونه طريقا إلى الإمامة- فأما الإمامية فتحمل هذا الكتاب منه عليه السلام على التقيّة، و تقول: إنه ما كان يمكنه أن يصرح لمعاوية في مكتوبه بباطن الأمر، و يقوله أنا منصوص عليّ من النبي صلّى الله عليه و آله و سلم، و معهود إلى المسلمين أن أكون خليفته فيهم بلا فصل،

ص: ٣٩٦

^{١١٦٠} (٢) وقعة صفين: ٢٩.

^{١١٦١} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٩٣.

^{١١٦٢} (١) الأخبار الطوال: ١٦٣.

^{١١٦٣} (٢) وقعة صفين: ٨٨-٩١.

^{١١٦٤} (٣) العقد الفريد ٥: ٨٠.

^{١١٦٥} (٤) الإمامة و السياسة ١: ٩٣.

فيكون في ذلك طعن على الأئمة المتقدمين، و يفسد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة. و هذا القول من الامامية لو عضدها دليل لوجب أن يقال بها و لكن لا دليل لهم^{١١٦٦}.

قلت: دليلهم منع فارقومهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن كتابة وصيته، لأنه علم - كما أقر - أنه أراد أن يكتب ما قاله شفاهها، من حين بعثته الى ساعة وفاته من كونه عليه السَّلام وصيه و خليفته، فمنع عنها و قال: إن الرجل ليهجر، و لا نحتاج إلى وصيته، و إن القرآن يكفيننا. و دليلهم أيضا تخلف فاروقهم و صديقهم عن جيش اسامة، مع لعن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ متخلفيه كرارا، فإنهما علما لو نفرا و لم يتخلفا لبايع الناس من استخلفه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فإن أراد ابن أبي الحديد بالدليل أن ينزل تعالى عليهم كتابا من السماء كما قالوا للنبي «وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزَلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ»^{١١٦٧} فلا دليل كذا لهم، و إلا فلا دليل لهم إذا فرض عدم صحة نبوة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و لا صحة أقواله، و لا حجية أفعاله، و مع عدم صحة الفرض يكون دليلهم بينا، كالدليل على وجود الصانع، و لا يصح مذهبهم إلا إذا بطلت العقول و انفك الملزوم عن اللازم، و ارتفع اللازم و بقي الملزوم، و اجتمع الضدان، و صح النقيضان، و كان لا أثر للتواتر. و بالجملة قال عليه السَّلام ما قال جدلا، فالحكيم يجادل الخصم بما يسكته و يلزمه.

«فلم يكن للشاهد أن يختار و لا للغائب أن يرد» كما في بيعة اولئك حتى إن طلحة مع كونه أحد ستة الشورى، كان غائبا وقت بيعة الناس لعثمان بعد اختيار ابن عوف له، و لم يستطع أن يرد بيعته، مع أنه قال عليه السَّلام ذلك ردا على معاوية، حيث كتب إليه عليه السَّلام - كما في (خلفاء ابن قتيبة) -: لو بايعك القوم الذين

ص: ٣٩٧

بايعوك و أنت برىء من دم عثمان كنت كأبي بكر و عمر و عثمان، و لكنك أغريت بعثمان المهاجرين و خذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل و قوى بك الضعيف، و قد أبى أهل الشام إلا قتالك، حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين، و قد كان أهل الحجاز أعلى الناس و فى أيديهم الحق، فلما تركوه صار الحق فى أيدي أهل الشام. و لعمرى ما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة، و لا حجتك على طلحة و الزبير، لأن أهل البصرة بايعوك و لم يبايعك أحد من أهل الشام، و أن طلحة و الزبير بايعاك و لم يبايعك. - و أمّا فضلك فى الإسلام و قرابتك من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلعمرى ما أذفعه و لا أنكره^{١١٦٨}.

«و إنما الشورى للمهاجرين و الأنصار فإن اجتمعوا على رجل و سموه إماما، كان ذلك لله رضى فإن خرج عن» هكذا فى (المصرية و ابن أبي الحديد)^{١١٦٩}، و الصواب:

^{١١٦٦} (١) شرح ابن أبي الحديد للإسراء ١٤: ٣٦-٣٧.

^{١١٦٧} (٢) ٩٣.

^{١١٦٨} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٠١-١٠٢.

^{١١٦٩} (٢) نهج البلاغة ٣: ٨ شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٥.

(من) كما فى (ابن ميثم و الخطيئة) ١١٧٠.

«أمرهم خارج بطعن أو بدعة» قال ابن أبى الحديد: المشهور المروى «فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة» أى: رغبة عن ذلك الإمام الذى وقع الاختيار له ١١٧١.

قلت: و عليه فكلمة (بدعة) محرّفة (رغبة) و هو الأنسب.

«ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين و وآله الله ما تولى» ما قاله عليه السلام من قوله: «فإن اجتمعوا على رجل و سمّوه اماما ...» و إن كان قاله جدلا، إلّا انه عبّر عليه السلام بما يكون حقًا، واقعا فإنّ الاجماع حجّة لا من

ص: ٣٩٨

حيث هو، بل من حيث دخول المعصوم المأمون من الخطأ فيهم، فممن اجتمع من المهاجرين عليه عليه السلام، و وافقه المهاجرون و الأنصار المؤمنون فى تسميته عليه السلام إماما النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم. و سبحان الله من اولئك الناس و اف لهم، لم يراعوا فى هذا الرجل الجليل لا فضائله النفسانية الموجبة بتقدمه بشهادة العقول، و لا قول الله تعالى فيه عليه السلام فى كتابه فى آيات، و لا نص رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم عليه فى موضع بعد موضع، و لا بيعتهم التى ابتدعوها، فبايعه طلحة و الزبير ثم نكثها بادعائهما عدم بيعتهما، و أبى معاوية الطليق من بيعته بكونه خليفة عمر و ولى عثمان فى دمه.

«و لعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى أبرأ الناس من دم عثمان، و لتعلمن أنّى كنت فى عزلة عنه» قال ابن أبى الحديد: نهى على عليه السلام أهل مصر و غيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مرارا، و نابذهم بيده و لسانه و بأولاده، فلم يغن شيئا ١١٧٢.

قلت: سبحان الله من الرجل إنّه عليه السلام يقول: «كنت فى عزلة عنه»، و هو يقول:

نهى عنه و نابذهم بيده و لسانه و بأولاده. فلم ما أجاب عليه السلام معاوية بذلك، و قد كان فى مقام الدفاع عن تهمة قتله لعثمان؟ و كيف يكتب إليه عليه السلام معاوية- كما فى (أخبار الدينورى)- أن عثمان قتل معك فى المحلة و أنت تسمع من داره الهيعة، فلا تدفع عنه بقول و لا بفعل، و اقسم بالله قسما صادقا لو كنت قمت فى أمره مقاما صادقا فنهت عنه، ما عدل

١١٧٠ (٣) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٥٢ «عن» أيضا.

١١٧١ (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٣٦.

١١٧٢ (١) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٣٧-٣٨.

بك من قبلنا من الناس أحدا^{١١٧٣}؟ إِلَّا أَنَّهُمْ وَضَعُوا أَخْبَارًا فِي دِفَاعِهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ عَنْهُ، حَتَّى لَا يَكُونَ إِمَامَهُمْ مَهْدُورِ الدَّمِ (و هل يصلح العطار ما أفسد الدهر) و كل يقول بهواه دون عقله؟

ص: ٣٩٩

«إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى فَتَجَنِّ مَا بَدَا لَكَ» التَّجَنَّى: نَسْبَةُ الْجَنَائِيَّةِ إِلَى غَيْرِكَ كَذِبًا، قَالَ:

سبقتة طليعة من تجن

و اذا ما الجفاء جهز جيشا

و فى (مفاخرات الزبير بن بكار): اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص و الوليد بن عقبة و عتبة بن أبى سفيان و المغيرة بن شعبة، و قد كان بلغهم عن الحسن عليه السّلام قوارص - إلى أن قال -: قال لهم معاوية: و اعلموا أنّهم أهل بيت لا يعيبيهم العائب، و لا يلصق بهم العار، و لكن اقدفوا الحسن بحجره، و قولوا له:

إِنَّ أَبَاكَ قَتَلَ عَثْمَانَ وَ كَرِهَ خِلَافَةَ الْخُلَفَاءِ^{١١٧٤}.

١٨

فى الكتاب (٩) وَ أَمَّا مَا سَأَلْتِ مِنْ دَفْعِ قَتْلَةِ عَثْمَانَ؟ إِلَيْكَ - فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ - فَلَمْ أَرَهُ يَسْعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَ لَا إِلَى غَيْرِكَ - وَ لَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنِّي وَ شِقَاقِكَ - لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَن قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ - لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَ لَا بَحْرٍ - وَ لَا جَبَلٍ وَ لَا سَهْلٍ - إِلَّا أَنَّهُ طَلَبُ يَسُوءِكَ وَ جِدَانُهُ - وَ زَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لِقِيَانُهُ أَقُولُ: رَوَى (صفين نصر بن مزاحم - وقعة صفين - ص ٨٥ تا ٩١ نصر) - و نقله ابن أبى الحديد ابن أبى الحديد - شرح نهج البلاغة - ج ١٥ ص ٧٣ تا ٧٨ أيضا - عن عمر بن سعد عن أبى ورق قال: جاء أبو مسلم الخولانى فى ناس من قراء أهل الشام إلى معاوية قبل مسيره، فقالوا له: علام تقاتل عليا عليه السّلام و ليس لك مثل صحبتته و لا هجرته و لا قرابته و لا سابقته؟ فقال: إنى لا ادعى ذلك و لكن خبرونى، أستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوما؟ قالوا: بلى. قال: فليدفع إلينا قتلته و لا قتال معه.

قالوا: فاكذب إليه. فكتب مع أبى مسلم إليه عليه السّلام - إلى أن قال فى جوابه عليه السّلام -:

و أمّا ما ذكرت من أمر قتل عثمان فإنى نظرت فى هذا الأمر و ضربت أنفه

ص: ٤٠٠

^{١١٧٣} (٢) الأخيار الطوال: ١٦٢.

^{١١٧٤} (١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ٦: ٢٨٥ - ٢٨٦، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

و عينه، فلم أر دفعهم إليك و لا إلى غيرك، و لعمري لئن لم تنزع عن غيِّك و شقاقك، لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك ان تطلبهم في برّ و لا بحر و لا سهل و لا جبل، و قد كان أبوك أتاني حين ولى الناس أبا بكر، فقال: أنت أحقّ بمقام محمّد و أولى الناس بهذا الأمر، و أنا زعيم لك بذلك على من خالف، ابسط يدك ابايعك. فلم أفعّل، و أنت تعلم أن أباك قال ذلك و أرادته حتى كنت أنا الذى أبييت، لقرب عهد الناس بالكفر مخافة الفرقة بين أهل الاسلام...^{١١٧٥}.

«و أمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإنّي نظرت فى هذا الأمر، فلم أره يسعنى دفعهم إليك و لا إلى غيرك» هذا الكلام يدل على كون عثمان عنده عليه السّلام مهدور الدم، و سقوط القصاص عن قاتليه، و به صرّح شفاها لأبى مسلم الخولانى.

ففى (صفيين نصر) فى ذاك الخبر: أن أبا مسلم الذى جاء بكتاب معاوية إليه عليه السّلام، و كتب عليه السّلام معه هذا الكتاب - قال له عليه السّلام: إنك قد قمت بأمر وليته، و ما احب أنّه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك، إن عثمان قتل مظلوما فادفع إلينا قتلته و أنت أميرنا، فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصرة، و ألسنتنا لك شاهدة، و كنت ذا عذر و حجة - فقال له على عليه السّلام: اغد علىّ غدا فخذ جواب كتابك. فانصرف ثمّ رجع من غد ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذى جاء قبل فلبست الشيعة أسلحتها، ثم غدوا فملئوا المسجد فنادوا كلنا قتلة عثمان، و أكثروا من النداء بذلك، فقال أبو مسلم له عليه السّلام: لقد رأيت قوما مالک معهم أمر. قال عليه السّلام: و ما ذلك؟ قال: بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان، فضجوا و اجتمعوا و لبسوا السلاح، و زعموا أنّهم كلهم قتلة عثمان. فقال على عليه السّلام: و الله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفه عين قط، لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينه، فما رأيته أن ينبغي لى أن أدفعهم إليك و لا إلى غيرك. فخرج أبو

ص: ٤٠١

مسلم و هو يقول: الآن طاب الضراب^{١١٧٦}.

فترى أنّه عليه السّلام أنكر أصل كون عثمان قتل ظلما و توجه قصاص على قاتليه، و لفهم أبى مسلم منه عليه السّلام ذلك قال: الآن طاب الضراب.

و قد عرفت فى ما مرّ تصريحه عليه السّلام لرسل اخر من معاوية إليه، أرادوا إقراره عليه السّلام بكون قتل عثمان ظلما، بأنى ما أقول: إنّه قتل ظلما. فقالوا: إنّا منك براء. و خرجوا من عنده عليه السّلام، فقال عليه السّلام: «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَ لَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ»*^{١١٧٧}.

بل روى الزبير بن بكار فى (موفقياتة): عن عمر بن أبى بكر الدؤلوى، عن عبد الله بن أبى عبيدة بن محمّد بن عمار بن ياسر، قال: بلغنى أن أبا مسلم الخولانى قام إلى معاوية فقال: على ما تقاتل عليا و هو ابن عم رسول الله، و له من القدر فى الاسلام و السابقة و القرابة ما ليس لك، إنّا أنت رجل طليق ابن طليق؟ فقال معاوية: إننى و الله ما اقاتله و أنا ادعى فى الاسلام مثل

^{١١٧٥} (١) وقعة صفين: ٨٥ - ٩١، شرح ابن أبى الحديد: ٧٥ - ٧٣ - ٧٨، و نقله الشارح بتلخيص.

^{١١٧٦} (١) وقعة صفين: ٨٥ - ٨٦، شرح ابن أبى الحديد: ٧٥ - ٧٣ - ٧٥.

^{١١٧٧} (٢) وقعة صفين: ٢٠٠ - ٢٠٢، و الآية ٨٠ من سورة النمل.

الذى يدعى، ولى من الاسلام مثل ماله، و لكنى اقاتله على دم عثمان، فأنا أطلبه بدمه. فخرج أبو مسلم على ناقته فضرب حتى انتهى إلى الكوفة، فأناخها بالكناسة، ثم جاء يمشى حتى دخل على على عليه السلام و الناس عنده، فسلم ثم قال: من قتل عثمان؟

فقال علىّ عليه السلام: الله قتله و أنا معه. فخرج أبو مسلم و لم يكلمه، حتى أتى ناقته فركبها حتى أتى الشام...^{١١٧٨}.

«و لعمري لئن لم تنزع عن غيِّك و شقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك» هو دالّ على أنه يكون لقاتليه أن يقتلوا أولياءه و طالبي تأره، فضلا عن

ص: ٤٠٢

عدم توجه قصاص اليهم.

«و لا يكلفونك طلبهم فى برّ و لا بحر و لا جبل و لا سهل إلّا أنّه طلب يسوؤك وجدانه و زور» بالفتح مصدر زار.

«لا يسرك لقيانه» يناسب كلامه عليه السلام قول الشاعر:

رويد بنى شيبان بعض وعيدكم	تلاقوا غدا خيلي على سفوان
تلاقوا جبار لا تحيد عن الوعى	إذا ما غدت فى المأزق المتداني
تلاقوهم فلتعرفوا كيف صبرهم	على ما جنت فيهم يد الحدتان

رويد أيضا هد بالعراق جيانا	كانك بالضحاك قد قام نادبه
و كناً إذا دب العدو لسخطنا	و راقبنا فى ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهرا بكل مثقب	و أبيض يستسقى الدماء مضاربه
اولئك الالى شقوا العمى بسيوفهم	عن العين حتى أبصر الحق طالبه

^{١١٧٨} (٣) أخبار الموفقيات لابن بكار: ٢٩٩ رقم ١٦١.

في الكتاب (٤٤) وَ قَدْ أَكْثَرَتْ فِي قَتْلَةِ عُثْمَانَ؟ - فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ - أَحْمِلْكَ وَ إِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - وَ أَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ - فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ - وَ السَّلَامُ لِأَهْلِهِ « وَ قَدْ أَكْثَرَتْ فِي قَتْلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِي مَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ، ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَ إِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ » قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: هِيَ حِجَّةٌ صَحِيحَةٌ، إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَسَلِّمْ قَتْلَةَ عُثْمَانَ إِلَى مَعَاوِيَةَ لِأَنَّ الْإِمَامَ يَجِبُ أَنْ يَطَاعَ، ثُمَّ يَتَحَاكَمُ إِلَيْهِ ...^{١١٧٩}.

ص: ٤٠٣

قلت: إنما قال عليه السلام: «أحملك و إياهم على كتاب الله» و لم يقل إذا دخلت في طاعتي اسلم إليك قتلة عثمان، و كيف و هو عليه السلام كان مأواهم و ملجأهم و كانوا خواصه عليه السلام، و معاوية إن لم يدخل في طاعته فبنوا أمية الذين كانوا بالمدينة حضروا لطاعته، و طلبوا منه ذلك، فصرح عليه السلام بكون عثمان مهدور الدم و سقوط القصاص عن قاتليه؟

فقال أبو جعفر الاسكافي: إنه عليه السلام خطب في أول خلافته بأنه يقسم بينهم بالسوية، و أعلمهم بأن يشهدوا المال يقسمه فيهم. فبينما الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير و طلحة فجلسا ناحية عن علي عليه السلام، ثم طلع مروان و سعيد و عبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما، ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم، فتحدثوا نجيا ساعة، ثم قام الوليد بن عقبة فجاء إلى علي عليه السلام فقال: إنك قد و ترتنا جميعا، أمّا أنا فقتلت أبي يوم بدر صبرا، و خذلت أخى يوم الدار بالأمس. و أمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب و كان ثور قريش. و أمّا مروان فسخرت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه، و نحن اخوتك و نظراؤك من بنى عبد مناف، و نحن نبايعك اليوم على أن تضع عنا ما أصبناه من المال أيام عثمان، و أن تقتل قتلتته، و إنّا إن خفناك تركتنا فالتحقنا بالشام. فقال عليه السلام: أمّا ما ذكرتم من و ترى إياكم فالحقّ و تركم. و أمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم و لا عن غيركم. و أمّا قتلى قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ...^{١١٨٠}.

و قد نقله نفسه عند قوله عليه السلام: «دعوني و التمسوا غيري»^{١١٨١}.

ص: ٤٠٤

و روى قريبا منه اليعقوبي^{١١٨٢}.

«و أمّا تلك التي تريد فإنها خدعة الصبي عن اللبن في أول الفصال» روى هذا الكلام (صفيين نصر و خلفاء ابن قتيبة و أخبار الدينوري)^{١١٨٣}، جزء كتابه عليه السلام إلى معاوية مع جرير البجلي كما مرّ في (١٧). و لمّا كتب معاوية إلى شرحبيل بن السمط

^{١١٧٩} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢١.

^{١١٨٠} (١) نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٧: ٣٧ - ٣٩، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{١١٨١} (٢) نهج البلاغة ١: ١٨٢، الخطبة ٩٢.

^{١١٨٢} (١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٨ - ١٧٩.

الكندى بإشارة عمرو بن العاص عليه بذلك ليجمع له كلمة أهل الشام- بأن يوطن له ثقاته فيقولوا له: إن علياً قتل عثمان- و عزم شرحبيل على المسير إلى معاوية بعث عياض اليماني- و كان ناسكا- إلى شرحبيل بهذه الأبيات:

يا شرح يا بن السمط إنك بائع
يا شرح يا بن السمط إنك بائع
يا شرح إن الشام شامك ما بها
يا شرح إن الشام شامك ما بها
فإن ابن حرب ناصب لك خدعة
فإن ابن حرب ناصب لك خدعة
بوذ علي ما تريد من الأمر
بوذ علي ما تريد من الأمر
سواك فدع قول المضلل من فهر
سواك فدع قول المضلل من فهر
تكون علينا مثل راغية البكر^{١١٨٤}
تكون علينا مثل راغية البكر^{١١٨٤}

هذا و مما يناسب كلامه عليه السلام قول الراجز:

برح بالعينين خطاب الكتب
برح بالعينين خطاب الكتب
و إنما بالعينين يخطب عسا من حلب^{١١٨٥}
و إنما بالعينين يخطب عسا من حلب^{١١٨٥}
يقول إني خاطب و قد كذب
يقول إني خاطب و قد كذب

و المراد أنه يجيء باسم الخطبة، و مقصوده الطعنة، و الكتب: ملء القدرح لبنا.

«و السلام لأهله» في (المصرية)^{١١٨٦} أخذاه من (ابن أبي الحديد) مع قوله: «في أوّل الفصال»، حيث جعل الكل بين قوسين إلّا أن كلمة «لأهله» من متفردات

ص: ٤٠٥

(ابن أبي الحديد)^{١١٨٧} و ليست في (ابن ميثم)^{١١٨٨}، (كالخطية).

٢٠

^{١١٨٣} (٢) وقعة صقّين: ٤٤-٤٥، و الإمامة و السياسة ١: ٩٣، و الأخبار الطوال: ١٥٧.

^{١١٨٤} (٣) وقعة صقّين: ٤٤-٤٥.

^{١١٨٥} (٤) أورد قول الراجز ابن منظور في لسان العرب ١٢: ٣٤، مادة: (كتب).

^{١١٨٦} (٥) نهج البلاغة ٣: ١١.

^{١١٨٧} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٤٨.

^{١١٨٨} (٢) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٦٠ «و السلام لأهله» أيضا.

في الكتاب (٢٨) ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَ أَمْرٍ؟ عُمَانُ؟- فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ- فَأَيُّهَا كَانَ أَعْدَى لَهُ وَ أَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ أَمْ مَنْ بَدَلَ لَهُ نَصْرَتَهُ فَاسْتَفَعْدَهُ وَ اسْتَكْفَهُ- أَمْ مَنْ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَخَى عَنْهُ وَ بَثَّ الْمُنُونَ إِلَيْهِ- حَتَّى أَتَى قَدْرَهُ عَلَيْهِ- كَلَّا وَ اللَّهُ لَقَدْ عَلِمَ «اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا»^{١١٨٩} -

وَ مَا كُنْتُ لِأَعْتَدِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقَمْتُ عَلَيْهِ أَحْدَانًا- فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَ هِدَايَتِي لَهُ- فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ-

وَ قَدْ يَسْتَفِيدُ الظَّنَّ الْمُتَنَصِّحُ

- وَ مَا أَرَدْتُ «إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ»^{١١٩٠} - وَ ذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَ لِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ- فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ- مَتَى الْفَيْتُ؟ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ- وَ بِالسَّيْفِ مُخَوِّفِينَ-

لَبَّثُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمْلًا

- فَسَيَطُوبُكَ مَنْ تَطَلَّبُ- وَ يَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ- وَ أَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ- وَ التَّابِعِينَ لَهُمْ بِالْإِحْسَانِ- شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ- مُتَسَرِّبِلِينَ سِرْبَالِ الْمَوْتِ- أَحَبُّ اللَّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ- وَ قَدْ صَحِبْتُهُمْ ذُرِّيَّةً بَدْرِيَّةً وَ سَيُوفًا هَاشِمِيَّةً- قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا- فِي أَخِيكَ

ص: ٤٠٦

وَ خَالِكَ وَ جَدَّكَ وَ أَهْلِكَ- «وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»^{١١٩١} ٤- ٩ أقول: نقل ابن أبي الحديد عن شيخه النقيب: أنه جواب كتاب كتبه معاوية إليه عليه السلام مع أبي امامة الباهلي، و في كتاب معاوية: ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر المله و طبق الآفاق بالكلمة الحنيفية، فلما استوسق الإسلام و ضرب بجرانه، عدوت عليه فبغيته الغوائل، و نصبت له المكائد و ضربت له بطن الأرض و ظهره، و دسست عليه و أغريت به و قعدت حيث استنصرتك عن نصرته، و سألك أن تدركه قبل أن يمزق فما أدركته. و ما يوم المسلمين منك يواحد، لقد حسدت أبا بكر و التويت عليه، و رمت إفساد أمره، و قعدت في بيتك، و استغويت عصابة من الناس حتى تأخروا عن بيعته، ثم كرهت خلافة عمر و حسدته و استطلت مدته، و سررت بقتله و أظهرت الشماتة بمصابه، حتى إنك حاولت قتل ولده، لأنه قتل قاتل أبيه، ثم لم تكن أشد منك حسدا لابن عمه عثمان، نشرت مقابحه

^{١١٨٩} (٣) الأحزاب: ١٨.

^{١١٩٠} (٤) هود: ٨٨.

^{١١٩١} (١) هود: ٨٣.

و طويت محاسنه و طعنت فى فقهه، ثم فى دينه، ثم فى سيرته، ثم فى عقله، و أغريت به السفهاء من أصحابك و شيعتك حتى قتلوه بمحضر منك، لا تدفع عنه بلسان و لا يد، و ما من هؤلاء إلّا من بغيت عليه و تلكأت عليه، حتى حملت إليه قهرا، تساق بخزائم الاقتار كما يساق الفحل المخشوش، ثم نهضت الآن تطلب الخلافة و قتلة عثمان خالصا و شجراؤك و المحدقون بك، و تلك من أمانى النفوس و ضلالات الأهواء، فدع اللجاج و العبث جانبا، و ادفع إلينا قتلة عثمان، و أعد الأمر شورى بين المسلمين، ليتفقوا على من هو لله رضى، فلا بيعه لك فى أعناقنا، و لا طاعة لك علينا، و لا عتبي لك عندنا، و ليس لك و لأصحابك عندى إلّا السيف، و الذى لا إله إلّا هو لأطلبن قتلة عثمان أين كانوا و حيث كانوا، حتى أقتلهم أو تلحق روحى بالله.

ص: ٤٠٧

فأما ما لا تزال تمنّ به من سابقتك و جهادك، فإننى وجدت الله سبحانه يقول:

«يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا»^{١١٩٢}، و لو نظرت فى حال نفسك لوجدتها أشدّ الأُنفس امتنانا على الله بعملها، و إذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة، فالامتنان على الله يبطل أمر الجهاد و يجعله ك «صَفْوَانٍ» عَلَى «تُرَابٍ»^{١١٩٣}.

«ثم ذكرت» يعنى بعد ذكر أبى بكر و عمر، بأنه عليه السلام حسدهما و بغى عليهما.

«ما كان من أمرى و أمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه» المقالة فيه دون ذينك لعدم ربطهما بك.

«لرحمك منه» يجمعهما أمية بن عبد شمس، فعثمان هو ابن عفان بن أبى العاص بن أمية، و معاوية هو ابن أبى سفيان بن حرب بن أمية.

«فأينا كان أعدى له» أى: أكثر تجاوزا عليه.

«و أهدى إلى مقاتله» مقاتل الانسان المواضع التى اذا اصيبت قتلتها.

«أمن بذل له نصرته فاستقده و استكفه» لأن عثمان كان لا يحب أن يحضره عليه السلام، لأنه كان إذا حضره ينهاه عن شنائع أعماله، حتى أحب ألا يشهد معه المدينة، فكان يأمره بالخروج عن البلد، و إنما يستغيث به إذا خاف القتل، و بعد نقض عهده مرأت تركه عليه السلام أخيرا حتى قتلوه.

«أم من استنصره فتراخى عنه و بث إليه المنون» أى: المنية، قال الجوهري:

لأن المنية تقطع المدد و تنقص العدد.

^{١١٩٢} (١) الحجرات: ١٧.

^{١١٩٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١٨٦-١٨٧، و الآية ٢٦٤ من سورة البقرة.

سبحان من اولئك طلحة و الزبير و عايشة سعا غاية السعى فى قتل عثمان، حتى قتل ثم طلبوا دمه من أمير المؤمنين عليه السلام- و عمرو بن العاص

ص: ٤٠٨

أغرى الناس به حتى الرعاء على رءوس الجبال، حتى قتل فافتخر بذلك، و قال:

أنا أبو عبد الله، ما نكأت قرحة إلا أدميتها- و معاوية منع جنده من نصره بعد طلب عثمان منه ذلك، ليقتل و يطلب بدمه الملك ثم يطلبان دمه منه عليه السلام.

ففى (خلفاء ابن قتيبة): قال عمرو بن العاص لمعاوية: إن لعلى فى الحرب لحظا ما هو لأحد من الناس، و إنه لصاحب الأمر. فقال معاوية: صدقت، و لكن نلزمه دم عثمان. فقال عمرو: و اسوأته إن أحق الناس ألا يذكر عثمان لأنا و أنت، أما أنت فخذلته و معك أهل الشام، و استغاثك فأبطأت عليه. و أما أنا فتركته عيانا و هربت إلى فلسطين. قال معاوية: دعنى من هذا هلم فبايعنى.

قال: لا اعطيك دينى حتى آخذ من دنياك. قال: سل تعط ...^{١١٩٤}.

و فيه ذكروا: إنه لم يكن أحد أحب إلى معاوية أن يلقاه من أبى الطفيل الكناني فارس أهل صفين و شاعرهم- و كان من أخص الناس بعلى عليه السلام- فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأخبر بقدمه، فأرسل إليه فأتاه و هو شيخ كبير، فلما دخل عليه قال له: أنت أبو الطفيل؟ قال نعم. قال: أكنت ممن قتل عثمان؟ قال: لا، و لكن ممن شهدته فلم ينصره. قال:

و لم؟ قال: لأنه لم ينصره المهاجرون و الأنصار. قال: أما و الله إن نصرته كانت عليهم و عليك حقًا واجبا، و فرضا لازما، فإذا ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله، و أصاركم إلى ما رأيتم. فقال له أبو الطفيل: فما منعك إذ تربصت به ريب المنون ألا تنصره و معك أهل الشام؟ فقال معاوية: أو ما ترى طلبى لدمه؟

فضحك أبو الطفيل، فقال: بلى و لكنّه و إياك، كما قال عبيد بن الأبرص:

و فى حياتى ما زودتنى زادى

لا الفينك بعد الموت تندبنى

فدخل مروان بن الحكم و عبد الرحمن بن الحكم و سعيد بن العاص، فلما

جلسوا نظر إليهم معاوية و قال: أ تعرفون هذا الشيخ؟ قالوا: لا. قال: هذا خليل عليّ و فارس صفين و شاعر العراق، هذا أبو الطفيل. قال سعيد: فما يمنعك منه؟- و شتمه القوم- فزجرهم معاوية و قال: مهلا، فربّ يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعا. ثم قال له: أ تعرف هؤلاء القوم يا أبا الطفيل؟ قال:

ما أنكرهم من سوء و لا أعرفهم بخير، و أنشد:

فإن تكن العداوة قد أ كنت فشر عداوة المرء السباب

فقال معاوية: ما أبقى لك الدهر من حبّ عليّ؟ قال: حبّ ام موسى، و أشكو إلى الله التقصير. فضحك معاوية و قال: و لكن و الله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عنّي ما قالوا هذا. فقال مروان: أجل و الله لا نقول الباطل^{١١٩٥}.

و فى (صفين نصر): كتب معاوية إلى أبى أيوب كتابا سطرًا واحدًا، و هو:

«حاجيتك لا تنسى الشيباء أبا عذرها و لا قاتل بكرها». فلم يدر أبو أيوب ما هو، فأتى به عليا عليه السلام فقال له عليه السلام: إن معاوية كهف المنافقين كتب إلى كتابا لا أدرى ما هو. فقال عليه السلام له: هذا مثل ضربه لك، الشيباء: المرأة البكر ليلة افتضاها، يعنى لا تنسى بعلمها الذى افترعها، و بكرها: أول ولدها، يعنى كما لا تنسى تلك، لا أنسى أنا قاتل عثمان.

فكتب إليه أبو أيوب كتبت «لا تنسى الشيباء أبا عذرها و لا قاتل بكرها» فضربتها مثلا لقتل عثمان، و ما نحن و قتل عثمان، إن الذى تربص بعثمان و ثبط يزيد بن أنس و أهل الشام عن نصرته لأنت^{١١٩٦}.

و فى (تاريخ يعقوبى): دخل ابن عباس يوما على معاوية، فقال له: كيف رأيت فعل الله بنا و بأبى الحسن؟ فقال: فعل فعلا و الله غير مختل عجّله إلى جنّة

لن تنالها، و أخرّك إلى دنيا قد كان أمير المؤمنين نالها. قال: و إنك لتحكّم على الله؟ قال: أحكم على الله بما حكم به على نفسه «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ»^{١١٩٧}.

^{١١٩٥} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٩٢-١٩٣.

^{١١٩٦} (٢) وقعة صفين: ٣٦٦-٣٦٨، و نقله الشارح بتلخيص.

^{١١٩٧} (١) المائدة: ٤٤.

قال معاوية: و الله لو عاش أبو عمرو - يعنى عثمان - حتى يرانى، لرأى أنى نعم ابن العم له. فقال له ابن عباس: أمّا و الله لو رآك أيقن أنّك خذلتك حيث كانت النصره له، و نصرته حيث كانت النصره لك. قال: و ما دخولك بين العصا و لحائها؟ قال: ما دخلت عليهما إلّا لهما^{١١٩٨}.

«كَلَّا و اللّٰه لقد علم» «اللّٰهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَ الْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَ لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا» الآية فى الأحزاب، و فيها «قَدْ يَعْلَمُ اللّٰهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ»^{١١٩٩}، لكن جعلها عليه السّلام جزء كلامه و غير بما ناسب، و لعلّه أيضا كانت قراءته عليه السّلام.

ثمّ فى (ابن ميثم): «لقد علم المعوقين»^{١٢٠٠}.

«و ما كنت لأعتذر من أنى أنقم عليه» أى: أعتب عليه.

«أحداثا» أى: امورا منكّرة، كعمله مع أبى ذر و عمّار و غيرهما، و فى أعمال عمّاله كالوليد و ابن عامر و معاوية و غيرهم.

«فإن كان الذّنْب إليه إرشادى و هدايتى له» إلى الحقّ و إلى صراط مستقيم، قال الشاعر:

محاسنه فعدّ من الذنوب^{١٢٠١}

و كم من موقف حسن احييت

«فربّ ملوم لا ذنب له» هو كالمثل، قال الشاعر:

ص: ٤١١

لعل له عذرا و أنت تلوم^{١٢٠٢}

بل فى (أمثال الكرمانى): هو مثل من أكثم بن صيفى^{١٢٠٣}.

^{١١٩٨} (٢) تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٢٣ - ٢٢٤.

^{١١٩٩} (٣) الأحزاب: ١٨.

^{١٢٠٠} (٤) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٤٣٤: لقد علم الله المعوقين أيضا.

^{١٢٠١} (٥) أورده أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ١: ٤٧٥ و البيت للفزارى.

^{١٢٠٢} (١) أورده أبو هلال العسكرى فى جمهرة الأمثال ١: ٤٧٤.

«و قد يستفيد الظنّة» أى: التهمة.

«المنتصح» أى: الناصح، و عن أئتم: يا بنى إئاكم و كثرة التنصح فإنّه يورث التهمة^{١٢٠٤}.

و من البيت و قول أكثر يظهر لك ما فى اقتصار الجوهرى على قوله: تنصح:

أى تشبه بالنصحاء^{١٢٠٥}.

و قلنا (البيت) لأنه عجز بيت تمثل عليه السلام به، و صدره:

و كم سقت فى آثاركم من نصيحة^{١٢٠٦}.

قال المبرّد: انشدنيہ الرياشى.

«و ما أردت «إلّا الإصلاحَ ما استطعتُ و ما توفيقى إلّا باللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ»» الأصل فيه قول شعيب عليه السلام لقومه: «إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ أُنِيبُ»^{١٢٠٧}.

«و ذكرت أنّه ليس لى و لا لأصحابى إلّا السيف، فلقد أضحكت بعد استعمار» أى:

بعد جريان الدمع، يقال: استعبرت أى: دمعت. و الباكى لا يضحك من كلّ شىء يتعجب منه كغير الباكى، بل من عجيب فى غاية الغرابة، و المراد: أتيت بعجب يضحك الباكى، و من شواهدة- و إن كان من باب الهزل- أنّ أبا دلامة الشاعر

ص: ٤١٢

دخل على أم سلمة زوجة السفاح بعد وفاته، فعزاها به و بكى و بكت، و قالت له:

يا أبا دلامة لم أر أحدا أصيب به غيرى و غيرك- و كان السفاح يعطى أبا دلامة جزيلا- فقال لها أبو دلامة: و لا سواء، لك منه ولد و ما ولدت أنا منه فضحكت ام سلمة- و لم تكن منذ مات السفاح ضحكت- و قالت له: لو حدثت الشيطان لأضحكته.

«متى ألفت» أى: وجدت.

^{١٢٠٢} (٢) أوردته الميدانى فى مجمع الأمثال ١: ٣٠٥ تحت الرقم ١٦٢٨ و قال: هذا من قول أئتم بن صيفى.

^{١٢٠٤} (٣) نقله ابن منظور فى لسان العرب ١٤: ١٥٩، مادة: (نصح).

^{١٢٠٥} (٤) الصحاح ١: ٤١١، مادة: (نصح).

^{١٢٠٦} (٥) أورد البيت ابن ميثم فى شرح نهج البلاغة ٤: ٤٤٥.

^{١٢٠٧} (٦) هود: ٨٨.

«بنى» هكذا فى (المصرية)^{١٢٠٨}، و الصواب: «بنو» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم^{١٢٠٩} و الخطيب)، و حينئذ «فألفيت» بسكون التاء مجهولا.

«عبد المطلب عن الاعداء ناكليين» أى: جبانين ضعيفين.

«و بالسيف مخوفين» فكانوا عموما شجعان فضلا عنه عليه السلام.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): لما أراد الزبير الاعتزال من الجمل، قالت له عايشة:

خفت سيوف بنى عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية أنجاد^{١٢١٠}.

و فى (نسب مصعب الزبيرى): قال على عليه السلام: رأيت يوم بدر طعيمة بن عدى بن نوفل بن عبد مناف قد علا رأس كئيب، و قد ساواه سعد بن خيثمة، فصمدت له و لم آتة حتى قتل سعدا، فلما رآنى أصد الكئيب إليه انحط علىّ - و كان رجلا جسيما - فخشيت أن يعلو علىّ، فأنحطت فى السهل، فظنّ أنّى فررت منه فصاح بأعلى صوته: فرّ ابن أبى طالب. قلت له: قريبا مفر ابن الشراء - و هذا مثل تضربه العرب - فلما استوت قدماى بالأرض وقفت له فأنحدر إلىّ و أهويت إليه، فسمعت قائلا من خلفى: طأطئ رأسك. فجعلت

ص: ٤١٣

رأسى فى صدر طعيمة، و إذا برقة من السيف فأخذت تحف طعيمة فسقط ميتا، و إذا هو حمزة بن عبد المطلب^{١٢١١}.

«لبث قليلا يلحق الهيجا» أى: الحرب، قال الجوهرى: يمد و يقصر^{١٢١٢}.

«حمل» قال ابن ميثم: أصل البيت أن حمل بن بدر - رجل من قشير - اغير على إبل له فى الجاهلية فى حرب داحس و الغبراء، و قال:

ما أحسن الموت إذا الموت نزل

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل

^{١٢٠٨} (١) نهج البلاغة ٣: ٣٩.

^{١٢٠٩} (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١٨٣، و شرح ابن ميثم ٤: ٤٣٥: بنى أيضا.

^{١٢١٠} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٧٣.

^{١٢١١} (١) قريب منه فى المغازى للواقدي ١: ٩٢-٩٣، و نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ١٤: ١٤٥.

^{١٢١٢} (٢) الصحاح ١: ٣٥٢، مادة: (هيج).

و قيل: أصله أن مالك بن زهير توعدّ حمل بن بدر فقال حمل: «لبث قليلا يلحق الهيجا حمل»، ثم أتى و قتل مالكا، فظفر أخوه قيس بن زهير به و بأخيه حذيفة فقتلها، و قال:

شفيت النفس من حمل بن بدر
و سيفي من حذيفة قد شفاني^{١٢١٣}

قلت: و في (الاستيعاب): حمل بن سعدانة الكلبي وفد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ وَ عقد له لواء، وَ هو القاتل: لبث قليلا يدرك الهيجا حمل. و شهد مع خالد مشاهده كلّها وَ قد تمثّل بقوله سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق حيث قال:

البث قليلا يدرك الهيجا حمل
ما أحسن الموت إذا حان الأجل^{١٢١٤}

وَ قد عنونه الجزري عن أبي موسى أيضا، وَ لكنه قال: حمل بن سعد. وَ زاد:

شهد بلوائه صفين مع معاوية^{١٢١٥}. وَ الأظهر كون البيت لحمل بن بدر الجاهلي دون ما قالاه، وَ قررهما الجزري من حمل بن سعدانة أو سعد الصحابي، وَ يؤيده تمثّل سعد به يوم الخندق، وَ كيف كان، فنظيره قول آخر:

ص: ٤١٤

لبث قليلا يلحق الداريون
أهل الحباب البدن المكفون

سوف ترى إن لحقوا ما يبلون

«فسيطلبك من تطلب و يقرب منك ما تستبعد» في (العقد): خرج على عليه السلام إلى معاوية في خمسة و تسعين ألفا، وَ كان معاوية في بضع و ثمانين ألفا، وَ كان عسكر على عليه السلام يسمّى الزحزحة لشدة حركته، وَ عسكر معاوية الخضرية لاسوداده بالسلاح وَ الدروع^{١٢١٦}.

^{١٢١٣} (٣) شرح ابن ميثم ٤: ٤٤٥ - ٤٤٦.

^{١٢١٤} (٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ٣٦٦.

^{١٢١٥} (٥) أسد الغابة ٢: ٥٢.

و انقضت صفين عن خمسين ألف قتيل من أهل الشام و عشرين ألفا من أهل العراق^{١٢١٧}.

«و أنا مرقل» فى (الصاح): الإرقال: ضرب من الخبب، أى: العدو، و لقب هاشم بن عتبة الزهرى المرقال، لأنّ عليا عليه السلام دفع إليه الراية يوم صفين فكان يرقل بها إرقالا^{١٢١٨}.

«نحوك» أى: جانبك.

«فى جحفل» أى: جيش.

«من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم» كذا فى (المصرية)^{١٢١٩}، و كلمة (لهم) زائدة لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة)^{١٢٢٠}.

«ياحسان» فى (صفين نصر): خرج النعمان بن بشير يوما فدعا قيس بن سعد، فقال له: أستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم فى خذل عثمان يوم الدار، و قتلتم أنصاره يوم الجمل، و أقحمتهم خيولكم على أهل الشام

ص: ٤١٥

بصفين؟ فلو كنتم إذ خذلتهم عثمان خذلتهم عليا، لكانت واحدة بواحدة، و لكنكم خذلتهم حقًا و نصرتم باطلا- إلى أن قال:- فقال له قيس: أمّا ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها منى واحدة، قتل عثمان من لست خيرا منه، و خذله من هو خير منك. و أمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. انظر يا نعمان، هل ترى مع معاوية إلا طليقا أو أعرابيا أو يمانيا مستدرجا بغرور؟

انظر أين المهاجرون و الأنصار و التابعون ياحسان الذين رضى الله عنهم؟ ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك و صويحبك- و لم يكن مع معاوية من الأنصار غيره و غير مسلمة بن مخلد- و لستما و الله بيدريين و لا احديين، و لا لكما سابقة فى الإسلام و لا آية فى القرآن، و لعمرى لو شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك من قبل^{١٢٢١}.

«شديد زحامهم» أى: اجتماعهم فى الحرب، قال الشاعر:

^{١٢١٦} (١) العقد الفريد ٥: ٨٥.

^{١٢١٧} (٢) العقد الفريد ٥: ٩١.

^{١٢١٨} (٣) الصاح ٤: ١٧١٢ مادة (رقل).

^{١٢١٩} (٤) نهج البلاغة ٣: ٤٠.

^{١٢٢٠} (٥) فى شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١٨٤ و شرح ابن ميثم ٤: ٤٣٥ «التابعين لهم» أيضا.

^{١٢٢١} (١) وقعة صفين: ٤٤٨-٤٤٩.

و ليس من همه إبل و لا شاء

إن تلق عمرا فقد لاقيت مدرعا

بالليل يسمع فى حافاته آء

فى جحفل لجم جم صواهله

«ساطع قناتهم» أى: غبارهم فى الحرب، قال الشاعر:

و خلوقهم علق النجيع الأحمر

فى فتية صدأ الحديد عبيهم

مما عليه من القنا المتكسر

لا يأكل السرحان شلو غفيرهم

«متسرلين سربال الموت» هكذا فى (المصرية)^{١٢٢٢}، و الصواب: «سرايل الموت» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم^{١٢٢٣} و الخطبة).

و فى (صفيين نصر): أن أبا عرفاء الذهلى أخذ الراية يوم صفيين و قال: يا أهل

ص: ٤١٦

هذه الراية إن عمل الجنة كره كلفه، و إن عمل النار خف كلفه، و إن الجنة لا يدخلها إلّا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله و أمره، و ليس شىء ممّا افترض الله على العباد أشدّ من الجهاد، فإذا رأيتمنى قد شددت فشدا، و يحكم! أما تشتاقون إلى الجنة؟ فشدد و شدوا معه، و قاتل حتى قتل - إلى أن قال -: فلما أصبحوا فى اليوم العاشر، أصبحوا و ربيعة محذقة بعلى عليه السلام إحداق بياض العين بسوادها، و قام خالد بن المعمر فنادى: من يبايع على الموت و يشرى نفسه لله؟ فبايعه سبعة الآف على ألا ينظر رجل خلفه حتى يرد سراق معاوية، فاقتتلوا قتالا شديدا، و كسروا جفون سيوفهم^{١٢٢٤}.

«أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بدرية» فى (صفيين نصر): قام سعد بن قيس فى صفيين يخطب أصحابه فقال: إن أصحاب محمد المصطفين الأخيار معنا و فى حيزنا، فوالله الذى هو بالعباد بصير، لو كان قائدنا حبشيا مجدعا^{١٢٢٥}، و معنا من

^{١٢٢٢} (٢) نهج البلاغة ٣: ٤٠.

^{١٢٢٣} (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٥: ١٨٤، و لكن فى شرح ابن ميثم ٤: ٤٣٥: «سربال الموت» أيضا.

^{١٢٢٤} (١) وقعة صفيين: ٣٠٥ - ٣٠٦.

^{١٢٢٥} (٢) قال فى هامش المصدر: ٢٣٦ ما نصّه: هو إشارة إلى حديث أبى ذر، قال: إن خليلي أوصاني أن أسمع و أطيع و إن كان عبدا حبشيا مجدع الأطراف. انظر

صحيح مسلم ٢: ٨٥.

البدريين سبعين رجلا، لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا، و تطيب أنفسنا، و كيف و إنما رئيسنا ابن عمّ نبيّنا؟ بدرى صدق صلى مع النبي صلى الله عليه و آله و سلم صغيرا، و جاهد معه كبيرا، و معاوية طليق، من وثاق الاسار و ابن طليق، إلا أنه أغوى جفأ، فأوردهم النار، و أورثهم العار، و الله محلّ بهم الذل و الصغار^{١٢٢٤}.

«و سيف هاشمية» فى (صفين نصر)- بعد ذكر خطبته عليه السّلام أصحابه بصفين-: فقالوا له: انهض بنا يا أمير المؤمنين إلى عدونا و عدوك إذا شئت، فو الله ما نريد بك بدلا، نموت معك و نحيا معك. فقال عليه السّلام لهم: و الذى نفسى

ص: ٤١٧

بيده، لنظر إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أضرب قدّامه بسيفى، فقال: لا سيف إلا ذو الفقار، و لا فتى إلا على - إلى أن قال- ثم نهض إلى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق، و ما كانت صلاة القوم إلا تكبيرا^{١٢٢٧}.

هذا و لما أمر سليمان الفرزدق بضرب عنق أسير من الكفّار فنبأ سيفه، و قال جرير له يعيره:

ضربت و لم تضرب بسيف ابن ظالم

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع

قيل: أراد بسيف ابن ظالم، سيف الحارث بن ظالم الغساني، الذى ضرب به ابن السموأل فقطعه نصفين.

«قد عرفت مواقع نصالها» أى: حديدتها.

«فى أخيك» حنظلة.

«و خالك» الوليد بن عتبة.

«و جدك» عتبة بن ربيعة أبى امه.

«و أهلك» شبيهة عمّ أمها، و العاص بن سعيد بن أبى العاص، و معاوية بن المغيرة بن أبى العاص من بنى عمّه، و عنه عليه السّلام: تعجبت من جرأة القوم يوم بدر، قد قتلت الوليد بن عتبة، و قتل حمزة عتبة و شركته فى قتل شبيهة، إذ أقبل إلى حنظلة بن أبى سفيان، فلما دنا ضربته بالسيف، فسالت عيناه و لزم الأرض قتيلًا^{١٢٢٨}.

^{١٢٢٤} (٣) وقعة صفين: ٢٣٦ - ٢٣٧.

^{١٢٢٧} (١) وقعة صفين: ٣١٥.

^{١٢٢٨} (٢) قريب منه ما فى وقعة صفين: ١٠٢.

و من رثاء هند امّ معاوية لأبيها:

بنو هاشم و بنو المطلب

تداعى له رهطه غدوة

يعرونه بعد ما قد شجب

يذيقونه حدّ أسيافهم

ص: ٤١٨

و عن سعيد بن العاص: أنه ذهب إلى مجلس عمر، فجلس ناحية، فقال له عمر: كأنّ في نفسك علىّ شيئاً، أ تظنّ أنّي قتلت أباك؟ و الله لوددت أنّي كنت قاتله، مررت به يوم بدر فرأيتّه يبحت للقتال، كما يبحت الثور بقرنيه، و اذن شدقاه، قد أزيد كالوزغ، فلمّا رأيت ذلك هبته وزغت عنه، فقال لى: إلىّ يا بن الخطاب. و صمد له علىّ فو الله ما رمت مكاني حتى قتله. و كان على عليه السّلام حاضراً، فقال لعمر: مالك تهيج الناس علىّ؟ فكفّ عمر، فقال سعيد بن العاص:

أما أنّه ما كان يسرنى أن يكون قاتل أبي غير ابن عمّه على^{١٢٢٩}.

هذا، و ممّا قيل في أثرات السيف، قول الواسطى و الهذلى و ثعلبة الفاتك:

و إنّما أنكرت أسيافه القرب

ما أنكر الهام من أسيافه ظبئة

يخر تخاله نسرا قشيبا

به يدع الكمي على يديه

داود بين القرنيتين يحارب

نحن الاولى أردت ظبات سيوفنا

تنفى العدى و تفيد رعب الرابع

و كذاك إنّنا لا تزال سيوفنا

«و ما هي من الظالمين ببعيد» الأصل فيه قوله تعالى في قرية قوم لوط:

«وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»^{١٢٣٠}.

^{١٢٢٩} (١) قريب منه ما في المغازى للواقدي ١: ٩٢، و نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٤: ١٢٣-١٢٤-١٢٥.

^{١٢٣٠} (٢) هود: ٨٢-٨٣.

و المراد أن تلك الحجارة التي امطرت على قوم لوط ليست من الظالمين من امتك العاملين عملهم ببعيد.

و فى الخبر: لا يموت اللاطى حتى يضرب بحجر من تلك على قلبه^{١٢٣١}.

كما أن المراد من كلامه عليه السلام: أن مواقع نصال تلك السيوف الهاشمية،

ص: ٤١٩

و المراد سيفه عليه السلام لست ببعيد من معاوية السالك مسالك أسلافه فى البغى و العتو، اولئك فى قبال النبى صلى الله عليه و آله و سلم و هو فى قبال الوصى عليه السلام، و كان عمّار يقول فى صفين: قاتلت مع هذه الراية - أى راية معاوية - مرات فى غزوات النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى بدر و غيرها، و ما هى اليوم بأبر منها أمس^{١٢٣٢}.

هذا و له عليه السلام كتاب آخر إلى معاوية - و قد نقله ابن أبى الحديد فى موضع آخر - و فيه: و قد أسهبت فى ذكر عثمان، و لعمرى ما قتله غيرك، و لا خذله سواك، و لقد تربصت به الدوائر، و تمنيت به الأمانى، طمعا فى ما ظهر منك و دلّ عليه فعلك، و إنى لأرجو أن الحقك به على أعظم من ذنبه، و أكبر من خطيئته، فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف، و إن قائمته لفى يدي، و قد علمت من قتلت به من صناديد بنى عبد شمس، و فراعنة بنى سهم و جمح و مخزوم، و أيتمت أبناءهم و أيتمت نساءهم^{١٢٣٣}.

و فى قوله عليه السلام: «الحقك به على أعظم من ذنبه» ما لا يخفى.

٢١

الكتاب (٣٧) و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

فَسُبْحَانَ اللَّهِ - مَا أَشَدُّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبِعَةِ - مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ وَاطِّرَاحِ الْوَتَائِقِ - الَّتِي هِيَ لِلَّهِ طَلِبَةٌ وَ عَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ - فَأَمَّا إِكْتِنَارُكَ الْجِجَاجَ فِي؟ عُمَانَ؟ وَ قَتْلِهِ - فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ؟ عُمَانَ؟ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ - وَ خَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ وَ السَّلَامُ

ص: ٤٢٠

^{١٢٣١} (٣) تفسير العياشى ٢: ١٥٨، تفسير القمى ١: ٣٣٦ - ٣٣٧.

^{١٢٣٢} (١) وقعة صفين: ٣٢١.

^{١٢٣٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٥: ٨٣ - ٨٤.

أقول: قال ابن أبي الحديد: و أوله أما بعد، فإنّ الدّنيا حلوة خضرة ذات زينة و بهجة، لم يصب إليها أحد إلّا و شغلته بزيتها عمّا هو أنفع له منها، و بالآخرة امرنا و عليها حثنا، فدع يا معاوية ما يفنى و اعمل لما يبقى، و احذر الموت الذى إليه مصيرك، و الحساب الذى إليه عاقبتك.

و اعلم أنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيرا حال بينه و بين ما يكره، و وقّفه لطاعته، و إذا أراد الله بعبد سوءا أغراه بالدنيا، و أنساه الآخرة و بسط له أمله، و عاقه عمّا فيه صلاحه. و قد وصلنى كتابك فوجدتك ترمى فيه غير غرضك، و تنشد غير ضالّتك، و تخبط فى عمياء، و تنيه فى ضلالة، و تعتصم بغير حجّة، و تلوذ بأضعف شبهة. فأما سؤالك المتاركة و الإقرار لك على الشام، فلو كنت فاعلا ذلك اليوم لفعلته أمس. و أمّا قولك: إنّ عمر و لأكه فقد عزل من كان و لاه صاحبه، و عزل عثمان من كان عمر و لاه، و لم ينصب للناس إمام إلّا ليرى من صلاح الائمة، ما قد كان ظهر لمن قبله و اخفى عنهم عيبه، و الأمر يحدث بعده الأمر، و لكل وال رأى و اجتهاد، فسبحان الله ... ١٢٣٢.

«فسبحان الله ما أشدّ لزومك للأهواء المتبدعة» كإقراره على الشام، لأنّ عمر و لاه.

«و الحيرة المتبعة» هكذا فى (المصرية) ١٢٣٥، و لكن فى (ابن أبي الحديد و ابن ميثم ١٢٣٦ و الخطيب): «المتبعة».

«مع تضييع الحقائق» بأنّ للوالى أن يعمل بما يراه صلاحا، حتى إنّ عمر أوّل ساعة خلافته عزل خالد بن الوليد، الذى فوّض أبو بكر اموره إليه و جعله

ص: ٢٢١

أمير امرائه، لأنّ عمر رأى: أنّ خالدًا قتل مسلما، و هو مالك بن نويرة لحقد له معه، و زنا مع امرأته فى أيام أبى بكر، و أغضى أبو بكر منه.

«و اطراح الوثائق التى هى لله طلبه و على عباده حجّة» و تلك الوثائق و جوب إطاعة الإمام، قال تعالى «أطيعوا الله و أطيعوا الرّسول و أولى الأمر منكم» ١٢٣٧.

«فأما إكثارك الحجاج» أى: المحاجة.

«فى عثمان و قتلته فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك و خذلته حيث كان النصر له» قال ابن أبي الحديد: روى البلاذرى: أنّ عثمان لما أرسل الى معاوية يستمده، بعث معاوية يزيد بن أسد القسرى جدّ خالد بن عبد الله القسرى، أمير العراق

١٢٣٢ (١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٣-١٥٤.

١٢٣٥ (٢) نهج البلاغة ٣: ٦٩.

١٢٣٦ (٣) كذا فى شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٣، و شرح ابن ميثم ٥: ٨٠.

١٢٣٧ (١) النساء: ٥٩.

و قال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها و لا تتجاوزها، و لا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإننى أنا الشاهد و أنت الغائب. فأقام بذى خشب حتى قتل عثمان، فاستقدمه فعاد بالجيش الذى كان أرسل معه، و إنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعوا إلى نفسه.

و كتب معاوية عند صلح الحسن عليه السلام له كتابا إلى ابن عباس يدعوه فيه إلى بيعته، و يقول له فيه: و لعمرى لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضى، و أن يكون رأيا صوابا، فإنك من الساعين على عثمان و الخاذلين له، و السافكين دمه، و ما جرى بينى و بينك صلح فيمنعك منى و لا بيدك أمان.

فكتب إليه ابن عباس جوابا طويلا، يقول فيه -: و أما قولك: إنى من الساعين عليه و الخاذلين له و السافكين دمه، و ما جرى بينى و بينك صلح فيمنعك منى.

فأقسم بالله لأنت المترص بقتله، و المحب لهلاكه، و الحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره، و لقد أتاك كتابه و صريخه يستغيث بك و يستصرخ فما

ص: ٤٢٢

حفلت به، حتى بعثت إليه معذرا بآخره، أنت تعلم أنهم لن يتركوك حتى تقتل، فقتل كما كنت أردت، ثم علمت عند ذلك أن الناس لن يعدلوا بيننا و بينك، فطفقت تنعى عثمان و تلزمن دمه و تقول: قتل مظلوما. فإن يك قتل مظلوما فأنت أظلم الظالمين، ثم لم تزل مصوبا و مصعدا و حائما و رابضا، تستغوى الجهال، و تنازعنا حقنا بالسفهاء، حتى أدركت ما طلبت «و إن أدري لعلهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ»^{١٢٣٨}.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): كتب معاوية إلى محمد بن مسلمة الأنصارى: فهلا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضا، أو ترى أن عثمان و أهل الدار ليسوا بمسلمين؟ عصيتم الله و خذلتهم عثمان.

فكتب إليه محمد بن مسلمة: لعمرى يا معاوية ما طلبت إلا الدنيا، و لا اتبعت إلا الهوى، و لئن كنت نصرت عثمان ميّنا لقد خذلته حيا^{١٢٣٩}.

«و السلام» ليس فى (ابن ميثم)^{١٢٤٠}.

٢٢

^{١٢٣٨} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٥٤-١٥٥، و الآية ١١١ من سورة الأنبياء.

^{١٢٣٩} (٢) الإمامة و السياسة ١: ١٠٠-١٠١.

^{١٢٤٠} (٣) شرح ابن ميثم ٥: ٨١.

في الكتاب (٤٢) إني والله لو لقيتهم واحداً وهم طماع الأرض كلها- ما باليت ولا استوحشت- وإني من ضلالهم الذي هم فيه- والهدى الذي أنا عليه- لعل بصيرة من نفسي و يقين من ربي- وإني إلى لقاء الله لمشتاق- وبحسن نوابه لمنتظر راج- ولكني آسى أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها- فيتخذوا مال الله دولا وعبادته خوفاً- والصالحين

ص: ٤٢٣

حرباً و الفاسقين حرباً- فإن منهم الذي قد شرب فيكم الحرام- و جلد حداً في الإسلام- و إن منهم من لم يسلم حتى رخصت له على الإسلام الرضايح- فلو لا ذلك ما أكثرت تاليبيكم و تائبكم- و جمعكم و تحريضكم- و لتركنتكم إذ أبيتم و وئيتم- أ لا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت- و إلى أمصاركم قد افتتحت- و إلى ممالككم تزوى و إلى بلادكم تغزى- انفروا رحمكم الله إلى قتال عدوكم- و لا تناقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف- و تبوءوا بالذل و يكون نصيبكم الأخس- و إن أخا الحرب الأرق و من نام لم ينم عنه و السلام قول المصنف «و منه» أي: و من كتبه عليه السلام إلى أهل مصر مع الأشر لما ولأه، إلا أنه قلنا في شرح صدره أنه خطبة خطب عليه السلام بها في الكوفة بعد فتح مصر و قتل محمد بن أبي بكر، و سؤال الناس له عن قوله عليه السلام في أبي بكر و عمر و عثمان، رواه ابراهيم الثقفي في (غاراته ابراهيم الثقفي- الغارات- ج ١ ص ٣٠٢ تا ٣٢٢) (٣٢٢)، و ابن قتيبة في (خلفائه ابن قتيبة- الإمامة و السياسة- ج ١ ص ١٥٤ تا ١٥٩) (١٥٩)، و الكليني في (رسائله ٢ / ١ الكليني- الرسائل- ١٢٢٣)، على اختلاف، لكن كتبها عليه السلام لهم حتى تقرأ عليهم، كما صرح به في رواية ابن قتيبة: فأمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع أن يقرأها، و عين عليه السلام عشرة من ثقاته لئلا يشغب الناس، كما صرح به في رواية الكليني، و مضمون فقرات الذيل تدل أيضاً على كون الكلام خطبة في التحريض على الجهاد، و لا مناسبة لها أن تكون كتابا إلى أهل مصر، فالظاهر أن المصنف رأى أنه عليه السلام كتب للناس بعد فتح مصر، فلم يتدبر و توهم أنه عليه السلام كتب

ص: ٤٢٤

بالكتاب إلى أهل مصر. فزاد (مع الأشر) من الخارج.

ثم «و منه» في (المصرية) (١٢٢٤)، و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (١٢٢٥): «و من هذا الكتاب»، فهو الصحيح.

روى الأول عن رجاله، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه قال: خطب على عليه السلام بعد فتح مصر و قتل محمد بن أبي بكر- إلى أن قال بعد ذكر بعثة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أيام الثلاثة و آثام الثالث في أيامه:- و إن فيهم من قد شرب فيكم الخمر، و جلد الحد، يعرف بالفساد في الدين، و في الفعل السيء، و إن فيهم من لم يسلم حتى رخص له رضخة، فهؤلاء

١٢٢١ (١) الغارات ١: ٣٠٢-٣٢٢.

١٢٢٢ (٢) الإمامة و السياسة ١: ١٥٤-١٥٩.

١٢٢٣ (٣) لم أجد نسخته، و لكن نقله عنه السيد ابن طاوس في كشف المحجة لثمره المهجة ١ / السيد ابن طاوس- كشف المحجة، و عنه العلامة المجلسي رحمه

الله في بحار الأنوار ٢ العلامة المجلسي- بحار الأنوار- ج ٨ ص ١٨٤ تا ١٨٨، ط الكمباني ٨: ١٨٤-١٨٨، ط الكمباني.

١٢٢٤ (١) نهج البلاغة ٣: ١٣١.

١٢٢٥ (٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٥، و لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠١: و منه أيضا.

قادة القوم، و من تركت ذكر مساويه من قاداتهم مثل من ذكرت منهم، بل هو شرّ و يود هؤلاء الذين ذكرت لو ولّوا عليكم، فأظهروا فيكم الكفر و الفساد و الفجور و التسلّط بجبرية، و اتّبَعوا الهوى، و حكموا بغير الحقّ، و لأنتم على ما كان فيكم من تواكل و تخاذل، خير منهم و أهدى سبيلا، فيكم العلماء و الفقهاء، و النجباء و الحكماء، و حملة الكتاب و المتهجّدون بالأسحار، و عمّار المساجد بتلاوة القرآن، أفلا تسخطون و تهتمون أن ينازعكم أمرى؟ فو الله لئن أطعتموني لا تغوون، و إن عصيتموني لا ترشدون، خذوا للحرب اهبتها و أعدّوا عدّتها، قد شبّت نارها، و علا سناؤها، و تجرّد لكم فيها الفاسقون، كى يعذبوا عباد الله و يطفئوا نور الله، إلّا أنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و المكر و الجفاء، بأولى فى الجدّ فى غيهم و ضلالهم من أهل البرّ و الزهادة و الإخبات فى حقهم و طاعة ربهم، و الله لو لقيتهم فردا و هم ملء الأرض ما باليت و لا استوحشت، و إنى من ضلالتهم التى هم فيها، و الهدى الذى نحن عليه، لعلّى ثقة و بيّنة و يقين

ص: ٢٢٥

و بصيرة، و إنى إلى لقاء ربى لمشتاق، و لحسن ثوابه لمنتظر، و لكن أسفا يعترينى و حزنا، أن يلى أمر هذه الامّة سفهاؤها و فجّارها، فيتخذوا مال الله دولا، و عباده خولا، و الفاسقين حزبا. و ايم الله لو لا ذلك لما أكثرت تأنيبكم و تحريضكم، و لتركتكم إذا و نيتم و أبيتهم، حتى ألقاهم بنفسى متى حمّ لقاءهم، فو الله إنى لعلّى الحقّ، و إنى للشهادة لمحّبّ، فانفروا «خِفَافاً وَ تِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^{١٢٤٤} و لا تتاقلوا إلى الأرض فتقروا بالخسف، و تبوؤا بالذل، و يكن نصيبكم الأخرس. إن أخا الحرب اليقظان، و من ضعف أردى، و من ترك الجهاد كان كالمغبون المهين، اللهم اجمعنا و إياهم على الهدى، و زهدنا و إياهم فى الدّنيا، و اجعل الآخرة خيرا لنا و لهم من الاولى^{١٢٤٧}.

و فى الثانى: قام حجر بن عدى و عمرو بن الحمق و فلان إلى على عليه السّلام، فسألوه عن أبى بكر و عمر، و قالوا: بين لنا قولك فيهما و فى عثمان، فقال كرم الله وجهه: أو قد تفرغتم لهذا، و هذه مصر قد افتتحت و شيعتى فيها قد قتلت؟

إنى مخرج إليكم كتابا انبئكم فيه ما سألتموني، فافرقوه على شيعتى. فأخرج إليهم كتابا- إلى ان قال:- و إن منهم لمن شرب فيكم و جلد حدّا فى الإسلام، فهؤلاء قادة القوم، و من تركت ذكر مساويه منهم شرّ و أضر، و هؤلاء الذين لو ولّوا عليكم لأظهروا فيكم الغضب و الفخر و التسلّط بالجبروت، و التناول بالغضب و الفساد فى الارض، و لا تبعوا الهوى، و ما حكموا بالرشاء، و أنتم على ما فيكم من تخاذل و تواكل، خير منهم و أهدى سبيلا، فيكم الحكماء و العلماء و الفقهاء، و حملة القرآن و المتهجّدون بالأسحار، و العبّاد و الزّهاد فى

ص: ٢٢٦

الدّنيا، و عمّار المساجد و أهل تلاوة القرآن، أفلا تسخطون و تنقمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم و الأراذل و الأشرار منكم؟ اسمعوا قولى إذا قلت، و أطيعوا أمرى إذا أمرت، و اعرفوا نصيحتى إذا نصحت، و اعتقدوا حزمى إذا حزمت، و التزموا

^{١٢٤٤} (١) التوبة: ٤١.

^{١٢٤٧} (٢) الغارات ١: ٣٠٢-٣٢٢، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

عزمت، و انهضوا نهوضى و قارعوا من قارعت، و لئن عصيتمونى لا ترشدوا و لا تجتمعوا، خذوا للحرب اهبتها و أعدوا لها آلتها، فإنها قد وقدت نارها و علا سناها، و تجرد لكم الظالمون كيما يطفئوا نور الله، و يقهروكم.

عباد الله إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و الجفاء، بأولى فى الجدّ فى غيهم و ضلالهم و باطلهم، من أهل النزاهة و الحق، و الاخبات بالجدّ فى حقهم، و طاعة ربهم و مناصحة إمامهم، إنى و الله لو لقيتهم وحيدا منفردا، و هم فى أهل الأرض، إن باليت بهم أو استوحشت منهم، إنى فى ضلالهم الذى هم فيه، و الهدى الذى أنا عليه، لعلى بصيرة و يقين و بينة من ربى، و إنى للقاء ربى مشتاق، و لحسن ثوابه لمنتظر راج، و لكن أسفا يعترينى، و جزعا يرينى، من أن يلى هذه الامة سفهاؤها و فجارها، فيتخذوا مال الله دولا و عباد الله خولا و الصالحين حربا و القاسطين حزبا، و ايم الله لو لا ذلك، ما أكثرت تأليبكم و تحريضكم، و لتركتم، فو الله إنى لعلى الحق، و إنى للشهادة لمحّب، أنا نافر بكم إن شاء الله ...^{١٢٤٨}.

و فى الثالث: و روايته عن على بن إبراهيم بإسناده عنه عليه السلام: و إن منهم من قد شرب الخمر و ضرب حداً فى الإسلام، و كلّم يعرفه بالفساد فى الدين، و إن منهم من لم يدخل فى الإسلام و أهله حتى رضخ عليه رضيعه، فهؤلاء قادة القوم، و من تركت لكم ذكر مساويه أكثر و أبور، و أنتم تعرفونهم بأعيانهم

ص: ٤٢٧

و أسمائهم، كانوا على الاسلام ضدا، و لنبى الله صلى الله عليه و آله و سلّم حربا، و للشيطان حزبا، لم يتقدّم إيمانهم، و لم يحدث نفاقهم، و هؤلاء الذين لو ولّوا عليكم، لأظهروا فيكم الفخر و التكبر، و التسلّط بالجبرية و الفساد فى الأرض، و أنتم على ما كان منكم من توكّل و تخاذل، خير منهم و أهدى سبيلا، منكم الفقهاء و العلماء و الفهماء، و حملة الكتاب، و المتهجّدون بالأسحار.

ألا تسخطون و تنقمون ان ينازعكم الولاية السفهاء البطاء عن الإسلام الجفأ فيه؟ اسمعوا قولى - يهديكم الله - إذا قلت، و أطيعوا أمرى إذا أمرت، فو الله لئن أطمعتمونى لا تغووا، و إن عصيتمونى ... قال الله تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^{١٢٤٩}، و قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله و سلّم: «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»^{١٢٥٠}.

فالهادى بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلّم هاد لامته على ما كان من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم، فمن عسى أن يكون الهادى إلّا الذى دعاكم إلى الحقّ و قادكم إلى الهدى؟ خذوا للحرب اهبتها، و أعدوا لها عدتها، فقد شبّت و اوقدت نارها، و تجرد لكم الفاسقون لكيما يطفئوا نور الله بأفواههم، و يغروا عباد الله، ألّا إنه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع و الجفاء، أولى بالحقّ من أهل البرّ و الاخبات فى طاعة ربهم، و مناصحة إمامهم، إنى و الله لو لقيتهم وحدى و هم و أهل الأرض ما

^{١٢٤٨} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٥٤ - ١٥٩، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{١٢٤٩} (١) يونس: ٣٥.

^{١٢٥٠} (٢) الرعد: ٧.

استوحشت منهم و لا باليت، و لكن أسف يريبنى، و جزع يعترينى، من أن يلى هذه الامّة فجّارها و سفهاؤها، يتخذون مال الله دولا، و كتابه دخلا، و الفاسقين حزبا، و الصالحين حربا، و أيم الله لو لا ذلك ما أكثرت تأنيبكم و تحريضكم، و لتركتمكم إذ أبيتم، حتى ألقاهم متى حمّ لى لقاءهم، فو الله إننى لعلى الحقّ، و أنى

ص: ٤٢٨

للسهادة لمحّب، و إننى إلى لقاء ربّى لمشتاق، و لحسن ثوابه لمنتظر، أنى نافر بكم فانفروا «خِفَافاً وَ تِقَالاً وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» و لا تتاقلوا إلى الأرض فتعمّوا بالذل و تقرّوا بالخسف، و يكون نصيبكم الخسران، إن أخا الحرب اليقظان الأرق، إن نام لم تتم عينه، و من ضعف أودى، و من كره الجهاد فى سبيل الله، كان المغبون المهين، إننى لكم اليوم على ما كنت عليه أمس، و لستم لى على ما كنتم عليه. من تكونوا ناصريه، أخذ بالسهم الأخيّب.

و الله لو نصرتم الله لنصركم و ثبتت أقدامكم، إنّه حق على الله أن ينصر من نصره، و يخذل من خذله، أ ترون الغلبة لمن صبر بغير نصر، و قد يكون الصبر جبنا، و إنّما الصبر بالنصر، و الورود بالصدر، و البرق بالمطر، اللهم اجمعنا ...^{١٢٥١}.

«إنى و الله لو لقيتهم واحدا و هم طلاع الأرض» أى: ملؤها.

«ما باليت» أى: ما أكثرت.

«و لا استوحشت» من وحدتى، كما أنّ إبراهيم عليه السّلام ما استوحش من وحدته فى توحيدده، و كون جميع أهل الأرض مشركين، فإنّ الأنبياء و أوصياء الأنبياء لا يبالون من قيام جميع أهل الدنيا على خلافهم، و لا يستوحشون من انفرادهم. و لمّا كان الناس يشيرون على الحسين عليه السّلام ببيعة يزيد، لكونه ذا سلطان و الناس كلّهم معه، و عدم ناصر له، كان يقول: و الله لو لم يكن لى فى الدّنيا ملجأ و لا مأوى لمّا بايعت يزيد.

«و إنى من ضلالهم الذى هم» أى: العثمانية و الطالبين بدم عثمان.

«فيه و الهدى الذى أنا عليه لعلى بصيرة من نفسى و يقين من ربّى» و كذلك

ص: ٤٢٩

كانت شيعته عليه السّلام، فكان عمّار يقول: و الله لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هجر، لعلمت أنّا على الحقّ و هم على الباطل.

«و إنى إلى لقاء الله لمشتاق و بحسن» هكذا فى (المصرية)^{١٢٥٢}، و الصواب:

^{١٢٥١} (١) نقله عنه السيد ابن طاوس فى كشف المحجّة لثمره المهجّة، و عنه العلّامة المجلسى رحمه الله فى بحار الأنوار ٨:

(و لحسن) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم^{١٢٥٣} و الخطيبه).

«ثوابه لمنظر راج» ان قتلت أو مت، و فى (الطبرى): أن الحرّ لَمَّا كان يساير الحسين عليه السّلام فى الطريق، يقول له: اذكرك الله فى نفسك، فإننى أشهد لئن قاتلت لتقتلن. فقال عليه السّلام له: أ فبالموت تخوفنى؟! و هل يعدو بكم الخطب أن تقتلونى، ما أدرى ما أقول لك؟ و لكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه - لقيه و هو يريد نصره النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، فقال له: أين تذهب فإنك مقتول - فقال له:

إذا ما نوى حقًا و جاهد مسلما

سأمضى و ما بالموت عار على الفتى

و فارق مثيرا بغش و يرغما^{١٢٥٤}

و آسى الرجال الصالحين بنفسه

«و لكننى آسى» بالفتح من (اسى) بالكسر، أى: حزن.

«أن يلى أمر هذه الامه سفهاؤها و فجّارها» من تواكلكم و تخاذلكم، كما كان كذلك أيام عثمان، و فى (صفين نصر): أنه عليه السّلام لَمَّا أراد المسير إلى الشام، قام خطيبا و قال: سيروا إلى أعداء السنن و القرآن، سيروا إلى بقيّة الأحزاب و قتلة المهاجرين و الأنصار^{١٢٥٥}.

بل لم يختصّ ما ذكره عليه السّلام بأيام عثمان، أ لم يل أمر الناس أيام أبى بكر خالد بن الوليد الذى قتل مالك بن نويرة غدرا و فجر بامرأته؟ أو لم يل أمر الناس أيام عمر المغيرة بن شعبة الذى زنا محصنا؟ و كان صاحب تلك النفس

ص: ٤٣٠

الخبیثة الذى حمل معاوية على استلحاق زياد به، و على استخلاف يزيد السكير القمير على الامه، و لَمَّا اعترضوا على عثمان بتوليته المناقنين، أجابهم بتوليته عمر المغيرة مع نفاقه، و إنّما كانت تولية الفجّار و السفهاء أيام عثمان أكثر.

و فى (حلية أبى نعيم) فى ابى، عن قيس بن عباد قال: قدمت المدينة للقاء أصحاب محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم، فلم يكن فيهم أحد أحبّ إلىّ لقاء من أبى بن كعب، فقممت فى الصفّ الأوّل، فخرج، فلَمَّا صلّى حدّث فما رأيت الرجال متحت

^{١٢٥٢} (١) فى نهج البلاغة ٣: ١٣١ «و حسن».

^{١٢٥٣} (٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٣٢٥، و لكن فى شرح ابن ميثم ٥: ٢٠١ «و حسن» أيضا.

^{١٢٥٤} (٣) تاريخ الطبرى ٥: ٤٠٤، سنة ٤١.

^{١٢٥٥} (٤) وقعة صفين: ٩٤.

أعناقها إلى شىء منهم إلى أبى، فسمعتة يقول: هلك أهل العقد^{١٢٥٤} و رب الكعبة- قالها ثلاثا- هلكوا و أهلکوا. أما إنى لا آسى عليهم، و لكنى آسى على من يهلكون من المسلمين^{١٢٥٧}.

«فیتخذوا مال الله دولا» أى: متداولاً بينهم، و فى (الصحيح): قال محمد بن سلام الجمحى: سألت يونس عن قوله تعالى: «كفى لا يكون دولةً بين الأغنياء منكم»^{١٢٥٨}، فقال: قال أبو عمرو بن العلاء: الدولة بالضم فى المال، و الدولة بالفتح فى الحرب. و قال عيسى بن عمر: كلتاها تكون فى المال و الحرب سواء^{١٢٥٩}.

فى (المروج): قال سعيد بن العاص لما كان والياً على الكوفة من قبل عثمان، فى بعض الأيام: إنما هذا السواد- يعنى العراق- فطير لقریش. فقال له الأشر: أ تجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا و مراكز

ص: ٤٣١

رماحنا بستانا لك و لقومك؟^{١٢٦٠} و فيه: ذكر عبد الله بن عتبة: أن عثمان يوم قتل، كان عند خازنه من المال خمسون و مائة ألف دينار، و ألف و ألف درهم، و قيمة ضياعه بوادى القرى و حنين و غيرها مائة ألف دينار، و خلف خيلاً كثيراً و إبلاً^{١٢٦١}.

و فى (معارف ابن قتيبة): أوى عثمان الحكم بن أبى العاص، الذى سيره النبى صلى الله عليه و آله و سلم، ثم لم يؤوه أبو بكر و لا عمر، و أعطاه مائة ألف درهم. و تصدق النبى صلى الله عليه و آله و سلم بمهزور- موضع سوق المدينة- على المسلمين، فأقطع عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان، و أقطع فذك- و هى صدقة النبى صلى الله عليه و آله و سلم- مروان، و فتح إفريقية فأخذ الخمس، فوهبه كله لمروان، فقال عبد الرحمن بن حنبل الجمحى- و كان عثمان سيره:-

فهيهاشأوك ممن سعى

و أعطيت مروان خمس العباد

و طلب إليه عبد الله بن خالد بن اسيد صلة، فأعطاه أربعمائة ألف درهم^{١٢٦٢}.

^{١٢٥٤} (١) قال ابن الأثير: يريد البيعة المعقودة للولاية. النهاية ٣: ٢٧٠، مادة: (عقد).

^{١٢٥٧} (٢) حلية الأولياء ١: ٢٥٢.

^{١٢٥٨} (٣) الحشر: ٧.

^{١٢٥٩} (٤) الصحيح ٤: ١٧٠٠، مادة: (دول).

^{١٢٦٠} (١) مروج الذهب ٢: ٣٤٦.

^{١٢٦١} (٢) المصدر نفسه ٢: ٣٤١-٣٤٢.

^{١٢٦٢} (٣) المعارف لابن قتيبة: ١٩٥، دار المعارف، مصر، ط ٢.

و فى (تارىخ اليعقوبى): و زوج عثمان ابنته من عبد الله بن خالد بن اسيد، و أمر له بستمائة ألف درهم، و كتب إلى عبد الله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة.

و حدث أبو إسحاق عن عبد الرحمن بن يسار، قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة، إذا أمسى أتاها عثمان، فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص. و كان عثمان إذا أجاز أحدا من أهل بيته بجائزة، جعلها فرضا من بيت المال، فجعل يدافعه و يقول: يكون فنعطيك. فألح عليه فقال له عثمان:

ص: ٤٣٢

إنما أنت خازن لنا، فاذا أعطيناك فخذ، و إذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت و الله، ما أنا لك بخازن و لا لأهل بيتك، إنما أنا خازن المسلمين. و جاء بالمفتاح يوم الجمعة و عثمان يخطب، فقال: أيها الناس زعم عثمان أنني خازن له و لأهل بيته، و إنما كنت خازنا للمسلمين، و هذه مفاتيح بيت مالكم. و رمى بها، فأخذها عثمان و دفعها إلى زيد بن ثابت^{١٢٦٣}.

«و عباده خولا» أى: رقيقا لهم و ملكا، و فى (صفيين نصر): لما أراد على عليه السلام المسير إلى الشام، قام قيس بن سعد بن عبادة، فقال: انكمش بنا إلى عدونا، و لا تعرج فو الله لجهادهم أحب إلي من جهاد الترك و الروم، لإدهانهم فى دين الله و استذلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم، من المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان، و إذا غضبوا على رجل حبسوه، أو حرموه، أو سيروه، و فيتنا لهم فى أنفسهم حلال، و نحن لهم فى ما يزعمون قطين. يعنى: رقيق^{١٢٦٤}.

«و الصالحين» كأبى ذر و عمّار.

«حربا» و فى (تارىخ اليعقوبى): لما بلغ عثمان وفاة أبى ذر، فقال عمّار: نعم، رحم الله أبا ذر من كل أنفسنا. فغلظ ذلك على عثمان، و بلغه عن عمّار كلام، فأراد أن يسيره أيضا...^{١٢٦٥}.

«و الفاسقين» كالوليد بن عقبة الفاسق بنص القرآن فيه، و هو أخو عثمان لامه، و عبد الله بن سعد بن أبى سرح، الذى أمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم بقتله و لو وجد متعلقا بأستار الكعبة، و هو أخوه من الرضاع.

«حزبا» و فى (صفيين نصر): قام عمّار فى صفيين، فقال: امضوا عباد الله إلى

ص: ٤٣٣

^{١٢٦٣} (١) تارىخ اليعقوبى ٢: ١٦٨ - ١٦٩.

^{١٢٦٤} (٢) وقعة صفين: ٩٢ - ٩٣.

^{١٢٦٥} (٣) تارىخ اليعقوبى ٢: ١٧٤.

قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم بغير ما في كتاب الله، إنما قتله الصالحون، المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان. فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا:

لأحداثه. فقالوا: إنه ما أحدث شيئاً. و ذلك لأنه مكّنه من الدنيا فهم يأكلونها و يرعونها، و الله ما أظنهم يطلبون دمه، إنهم ليعلمون إنه لظالم، و لكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها و استمروها، و علموا لو أن الحقّ لزمهم لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها، و لم يكن للقوم سابقة في الإسلام، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبارةً و ملوكاً...^{١٢٦٦}.

و فيه: و قال هاشم بن عتبة المرقال لعلّ عليه السلام: سر بنا إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، و عملوا في عباد الله بغير رضی الله، فأحلّوا حرامه و حرّموا حلاله، و استولاهم الشيطان و وعدهم الأباطيل، و منّاهم الأمانى حتّى أزاغهم عن الهدى، و قصد بهم قصد الردى، و حبّب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبةً فيها، كرجبتنا في الآخرة...^{١٢٦٧}.

و ما قاله عليه السلام من أنه يأسى أن يلى أمر الامّة من يتخذ مال الله دولا، و عباده خولا... أخبر به النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم قبل. فدخل أبو ذر على عثمان بعد إرسال معاوية له من الشام على قتب بغير وطاء و قد ذهب لحم فخذيته، فقال عثمان: بلغنى أنّك تقول: سمعت النبي يقول: إذا كملت بنو أبي العاص ثلاثين أتخذوا عباد الله خولا و دين الله دغلا. فقال له: نعم، سمعته يقول ذلك. فطلب منه شاهداً فشهد عليه السلام له لقول النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم المتفق عليه في أبي ذر: ما أظلت الخضراء و لا

ص: ٢٣٤

أقلت الغبراء ذا لهجةً أصدق من أبي ذر.

روى ذلك المسعودى^{١٢٦٨} و يعقوبى^{١٢٦٩} و الواقدى^{١٢٧٠} و غيرهم.

«فإنّ منهم الذى قد شرب فيكم الحرام و جلد حدّاً في الإسلام» قال ابن أبى الحديد:

قال الراوندى: «هو المغيرة». و أخطأ لأن المغيرة اتّهم بالزنا و لم يحدّ، و لم يجر للمغيرة ذكر في الشرب، و أيضا لم يشهد المغيرة صفين مع معاوية، و لا مع على عليه السلام، و ما للراوندى و هذا؟! إنّما يعرف هذا الفن أربابه. و الذى عناه عليه السلام الوليد بن عقبة بن أبى معيط^{١٢٧١}.

^{١٢٦٦} (١) وقعة صفين: ٣١٩.

^{١٢٦٧} (٢) المصدر نفسه: ١١٢.

^{١٢٦٨} (١) مروج الذهب ٢: ٣٤٨ - ٣٥٠.

^{١٢٦٩} (٢) تاريخ يعقوبى ٢: ١٧١ - ١٧٢.

^{١٢٧٠} (٣) نقله عنه ابن أبى الحديد في شرح نهج البلاغة ٣: ٥٥ - ٥٦.

قلت: لا ريب في إرادته عليه السّلام الوليد، كما يفصح عنه كلامه الآخر الذي رواه الطبري عن زيد بن وهب: أن علياً عليه السّلام مرّ على جماعة من أهل الشام بصفين، فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه، فأخبروه عليه السّلام بذلك فوقف في ناس من أصحابه، فقال: انهدوا إليهم وعليكم السكينة وسيماء الصالحين ووقار الإسلام، والله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّ وجلّ، قوم قائدهم ومؤدّبهم معاوية، وابن النابغة، وأبو الأعور السلمي، وابن أبي معيط شارب الحرام والمجلود حدّا في الإسلام، وهم أولى يقومون فيقصبونني ويشتمونني، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، فالحمد لله، قديما عاداني الفاسقون فعبدتهم الله.

إنّ هذا لهو الخطب الجليل، أنّ فساقا كانوا غير مرضيين، وعلى الإسلام وأهله متخوفين، خدعوا شطر هذه الامّة، و اشربوا قلوبهم حبّ الفتنة، واستمالوا

ص: ٤٣٥

أهواءهم بالافك والبهتان، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله ... ١٢٧٢.

لكن ردّه الراوندي: بأنّ المغيرة اتّهم بالزنا، و (لم يحدّ) تجنب عن الحقيقة، وإلّا فالمغيرة زنا محققا، وإنّما منع عمر الشاهد الرابع من أداء شهادته كاملا، حتّى لا يحدّه، و قد قال الحسن عليه السّلام لمعاوية: بأنّ الله يسأله عن ذلك، كما ان قوله في ردّه: إنّ المغيرة لم يشهد صفين مع أحد، في غير محلّه، فإنّ كلامه عليه السّلام ليس في من شهد صفين بالخصوص، لأنّ كلامه عليه السّلام لم يكن في صفين، بل في الكوفة بعد النهروان كما عرفت، و المغيرة و إن اعتزل لدهائه لاحتماله غلبة أمير المؤمنين عليه السّلام، كما اتّفقت و دفعوها بالحيلة، إلّا أنّه لم يكن أدون من الوليد، و قد ولى بعده عليه السّلام على الناس أيام حياته لتخاذل أصحابه عليه السّلام، و قد عرفت أنّه هو الذي حمل معاوية على استلحاق زياد و استخلاف يزيد، و مفاسدهما في الإسلام معلومة، و هو الذي أقام خطباء يسبّونه عليه السّلام لمّا بويع معاوية، فضلا عن سبّه بنفسه أيام حياته على المنبر، بوصية معاوية إليه لمّا ولاه.

ثم إنّ ابن أبي الحديد نقل عن (أغاني أبي الفرج) أحوال الوليد، شربه و غير شربه. و نحن نقتصر منها على ما له زيادة دخالة، فمن رواياته عن ابن شوذب: صلى الوليد بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات - ثم التفت إليهم - فقال:

ازيدكم؟ فقال ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم ١٢٧٣.

و عن هشام الكلبي، و أبي عبيدة، و الأصمعي، قالوا: كان الوليد زانيا، يشرب الخمر، فشرب بالكوفة و قام ليصلي بهم الصبح، فصلّى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أازيدكم؟ و تقياً في المحراب! و أنشد في الصلاة:

١٢٧١ (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٧.

١٢٧٢ (١) تاريخ الطبري ٥: ٤٥، سنة ٣٧.

١٢٧٣ (٢) الأغاني ٥: ١٢٥، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٩.

عَلَّقَ الْقَلْبَ الرَّبَابَا

بعد ما شابت و شابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه، فأتى به، فأمر رجلاً أن يضربه الحدّ، فلمّا دنا منه قال: نشدتك و قرابتى من الخليفة. فتركه، فخاف على عليه السّلام أن يعطلّ الحدّ، فقام إليه فحدّه بيده، فقال له الوليد نشدتك: و القرابة. فقال على عليه السّلام له: اسكت. فإنّما هلك بنو إسرائيل لتعطيلهم الحدود. فلمّا فرغ من حدّه قال: لتدعوني قريش بعدها جلاًدا^{١٢٧٤}.

و عن مطر الوراق قال: قدم رجل من أهل الكوفة إلى المدينة، فقال لعثمان:

إني صليت صلاة الغداء خلف الوليد، فالتفت في الصلاة إلى الناس فقال:

أ أزيدكم فإنّي أجد اليوم نشاطاً؟ و شممننا منه رائحة الخمر. فضرب عثمان الرجل، فقال الناس: عطّلت الحدود و ضربت الشهود^{١٢٧٥}.

و عن الزهرى قال: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال لهم عثمان: أكلّمنا غضب رجل على أميره رماه بالباطل؟ لئن أصحبت لكم لأنكننّ بكم. فاستجاروا بعائشة، و أصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً و كلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد فسّاق العراق و مراقها ملجأً إلّا بيت عائشة؟ فسمعت ذلك، فرفعت نعل النبي صلى الله عليه و آله و سلّم و قالت: تركت سنّة صاحب هذا النعل. و تسامع الناس فجاءوا حتّى ملثوا المسجد - إلى أن قال - و دخل رهط من الصحابة على عثمان، فقالوا له: اتّق الله و لا تعطّل الحدود، و اعزل أخاك عنهم. ففعل^{١٢٧٦}.

و لمّا عزله أمر عليها سعيد بن العاص، فلمّا قدمها قال: اغسلوا المنبر فإنّ

الوليد كان رجساً نجساً. فلم يصعده حتى غسل^{١٢٧٧}.

^{١٢٧٤} (١) الأغاني ٥: ١٢٦، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٠.

^{١٢٧٥} (٢) الأغاني ٥: ١٣١، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٣.

^{١٢٧٦} (٣) الأغاني ٥: ١٣٠ - ١٣١، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٢ - ٢٣٣.

^{١٢٧٧} (١) الأغاني ٥: ١٤٥، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٢.

و عن ابن الأعرابي: أن أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد دار عقيل عند باب المسجد، و استوهبها فوهبها له، فكان ذلك أوّل الطعن عليه من أهل الكوفة، لأنّ أبا زبيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد إلى الوليد فيسمر عنده و يشرب معه، و يخرج و يشقّ المسجد و هو سكران، فذاك نههم عليه^{١٢٧٨}. و كان أبو زبيد نصرانيا.

و مات الوليد فويق الرقة، و مات أبو زبيد هناك، فدفنا جميعا فى موضع واحد، فمرّ أشجع السلمى بقبريهما، و قال:

و قد لاحت ببلقعة صلود^{١٢٧٩}

مررت على عظام أبى زبيد

فنادم قبره قبره الوليد^{١٢٨٠}

فكان له الوليد نديم صدق

و عن الزهرى: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ رجز فى غزاة بنى المصطلق مواساء لأصحابه، فقالوا له: قلت قولاً لا ندرى ما هو؟ كنت تقول: «جندب و ما جندب و إلّا قطع زيد الخير» فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: هما رجلان يكونان فى هذه، يضرب أحدهما ضربة يفرّق بين الحقّ و الباطل، - إلى أن قال -: و أمّا جندب هذا فدخل على الوليد و عنده ساحر يقال له: أبو شيبان، فيخرج مصارين بطنه ثم يردّها، فجاء من خلفه فضربه و قتله، و قال:

و ابن حبيش راكب الشيطان

العن وليدا و أبى شيبان

ص: ٤٣٨

رسول فرعون إلى هامان^{١٢٨١}

^{١٢٧٨} (٢) الأغاني ٥: ١٣٥، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٦.

^{١٢٧٩} (٣) البلقع و البلقعة: الأرض القفر التي لا شىء بها. الصحاح ٣: ١١٨٨، مادة: (بلقع). و أرض صلود: لا تثبت. أساس البلاغة: ٢٥٧، مادة: (صلد).

^{١٢٨٠} (٤) الأغاني ٥: ١٤٦، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٣.

^{١٢٨١} (١) الأغاني ٥: ١٤٤، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤١.

و عن ابن عباس قال: قال الوليد لعلّي عليه السّلام: أنا أحدّ منك سنانا، و أبسط منك لسانا، و أملاً للكثيبيّة. فقال له على عليه السّلام: اسكت يا فاسق! فنزل القرآن فيهما:

«أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»^{١٢٨٢}. قال: و قال ابن عبد البرّ صاحب (الاستيعاب): لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن، إنّ قوله تعالى:

«إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبِيٍّ فَتَبَيَّنُوا»^{١٢٨٣} انزلت في الوليد لما بعثه النبي صلّى الله عليه وآله و سلّم مصدقاً، فكذب على بني المصطلق و قال: إنهم ارتدوا و امتنعوا من أداء الصدقة، و فيه و في علىّ عليه السّلام نزل «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»^{١٢٨٤} في قصتهما المشهورة^{١٢٨٥}.

قال: و روى أبو الفرج مسنداً: أنّ امرأة الوليد جاءت إلى النبي صلّى الله عليه وآله و سلّم تشتكى إليه الوليد بأنّه يضربها، فقال لها: قولي له إنّ النبي قد أجارني، فانطلقت، فمكثت ساعة، ثمّ رجعت فقالت: إنّه ما قلع عنّي. فقطع النبي صلّى الله عليه وآله و سلّم هديّة من ثوبه، و قال لها: اذهبي بها إليه و قولي له: إنّ النبي قد أجارني، فانطلقت، فمكثت ساعة ثمّ رجعت، فقالت: ما زادني إلّا ضرباً. فرفع النبي صلّى الله عليه وآله و سلّم يده ثمّ قال: «اللهمّ عليك بالوليد» مرتين أو ثلاثاً^{١٢٨٦}.

و في (المروج): كان الوليد يشرب مع ندمائه و مغنّيه من أوّل الليل إلى الصباح، فلما آذنه المؤذن بالصلاة، خرج في غلائه فتقدّم إلى المحراب في

ص: ٤٣٩

صلاة الصبح، فصلّى بهم أربعاً، و قال: تريدون أن أزيدكم؟ قيل: و قال في سجوده- و قد أطال-: اشرب و اسقني. فقال له بعض من كان خلفه في الصفّ الأوّل: ما تريد لا زادك الله مزيد الخير، و الله لا أعجب إلّا ممّن بعثك علينا والياً؟

و القائل عتاب بن غيلان الثقفي. و خطب الوليد الناس فحصبوه بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنّح و يتمثل بأبيات لتأبط شراً:

و لا بصفا صلد عن الخير معزل

و لست بعيداً عن مدام و قينة

و أمشى الملا بالساحب المتسلسل

و لكنني أروى من الخمر هامتي

^{١٢٨٢} (٢) السجدة: ١٨.

^{١٢٨٣} (٣) الحجرات: ٤.

^{١٢٨٤} (٤) السجدة: ١٨.

^{١٢٨٥} (٥) الأغاني ٥: ١٤٠-١٤١، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٨-٢٣٩.

^{١٢٨٦} (٦) الأغاني ٥: ١٤١، و شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٩-٢٤٠.

و فى ذلك يقول الحطيبه:

شهد الحطيبه يوم يلتقى ربه
نادى و قد تمت صلاتهم
ليزدهم اخرى و لو قبلوا
حبسوا عنانك فى الصلاة و لو
أن الوليد أحقّ بالعدر
أزيدكم ثملا و ما يدرى
لقرنت بين الشفع و الوتر
خلوا عنانك لم تزل تجرى

و أشاعوا فى الكوفة فعله، و ظهر فسقه و مداومته شرب الخمر، فهجم عليه جماعة، منهم أبو زينب بن عوف الأزديّ، و جندب بن زهير الأزدي و غيرهما، فوجدوه سكران مضطجعا على سريره لا يعقل، فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ، ثم تقيّاً عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده، و خرجوا من فورهم إلى المدينة، فأتوا عثمان فشهدوا عنده على الوليد: أنّه شرب الخمر. فقال عثمان: و ما يدريكم أنّه شرب خمرًا؟ قالوا: هى الخمر التى كنّا نشربها فى الجاهلية. و أخرجنا خاتمه فدفعاه إليه، فرزأهما و دفع فى صدرهما، و قال: تنحّيا عنى. فخرجا و أتيا عليّاً عليه السلام و أخبراه بالقصة، فأتى عثمان و هو يقول: دفعت الشهود و أبطلت الحدود. فقال له عثمان: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك، فإن أقاما الشهادة عليه فى وجهه و لم يدل بحجة، أقت

ص: ٤٤٠

عليه الحدّ. فلمّا حضر الوليد دعاها عثمان فأقاما الشهادة عليه، و لم يدل بحجة، فألقى عثمان السوط إلى علىّ عليه السلام، فقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: قم يا بنى فأقم عليه ما أوجب الله عليه. فقال: يكفيه بعض من ترى. فلمّا نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه، توقّيا لغضب عثمان لقرابته منه، أخذ السوط و دنا منه، فلمّا أقبل نحوه، سبه الوليد، و قال: يا صاحب مكس. فقال عقيل - و كان ممّن حضر -: إنك لتتكلم يا ابن أبى معيط كأنك لا تدرى من أنت، إنّما أنت عليج من أهل صفورية، - قرية بين عكا و اللجون من أعمال الاردن من بلاد طبرية، ذكر أنّ أباه كان يهوديًا منها - فأقبل الوليد يروغ من على عليه السلام، فاجتذبه و ضرب به الأرض و علاه بالسوط، فقال عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا. قال: بلى و شرّ من هذا، إذا فسق و منع أن يؤخذ حقّ الله منه - إلى أن قال -:

و بلغ الوليد عن رجل من اليهود من ساكنى قرية ممّا يلى جسر بابل، يقال له:

زاره، يعمل أنواع من الشعبة و السحر، يعرف بمطروى، فأحضر فأراه فى المسجد ضربا من التخاييل، فأظهر له فى الليل فيلا عظيما على فرس فى صحن المسجد، ثم صار اليهودى ناقةً يمشى على جبل، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره، ثم ضرب عنق رجل ففرق بين جسده و رأسه، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل، و كان جماعة من أهل الكوفة حضورا، منهم جندب بن كعب الأزدي، فجعل يستعيز بالله من فعل الشيطان، و من عمل يبعد من الرحمن، و علم أن ذلك هو ضرب من التخيل و السحر، فاخترط سيفه فضرب به اليهودى ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه، و قال: «جاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً»^{١٢٨٧}، فأنكر عليه الوليد ذلك و أراد أن يقيد به، فمنعه الأزدي فحبسه و أراد قتله غيلة، و نظر السجان إلى قيامه ليلاه إلى

ص: ٤٤١

الصبح، فقال له: انج نفسك. فقال جندب: تقتل بى. قال: ليس ذلك بكثير فى مرضاة الله و الدفع عن ولى من أولياء الله. فلما أصبح الوليد، دعا به و قد استعد لقتله، فأخبره السجان بهربه، فضرب عنق السجان، و صلبه بالكناس^{١٢٨٨}.

«و إنَّ منهم من لم يسلم حتَّى رضخت له على الإسلام الرضائح» جمع الرضيحة، و فى (الجمهرة) يقال: رضخ فلان لفلان من ماله إذ: أعطاه قليلا من كثير. و الاسم الرضيحة يقال: أعطاه رضيحة من ماله و رضاخة^{١٢٨٩}.

قال ابن الحديد: قال الراوندى: «يعنى عمرو بن العاص» و ليس بصحيح لأن عمرا لم يسلم بعد الفتح، و أصحاب الرضائح كلهم بعد الفتح صونوا على الإسلام بغنائم، و إنما يعنى به معاوية^{١٢٩٠}.

قلت: و فى (الطبرى) فى غنائم حنين عن عبد الله بن أبى بكر قال: أعطى النبى صلى الله عليه و آله و سلم المؤلفة قلوبهم - و كانوا من أشرف الناس - يتألفهم، فأعطى أبا سفيان مائة بعير، و أعطى ابنه معاوية مائة بعير - إلى أن قال: - قال أبو سعيد الخدرى: لما أعطى النبى صلى الله عليه و آله و سلم ما أعطى من تلك العطايا فى قريش و قبائل العرب، و لم يكن فى الأنصار منها شىء، وجدوا فى أنفسهم حتى كثرت منهم القالة - إلى أن قال: - فقال لهم النبى صلى الله عليه و آله و سلم: وجدتم فى أنفسكم معشر الأنصار فى لعاعة من الدنيا، تألفت بها قوما ليسلموا، و وكلتكم إلى إسلامكم، أ فلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة و البعير، و ترجعوا برسول الله إلى رجالكم؟ فو الذى نفس محمد بيده لو لا الهجرة لكنت امراً من الأنصار، و لو سلك الناس شعبا و سلك الأنصار شعبا لسلكت شعب الأنصار، اللهم

ص: ٤٤٢

^{١٢٨٧} (١) الإسراء: ٨١.

^{١٢٨٨} (١) مروج الذهب ٢: ٣٤٤ - ٣٤٨، و النقل بتصرف و تلخيص.

^{١٢٨٩} (٢) جمهرة اللغة ١: ٥٨٧، مادة: (رضخ).

^{١٢٩٠} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٢٦ - ٢٢٧.

ارحم الأنصار و أبناء الأنصار و أبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم و قالوا: رضينا برسول الله قسما و حظا^{١٢٩١}.

«فلو لا ذلك ما أكثرت تأليبكم» أى: تحريضكم.

«و تأنيبكم» أى: لومكم.

«و جمعكم و تحريضكم» أى: حثكم.

«و لتركنتكم إذ أبيتم و ونيتم» أى: ضعفتم، فى (صفيين نصر): حرّض يزيد بن قيس الأرحبى الناس، فقال: إن هؤلاء القوم و الله ما ان يقاتلوا على إقامة دين رأونا ضيعناه، و لا إحياء عدل رأونا أمتناه، و لن يقاتلونا إلّا على إقامة الدنيا، ليكونوا جبابرة ملوكا. فلو ظهوروا عليكم - لا أراهم الله ظهورا- إذن أزموكم مثل سعيد و الوليد و عبد الله بن عامر السفية، الذى يحدث أحدهم فى مجلسه بديث و زيت، و يأخذ مال الله و يقول: هذا لى و لا إثم علىّ فيه، كأنما أعطى تراثه من أبيه، قاتلوا عباد الله القوم الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، و لا تأخذكم فى جهادكم لومة لائم، إنهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم و دنياكم، و هم من قد عرفتم و جربتم^{١٢٩٢}.

«ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت» فكان معاوية يبعث الجيوش إلى الأطراف و الثغور، فيقتل الناس و يغير عليهم.

«و إلى أمصاركم قد افتتحت» و منها مصر، و هى كانت قسمة مهمة من المملكة.

«و إلى ممالككم تزوى» أى: تجمع و تقبض.

«و إلى بلادكم تغزى» فأغزى جيوش معاوية اليمن و الحجاز و أكثر

ص: ٤٤٣

بلاد العراق.

«انفروا» أى: اشخصوا.

«رحمكم الله إلى قتال عدوكم و لا تتأقلوا» قال ابن أبى الحديد: بالشديد، أصله «تتأقلوا»^{١٢٩٣}.

^{١٢٩١} (١) تاريخ الطبرى ٣: ٩٣-٩٤، سنة ٨.

^{١٢٩٢} (٢) وقعة صفين: ٢٤٧-٢٤٨.

^{١٢٩٣} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٢٤.

قلت: إنما قال ذلك لأنّ في القرآن «تَأَقَّلْتُمْ»^{١٢٩٤}، إلّا أنّه يجوز أن يكون بالتخفيف حذفت إحدى تاءيه تخفيفا.

«إلى الأرض» قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ»^{١٢٩٥}.

«فتقروا بالخسف» أى: النقيصة.

«و تبوءوا» أى: ترجعوا «بالذل».

«و يكون نصيبكم الأخرس» أى: الدنيا، فى (صفين نصر): كتب عقبه بن مسعود عامله عليه السلام على الكوفة إلى سليمان بن صرد- و هو معه عليه السلام بصفين-: أما بعد، فإنهم «إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا» فعليك بالجهاد والصبر^{١٢٩٦}.

«و إن» هكذا فى (المصرية)^{١٢٩٧}، و الصواب: «ان» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم^{١٢٩٨} و الخطيبه).

«أخا الحرب الأرق» أى: لم ينم بالليل.

«و من نام لم ينم عنه» يعنى إن نمت عن العدو فالعدو لا ينام عنك، لكن عرفت

ص: ٤٤٤

أنّ (رسائل الكليني) رواه: (إن نام لم تنم عينه)، فجعله بيانا للأرق، و هو صفة الذئب، قالوا: ينام بإحدى مقلتيه و الاخرى يقضى.

قال حميد بن ثور:

أكلت طعاما دونه و هو جائع

و نمت كنوم الذئب فى ذى حفيظة

باخرى الأعادى فهو يقظان هاجع^{١٢٩٩}

ينام بإحدى مقلتيه و يتقى

^{١٢٩٤} (٢) التوبة: ٣٨.

^{١٢٩٥} (٣) التوبة: ٣٨.

^{١٢٩٦} (٤) وقعة صفين: ٣١٣، و الآية ٢٠ من سورة الكهف.

^{١٢٩٧} (٥) نهج البلاغة ٣: ١٣٢.

^{١٢٩٨} (٦) فى شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٢٥، و شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٢ «و إن» أيضا.

^{١٢٩٩} (١) أورد البيهقي الجاحظ فى كتاب الحيوان ٦: ٤٦٧، و ٤٧٢.

هذا و من كتبه عليه السّلام إلى معاوية- لما كتب معاوية إليه عليه السّلام يذكر اعتراضاته عليه السّلام على عثمان، و أنّه قصر في الله فيه-: بلغني كتابك تذكر مشاغبتي، و تستقبح مؤازرتي، و تزعمني متحيراً، و عن حق الله مقصراً، فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة و تستحسن العضية؟ إنني لم اشاغب إلّا في أمر بمعروف أو نهى عن منكر، و لم أضجر إلّا على باغ مارق، أو ملحد منافق، و لم آخذ في ذلك إلّا بقول الله سبحانه: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ»^{١٣٠٠}. و أمّا التقصير في حق الله، فمعاذ الله، و المقصّر في حق الله من عطّل الحقوق المؤكّدة، و ركن إلى الأهواء المبتدعة، و أخلد إلى الضلالة المحيرة^{١٣٠١}.

٢٣

الخطبة (١٥٩) و من خطبة له عليه السّلام:

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جَوَارِكُمْ- وَ أَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ- وَ اعْتَقْتُكُمْ مِنْ رَبِّقِ الذَّلِّ وَ حَلَقِ الضِّمِّ- شُكْرًا مَنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ- وَ إِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ

ص: ٤٤٥

البَصْرُ- وَ شَهَدَهُ الْبَدَنُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْكَثِيرِ أَقُول: الظاهر أنّها إشارة إلى دفاعه عليه السّلام عن الناس أيام عثمان، و إذلال بني امية للناس، ففي (الطبرى) قال الواقدي: كتب الصحابة في سنة (٣٤) بعضهم إلى بعض: إن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد- إلى أن قال:- فاجتمع الناس و كلّموا عليّاً عليه السّلام فدخل على عثمان فقال: الناس ورائي و قد كلّموني فيك- إلى أن قال:- ثم خرج عليّ عليه السّلام من عنده و خرج عثمان على أثره فجلس على المنبر، فقال: أمّا بعد فإن لكل شيء آفة، و لكل أمر عاهة، و إن آفة هذه الامّة و عاهة هذه النعمة عيّابون طعّانون، يرونكم ما تحبّون و يسرون ما تكرهون، يقولون لكم و يقولون، أمثال النعام يتبعون أوّل ناعق، أحبّ مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلّا نغصا و لا يرون إلّا عكرا، لا يقوم لهم رائد، و قد أعييتهم الامور و تعدّرت عليهم المكاسب- إلى أن قال:- فقام مروان فقال: إن شئتم حكّمنا بيننا و بينكم السيف^{١٣٠٢}.

و عن الواقدي أيضاً: جاء عليّ عليه السّلام إلى عثمان بعد انصراف المصريين فقال له: تكلم كلاما يسمعه الناس منك، و يشهدون عليه، و تشهد الله على ما في قلبك من النزوع- إلى أن قال:- فقال عثمان لمروان: اخرج إلى الناس فكلّمهم، فإنني أستحيي أن أكلّمهم. فخرج مروان إلى الناس فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنا؟

أما و الله لئن رمتونا ليمرنّ عليكم منّا أمر لا يسركم، و لا تحمدوا غبّ رأيكم.

^{١٣٠٠} (٢) المجادلة: ٢٢.

^{١٣٠١} (٣) نقله ابن ميثم و عنه العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٥٤٠، ط الكمباني.

^{١٣٠٢} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٦-٣٣٩، سنة ٣٤.

ارجعوا فوالله ما نحن بمغلوبين على ما فى ايدينا. فرجع الناس و اتى بعضهم عليا عليه السلام فأخبره، فدخل مغضبا على عثمان فقال له: أما رضيت من مروان و لا رضى منك إلا بتصرفك عن دينك و عقلك، مثل جمل الطعينة يقاد حيث

ص: ٤٤٤

يسار به، و الله ما مروان بذى رأى فى دينه، و إنى لأراه سيوردك ثم لا يصدرك، و ما أنا بعائد بعد مقامى هذا لمعاتيتك^{١٣٠٢}.

و فيه: أن عثمان صعد المنبر، فقام رجل و قال له: أقم كتاب الله - إلى أن قال -: فتحاتوا بالحصباء حتى ما ترى السماء، و سقط عثمان عن المنبر و حمل إلى داره مغشياً عليه، و دخل عليه على عليه السلام و بنو امية حوله، فأقبلت بمنطق واحد على على عليه السلام و قالوا له: أهلكتنا و صنعت هذا الصنيع به، أما و الله لئن بلغت الذى تريد لتمرن عليك الدنيا. فقام عليه السلام مغضبا^{١٣٠٤}.

و يفهم من هذه الروايات درايات، و منها: أن اعتقاد كون أمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم ملكا، لم ينحصر بيزيد بن معاوية الذى قال: لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحى نزل. و لا بالوليد بن يزيد الذى قال: تلعب بالخلافة هاشمى و لا بمعاوية بن أبى سفيان الذى تلهف للمغيرة بعدم استطاعته بإزالته اسم أخى هاشم - أى: النبى صلى الله عليه و آله و سلم - عن المأذونات، بل الأصل فيهم عثمان، فيوم نال الأمر قال أبو سفيان بمشهده: يا بنى امية اجعلوا هذا الأمر كره بينكم فلا جنه و لا نار - و قال أيضا أبو سفيان أيام عثمان - و قد مر بقبر حمزة و ضربه برجله -:

يا حمزة إن الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف أمس، فى يد غلماننا اليوم يتلعبون به.

و يقول مروان - الذى كان سفير عثمان و بمنزلة روحه بل فوقه، حيث رضى بقتله دون أن يصل أذى بمروان، و كان من الخبث فوق يزيد -: أ تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا؟

بل يظهر حال المؤسس له و لهم.

ص: ٤٤٧

« و لقد أحسنت جواركم » فى (القاموس): الجوار: كسحاب الماء الكثير التفر، و بالكسر أن تعطى الرجل ذمة فيكون بها جارك فتجيره^{١٣٠٥}.

^{١٣٠٢} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٠ - ٣٦٢، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرف و تلخيص.

^{١٣٠٤} (٢) المصدر نفسه ٤: ٣٦٤ - ٣٦٥، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتلخيص.

^{١٣٠٥} (١) القاموس المحيط ١: ٣٩٤، مادة: (جور).

«و أحطت بجهدى من ورائكم» فى (الصحيح)، قال الفراء: الجهد بالضم: الطاقة، و بالفتح: من قولك: اجهد جهدك. أى: ابلغ غايتك ١٣٠٦.

«و أعتقتكم من ربق الذل» فى (الصحيح) الربق: حبل فيه عدّة عرى، يشدّ به اليهم، الواحدة ربقة ١٣٠٧.

«و حلق» جمع حلقة.

«الضيم» أى: الذلّ، قد كان الناس أيام عثمان أرقاء أذلاء، فى ربق ذلّ بنى أميّة و حلق ضيمهم، حسبما أخبر به النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم فى قوله: إذا بلغ آل أبى العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا و دينه دغلا، و ماله خولا ١٣٠٨. فأطلقهم أمير المؤمنين عليه السّلام فى أيّامه و أعتقهم بطرد بنى أميّة.

«شكرا منى للبرّ القليل» من لجأهم إليه عليه السّلام أيام عثمان، و اتفاهم على بيعته بعده.

«و إطراقا عمّا أدركه البصر» فى (الصحيح) قال يعقوب: أطرق الرجل إذا سكت فلم يتكلّم، و أطرق أى: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض ١٣٠٩.

«و شهدته البدن» من تركهم له عليه السّلام و خذلانهم إيّاه، مع كونه بمنزلة نفس النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم بنص القرآن علما و عملا و تعيين النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم له عليه السّلام من يوم بعثته إلى وقت وفاته قولاً و فعلا، يوم السقيفة و يوم الشورى.

ص: ٤٤٨

٢٤

الخطبة (١٦٨) و من كلام له عليه السّلام بعد ما بويع له بالخلافة، و قد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوما ممن أجلب على عثمان. فقال عليه السّلام:

يَا إِخْوَتَاهُ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ - وَ لَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةِ وَ الْقَوْمِ الْمُجْلِبُونَ - عَلَى حَدِّ شَوْكِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَ لَا نَمْلِكُهُمْ - وَ هَا هُمْ هَوْلَاءِ قَدْ تَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَاؤُكُمْ - وَ انْتَفَتِ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ - وَ هُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا - وَ هَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ - وَ إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ أَمْرٌ جَاهِلِيٌّ - وَ إِنَّ لِهَوْلَاءِ الْقَوْمِ مَادَّةً - إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ - فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرُونَ وَ فِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرُونَ - وَ فِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَ لَا ذَاكَ - فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَى النَّاسُ وَ تَقَعَ الْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا - وَ تُوْخَذَ

١٣٠٦ (٢) الصحيح ٢: ٤٦٠، مادة: (جهد).

١٣٠٧ (٣) المصدر نفسه ٢: ١٤٨٠، مادة: (ربق).

١٣٠٨ (٤) مضت مداركه فى هذا الفصل.

١٣٠٩ (٥) الصحيح ٤: ١٥١٥، مادة: (طرق).

الْحُقُوقُ مُسْمَحَةٌ - فَاهْدُوا عَنِّي وَ انظُرُوا مَا ذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي - وَ لَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعِّعُ قُوَّةً وَ تُسْقِطُ مَنَّةً - وَ تُوْرَثُ وَهْنًا وَ ذَلَّةً وَ سَأْمَسِيكُ الْأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ - وَ إِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا فَآخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ أَقُولُ: كما نسبوا الخطبة (٣١) من الكتاب و هي: «أيها الناس قد أصبحنا في دهر عنود و زمن كنود...» إلى معاوية و هي من كلامه عليه السّلام قطعا - فقال المصنّف ثمة: إنّ الجاحظ قال في (بيانه): هي بكلام علي عليه السّلام أشبه، و بمذهبه في تصنيف الناس و بالإخبار عمّا هم عليه من القهر و الإذلال، و من التقيّة و الخوف أليق، و متى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزّهاد^{١٣٠} - كذلك هذا الكلام نسبه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، و هو

ص: ٤٤٩

بكلام معاوية أشبه و بمذهبه في انتهازه الفرصة من قتله عثمان، و لو كان مثل عمّار و عمرو بن الحمق أليق، و متى وجدنا أمير المؤمنين عليه السّلام في حال من الأحوال يذمّ قتله عثمان؟ اللهمّ إلّا قتلوه قتلوه و طلبوا دمه كطلحة و الزبير و عايشة.

و ممّا يوضّح كونه كلام معاوية ما قاله ابن عبد ربّه في (عقده): إنّ معاوية قدم المدينة بعد عام المجاعة فدخل دار عثمان، فصاحت عايشة ابنة عثمان و بكت و نادت أباه، فقال معاوية: يا ابنة أخي! إنّ الناس أعطونا طاعةً و أعطيناهم أمانا، و أظهرنا لهم حلما تحت غضب، و أظهرنا لنا ذلّا تحت حقد، و مع كلّ إنسان سيفه و يرى موضوع أصحابه، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، و لا ندرى أعلينا تكون أم لنا، و إنّ تكوني ابنة عمّ الخليفة، خير من أن تكوني امرأة من عرض الناس^{١٣١}.

و قد رواه الجاحظ في (بيانه): عن عيسى بن يزيد عن أشياخه.

و كيف يمكن أن يكون هذا كلامه عليه السّلام و الدراية بخلافه؟ فقد عرفت كلامه عليه السّلام في عناوين هذا الفصل و في مواضع اخر من النهج، و في غير النهج، و كلام شيعته عليه السّلام في قتله و قتلته، و كلّها بالضد لما هنا.

و كيف يمكن أن يكون هذا كلامه عليه السّلام، و قد ثبت بالتواتر أنّه عليه السّلام آوى قتلته، و كان يدافع عنهم لما كان معاوية يطلبهم؟ ثم من كان الطالب ذلك منه عليه السّلام أولياؤه، فكلمهم كانوا من قاتلي عثمان و خاذليه، أم أعداؤه فلم يبايعوه، بل هربوا منه، فإن كان طلب منه ذلك أحد فليكن طلحة الذي كان على باب عثمان لحصره حتى قتل، و منع من إدخال الماء عليه، و من دخول أحد عليه و منع الناس من دفنه، و أعدّ رجالا يرمون جنازته.

ص: ٤٥٠

و كيف يمكن أن يكون هذا كلامه؟ و من قتلته كان عمّار و محمّد بن أبي بكر و مالك الأشر؟

^{١٣٠} (١) نهج البلاغة ١: ٧٤.

^{١٣١} (١) العقد الفريد ٥: ١١٣.

و فى (خلفاء ابن قتيبة) فى عنوان قدوم أبى هريرة و أبى الدرداء على معاوية، ذكروا أنّ أبى هريرة و أبى الدرداء قدما على معاوية من حمص و هو بصفين، فوعظه و قال له: علام تقاتل عليّا و هو أولى بهذا الأمر منك فى الفضل و السابقة، لأنّه رجل من المهاجرين الأوّلين السابقين، و أنت طليق و أبوك من الأحزاب؟ فقال: لست أزعم أنّى أولى بهذا الأمر من علىّ، و لكنّى اقاتله حتى يدفع إلىّ قتله عثمان. فقالا: إذا دفعهم إليك ما ذا يكون؟ قال: أكون رجلا من المسلمين - إلى أن قال -: فأتيا عليّا عليه السّلام فقالا له: إنّ لك فضلا لا يدفع، و قد سرت مسير فتى إلى سفيه من السفهاء، و معاوية يسألك أن تدفع إلينا قتله عثمان، فإن فعلت ثم قاتلك كنا معك. فقال لهما على عليه السّلام: أ تعرفانهم؟ قالوا:

نعم. قال: فخذاهم. فأتيا محمّد بن أبى بكر و عمّار بن ياسر و الأشتر، فقالوا: أنتم من قتلة عثمان و قد امرنا بأخذكم. فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل، فقالوا: نحن قتلنا عثمان. فقالوا: نرى أمرا شديدا، البس علينا أمر الرجل.

فانصرفا إلى منزلهما بحمص، فلما قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما، فقصّا عليه القصة، فقال: العجب منكما أنّكما من صحابة النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، أما و الله لئن كفتما أيديكما ما كفتما ألسنتكما، أ تأتيان عليّا و تطلبان إليه قتله عثمان؟ و قد علمتما أنّ المهاجرين و الأنصار لو حرّموا دم عثمان نصره و بايعوا عليّا على قتله فهل فعلوا؟ - إلى أن قال -: ففشى قوله و قولهما، فهمّ معاوية بقتله، ثم راقب عشيرته^{١٣١٢}.

ثم من يطلب منه عليه السّلام عقوبة المجلبين على عثمان، و لم يكن فى

ص: ٤٥١

أصحابه عليه السّلام من كان له هوى فى عثمان، و لم يكن يطلب يومئذ دم عثمان إلّا من كان عدواً له عليه السّلام، و هم بنو أميّة و اتباعهم، و قد طلب ذلك منه مروان و الوليد بن عقبه و سعيد بن العاص فنهرهم؟

قال اليعقوبى فى (تاريخه): و بايع الناس عليّا عليه السّلام إلّا ثلاثة نفر من قريش:

مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و الوليد بن عقبه - و كان لسان القوم - فقال: يا هذا إنّك قد وترتنا جميعا - إلى أن قال -: فبايعنا على أن تضع عنّا ما اصبنا، و تعفى لنا عمّا فى أيدينا، و تقتل قتلة صاحبنا. فغضب علىّ عليه السّلام و قال:

أمّا ما ذكرت من وترى إيّاكم، فالحقّ و تركم - إلى أن قال -: و أمّا قتلى قتلة عثمان فلو لزمنى اليوم قتلتهم، لزمنى قتالهم، و لكن لكم أن أحملكم على كتاب الله و سنّة نبيّه، فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضيّق، و إن شئتم فالحقوا بملاحقكم^{١٣١٣}.

^{١٣١٢} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٠٨ - ١٠٩، و النقل بتلخيص.

^{١٣١٣} (١) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٧٨ - ١٧٩.

و لم يرو ما نقل إلّا سيف الذى يقول الطبرى: «كتب إلى السرىّ عن شعيب عن سيف»^{١٣١٤} و رواياته كلّها كذب و خلاف أهل السير. و من أكاذيبه أنّه قال: إنّ أبا ذر خرج بنفسه إلى الربذة^{١٣١٥}، و إنّ عثمان نهاه عن ذلك، و قال له: إنّ خروجك إلى الربذة تعرّب بعد الهجرة. و روى أنّ سعد بن عبادَةَ بايع أبا بكر^{١٣١٦}، مع تواتر الأخبار بعدم بيعته.

و من خبثه أنّه يقلب الأشياء، مثل بدل كون (بيعةُ أبى بكرِ فلتنةُ)، بأنّ عمل سعد كان فلتنةُ قام دونها أبو بكر^{١٣١٧}.

ص: ٤٥٢

و بدل قصّة (نبح كلابِ حوآبِ عايشةُ) بنبح كلابِ حوآبِ أمّ زمل التي كانت عند عائشة^{١٣١٨}.

و من أكاذيبه: أنّ عثمان لمّا بايع أهل الشورى خرج و هو أشدهم كآبةً، فأتى منبر النبى فخطب الناس و قال: إنّكم فى دار قلعة، و فى بقيّة اعمار...^{١٣١٩} فإنّ السير رواوا: أنّ عثمان لمّا بويع خرج إلى داره فى غاية السرور، و بنو امية حوله، و قال أبو سفيان: لازلت أرجو لكم الخلافة يا بنى امية، اجعلوها كرة بينكم، فإنّما هى الملك، فلا جنّة و لا نار. و لمّا أراد خطبته الاولى حصر و قال:

إنّ أبا بكر و عمر كانا يعدان للمنبر و أنا ما أعددت^{١٣٢٠}.

و روى أنّ ابن الهرمزان قال: «إنّ عثمان لمّا ولى دعانى فأمكننى من عبيد الله بن عمر قاتل أبى عففوت عنه»^{١٣٢١}، مع أنّ أوّل طعن طعنوا به حتى أدّى إلى قتله تركه عبيد الله بلا قصاص^{١٣٢٢}.

و روى أنّ الوليد بن عقبه ما شرب الخمر، و إنّما اتّهموه بذلك، و أنّ زهير بن جندب و مورع بن أبى مورع و شبيل بن أبى زينب نقبوا على رجل فقتلوه فقتلهم الوليد، فكان آباؤهم حاقدين على الوليد منذ قتل أبنائهم، و أشاعوا ذلك، و لم يكن على

^{١٣١٤} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٢٨٤-٢٨٥، سنة ٣٠.

^{١٣١٥} (٣) المصدر نفسه.

^{١٣١٦} (٤) تاريخ الطبرى ٣: ٢٢٣، سنة ١١.

^{١٣١٧} (٥) تاريخ الطبرى ٣: ٢٦٣-٢٦٤، سنة ١١.

^{١٣١٨} (١) المصدر نفسه ٣: ٢٦٣-٢٦٤، سنة ١١.

^{١٣١٩} (٢) المصدر نفسه ٤: ٢٤٣ سنة ٢٤.

^{١٣٢٠} (٣) الإمامة و السياسة ١: ٢٧، تاريخ يعقوبى ٢: ١٦٢-١٦٣.

^{١٣٢١} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٢٤٣-٢٤٤، سنة ٢٤.

^{١٣٢٢} (٥) الشافى فى الإمامة ٤: ٣٠٣-٣٠٥، شرح ابن أبى الحديد ٣: ٥٩.

بيت الوليد باب فاقتحموا عليه من المسجد، فدخلوا عليه و كان بين يدي الوليد تفاريق عنب، فاستحى أن يروه فأدخله تحت السرير^{١٣٢٣}.

وأن عثمان أحدث القسامة ليصد الناس عن القتل، وأن الوليد أتى بساحر

ص: ٤٥٣

فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حدّه، فما أمهله جندب، و جاء فقتله، فاجتمع ابن مسعود و الوليد على حبسه، و كتب الوليد فيه إلى عثمان، فتقدم عثمان إلى الناس ألا يعملوا بالظنون، و لا يقيموا الحدود دون السلطان، و أن يستحلفوا جندبا أنه صادق في ما ظنّ من تعطيل الحدود، و يقرره و يطلقه، فغضب لجندب أصحابه، فخرجوا إلى المدينة فاستعفوه من الوليد، فقال لهم عثمان:

تعملون بالظنون و تخطئون في الإسلام، ارجعوا. فرجعوا فعملوا في عزل الوليد، فدخل أبو زينب و أبو مورد الأسدي عليه و هو نائم، فأخرجوا خاتمه و ذهبوا به إلى عثمان، فقالوا: دخلنا عليه و هو يقىء الخمر. فطلبه عثمان فحلف الوليد أن الأمر ما كان كذا، فقال عثمان: نقيم الحدود و يبوء شاهد الزور بالنار^{١٣٢٤}.

فتراه وضع في مقابل كل شيء شيئا، لكنه لم يدر كيف يصنع بصلاته الصبح و بقوله في الصلاة أزيدكم، فسكت.

و قد قال صاحب (الاستيعاب) مع نصبه: كان الأصمعي و أبو عبيدة بن الكلبى و غيرهم يقولون: كان الوليد فاسقا شريبا خمر، و أخباره في شرب الخمر و منادمته أبا زيد الطائى مشهورة كثيرة يسمج بنا ذكرها، و خبر صلته بهم و هو سكران و قوله: أزيدكم؟ بعد أن صلى الصبح أربعا مشهور من رواية الثقات، من نقل أهل الحديث و أهل الأخبار^{١٣٢٥}.

و لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن، أن قوله تعالى: «إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ» نزل في الوليد^{١٣٢٦}، و رواية الطبرى: - و أشار إلى روايته عن

ص: ٤٥٤

سيف المتقدم - أنه تعصبت عليه قوم من أهل الكوفة لا تصح عند أهل الحديث، و لا لها عند أهل العلم أصل ...^{١٣٢٧}.

^{١٣٢٣} (٦) تاريخ الطبرى ٤: ٢٧٣ - ٢٧٤، سنة ٣٠.

^{١٣٢٤} (١) المصدر نفسه ٤: ٢٧٥ - ٢٧٦، سنة ٣٠، و النقل بتلخيص.

^{١٣٢٥} (٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٦٣٣ - ٦٣٤.

^{١٣٢٦} (٣) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٦٣٢، و الآية ٩ من سورة الحجرات.

^{١٣٢٧} (١) المصدر نفسه ٣: ٦٣٥.

و الأصل في قصة الساحر ما عرفته من (مروج المسعودي)^{١٣٢٨} في العنوان (٢٢) عند قوله عليه السلام: «و إن منهم الذي شرب فيكم الحرام و جلد حدًا في الإسلام»^{١٣٢٩}.

و قد وضع في مقابل خبر الإمامية: (أن الناس ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلم إلّا ثلاثة أو أربعة)^{١٣٣٠}، و يصدقه قوله تعالى: «أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ»^{١٣٣١} أنه ما تخلف عن بيعة أبي بكر إلّا مرتد^{١٣٣٢}.

و قد وضع في مقابل ما رووه أنفسهم: أن عمر لما وقف على باب بيت فاطمة عليها السلام و قال: «لتخرجن أو لاحرقنّها على من فيها»^{١٣٣٣}، فخرجوا و بايعوا إلّا عليًا عليه السلام فإنه قال: حلفت ألا أخرج و لا أضع ثوبي على عاتق حتى أجمع القرآن، و أنه لما أحضره للبيعة قهرا، لحق بقبر النبي صلى الله عليه و آله و سلم و صاح: يا «ابن أمّ إن القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني»^{١٣٣٤} - أن عليًا لما سمع بجلوس أبي

ص: ٤٥٥

بكر للبيعة، خرج عجلا بلا إزار و رداء كراهة أن يؤخر عنها^{١٣٣٥}.

و وضع في مقابل قوله عليه السلام في ابن عمر لما تخلف عن بيعته عليه السلام «إنه ضعيف»^{١٣٣٦}، أنه قال: إنه ثقة^{١٣٣٧}.

و وضع في مقابل ركوب عايشة البغل لمنع دفن الحسن عليه السلام^{١٣٣٨}، ركوب أمّ كلثوم البغل لمنع أبيها على عن تعاقب ابن عمر^{١٣٣٩}.

و روى في تسيير عثمان أهل الكوفة و أهل البصرة إلى الشام أيضا غير ما ذكره باقي أهل السير، دفعا للطعن عن عثمان^{١٣٤٠}.

^{١٣٢٨} (٢) مروج الذهب ٢: ٣٤٨.

^{١٣٢٩} (٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٢.

^{١٣٣٠} (٤) انظر الكافي ٢: ٢٤٤، و ٨: ٢٤٥، اختيار معرفة الرجال للكشي ١: ٢٦-٢٧، الاختصاص: ٦.

^{١٣٣١} (٥) آل عمران: ١٤٤.

^{١٣٣٢} (٦) تاريخ الطبري ٣: ٢٠٧، سنة ١١.

^{١٣٣٣} (٧) انظر: الإمامة و السياسة ١: ١٢، العقد الفريد ٥: ١٣، مروج الذهب (من منشورات دار الهجرة بقم) ٣: ٧٧، الشافي في الإمامة ٤: ١١٩-١٢٠، الاحتجاج ١:

٨٠، كشف المحجة: ٦٧، روضة المناظر في أخبار الأوائل و الأواخر: ١١٣.

^{١٣٣٤} (٨) الإمامة و السياسة ١: ١٢-١٣، العقد الفريد ٥: ١٣-١٤، الاحتجاج ١: ٨٠.

^{١٣٣٥} (١) تاريخ الطبري ٣: ٢٠٧، سنة ١١.

^{١٣٣٦} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٥٣-٥٤.

^{١٣٣٧} (٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٧، سنة ٣٦.

^{١٣٣٨} (٤) انظر: تاريخ يعقوبى ٢: ٢٢٥، مقاتل الطالبين: ٤٩، الإرشاد ٢: ١٧-١٩، شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٩-٥١، بحار الأنوار ٤٤: ١٥٦-١٥٧.

^{١٣٣٩} (٥) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٦-٤٤٧، سنة ٣٦.

و روى فى مسير أهل البصرة إلى ذى خشب أشياء مضحكة، و أن ابن سبأ قدم مصر و وضع لهم رجعة النبى، و أن علياً وصيه، و بثّ دعائه يكتبون إلى الأمصار بكتب فى عيوب ولائهم، فأرسل عثمان محمد بن مسلمة إلى الكوفة و اسامة إلى البصرة، و ابن عمر إلى الشام، و عمّاراً إلى مصر، فرجع الجميع و قالوا: أمراؤهم يقسطون بينهم إلّا عمّار، فكتب ابن أبى سرح: إنّه استماله قوم بمصر، منهم ابن سبأ، و أن السبائية توافوا بالمدينة فقالوا لرجلين: نريد أن نذكر لعثمان أشياء زرعتها فى قلوب الناس، و نرجع إليهم و نقول: إنّا قرناه بها، فلم يخرج منها، و لم يتب. فنخرج فنخلعه أو نقتله. فخطب عثمان الناس و أخبرهم خبر القوم فقالوا جميعاً: اقتلهم فإنّ النبى قال: من دعا إلى

ص: ٤٥٦

نفسه أو إلى أحد و على الناس إمام، فعليه لعنة الله فاقتلوه. و قال عمر: لا أحل لكم إلّا ما قبلتموه و أنا شريككم^{١٣٤١} - إلى أن قال:- و فى سنة (٣٥) خرج أهل مصر على أربعة امراء، و كانوا يشتهون علياً، و خرج أهل الكوفة فى أربعة رفاق و عليهم زيد بن صوحان و الأشر، و كانوا يشتهون الزبير، و خرج أهل البصرة فى أربع رفاق و عليهم حكيم بن جبلة العبدى و كانوا يشتهون طلحة، فنزل أهل البصرة ذا خشب، و أهل الكوفة الأعوص، و أهل مصر بذى المروة، فجاء جمع من المصريين علياً و قد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان، و جاء البصريون طلحةً و قد أرسل ابنه إلى عثمان، و قد جاء الكوفيون إلى الزبير و قد أرسل ابنه إلى عثمان، فصاحوا بهم و أطردوهم و قالوا: لقد علم المؤمنون أن جيش ذى مروءة و ذى خشب و الأعوص ملعونون على لسان محمد، فخرجوا و أروا الناس أنّهم يرجعون فكروا مع عساكرهم، فقال لهم على: ما ردكم بعد ذهابكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتابا بقتلنا. فقال لهم: كيف علمتم يا أهل الكوفة و أهل البصرة بما لقي أهل مصر؟ و خطب عثمان فقال: ادخلت فى الشورى عن غير علم و لا مسألة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم، و من الناس على غير طلب منى و لا محبة، فعملت فيهم ما يعرفون و لا ينكرون، تابعا غير مستتبع، متبعا غير مبتدع، مقتديا غير متكلف، فلما انتهت الامور و انتكث الشرّ بأهله، بدت ضغائن و أهواء على غير اجرام و لا ترة فى ما مضى، إلّا امضاء الكتاب، فطلبوا أمرا و أعلنوا غيره بغير حجة و لا عذر، فعابوا على أشياء ممّا كانوا يرضون، و أشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسى و كففتها عنهم منذ سنين و أنا أرى و أسمع، فازدادوا على الله جرأه، حتى أغاروا علينا فى جوار الرسول و حرمه و أرض الهجرة، و ثابت

ص: ٤٥٧

إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيام الأحزاب أو من غزانا باحد^{١٣٤٢}.

فإنه من ابن سبأ بمصر و ما فعل، و حيث إن بنى امية كانوا يعبرون عن الشيعة - تهجينا لهم - بالسبائية أى: أتباع ابن سبأ القائل: بالهية أمير المؤمنين عليه السلام، صنع هذا الواضع هذا الخبر هكذا، و لم يكن لابن سبأ اسم فى أيام عثمان فى كلام غيره.

^{١٣٤٠} (٦) المصدر نفسه ٤: ٣٢٦ - ٣٢٩، سنة ٣٣.

^{١٣٤١} (١) المصدر نفسه ٤: ٣٤٠ - ٣٤٦، سنة ٣٥، و النقل بتصرّف و تلخيص.

^{١٣٤٢} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٤٨ - ٣٥٢، سنة ٣٥، و النقل بتصرّف و تلخيص.

ثم كيف كان هوى الكوفيين فى الزبير و رئيسهم الأشتر؟ و حاله معلوم و زيد ابن صوحان الذى قيل فيه: دينه دين على؟ و كيف كان هوى أهل البصرة فى طلحة و رئيسهم حكيم بن جبلة الذى حارب طلحة قبل قدوم أمير المؤمنين عليه السلام البصرة، حتى استشهد و جمع كانوا معه حالهم حاله؟

و الأصل فى وضعه: أن الزبير بايع أمير المؤمنين عليه السلام طمعا فى الكوفة، و بايعه طلحة طمعا فى البصرة. و حديثه فى الأحوص و ذى خشب و ذى المروة من الكذب الركيك يكاد يحصل الغشيان منه.

و قد وضعه فى مقابل ما روى بطرق عن أمير المؤمنين عليه السلام فى أهل الجمل: و الله لقد علمت صاحبة الهودج أن أهل الجمل ملعونون على لسان النبى الامى، «وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى»^{١٣٤٣}.

كما أن قوله: إنهم أرسلوا أبناءهم لمعاونة عثمان^{١٣٤٤}. كذب محض، أما أمير المؤمنين عليه السلام فكان يمنع الحسين عليه السلام عن الحرب فى الجمل و صفين، لئلا ينقطع بهما نسل النبى صلى الله عليه و آله و سلم. و كيف لم ينقل أحد أنه عليه السلام أجاب معاوية عن نسبة قتل عثمان إليه، بأنه أرسل ابنه لمدده. و كيف يقول عمرو بن العاص

ص: ٤٥٨

للحسن عليه السلام- و قد رآه يطوف بالبيت-: أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطحن، و عليك ثياب كعرقى البيض و أنت قاتل عثمان؟

و أمّا طلحة فكان مريضاً على عثمان إلى ساعة قتله، و منع من دفنه، فكيف يرسل ابنه و لم يكن ابنه مخالفا له، حتى يروح بنفسه؟ فمع كونه من العباد حضر لمحاربة أمير المؤمنين عليه السلام برا له بأبيه، حتى قال عليه السلام: قتله بره بأبيه.

نعم، ابن الزبير ذهب من قبل نفسه لمساعدته طمعا أن يحصل له سبب لادعاء الخلافة، و قد كان ادعى أن عثمان أوصى إليه عند قتله. و بغضا لأن يصل الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام، إن قتل عثمان كما قال له ذلك معاوية. و أمّا إرسال أبيه له فلا، و كيف و هو قال: إنه يود أن يقتل عثمان، و لو قتل ابنه قبله، و لم يكن تابع أبيه حتى يمنعه، بل كان أبوه تابعا له، فالزبير قبل نشوئه كان صالحا و معدودا فى عداد أهل البيت و الهاشميين و ما وضع له فى خطبته من إجماع أهل الشورى على بيعته أيضا خلاف المقطوع، فطلحة لم يكن وقت بيعته حاضرا، و الزبير كان هواه فى أمير المؤمنين عليه السلام، و محاجته عليه السلام ذاك اليوم كيوم السقيفة مما ملأ الخاققين، حتى أكرهوه على البيعة، و قد كان عمر أعد الأمر لعثمان و وكل أبا طلحة مع خمسين لقتله عليه السلام لو خالف.

و من العجب عدم حياته فى قوله له: «إنهم أجمعوا عليه كالأحزاب و يوم احد»^{١٣٤٥}. فمؤسس الأحزاب كان حزبه بنو امية، و يوم احد يوم فرار عثمان.

^{١٣٤٣} (٢) رواه فرات الكوفى فى تفسيره: ١٤١، فى تفسير الآية ٤٠ من سورة الأعراف، و الآية ٦١ من سورة طه.

^{١٣٤٤} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٠، سنة ٣٥.

و روى سيف أيضا: أن سعدا ممن استقتل لعثمان^{١٣٤٦}. مع أنه كان باتفاق السير ممن يطعن في عثمان إلى أن قتل.

و وضع لمغيرة بن الأخنس المنافق الذي مرّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيه:

ص: ٤٥٩

رؤيا في كون قاتله من أهل النار^{١٣٤٧}.

و وضع للزبير: أنه لما سمع بقتل عثمان قال في قتلته: «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ»^{١٣٤٨}. مع أن الزبير قال ذلك في عثمان لما منع الماء، و لا مناسبة لأن يقوله في قتلته حين قتله لأنهم كانوا غاليين.

و وضع لطلحة: أنه لما سمع بقتل عثمان قال في قتلته: تَبَّ لَهُمْ «فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ»^{١٣٤٩}. مع أنه أعد رجالا يرمون جنازته و يقولون: نعثل نعثل، و لا يخلونه يدفونه في مقابر المسلمين، مع أنه لا مناسبة لما قال أيضا.

و روى: أن عائشة خرجت ممتلئة غيظا على أهل مصر لما جاءوا إلى عثمان^{١٣٥٠}. مع أنها في طريق الحجّ لما رأت ابن عباس صار أميرا على الموسم، قالت له: اعطيت لسانا و إياك أن تدفع عنه^{١٣٥١}.

و روى: أن مروان طلب من عائشة الدفاع عن عثمان فقالت: أخاف أن يفعل بي كما فعل بام حبيبة لما أرادت الدفاع عنه^{١٣٥٢}. مع أن عائشة قالت لمروان:

وددت أن صاحبك في غرائي فألقيه في البحر.

و روى: أنه جعل الزبير وصيه، و إنما كان ابنه يدعيها^{١٣٥٣}، مع أن عثمان لما اشتد به الحصار نادى اسقونا الماء و أطعمونا ممّا رزقكم الله. فناداه

ص: ٤٦٠

^{١٣٤٥} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٢، سنة ٣٥.

^{١٣٤٦} (٢) تاريخ الطبرى سنة ٤: ٣٥٣، ٣٥.

^{١٣٤٧} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٩٠، سنة ٣٥.

^{١٣٤٨} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٩٢، سنة ٥، ٣ و الآية ٥٤ من سورة سبأ.

^{١٣٤٩} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٣٩٢، سنة ٣٥، و الآية ٥٠ من سورة يس.

^{١٣٥٠} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٣٨٧، سنة ٣٥.

^{١٣٥١} (٥) تاريخ الطبرى ٤: ٤٠٧، سنة ٣٥.

^{١٣٥٢} (٦) تاريخ الطبرى ٤: ٣٨٧، سنة ٣٥.

^{١٣٥٣} (٧) تاريخ الطبرى ٤: ٣٨٩، سنة ٣٥.

الزبير: يا نعتل، و الله لا تذوقه.

و روى - و هو من المضحك الركيك-: أن الناس لما قتلوا عثمان جاء المصريون إلى عليّ، و الكوفيون إلى الزبير، و البصريون إلى طلحة، لبيعتهم و هم يأبون و ينشدون أرجازاً^{١٣٥٤}، مع أن طلحة و الزبير حرّضا على قتل عثمان لينالا الخلافة، و هو عليه السّلام يكرّر الشكاية من غضبهم حقّه.

و روى: أن طلحة و الزبير بايعاه مكرهين^{١٣٥٥}. مع أنّهما كانا مقرّين بأنّهما بايعاه طوعا، و إنّما كانا مدعيين أنّهما خافا على أنفسهما لو لم يبايعاه، فقال عليه السّلام: «أقرأ بالبيعة و ادّعى الوليجة»^{١٣٥٦}. و إنّما وضع ذلك ليصحّ بيعة أبي بكر.

و روى: أن طلحة و الزبير اصطلحا مع عثمان بن حنيف على أن يرسلوا كعب بن سور إلى المدينة، هل بايعا طوعا أو مكرها؟ فلم يجبه أحد خوفا من سهل بن حنيف عامل عليّ عليه السّلام سوى اسامة، فقال: بايعاه كارهين. فضربوه حتى أطلقه جمع^{١٣٥٧}. وضع ذلك في مقابل أن طلحة و الزبير ضربا عثمان بن حنيف، و نتفا لحيته و أرادا قتله، و لم يقتلوه خوفا على مخلفيهما من أخيه سهل بن حنيف^{١٣٥٨}.

و روى: أن طلحة و الزبير ما غدرا بعثمان بن حنيف، بل هو غدر بهما^{١٣٥٩}.

ص: ٤٦١

على خلاف جميع السير، إلى غير ذلك من أكاذيبه.

و من أكاذيبه العجيبة ما قاله: انّ عليّا لما أراد الجمل خطب، فقال: لا يرتحلنّ أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من امور الناس. فاجتمع علماء، و عدى بن حاتم و سالم بن ثعلبة، و شريح بن أوفى، و الأشتر - ممّن سار إلى عثمان - فقال الأشتر: إن يصطليح طلحة و الزبير و على نغل دماننا، فهلمّوا فلنتنائب على علي عليه السّلام فنلحقه بعثمان - و تكلم كلّ منهم بشيء من قبيل الأشتر - و تكلم ابن السوداء فقال: إنّ عزكم في خلطة الناس فصانعوهم، و إذا التقى الناس غدا فانشبوا القتال، و لا تفرغوهم للنظر و يشغل الله عليّا و طلحة و الزبير و من رأى رأيهم عمّا تكرهون^{١٣٦٠}.

^{١٣٥٤} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٤٩، سنة ٣٥.

^{١٣٥٥} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣٠، سنة ٣٥.

^{١٣٥٦} (٣) قال في نهج البلاغة: و من كلام له عليه السّلام يعنى به الزبير في حال اقتضت ذلك: يزعم أنّه قد بايع بيده و لم يبايع بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة، و ادّعى الوليجة.

انظر نهج البلاغة ١: ٣٨، الخطبة ٨.

^{١٣٥٧} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٤٦٧-٤٦٨، سنة ٣٦.

^{١٣٥٨} (٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٢٠-٣٢١.

^{١٣٥٩} (٦) تاريخ الطبرى ٤: ٤٦٣، سنة ٣٦.

^{١٣٦٠} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٩٣-٤٩٤، سنة ٣٦، و النقل بتلخيص.

وإنّ طلحة و الزبير و عليّا لم يريدوا القتال، و إنّما هؤلاء انشبو القتال، فقال طلحة و الزبير لمّا رأيا ذلك: علمنا أنّ عليّا غير منته حتّى نسفك الدماء. و قال عليّ لمّا رأى ذلك: علمت أنّ طلحة و الزبير غير منتهيين حتّى يسفكا الدماء و إنّ رأى كلّ منهم ألاّ يبدأ بالقتال. و إنّهم قالوا لعائشة: أدركى الناس، فأبوا إلّا القتال. فبرزت من البيوت فسمعت ضجّة فقالت: «المهزوم كانت منه الضجّة» فما مجيئها إلّا الهزيمة فمضى الزبير فى وجهه و جاء طلحة سهم غرب^{١٣٦١}.

و روى: أنّ عليّا سئل عن حالهم إن ابتلوا بالقتل؟ قال: أرجو أنّ لا يقتل أحد منّا و منهم نقى قلبه لله إلّا أدخله الله الجنة^{١٣٦٢}.

و روى: أنّ عليّا و عائشة قال كلّ منهما: وددت أنّى متّ قبل الجمل

ص: ٤٦٢

بعشرين عاما^{١٣٦٣}.

و روى: أنّ عليّا أمر لرجل قال لعائشة: «توبى فقد خطيت» بضرب مائة مجردا^{١٣٦٤}.

و كذا أمر بضرب آخر قال لها: «جزيت الأم عقوقا» أيضا بالضرب مائة مجردا^{١٣٦٥}.

و روى: أنّ النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم سيرّ الحكم بن أبى العاص من مكّة إلى الطائف، و هو أيضا رده^{١٣٦٦} و ما استحيى أن يقول خلاف المتواتر، و لم يكفه جعل امامه، فإنّه لمّا اعترضوا عليه فى رده، قال: إنّ النبيّ أجازنى فى رده.

و لقد أغرب فى وضع خبر فى مقابل قصّة عمرو بن العاص فى قتل عثمان، فروى الواقدى: أنّ عمرا لمّا عزله عثمان عن مصر و استعمل ابن أبى سرح، يأتى عليّا عليه السلام مرّة فيؤلّبه على عثمان، و يأتى الزبير مرّة فيؤلّبه على عثمان، و يأتى طلحة مرّة فيؤلّبه على عثمان، و يعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلمّا كان حصر عثمان الحصر الأوّل خرج من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال له السبع، فنزل فى قصر له يقال له العجلان و هو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفان خبر. فبينما هو جالس فى قصره ذلك و معه ابنه محمّد و عبد الله و سلامة بن روح الجذامى إذ مرّ بهم راكب فناداه عمرو:

من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة. فقال: ما فعل الرجل - يعنى عثمان - قال:

^{١٣٦١} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٥٠٧-٥٠٨، سنة ٣٦.

^{١٣٦٢} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٥٣٧، سنة ٣٦.

^{١٣٦٣} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٥٣٧، سنة ٣٦.

^{١٣٦٤} (٢) تاريخ الامم و الملوك للطبرى ٣: ٥٨، دار الكتب العلمية، بيروت.

^{١٣٦٥} (٣) المصدر نفسه ٣: ٥٨.

^{١٣٦٦} (٤) تاريخ الطبرى ٤: ٣٤٧، سنة ٣٥.

تركته محصورا شديد الحصار. قال عمرو: أنا أبو عبد الله قد يضطر العير و المكواة في النار. فلم يبرح مجلسه ذلك حتى مر به راكب آخر، فناداه عمرو:

ص: ٤٤٣

ما فعل الرجل؟ قال: قتل. قال: أنا أبو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها. إن كنت احرض عليه حتى إنني لاحرض عليه الراعى في غنمه في رأس الجبل. فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش كان بينكم وبين العرب باب فكسرتومه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحق من خاصرة الباطل، وأن يكون الناس في الحق شرعا سواء^{١٣٦٧}.

فقال سيف: قالوا: لما احيط بعثمان، خرج عمرو بن العاص من المدينة نحو الشام، و قال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلا ضربه الله بذل، و من لم يستطع نصره فليهرب. فسار مع ابنيه و خرج بعده حسّان، فبينما عمرو جالس بعجلان و معه ابناه إذ مرّ بهم راكب، قال له: من أين قدمت؟ قال: من المدينة. قال: ما اسمك؟ قال حسيرة. قال عمرو: حصر الرجل فما الخبر؟ قال: تركته محصورا. ثم مكثوا أيّاما فمرّ بهم راكب، فقال:

ما اسمك؟ قال: حرب. قال عمرو: يكون حرب، فما الخبر؟ قال: قتل عثمان و بويع لعلّي. قال عمرو: أنا أبو عبد الله يكون حرب من حك فيها قرحة نكأها...^{١٣٦٨} وضع في مقابل ذاك هذا.

ثم إنّه بدل على وضع خبر العنوان خصوصا، سوى ما قلنا من وضع أخباره عموما صدره و ذيله، ففي صدر الخبر: اجتمع إلى علىّ- بعد ما دخل - طلحة و الزبير في عدّة من الصحابة فقالوا: يا علىّ إنّنا قد اشترطنا إقامة الحدود، و إنّ هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم الرجل، و أحلّوا بأنفسهم^{١٣٦٩}.

ص: ٤٤٤

و في ذيله: و اشتد علىّ على قريش و حال بينهم و بين الخروج على حالها، و إنّما هيّجه على ذلك هرب بنى امية، و تفرّق القوم و بعضهم يقول: و الله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار لترك هذا إلى ما قال على أمثل و بعضهم يقول: نقضى الذى علينا و لا نؤخره، و الله إنّ عليّا لمستغن برأيه و أمره عنا، و لا نراه إلا سيكون على قريش أشدّ من غيره. فذكر ذلك لعلّي، فقام و ذكر فضلهم و حاجته إليهم، و نظره لهم و قيامه دونهم، و أنّه ليس لعلّي، فقام و ذكر فضلهم و حاجته إليهم، و نظره لهم و قيامه دونهم، و أنّه ليس له من سلطانهم إلا ذلك و الأجر من الله، و نادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتدامرت السبائية و الأعراب، و قالوا: لنا غدا مثلها^{١٣٧٠}.

^{١٣٦٧} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٦-٣٥٧، سنة ٣٥.

^{١٣٦٨} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٥٧، سنة ٣٥.

^{١٣٦٩} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣٧، سنة ٣٥.

^{١٣٧٠} (١) المصدر نفسه ٤: ٤٣٧-٣٤٨، سنة ٣٥.

فكل منهما واضح الجعل، أمّا صدره فبيعته عليه السّلام إنّما كانت بتداك الناس عليه حتى كاد يقتل بعضهم بعضا، و طلحة و الزبير قال، أوّلا: إنّهما بايعا إكراها، فمن يبايع مكرها كيف يشترط شيئا؟ و هما كانا مدعيين أنّهما بايعا خوفا، و المبايع خوفا أيضا لا يمكنه، ثم دخالتهما فى دمه كانت أمرا معلوما، و كيف لا، و قتل مروان لطلحة إنّما كان بثأر عثمان، فكيف يعقل اشتراطهما؟

ثم أمير المؤمنين عليه السّلام كان قبل خلافته يجرى الحدّ الذى يجب إجراؤه، كما حدّ الوليد أخا عثمان لشربه، و أراد قود عبيد الله بن عمر بهرمزان لما امتنع عثمان من إجراء الحدّ عليه و القصاص منه، حتّى فرّ منه و خرج من المدينة إلى كوفان، فلم يكن محتاجا إلى اشتراط. فيدل تركه عليه السّلام القصاص من قتلة عثمان، كونه مباح الدم عنده، و إنّما قال الوليد بن عقبة من قبله و قبل مروان و سعيد له بعد: نبايعك على أن تقتل قتلة عثمان. فانتهره و قال له: لزمنى ذلك لفعلته أوّلا. و أمّا ذيله فمن قريش التى يقول عليه السّلام: ليس له من سلطانهم إلّا ذلك. و إنّما كان عليه السّلام يقول: أجمعوا على حربى كإجماعهم على حرب

ص: ٤٤٥

النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم. و الخبيث سمع من بنى امية سبائية فإنّهم كانوا يعبرون عن شيعته عليه السّلام بالسبائية تهجينا لهم، بأنّهم مثل ابن سبأ فى الغلو فيه و القول بالإلهية له، لا ان فرقة سبائية كانت موجودة.

و بالجملة، هذا الخبر كباقي أخبار سيف، التى ينقلها الطبرى عن السدى عن شعيب عنه، كذب و افتعال، إلّا أنّ المصنف عفا الله عنه، كان مغرما على جمع كلام فصيح منسوب إليه عليه السّلام، مع أنّه ليس بتلك الفصاحة مع أنّ خطبة نسبها إلى عثمان التى نقلناها عنه أفصح، فالرجل كان أدبيا تاريخيا شاعرا و كان خبيثا داهيا، فكان يقلب كلّ شيء و يموهه بكلمات أدبية، و يضع له أراجيز حتّى يلبس الحقّ بالباطل، لكنّ الباطل زهوق، فكل أهل السير من الواقدى و المدائنى و صاحب (المغازى) و غيرهم - و كلهم من رجالهم - أظهروا كذبه، و الله يفضح الكاذب فقال: «إنّ طلحة كان من المدافعين عن عثمان»^{١٣٧١}، و قال:

«لما أصاب طلحة سهم قال: اللهمّ خذ منى لعثمان حتّى ترضى»^{١٣٧٢} إلى غير ذلك من تناقضاته.

و كيف غرّ المصنف به؟ و قد نقل فى باب كتبه فى التاسع كتابه عليه السّلام إلى معاوية: و أمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإنّى نظرت فى هذا الأمر و ضربت أنفه و عينه، فلم أر دفعه إليه، و لا إلى غيرك، و لعمري لئن لم تنزع عن غيِّك و شقاقك لتعرفنهم عن قليل يطلبونك ...^{١٣٧٣}.

و حيث إنّ العنوان مفتعل و ليس من كلامه عليه السّلام قطعا، لم نتعرّض لشرح فقراته و لكن (سأستمسك) فى (المصرية)^{١٣٧٤} محرّف (و سأمسك) بشهادة (ابن

^{١٣٧١} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٥١، ٤٤٢ و سنة ٣٦.

^{١٣٧٢} (٢) المصدر نفسه ٤: ٥٢٧، سنة ٣٦.

^{١٣٧٣} (٣) نهج البلاغة ٣: ١١ الكتاب ٩.

أبي الحديد و ابن ميثم^{١٣٧٥} و الخطيبه).

هذا و فى آخر خبر (الطبرى): «فاهدوا عني و انظروا ما ذا يأتيكم ثم عودوا»^{١٣٧٤}، و الظاهر أن الرضى رضى الله عنه أخذ قوله «و لا تفعلوا فعله...»، من موضع آخر مناسب كما هو دأبه، فيجمع ما روى عنه عليه السلام فى موضعين و معناهما واحد.

هذا و فى (المصريه) التحريف فى موضعين، أحدهما: فى قوله: «و إن هذا الأمر»^{١٣٧٧} و ثانيهما: فى قوله: «و لا ذاك»^{١٣٧٨} فى (ابن أبي الحديد و ابن ميثم^{١٣٧٩} و الخطيبه): «إن هذا الامر» بدون واو و فيها «و لا هذا».

الكتاب (٥٨) و من كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقتصر فيه ما جرى بينه و بين أهل صفين:

وَ كَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَا التَّقِينَا وَ الْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ؟ الشَّامِ؟ - وَ الظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ وَ نَبِينَا وَاحِدٌ - وَ دَعَوْتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ - لَأَنْ نَسْتَزِيدَهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ التَّصَدِيقِ بِرَسُولِهِ - ص وَ لَأَنْ يَسْتَزِيدُونَنَا - الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ؟ - وَ نَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ - فَقُلْنَا تَعَالَوْا نَدَاوْ مَا لَأُيَذَرَكَ الْيَوْمَ - بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ وَ تَسْكِينِ الْعَامَّةِ - حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ

وَ يَسْتَجْمَعُ - فَنَقُو عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ فِي مَوَاضِعِهِ - فَقَالُوا بَلْ نَدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ - فَأَبُوا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَ رَكَدَتْ - وَ وَقَدَتْ نِيرَانَهَا وَ حَمِشَتْ - فَلَمَّا ضَرَسْنَا وَ إِيَّاهُمْ - وَ وَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَ فِيهِمْ - أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ - فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا وَ سَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا - حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ - وَ انْقَطَعَتْ مِنْهُمْ الْمَعْدِرَةُ - فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ - فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ - وَ مَنْ لَجَّ وَ تَمَادَى فَهُوَ الرَّأْسُ - الَّذِي رَانَ اللَّهُ عَلَى قَلْبِهِ - وَ صَارَتْ دَائِرَةُ السُّوءِ عَلَى رَأْسِهِ أَقْوَل: لم أقف على سند له، و لا يبعد كونه مثل سابقه من روايات سيف الموضوعه، و الطبرى و إن لم ينقله لكن لا يبعد أخذ المصنف له من أصل كتاب سيف، و إلا فكيف يقول عليه السلام: الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، و نحن منه برآء؟ فإن المراد بقوله (و نحن) هو عليه السلام و أهل الحجاز و أهل العراق، فى مقابل أهل الشام، مع أن من المقطوع أنه كان فى أصحابه المجلبون على عثمان و المباشرون لقتله، و أنما الاختلاف بينهم أن أصحابه المجلبون على عثمان و المباشرون لقتله، و أنما

^{١٣٧٤} (٤) فى نهج البلاغه ٢: ٩٩ و سأمسك» أيضا.

^{١٣٧٥} (١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩١، شرح ابن ميثم ٣: ٣٢١.

^{١٣٧٤} (٢) تاريخ الامم و الملوك ٢: ٧٠٢، دار الكتب العلميه بيروت.

^{١٣٧٧} (٣) نهج البلاغه ٢: ٩٨.

^{١٣٧٨} (٤) نهج البلاغه ٢: ٩٩.

^{١٣٧٩} (٥) كذا شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩١، و لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٠ «و إن هذا الأمر» أيضا، مع الواو «و لا ذاك» كما فى النهج.

الاختلاف بينهم أن أصحابه كانوا يقولون مثله عليه السّلام ان عثمان كان حلال الدم، لا يستحق قاتله قصاصا، و أهل الشام كانوا يقولون: كان عثمان خليفة حقا، يجب قتال قاتليه و قتال المحامين عنهم، و إن لم يكونوا من القاتلين، كأمر المؤمنين عليه السّلام و أهل بيته.

ففى (صفيين نصر): قال زيد بن وهب الجهني: إن عمّارا نادى يومئذ: أين من يبتغي رضوان ربه، و لا يؤب إلى مال و لا ولد؟ فأنته عصابة، فقال:

اقتصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبعون دم عثمان، و يزعمون أنه قتل مظلوما، و الله إن كان إلّا ظالما لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله^{١٣٨٠}.

ص: ٤٤٨

و روى عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه، قال: قام عمّار بصفيين فقال:

امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما فى كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يباليون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لم قتلتموه؟ فقلنا: لأحداثه. فقالوا: إنه ما أحدث شيئا، و ذلك لأنه مكّنه من الدنيا، فهم يأكلونها و يرعونها، و لا يباليون لو انهدت عليهم الجبال، و الله ما أظنهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون إنه لظالم، و لكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها و استمروا بها، و علموا لو أن الحق لزمهم، لحال بينهم و بين ما يرعون فيه منها، و لم يكن للقوم سابقة فى الإسلام يستحقون بها الطاعة و الولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوما، ليكونوا بذلك جبابرة و ملوكا^{١٣٨١}.

و عن الإفريقي بن أنعم - فى حديث جمع ذى الكلاع بين عمّار و عمرو بن العاص، لحديث سمعه ذو الكلاع من عمرو فى أيام عمر، ان النبي صلى الله عليه و آله و سلّم قال:

عمّار تقتله الفئة الباغية^{١٣٨٢}.

قال عمرو لعمّار: فما ترى فى قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كل سوء. قال عمرو: فعلى قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ علىّ قتله، و علىّ معه. قال عمرو: فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه^{١٣٨٣}.

^{١٣٨٠} (١) وقعة صفين: ٣٢٤.

^{١٣٨١} (١) وقعة صفين: ٣١٩.

^{١٣٨٢} (٢) وقعة صفين: ٣٣٢-٣٣٥، و النقل بتصرّف و تلخيص.

^{١٣٨٣} (٣) وقعة صفين: ٣٣٨-٣٣٩.

و روى فى حديث مشى القراء بين معاوية و بين أمير المؤمنين عليه السلام، أن القراء قالوا له عليه السلام: إن معاوية يقول لك: إن كنت صادقا فى أنك لم تأمر بقتل

ص: ٤٦٩

عثمان، و لم تماليء على قتله، فادفع إلينا قتلته أو أمكنا منهم؟ فقال على عليه السلام:

القوم تأولوا عليه القرآن، و وقعت الفرقة و قتلوه فى سلطانه، و ليس على ضربهم قود^{١٣٨٤}.

و روى فى حديث بعث معاوية حبيب بن مسلمة و شرحبيل بن السمط إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنهما قالوا لعلى عليه السلام: أ تشهد أن عثمان قتل مظلوما؟ فقال لهما: إنى لا أقول ذلك. قالوا: فمن لم يشهد أن عثمان قتل مظلوما فنحن منه برآء. ثم قاما و انصرفا، فقال على عليه السلام: إنك «لا تسمع الموتى و لا تسمع الدعاء إذا ولّوا مدبرين و ما أنت بهادير العُمى عن ضلالتهم إن تسمع إلّا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون»^{١٣٨٥}.

و روى فى حديث بعث معاوية أبا إمامة الباهلى و أبا الدرداء إليه عليه السلام - لما كانا قالوا لمعاوية: علام تقاتل عليّ؟ فو الله لهو أقدم منك إسلاما و أقرب إلى النبىّ صلى الله عليه و آله و سلم و أحقّ بالأمر. و قال لهما معاوية: على دم عثمان و إيوانه قتلته، فإن يقدرنى من قتلته أكن أول من يبيعه من أهل الشام. فقدا عليه عليه السلام و أبلغاه كلام معاوية -: أن عليا عليه السلام قال لهما: هم الذين ترون. فخرج عشرون ألفا أو أكثر مسربلين فى الحديد، لا يرى منهم إلّا الحدق، فقالوا: كلنا قتله فإن شاءوا فليروموا ذلك منا^{١٣٨٦}.

و روى فى حديث بعث معاوية أبا مسلم الخولانى بكتاب إليه عليه السلام: فقال أبو مسلم لعلى عليه السلام: إنك قد قمت بأمر وليّته، و الله ما احب أنه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك، إن عثمان قتل مسلما محروما مظلوما، فادفع إلينا قتلته و أنت

ص: ٤٧٠

أميرنا، فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصرة، و ألسنتنا لك شاهدة، و كنت ذا عذر و حجة.

فقال له على عليه السلام: اغد علىّ غدا فخذ جواب كتابك. فانصرف ثم رجع من غد ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذى جاء فيه قبل، فلبست الشيعة أسلحتها، ثم غدوا فملئوا المسجد فنادوا: كلنا قتله عثمان. و أكثروا من النداء بذلك، فقال أبو مسلم لعلى عليه السلام: لقد رأيت قوما مالك معهم أمر. قال: و ما ذاك؟

^{١٣٨٤} (١) وقعة صفين: ١٨٨ - ١٨٩.

^{١٣٨٥} (٢) وقعة صفين: ٢٠٠ - ٢٠٢، و النقل بتلخيص، و الآيات ٥٢ - ٥٣ من سورة الروم.

^{١٣٨٦} (٣) وقعة صفين: ١٩٠.

قال: بلغ القوم أنك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان، فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح و زعموا أنهم كلهم قتلة عثمان. فقال على عليه السلام: و الله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفه عين قط، لقد ضربت هذا الأمر أنفه و عينه، فما رأيته ينبغي لى أن أدفعهم إليك و لا إلى غيرك.

فخرج أبو مسلم و هو يقول: الآن طاب الضراب^{١٣٨٧}.

و روى فى حديث الفتى الشامى الذى حمل على هاشم المرقال و أصحابه القراء و جعل يلعن و يشتم: أن هاشما قال له: أتقى الله فأنتك راجع إلى ربك فسألتك عن هذا الموقف و ما أردت به، فقال: اقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفةنا، و أنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان، إنما قتله أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم و قراء الناس، حين أحدث أحداثا و خالف حكم الكتاب؟

و أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم هم أصحاب الدين و أولى بالنظر فى امور المسلمين^{١٣٨٨}.

و روى فى أراجيز الشاميين:

خليفة الله على تبيان

ان عليا قتل ابن عفان

ص: ٤٧١

ردوا علينا شيخنا كما كان^{١٣٨٩}

و فى أراجيز العراقيين رجز بعضهم:

بأن نرد نعتلا كما كان

أبت سيوف مذحج و همدان

خلقا جديدا بعد خلق الرحمن^{١٣٩٠}

^{١٣٨٧} (١) وقعة صفين: ٨٥ - ٨٦.

^{١٣٨٨} (٢) وقعة صفين: ٣٥٤ - ٣٥٥.

^{١٣٨٩} (١) وقعة صفين: ٢٢٨.

و رجز بعضهم:

و قائد البغاة و الشقاق

نحن قتلنا صاحب المراق

عثمان يوم الدار و الإحراق^{١٣٩١}

و رجز بعضهم:

إذ صدّ عن أعلامنا المنيره

نحن قتلنا نعتلا بالسيرة

نحن قتلنا قبله المغيره^{١٣٩٢}

يحكم بالجور على الشعيره

و المراد بالمغيرة ابن عمّ عثمان، الذي كسر أسنان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم احد و شجّ رأسه، و لمّا انهزم الكفار فى الأحزاب كان المغيرة نائما فأيقظته الشمس - و كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أهدر دمه - فاستجار بعثمان، فشفع له عثمان، فأمهله بشرط ألا يرى بعد ثلاثة، فبقى بعدها، فبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقتله.

و روى: أن رجلا من أهل الشام صاح:

و لا تكونوا جزرا من الأسل

ردّوا علينا شيخنا ثم بجل

فأجابه رجل من العراق:

^{١٣٩٠} (٢) وقعة صفين: ٢٢٨.

^{١٣٩١} (٣) وقعة صفين: ٣٨٣، و القائل: همّام بن الأعطل النقفى.

^{١٣٩٢} (٤) وقعة صفين: ٣٨٣، و القائل: محمّد بن أبى سبرة بن أبى زهير القرشىّ.

ص: ٤٧٢

لما حكم حكم الطواغيت الأول

و جار في الحكم و جار في العمل^{١٣٩٣}

و روى في حديث التحكيم: أنّ حمرة بن مالك خطيب الشام قام بين الصّفين، فقال: انشدكم الله يا أهل العراق ألا أخبرتمونا لم فارقتمونا؟ قالوا:

لأنّ الله عزّ و جلّ أحلّ البراءة ممّن حكم بغير ما أنزل الله، فتولّيتهم الحاكم بغير ما أنزل الله، و قد أمر الله بعداوته و حرّمتم دمه و قد أمر الله بسفكه، فعاديناكم لأنّكم حرّمتم ما أحلّ الله و حلّتم ما حرم الله، و عطّلتهم أحكام الله و اتبعتم هواكم بغير هدى من الله.

فقال حمرة: قتلتم خليفتنا و نحن غيّب عنه، بعد أن استتبتموه فتاب، فعجلتم عليه فقتلتموه، فنذركم الله لما أنصفتهم الغائب المتّهم لكم، فإنّ قتله لو كان عن ملام من الناس و مشورة كما كانت إمرته، لم يحل لنا الطلب بدمه، و قد رضينا أن تعرضوا ذنوبه على كتاب الله أولها و آخرها، فإنّ أحلّ الكتاب دمه برئنا منه و ممّن تولّاه و من يطلب بدمه، و كنتم اجرتهم في أوّل يوم و آخره. و إن كان كتاب الله يمنع دمه و يحرمه تبتّم إلى الله ربكم، و أعطيتهم الحق من أنفسكم في سفك دم بغير حلّه، بعقل أو قود أو براءة ممّن فعل ذلك و هو ظالم، و نحن قوم نقرأ القرآن و ليس يخفى علينا منه شيء، فأفهمونا الأمر الذي استحللتم عليه دماءنا- إلى أن قال:- فقالوا له: قد قبلنا من عثمان حين دعى إلى الله و التوبة من بغيه و ظلمه، و قد كان منا عنه كف حين أعطانا أنّه تائب، حتى جرى علينا حكمه بعد تعريفه ذنوبه، فلمّا لم يتم التوبة و خالف بفعله عن توبته، قلنا: اعتزلنا نولّ أمر المسلمين رجلا يكفيك و يكفيننا، فإنّه لا يحل لنا أن نولّي أمرهم رجلا نتّهمه في دماءنا و أموالنا. فأبى ذلك و أصرّ،

ص: ٤٧٣

فلما ان رأينا ذلك قتلناه^{١٣٩٤}.^{١٣٩٣} (١) وقعة صّفين: ٢٢٨-٢٢٩.^{١٣٩٤} (١) وقعة صّفين: ٥١٤-٥١٦.

و بالجمله، فرض صحّة قوله (و نحن منه برآء)، يستلزم أن يكون قاتل عثمان الجن أو الملائكة.

ثمّ يظهر ممّا مرّ أنّ طريقة عامّة الأعصار المتأخّرة عن عصر أمير المؤمنين عليه السّلام، فى قولهم بأبى بكر و عمر و عثمان و به عليه السّلام، خلاف إجماع الامّة فى عصره عليه السّلام، لأنّ جمهور أهل السنّة كانوا يقولون بأبى بكر و عمر و به عليه السّلام، و الاموية و من كان هواه هواهم، كأهل الشام عموما و معدود من ساير البلاد خصوصا، كانوا يقولون بأبى بكر و عمر و عثمان دونه عليه السّلام.

و أما الجمع بينه عليه السّلام و بين عثمان فكان كالجمع بين الضدّين. و لما حملت الاموية فى مدّة سلطنتهم القول بعثمان على رقاب الناس بالسيف، حتى صار دينا عند متأخريهم وضعوا الجمع تصحيحا لمذهبهم.

و أما قوله: (لا نستزيدهم فى الإيمان بالله و التصديق برسوله) فإنّ أوّل بجعله مربوطا بقوله: (و الظاهر أنّ ربّنا واحد، و نبينا واحد، و دعوتنا فى الإسلام واحدة)، بمعنى أنّ الظاهر أنّا لا نستزيدهم لأنهم يقولون: أشهد أنّ لا إله إلاّ الله كما نقول، و يقولون: أشهد أنّ محمّدا رسول الله كما نقول، و إلاّ فعدم استزادة الإيمان و التصديق مذهب أبى حنيفة، ففى (تاريخ بغداد): قال شريك:

كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله تعالى «و يقيموا الصّلاة و يؤتوا الزّكاة و ذلك دين القبمّة»^{١٣٩٥}، و «ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم»^{١٣٩٦}، و زعم أبو حنيفة أنّ الإيمان لا يزيد و لا ينقص. و زعم أنّ الصّلاة ليست من دين الله^{١٣٩٧}.

ص: ٤٧٤

و عن الفزارى، قال أبو حنيفة: إيمان آدم و إيمان إبليس واحد، قال إبليس:

«رَبِّ بِمَا أَعُوذُنِي»^{١٣٩٨} و قال: «رَبِّ فَانظُرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ»^{١٣٩٩}، و قال آدم: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا»^{١٤٠٠}.

و عن القاسم بن عثمان: مرّ أبو حنيفة بسكران يبول قائما، فقال له أبو حنيفة: لو بلت جالسا. فنظر السكران فى وجهه و قال: ألاّ تمرّ يا مرجىء؟ فقال أبو حنيفة: هذا جزائى منك صيرت إيمانك كإيمان جبرئيل^{١٤٠١}.

^{١٣٩٥} (٢) البيّنة: ٥.

^{١٣٩٦} (٣) الفتح: ٤.

^{١٣٩٧} (٤) تاريخ بغداد ١٣: ٣٧٤.

^{١٣٩٨} (١) الحجر: ٣٩.

^{١٣٩٩} (٢) الحجر: ٣٦.

^{١٤٠٠} (٣) تاريخ بغداد ١٣: ٣٣٧، و الآية ٢٣ من سورة الاعراف.

^{١٤٠١} (٤) المصدر نفسه.

مع أن معاوية وأصحابه لم يكونوا من الإسلام في شيء، فروى (صفيان نصر): عن شيخ من بكر بن وائل: كنا مع علي عليه السلام بصفين - إلى أن قال - فقال عليه السلام: والذي فلق الحبة، و برأ النسمة، ما أسلموا و لكن استسلموا، و أسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا، رجعوا إلى عداوتهم منا إلا أنهم لم يدعوا الصلاة^{١٤٠٢}.

و عن أبي إسحاق الشيباني، قال: قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة، في صحيفة صفراء عليها خاتمان، خاتم من أسفلها و خاتم من أعلاها، في خاتم علي عليه السلام - محمد رسول الله - و في خاتم معاوية - محمد رسول الله - فقيل لعلي عليه السلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاوية و أهل الشام: أ تقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال: ما أقرّ لمعاوية و لا لأصحابه أنّهم مؤمنون و لا مسلمون، و لكن يكتب معاوية ما شاء و يسمّى نفسه و أصحابه ما شاء^{١٤٠٣}.

ص: ٤٧٥

و عن الأصمغ قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوة واحدة، و الرسول واحد، و الصلاة واحدة، و الحج واحد، فبم نسميهم؟

قال عليه السلام: بما سمّاهم الله في كتابه. قال: ما كلّ في الكتاب أعلمه. قال: أما سمعت الله عزّ و جلّ قال: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» ... «و لو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات و لكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من كفر»^{١٤٠٤} فلما وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله و بالكتاب و بالنبي و بالحق؟ فنحن الذين آمنوا و هم الذين كفروا، و شاء الله قتالهم فقاتلناهم هدى بمشبهة الله ربنا، و إرادته^{١٤٠٥}.

و عن أسماء بن الحكم الفزاري قال: كنا مع علي عليه السلام بصفين تحت راية عمّار ارتفاع الضحى و استظللنا ببرد أحمر، إذ أقبل رجل يستقرى الصف حتى انتهى إلينا، فقال: أيكم عمّار؟ فقال عمّار: أنا. قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قال:

إنّ لى إليك حاجة فأنطق بها سرا أو علانية؟ قال: اختر لنفسك أى ذلك شئت.

قال: لا بل علانية. قال: فانطق. قال: إنى خرجت من أهلى مستبصرا فى الحق الذى نحن عليه، لا أشك فى ضلالة هؤلاء القوم، و أنّهم على الباطل، و لم أزل على ذلك مستبصرا، حتى كان ليلتى هذه، فتقدّم منادينا فشهد ألا إله إلا الله، و أن محمّدا رسول الله، و نادى بالصلاة فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثم أقيمت الصلاة فصلينا صلاة واحدة، و دعونا دعوة واحدة، و تلونا كتابا واحدا، فأدركنى الشك، فبتّ بلبلة لا يعلمها إلا الله حتى أصبحت فأتيّت أمير المؤمنين عليه السلام فذكرت ذلك له، فقال: هل لقيت عمّارا؟ قلت لا. قال: فالفقه فانظر ما يقول لك فاتبعه فجتتلك لذلك. فقال له عمّار: هل تعرف صاحب الراية

^{١٤٠٢} (٥) وقعة صفين: ٢١٥.

^{١٤٠٣} (٦) وقعة صفين: ٥٠٩ - ٥١٠.

^{١٤٠٤} (١) البقرة: ٢٥٣.

^{١٤٠٥} (٢) وقعة صفين: ٣٢٢ - ٣٢٣.

السوداء؟- لمقابلتي- فإنها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرّات و هذه الرابعة، ما هي بخيرهنّ ولا أبرهنّ، بل هي شرهنّ وأفجرهنّ.

أشهدت بدرا و احدا و حنينا، أو شهدها أب لك فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإنّ مراكزنا على مراكز رايات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم بدر و يوم احد و يوم حنين. و إنّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر و من فيه؟ فوالله لوددت أنّ جميع من أقبل مع معاوية كانوا خلقا واحدا فقطعته و ذبحته ...^{١٤٠٦}.

و روى: أنّ عمّارا خرج في اليوم الثالث من أيام صفين و جعل يقول: يا أهل الإسلام أ تريدون أن تنظروا إلى من عادى الله و رسوله؟ و جاهدما و بغى على المسلمين و ظاهر المشركين فلما أراد الله أن يظهر دينه و ينصر رسوله أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأسلم، و هو و الله في ما يرى راهب غير راغب، و قبض الله رسوله و إنّنا و الله لنعرفه بعداوة المسلم و مودة المجرم؟ ألا و إنّ معاوية فالعنوه- لعنه الله و قاتلوه فإنّه ممّا يطفىء نور الله و يظهر أعداء الله^{١٤٠٧}.

و روى عن منذر الثوري قال: قال عمار: و الله ما أسلم القوم و لكن استسلموا، و أسروا الكفر حتّى وجدوا علينا أعوانا^{١٤٠٨}.

و روى المسعودي تأسفه على عدم قدرته على محو اسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و عدم سكون غليله بما فعل بعترته، مع وصوله السلطنة بواسطته^{١٤٠٩}.

و كما عرفت أنّ قوله (و نحن منه برآء)- لكونه خلاف الواقع - دالّ على وضع العنوان كذلك على ما رتب عليه من قوله: (فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك

اليوم بإطفاء النائرة و تسكين العامّة، حتّى يشتدّ الأمر و يستجمع فنقوى على وضع الحقّ مواضعه)، فأى وقت قال عليه السّلام: أمهلوني حتّى يستحكم أمرى فأطلب القصاص من قتلة عثمان، و قتلة عثمان خواصه عليه السّلام.

و قوله: (فقالوا بل نداويه بالمكابرة فأبوا)، مختل فإنّما بالمناسب أن يقال:

^{١٤٠٦} (١) وقعة صفين: ٣٢١.

^{١٤٠٧} (٢) وقعة صفين: ٢١٤.

^{١٤٠٨} (٣) وقعة صفين: ٢١٦.

^{١٤٠٩} (٤) لا وجود له في مروج الذهب للمسعودي و لا التنبيه و الاشراف للمسعودي.

(فأبوا و قالوا: بل نداويه بالمكابرة).

كما أن قوله: (حتّى جنحت الحرب و ركدت و وقدت نيرانها و حمشت) ليست ألفاظه بتلك السلاسة و (جنح) يستعمل للميل إلى المحبوب كما فى قوله تعالى: «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا»^{١٤١٠}، و لم يعلم استعماله للميل إلى المكروه كما فيه، و إنّما يصحّ أن يقال: (جنح البعير) إذا انكسرت جوانحه و أضلّعه من الحمل، و لا مناسبة لذلك المعنى هنا.

و أما قوله (فلمّا ضرسنا و إياهم و وضعت مخالبيها فينا و فيهم أجابوا عند ذلك إلى الذى دعوناهم إليه) فأىّ حكيم يتكلّم كذلك؟ فكلمة (لمّا) تفيد العليّة، فهل إجابة معاوية- إن فرضت إجابة- كانت لتضريس الحرب لأمير المؤمنين عليه السّلام؟ و إنّما كانت لانضمامه حتى أراد الفرار، مع أنّ تسميته إجابة غلط واضح، و إنّما كانت دعوتهم إلى القرآن حيلة ليوقعوا بها الاختلاف بين أصحابه عليه السّلام، ففى (صفيين نصر): أنّ عليّاً عليه السّلام لمّا خطب و قال: «و أنا غاد عليهم احاكمهم إلى الله عزّ و جلّ»، بلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص، فقال: يا عمرو إنّما هى الليلة حتى يغدو علينا علىّ بالفیصل، فما ترى؟ قال:

أرى أنّ رجالك لا يقومون لرجاله، و لست مثله، هو يقا تلک على أمر، و أنت تقا تلّه على غيره، أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء، و أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، و أهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم، و لكن الق إلیهم أمرا إن

ص: ٤٧٨

قبلوه اختلفوا، و إن ردّوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حکما فيما بينک و بينهم، فإنک بالغ به حاجتک فى القوم، فإنّی لم أزل أوخر هذا الأمر لحاجتک إليه.

فعرّف ذلك معاوية، فقال: صدقت^{١٤١١}.

و فيه: قال تميم بن حذيم: لمّا أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية، فلما إن أسفرنا، فإذا هى المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح، و هى عظام مصاحف العسكر، و قد شدوا ثلاثة رماح جميعا و قد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم، يمسكه عشرة رهط.

و قال أبو جعفر و أبو الطفيل: استقبلوا عليّاً بمائة مصحف، و وضعوا فى كلّ مجنبه مائتى مصحف، و كان جميعها خمسمائة مصحف. قال أبو جعفر:

ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال علىّ عليه السّلام، و قام أبو شريح الجذامى حيال الميمنه، و قام ورقاء المعمرّ حيال الميسرة، ثمّ نادوا: يا معشر العرب الله الله فى نساتكم و بناتكم، فمن للروم و الأتراک و أهل فارس غدا إذا فنيتم؟ الله الله فى دينكم، هذا

^{١٤١٠} (١) الأنفال: ٦١.

^{١٤١١} (١) وقعة صفين: ٤٧٦-٤٧٧.

كتاب الله بيننا و بينكم. فقال على عليه السلام: اللهم إنيك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا و بينهم إنيك أنت الحق المبين. فاختلف أصحاب على عليه السلام فى رأى، طائفة قالت: القتال. و طائفة قالت: لا يحل لنا الحرب، و قد دعينا إلى حكم الكتاب. فعند ذلك بطلت الحروب و وضعت أوزارها^{١٤١٢}.

كما أن قوله: (فأجبناهم إلى ما دعوا و سارعناهم إلى ما طلبوا)، افتراء محض، فقد عرفت أنه عليه السلام قال: «اللهم أنك تعلم أنهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا و بينهم إنيك أنت الحق المبين». فكيف يصح هذا الكلام؟ و قال عليه السلام

ص: ٤٧٩

لما أراد المسير إليهم: سيروا إلى بقيّة الأحزاب، سيروا إلى أعداء السنن و القرآن.

و كيف سارع عليه السلام إلى ما طلبوا و أجابهم إلى ما دعوا، أو يكون سارع أصحابه المستقيمون؟ و إنما سارع الذين صاروا خوارج و الأشعث.

و فى (صفين نصر) و غيره من السير: لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن، قال على عليه السلام: عباد الله أنا أحقّ من أجاب إلى كتاب الله، و لكنّ معاوية و عمرو بن العاص و ابن أبى معيط، و حبيب بن مسلمة، و ابن أبى سرح، ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا و صحبتهم رجالا، فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، إنهم كلمة حقّ يراد بها باطل، إنهم و الله ما رفعوها لأنهم يعرفونها و لا يعملون بها، و ما رفعوها لكم إلّا خديعة و مكيدة، أعيرونى سواعدكم و جماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه و لم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

فجاء زهاء عشرين ألفا مقنعين فى الحديد، شاكى السلاح سيوفهم على عواتقهم، و قد اسودت جباههم من السجود، يتقدّمهم مسعر بن فدكى و زيد بن حصين، و عصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه - لا بإمرة المؤمنين -: يا علىّ أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، و إلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فو الله لنفعلنّها إن لم تجبهم. فقال عليه السلام لهم: ويحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، و أوّل من أجاب إليه، و ليس يحلّ لى و لا يسعنى فى دينى أن ادعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إني إنما اقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنهم قد عصوا الله فى أمرهم و نقضوا عهده، و نبذوا كتابه، و لكنى قد أعلمتكم أنهم قد كادوكم، و أنهم ليس العمل بالقرآن يريدون. قالوا: فابعث إلى الأشرّ ليأتينك.

ص: ٤٨٠

و قد كان أشرف على عسكر معاوية بالفتح^{١٤١٣}.

^{١٤١٢} (٢) وقعة صفين: ٤٧٨ - ٤٧٩.

^{١٤١٣} (١) وقعة صفين: ٤٨٩، تاريخ الطبرى ٥: ٤٨ - ٤٩، سنة ٣٧، و شرح ابن أبى الحديد ٢: ٢١٦ - ٢١٧، و النقل بتصرف و تلخيص.

و كذلك قوله: (حتى استبان عليهم الحجّة و انقطعت منهم المَعذرة) بلا محصل، فإنّ معاوية و أصحابه إنّما كانت الحجّة عليهم مستبينة من أوّل الأمر، و إنّما الخوارج استبان عليهم الحجّة، بأنّ دعوة معاوية إلى القرآن كانت مكيدة.

و كذلك قوله: (فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة، و من لج و تمادى فهو الراس الذي ران الله على قلبه، و صارت دائرة السوء على رأسه) بلا مفاد، فإنّ معاوية و أصحابه لم يرضوا بحكم القرآن حتى يتمّوا عليه أو لا يتمّوا، و إنّما الخوارج أمضوا أوّلاً عهد التحكيم، ثم لم يتمّوا عليه، و قالوا: أنّه كفر.

و بالجملة هذا كسابقه افتراء عليه عليه السّلام.

٢٤

الخطبة (٢٢٨) و من كلام له عليه السّلام:

لِلَّهِ بَلَاءٌ فُلَانٌ فَلَقَدْ قَوْمَ الْأَوْدِ وَ دَاوَى الْعَهْدِ - وَ أَقَامَ السُّنَّةَ وَ خَلَّفَ الْفِتْنَةَ - ذَهَبَ نَقَى الثَّوْبِ قَلِيلَ الْعَيْبِ - أَصَابَ خَيْرَهَا وَ سَبَقَ شَرَّهَا - أَدَى إِلَى اللَّهِ طَاعَتَهُ وَ اتَّقَاهُ بِحَقِّهِ - رَحَلَ وَ تَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ - لَا يَهْتَدِي بِهَا الضَّالُّ وَ لَا يَسْتَبْقِنُ الْمُهْتَدِي أَقُولُ: قَالَ ابن أبي الحديد: المراد بفلان عمر، حدّثني فخار بن معد الموسوي: أنّ في النسخة التي بخط المصنّف تحت (فلان): عمر. و سألت

ص: ٤٨١

النقيب فقال: هو عمر. فقلت: أئثنى عليه أمير المؤمنين عليه السّلام؟ فقال: نعم، أما الإمامية فيقولون: إنّ ذلك من التقيّة و استصلاح أصحابه. و أمّا صالحية الزيدية فيقولون: إنّهُ أئثنى عليه. و أمّا جاروديتهم فيقولون: إنّهُ كلام قاله في أمر عثمان، أخرجه مخرج الدم و التنقص لأعماله، كما يمدح الآن الأمير الميّم في أيام الأمير الحيّ بعده، فيكون ذلك تعريضا به^{١٤١٤}.

و قال الراوندي: المراد به بعض أصحابه عليه السّلام. و هو بعيد، على أنّ الطبري صرّح أو كاد أن يصرّح، بأنّ المراد بهذا الكلام عمر، فقال: لمّا مات عمر قالت ابنة أبي خيثمة: وا عمراه، أقام الأود و أبرأ العمدة، أمات الفتن و أحيا السنن، خرج نقى الثوب بريئا من العيب^{١٤١٥}.

و روى صالح بن كيسان عن المغيرة، قال: لمّا دفن عمر أتيت عليّا و أنا أحبّ أن أسمع منه في عمر شيئا، فخرج ينفذ رأسه و لحيته و قد اغتسل و هو ملتحف بثوب، لا يشك أنّ الأمر يصير إليه، فقال: رحم الله ابن الخطاب، لقد صدقت ابنة أبي خيثمة: ذهب بخيرها و نجا من شرّها. أما و الله ما قالت و لكن قولت^{١٤١٦}.

^{١٤١٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٣-٥.

^{١٤١٥} (٢) المصدر نفسه.

أقول: إنّما الكلام فى أصل الخبر و تحقق نسبة العنوان إليه عليه السّلام، و الظاهر أنّه كسابقيه، و إنّما الرضى عفا الله عنه إذا رأى كلاما فصيحا منسوبا إليه عليه السّلام يقبله بدون تدبّر فى معناه، و لو مع وجود شواهد على خلافه، كما أنّه فى (مجازاته النبويّة) نسب إلى النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم حديث من رأى الأذان فى النوم^{١٤١٧}، مع أنّه فى متواتر أخبار الإمامية إنزال جبرئيل عليه السّلام

ص: ٤٨٢

الأذان من الله تعالى عليه صلّى الله عليه و آله و سلّم^{١٤١٨}.

و أمّا ما نقله عن (الطبرى) فمع أنّ رواية المخالف لنفسه غير مقبولة، لا يفهم منه سوى أنّه عليه السّلام صدق من قول ابنة أبى خيثمة جملة (ذهب بخيرها و نجا من شرّها)، حتى إنّ عليه السّلام قال: ما قالته و لكن قولته. يعنى ما قالته من نفسها، و لكن حملت على قوله، و ليس تحته شيء، لأن معناه أنّ فى الخلافة و السلطنة خيرا و شرا، و لكنّ عمر ذهب بخيرها و نجا من شرّها بحبسه مثل طلحة و الزبير عن الخروج عن المدينة، حتّى إلى الجهاد لتلا يخرجها عليه، و أحدث شورى موجبة لنقض الامور عليه عليه السّلام و ليس قوله عليه السّلام: (ذهب بخيرها و نجا من شرّها) إلّا نظير قوله عليه السّلام فيه و فى صاحبه فى الشقشقية:

لشد ما تشطر أضرعيها.

و أمّا باقى العنوان فإنّما افتراء تعمداً- و الافتراء عليه عليه السّلام كالنّبىّ عليه السّلام كثير فالخصم يضع لنفسه على حسب هواه- و إمّا توهما من قوله عليه السّلام: لقد صدقت ابنة أبى خيثمة، أنّه راجع إلى جميع ما قالته، مع أنّه عليه السّلام قيده فى قولها: ذهب بخيرها و نجا من شرّها. مع أنّ ما فى (الطبرى) تحريف، فعن ابن عساكر قال عليه السّلام: (أصدقت) لا (لقد صدقت)^{١٤١٩}.

و ممّا ذكرنا يظهر لك ما فى قول ابن أبى الحديد، على أنّ الطبرى صرح أو كاد أن يصرّح بأنّ المراد بهذا الكلام عمر، فإنّ الطبرى إنّما روى وصف بنت أبى خيثمة بما روى، و أنّ المغيرة كان يعلم أنّ عليّا عليه السّلام يكتفم ما فى قلبه على عمر كصاحبه، فأراد المغيرة أن يستخرج ما فى قلبه ذاك الوقت فأجابته عليه السّلام

ص: ٤٨٣

^{١٤١٤} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٢١٨، سنة ٢٣، شرح ابن أبى الحديد ١٢: ٥.

^{١٤١٧} (٤) المجازات النبوية للشريف الرضى: ٣٩٣ ح ٣١٠، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

^{١٤١٨} (١) انظر الكافي ٣: ٣٠٢، ح ١، ٢، من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٣ ح ٨٦٥، تهذيب الأحكام ٢: ٢٧٧ ح ١٠٩٩.

^{١٤١٩} (٢) نص ما أورده ابن عساكر: لله نادبة عمر عاتكة و هى تقول وا عمراه، مات و الله قليل العيب أمات العوج و أبرأ العمد، وا عمراه ذهب و الله بحظها و نجا من شرّها وا عمراه ذهب و الله بالسنة و أبى الفتنة، راجع صورة المخطوطة ١٣: ١٨٩ (تاريخ ابن عساكر. دار البشائر).

بحكمته بدم و شكوى فى صورة النناء.

و بالجملة، جميع ما رووه من هذا الخبر، أو ما كان من قبيله خلاف الدراية، و الأخبار المتواترة و السير المحفوظة بالقرائن و الشواهد، و كيف يصح العنوان و قد كتب معاوية إليه عليه السلام: ثم كرهت خلافة عمر و حسدته، و استطلت مدته و سررت بقتله، و أظهرت الشماتة بمصابه، حتى إنك حاولت قتل ولده ...

و كيف و قد روى المسعودى و نصر بن مزاحم و غيرهما حتى الطبرى - و ان كفّ عن نقل تفصيله لعدم احتمال العامة له عنده - : أن محمّد بن أبى بكر لما كتب إلى معاوية كتابا - و فيه بعد ذكر النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم - : فكان أوّل من أجاب و أناب و صدّق و وافق و أسلم و سلّم، أخوه و ابن عمّه على بن أبى طالب، فصدّقه بالغيب المكتوم، و آثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، و واساه بنفسه فى كلّ خوف، فحارب حربه و سالم سلمه، فلم يبرح مبتذلا لنفسه فى ساعات الأزل و مقامات الروع، حتى برز سابقا لا نظير له فى جهاده، و لا مقارب له فى فعله، و قد رأيتك تساميه، و أنت أنت و هو هو، المبرز السابق فى كلّ خير، أوّل الناس إسلاما، و أصدق الناس نيّة، و أطيب الناس ذريّة، و أفضل الناس زوجة، و خير الناس ابن عمّ، و أنت اللعين بين اللعين، ثم لم تنزل أنت و أبوك تبغيان الغوائل لدين الله، و تجهدان على إطفاء نور الله، و تجمعان على ذلك الجموع، و تبدلان فيه المال، و تحالفان فيه القبائل، على ذلك مات أبوك، و على ذلك خلفته، و الشاهد عليك بذلك من يأوى و يلجأ إليك من بقيّة الأحزاب و رءوس النفاق و الشقاق للرسول صلى الله عليه و آله و سلّم، و الشاهد لعلىّ عليه السلام مع فضله المبين و سبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم فى القرآن، فأثنى الله عليهم من المهاجرين و الأنصار، فهم معه عصائب و كتائب، حوله يجاهدون بأسيا فهم، و يهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل فى أتباعه و الشقاء فى خلفه، فكيف

ص: ٤٨٤

- يا لك الويل - تعدل نفسك بعلىّ؟ و هو وارث رسول الله و وصيه، و أبو ولده، و أولى الناس له أتباعا، و آخرهم به عهدا، يخبره بسرّه، و يشركه فى أمره، و أنت عدوّه و ابن عدوّه، فتمتع ما استطعت بباطلك، و ليمدد لك ابن العاص فى غوايتك.

أجابه معاوية: ذكرت حقّ ابن أبى طالب و قديم سوابقه، و قرابته من نبىّ الله، و نصرته له، و مواساته إيّاه فى كلّ خوف و هول، و احتجاجك علىّ فقد كنّا - و أبوك معنا - فى حياة نبينا، نرى حقّ ابن أبى طالب لازما لنا، و فضله مبرزا علينا، فلما اختار الله لنبىّه ما عنده، و أتمّ له ما وعده، و أظهر دعوته، و أفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان أبوك و فاروقه أوّل من ابتزه و خالفه على ذلك، اتّفقا و اتسقا، ثم دعواه إلى أنفسهم، فأبطأ عنهما و تلكأ عليهما، فهما به الهموم و أرادا به العظيم، فبايع و سلم لهما، لا يشركانه فى أمرهما و لا يطلعانه على سرهما، حتى قبضا و انقضى أمرهما - إلى أن قال - : فخذ حذرک يا بن أبى بكر فسترى و بال أمرک، و قس شبرک بفترک، تقصر من أن تساوى أو توازى من تزن الجبال حلمه، لاتلين على قصر قناته و لا يدرك ذو مدى أناته، أبوك مهّد مهاده و بنى ملكه و شاده، فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك أوّلّه، و إن يكن جورا، فأبوك أسّه و نحن شركاؤه، و بهديه أخذنا، و بفعله اقتدينا، فعب أباک ما بدا لك أو دع^{١٤٢٠}.

^{١٤٢٠} (١) وقعة صفين: ١١٨، تاريخ الطبرى ٤: ٥٥٧، سنة ٣٦، مروج الذهب ٣: ٢٠-٢٢، شرح ابن أبى الحديد ٣: ١٨٨-١٩٠.

و كيف يننى عليهما؟ و قد قال ابن قتيبة و غيره: إنَّ عليًّا عليه السَّلام أتى به إلى به إلى أبى بكر و هو يقول: أنا عبد الله و أخو رسوله. فقيل له: بايع. فقال: أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا ابايعكم و أنتم أولى بالبيعة لى، أخذتم هذا الأمر من الأنصار،

ص: ٤٨٥

و احتججتم عليه بالقرابة من النبى، و تأخذونه منّا أهل البيت غصبا، أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لما كان محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم منكم؟ فأعطوكم المقادة و سلّموا إليكم الامارة، فإذا أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، نحن أولى برسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم حيّا و ميّتا، إن كنتم تؤمنون، و إلّا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون. فقال له عمر: إنك لست متروكا حتى تبايع. فقال له علىّ عليه السَّلام: احلب حلبا لك شطره و شد له اليوم يردده عليك غدا- إلى أن قال:-

قال علىّ عليه السَّلام: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم فى العرب من داره و قعر بيته، إلى دوركم و قعور بيوتكم، و تدفعون أهله عن مقامه فى الناس و حقّه، فو الله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به، لأنّا أهل البيت، و نحن أحقّ بهذا الأمر. ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه فى دين الله، العالم بسنن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم، المتطلّع لأمر الرعيّة، الدافع عنهم الامور السيّئة، القاسم بينهم بالسويّة، و الله إنّه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحقّ بعدا.

فقال بشير بن سعد الأنصارى: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا علىّ قبل بيعتها لأبى بكر ما اختلفت عليك.

فقال علىّ عليه السَّلام: أ فكنت أدع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم فى بيته لم أدفنه، و أخرج انازع الناس بسلطانه^{١٤٢١}؟

و فى (خلفاء ابن قتيبة) أيضا: و خرج علىّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت النبى صلى الله عليه و آله و سلّم على دابة ليلا فى مجالس الأنصار، تسألهم النصرة فيقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو أنّ زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبى بكر ما عدلنا به. فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن عليه السَّلام إلّا ما كان

ص: ٤٨٦

ينبغى له، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم^{١٤٢٢}.

و فيه: تفقد أبو بكر قوما تخلّفوا عن بيعته عند علىّ عليه السَّلام، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم و هم فى دار علىّ عليه السَّلام فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب و قال:

^{١٤٢١} (١) الإمامة و السياسة ١: ١١-١٢.

^{١٤٢٢} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٢.

و الذى نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنّها على من فيها. فقيل له: إنّ فيها فاطمة. فقال: و إن - إلى أن قال:- ثم قام فمشى معه جماعة حتى أتوا بيت فاطمة، فدقوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادى بأعلى صوتها: يا أبه يا رسول الله، ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، و ابن أبى قحافة؟ فلمّا سمع القوم صوتها و بكاءها انصرفوا باكين، و كادت قلوبهم تتصدّع و أكبادهم تتفطر، و بقى عمر و معه قوم، فأخرجوا عليّا فمضوا به إلى أبى بكر، فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل؟ قالوا: إذن و الله الذى لا إله إلاّ هو، نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبد الله و أخا رسوله. فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، و أمّا أخا رسوله فلا. و أبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق عليّ عليه السّلام بقبر النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، يصيح و يبكى و ينادى:

يا «ابن أمّ إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلوني»^{١٢٢٣} - إلى أن قال بعد ذكر ورودهما على فاطمة عليها السّلام و تحويلها وجهها إلى الحائط، و عدم ردّها عليهما جواب سلامهما، ثم تقريرهما بقول النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فيها: (رضا فاطمة رضاه و سخطها سخطه) - فقالت لهما فاطمة: فإنى اشهد الله و ملائكته، أنّكما أسخطتماني و ما أرضيتماني، و لئن لقيت النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، لأشكونكما إليه - إلى أن قال:- فقالت فاطمة لأبى بكر لما خرج من عندها: و الله لأدعون الله عليك فى كلّ صلاة أصليها - إلى أن قال:- فقال المغيرة لأبى بكر و عمر: الرأى أن تلقوا

ص: ٤٨٧

العباس، فنجعلوا له فى هذا الأمر نصيبا يكون له و لعقبه، و تكون لكما الحجّة على عليّ و بنى هاشم إذا كان العباس معكم^{١٢٢٤}.

و فيه: (فى عنوان مرض أبى بكر و استخلافه)، قال أبو بكر: و الله ما آسى إلّا على ثلاث فعلتھن ليتنى كنت تركتھن - إلى أن قال:- وليتنى تركت بيت عليّ و إن كان اغلق على الحرب - إلى أن قال:- قال أبو بكر لعمر: خذ هذا الكتاب و اخرج به إلى الناس، و اخبرهم أنّه عهدى، و سلّم عن طاعتهم. فخرج بالكتاب و أعلمهم فقالوا: سمعا و طاعة. فقال له رجل: ما فى الكتاب؟ قال: لا أدرى، و لكنى أوّل من سمع و أطاع. قال: لكنى و الله أدرى ما فيه، أمرته عام أوّل و أمرت العام^{١٢٢٥}.

و فيه:- (فى عنوان تولية عمر الشورى) - قال عمر: سأستخلف النفر الذين توفى النبىّ و هو عنهم راض. فأرسل إليهم فجمعهم - إلى أن قال:- ثمّ قال: إن استقام أمر خمسة منكم و خالف واحد فاضربوا عنقه، و إن استقام أربعة و اختلف اثنان فاضربوا أعناقهما، و إن استقام ثلاثة و اختلف ثلاثة فاحتكموا إلى ابني عبد الله فلائى الثلاثة قضى فالخليفة منهم، فإن أبى الثلاثة الاخر من ذلك فاضربوا أعناقهم. فقالوا: قل فينا مقالا نستدل فيها برأيك، و تقتدى به.

فقال: و الله ما يمنعنى أن أستخلفك يا سعد إلّا شدتک و غلظتک، مع أنّك رجل حرب، و ما يمنعنى منك يا عبد الرحمن إلّا أنّك فرعون هذه الامّة، و ما يمنعنى منك يا زبير إلّا أنّك مؤمن الرضا كافر الغضب، و ما يمنعنى من طلحة - و كان غائبًا - إلّا

^{١٢٢٣} (٢) طه: ٩٤.

^{١٢٢٤} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٢-١٥، و النقل بتلخيص.

^{١٢٢٥} (٢) المصدر نفسه ١: ١٨-٢٠، و النقل بتلخيص.

نخوته و كبره و لو وليها وضع خاتمه فى اصبع امرأته، و ما يمنعى منك يا عثمان إلاً عصبيتك و حبك قومك، و ما يمنعى منك يا علىّ إلاً حرصك

ص: ٤٨٨

عليها، و انك أحرى القوم، ان وليتها تقيم على الحق المبين و الصراط المستقيم - إلى أن قال -: ثم التفت إلى علىّ عليه السّلام فقال: لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقك و قرابتك و شرفك من النبىّ، و ما آتاك الله من العلم و الفقه و الدين فيستخلفونك، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله يا علىّ فيه، و لا تحمل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس - ثم اتلفت إلى عثمان فقال: يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من النبىّ و سنك و شرفك و سابقتك فيستخلفونك، فإن وليت هذا الأمر فلا تحمل أحدا من بنى اميّه على رقاب الناس - إلى أن قال :-

فأخذ عبد الرحمن بيد عثمان فقال له: عليك عهد الله و ميثاقه لئن بايعتك لتقيمن كتاب الله و سنّه رسوله و سنّه صاحبيك. و شرط عمر أن لا تحمل أحدا من بنى اميّه على رقاب الناس، فقال عثمان: نعم - ثم أخذ بيد علىّ عليه السّلام فقال له: ابايعك على شرط ألا تحمل أحدا من بنى هاشم على رقاب الناس. فقال علىّ عليه السّلام عند ذلك: ما لك و لهذا، إذا جعلتها فى عنقى إن علىّ الاجتهاد لامّه محمّد حيث علمت القوّه و الأمانة استعنت بها فى بنى هاشم كان أو غيرهم - قال عبد الرحمن: لا والله حتىّ تعطينى هذا الشرط، قال علىّ عليه السّلام: «و الله لا أعطيكه أبدا»، فتركه فقاموا من عنده فخرج عبد الرحمن إلى المسجد فجمع الناس، ثم قال:

أتى نظرت فى أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل يا علىّ سبيلا على نفسك، فأنه السيف لا غير - ثم أخذ بيد عثمان فبايعه^{١٤٢٤}.

فترى ان عمر أخذ البيعه من أمير المؤمنين عليه السّلام لأبى بكر بالسيف، و ان عمر دبّر أيضا لعثمان أن يؤخذ له من أمير المؤمنين عليه السّلام البيعه بالسيف، فكيف يعقل ان يمدحه عليه السّلام؟ و لو فرض ألا يكون عليه السّلام منصوبا من قبل الله و قبل رسوله، و كيف يعقل ذلك، و قد عرف عليه السّلام ان عمر تعمّد صرف الأمر

ص: ٤٨٩

عنه؟ ففى (العقد الفريد) فى الشورى، قال علىّ عليه السّلام للعبّاس: عدلت عنا، قال:

و ما أعلمك؟ قال قرن عمر بى عثمان، ثم قال: إن رضى رجلان رجلا و رجلان رجلا، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن، فلو كان الآخران معى ما نفعانى بعد كون عبد الرحمن مع عثمان^{١٤٢٧}.

^{١٤٢٤} (١) الإمامة و السياسة ١: ٢٤ - ٢٧، و النقل بتلخيص.

^{١٤٢٧} (١) العقد الفريد ٥: ٢٩.

ثم إذا كان في كلِّ من السُّنة عيب مانع من تعيينه، فكيف جعل الأمر بينهم، ثم إذا كانوا أهلاً للخلافه و مات النبي راضياً عنهم، كما زعم، و ان ناقض بعد و قال لطلحة مات النبي غاضباً عليك للكلمة التي قلتها في نكاح نساءه بعده، كيف يأمر بقتلهم؟

ثم إن كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عنهم راضياً بالفرض، فما كان عن عمر نفسه راضياً حين موته بالحتم، حيث منعه من وصيته و نسبه إلى الهجر، حتى غضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و أمره مع من معه بالخروج عنه.

ثم من كذبه و نفاقه يقول لأمير المؤمنين عليه السَّلام أنك أحرصهم عليها، مع أنه كان يعلمه بخلافه، و مع كونها حقَّ تركها لما طلب منه العمل بسنة الشيخين، و شرط عمر كما تركها يوم السقيفة لئلا يضمحل الإسلام.

ثم إذا كان اعترف بأنه أولاهم أن يقيم الناس على الحق المبين و الصراط المستقيم، لم لم يعينه؟ و قد قال تعالى: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ»^{١٤٢٨}، و قد قال له ابنه عبد الله: إذا كان عليّ هكذا فلم لا تعينه؟ فقال له: أنه لا يقدر أن يراه قائماً بالأمر لا في حياته و لا بعد وفاته.

ثم قوله لعثمان: يعرفون لك صهرك و سنك و شرفك و سابقتك، فأبو

ص: ٢٩٠

سفيان أيضاً كان صهره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و كان أسنَّ من عثمان و أشرف، فإنه كان شيخ بنى امية على الإطلاق، و أمّا سابقته فلم نعرف له منها غير فراره الطويل العريض يوم احد، و في باقي المواطنين، و دفاعه عن أعداء الله و أعداء رسوله، كالمغيرة بن أبي العاص و ابن أبي سرح. نعم، نعرف لعثمان لاحقته أيام خلافته.

ثم انَّ قوله لأمير المؤمنين عليه السَّلام: لعلمهم يعرفون لك حقك و قرابتك و شرافتك من الرسول، كيف كانوا يعرفون له حقّه؟ و هو أوّل من أضعف مقامه و هيئاً تزلزل أمره و به اقتدوا، كما اعترف به معاوية.

ثم انَّ قوله له عليه السَّلام: (و ما آتاك الله من العلم و الفقه و الدين)، كيف سوى مع ذلك بينه و بين عثمان؟ و قد قال تعالى: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»^{١٤٢٩} و قال جل ثناؤه: «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا»^{١٤٣٠}.

و كيف يقول لعثمان: (فلا تحمل أحدا من بنى امية على رقاب الناس)؟ مع أنه كان يعلم ان ترك عثمان ذلك من المحالات العادية، فهل قوله ذلك إلا نفاق منه و علم ذلك عثمان، فقبل و ما عمل.

^{١٤٢٨} (٢) يونس: ٣٥.

^{١٤٢٩} (١) الزمر: ٩.

^{١٤٣٠} (٢) السجدة: ١٨.

و كيف يقول لأمير المؤمنين عليه السّلام: لا تحمل أحدا من بنى هاشم على رقاب النّاس؟ كما يقول لعثمان لا تحمل أحدا من بنى أميّة على رقاب النّاس، و بنو هاشم أهل بيت النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و دينهم دينه، و بنو أميّة أعداء الله و أعداء رسوله.

و كيف يسوّى بينه عليه السّلام و بين عثمان؟ و يقول لكلّ منهما: (أتق الله) و أمير المؤمنين عليه السّلام يطلب منه أخوه صاعا من بر بيت المال زائدا على حقّه اضطرارا، لجوع أطفاله، فيحمي له حديدة و يدنيها من جسمه ليعتبر بها،

ص: ٤٩١

و عثمان يعطى خمس جميع إفريقية لمروان الذى كان أخبث من يزيد بن معاوية، و لما سمع أمير المؤمنين عليه السّلام بأن رجلا من فتية البصرة دعا عامله عثمان بن حنيف إلى ضيافة فأجابه، كتب إليه ينكر عليه ذلك، بأن ذاك الإطعام لم يكن لله، لأنّه دعا الغنى و جفا العائل، فلا ينبغي لعامله إجابته، و عثمان رأى أنّ أخاه لامه الوليد بن عقبة، صلّى الصبح أربعاً بالنّاس فى سكره، و غنى فى صلاته، و تكلم فى سجوده فقال: أزيدكم على الأربع! و لم ينكر عليه ذلك. فهل منشأ تلك المنكرات إلّا عمر؟ فكيف يعقل تناؤه عليه السّلام عليه؟! إن هو إلّا افتراء محض.

و رووا عنه عليه السّلام أخبارا اخر فى ثنائه عليه افتراء و بهتاناً، مثل ما رواه ابن قتيبة، عن ابن عباس قال: وضع عمر على سريره فتكفّنه النّاس يدعون و يصلّون، قبل أن يرفع فلم ير عنى إلّا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائى، فالتفت فإذا على يترحم على عمر، و قال: و الله ما خلفت أحدا أحبّ أن ألقى الله بمثل عمله منك يا عمر، و ايم الله ان كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك، و ذاك أنى سمعت النّبيّ يقول: ذهب أنا و أبو بكر و عمر، و كنت أنا و أبو بكر و عمر، و إنى كنت لأظن أن يجعلك الله معهما^{١٤٣١}.

و عن علىّ قال: كنت جالسا عند النّبيّ فأقبل أبو بكر و عمر فقال: هذان سيّدا كهول أهل الجنّة من الأوّلين و الآخريين، إلّا النبيّين و المرسلين، و لا تخبرهما يا علىّ^{١٤٣٢}.

فانّ الخبر الأوّل وضعوا صدره، فى مقابل خير رواه (فضائل أحمد بن حنبل) عن أبى ذر قال: قال النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: لينتهين بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلا

ص: ٤٩٢

كنفسى، يمضى فيهم أمرى، يقتل المقاتلة، و يسبى الذريّة، فما راعنى إلّا بردّ كف عمر من خلفى فقال: من تراه يعنى؟ فقلت: ما يعينك و إنّما يعنى عليّا عليه السّلام^{١٤٣٣}.

^{١٤٣١} (١) الإمامة و السياسة ١: ١-٢.

^{١٤٣٢} (٢) المصدر نفسه ١: ١.

و أخذ ذيله من قوله: (و الله ما خلّفت أحدا أحبّ أن ألقى الله بمثل عمله منك يا عمر) من قوله عليه السّلام لمّا سجّى عمر: «ما أحد أحبّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجّى» يعنى ليخاصم معه عند ربّه. فغيّره بما فعل.

و لا ننكر أن يقول عليه السّلام لعمر: و ايم الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، أى: أبى بكر و أبى عبيدة، فإن الثلاثة كانوا أصل السقيفة - و زيد ذاك الكلام الركيك: (و ذاك أنى كنت سمعت النبىّ يقول: ذهبت أنا و أبو بكر و عمر و كنت أنا و أبو بكر و عمر ...) تلييسا.

و الخبر الثانى وضعوه فى مقابل ما تواتر عن النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم فى الحسينين عليهما السّلام أنّهما سيّدا شباب أهل الجنّة. و من المضحك أنّهم غيّرُوا ما ورد أن أمير المؤمنين عليه السّلام لمّا توفى ارتجت الكوفة كالمدينة يوم قبض النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم، و جاء رجل باكيًا و هو مسرع مسترجع و قال: «رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أوّل القوم إسلاما ...» بألفاظه فى أبى بكر، فقالوا كما فى (العقد):

لمّا قبض أبو بكر و سجّى بثوب ارتجت المدينة كيوم قبض النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم، و جاء علىّ باكيًا مسرعًا مسترجعًا حتّى وقف بالباب، و هو يقول: رحمك الله يا أبا بكر كنت أوّل القوم إسلامًا ...^{١٤٣٤}.

و من فقراته: (كنت كالجبل لا تحركه العواصف)^{١٤٣٥}.

ص: ٤٩٣

و لا أدرى أين كان هذا الوقار منه، هل فى يوم خيبر أو فى باقى مشاهدته.

و بالجملة، لا نعلم من الرجل إلّا أنّه لم يكن يشهد الحرب، أو يشهد فيفرّ حتّى قال النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم لمّا فرّ هو و صاحبه يوم خيبر: «لا عطين الراية غدا رجلا يحبّ الله و رسوله و يحبه الله و رسوله كرارا غير فرار»، بمعنى أنّ الرجلين بالعكس لا يحبّان الله و رسوله و لا يحبّانها فرارين غير كرارين.

و من فقراته: (لم يكن لأحد عندك مطمع و لا هوى)^{١٤٣٦}.

ففسألهم لم يكن لأحد عنده مطمع، حتى لخالد بن الوليد الذى قتل مالك بن نويرة مسلما وزنا بامرأته، حتى أنكر عمر عليه عدم إنكاره على خالد.

^{١٤٣٣} (١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٥٧١ رقم ٩٦٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، و أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧: ١١٠.

^{١٤٣٤} (٢) العقد الفريد ٥: ١٨ - ١٩.

^{١٤٣٥} (٣) المصدر نفسه.

^{١٤٣٦} (١) العقد الفريد ٥: ١٩.

و القول بكون الثلاثة غاصبين عند أمير المؤمنين عليه السّلام و أهل بيته و شيعته من البديهيّات، و الأخبار فيه من المتواترات، فكيف يصح ما قالوا؟.

و قد نقل ابن أبي الحديد عند شرح قوله عليه السّلام: (و قد قال لى قائل: أنك يا بن أبى طالب على هذا الأمر لحريص):

عن يحيى بن سعيد الحنبلى المعروف بابن عالية، و أحد الشهود المعدلين ببغداد قال: كنت حاضرا عند الفخر إسماعيل بن على الحنبلى الفقيه مقدم الحنابلة ببغداد فى الفقه و الخلاف، إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فانحدر إليه يطالبه به و اتفق أن حضرت زيارة الغدير فجعل الفخر يسأله: ما فعلت؟ ما رايت؟ هل وصل مالك إليك؟ و هل بقى منه بقيّة؟ و هو يجاوبه حتّى قال الرجل: يا سيدى لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير، و ما يجرى عند قبر على بن أبى طالب من الفضائح و الأقوال الشنيعة و سب الصحابة جهارا بأصوات مرتفعة من غير مراقب و لا خيفة! فقال الفخر:

أى ذنب لهم، و الله ما جرّأهم على ذلك و لا فتح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذاك

ص: ٤٩٤

القبر. فقال الرجل: و من صاحبه؟ قال: على بن أبى طالب. قال: يا سيدى هو الذى سنّ لهم ذلك و علمهم إيّاه؟ قال: نعم و الله. قال: يا سيدى فإن كان محققا فما لنا نتولّى فلانا و فلانا، و ان كان مبطلا فما لنا نتولّاه؟ فقام الفخر و قال:

لعننى الله إن كنت أعرف جواب هذه المسألة^{١٣٣٧}.

و روى الخطيب عن سويد بن غفلة، قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر و عمر بغير ما هما له أهل، فدخلت على على عليه السّلام و قلت له ذلك، و قلت له:

و لو لا أنّهم يرون أنّك تضمّر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترءوا على ذلك. فقال:

أعوذ بالله أن أضمر لهما إلّا الحسن الجميل.

و صدق سويد فى قوله: لو لا أنّهم يرون أنّه عليه السّلام يضمّر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترءوا. و صدق عليه السّلام فى عدم إضماره غير الحسن الجميل، فانه عليه السّلام كان لا يضمّر غير الحقّ لأحد، و الحقّ حسن جميل، و لم يفصح عليه السّلام لأنّ عامّة الناس كانوا غير عارفين به عليه السّلام، و انما كان العارف منهم معدودين.

وضعوا ما مر من العنوان و غيره فى قبال ما جرى من الحقّ على لسانهم، فروى أحمد بن أبى طاهر صاحب (تاريخ بغداد) عن ابن عباس، قال: دخلت على عمر فى أوّل خلافته، و قد ألقى له صاع من تمر على خصفه، فدعاني إلى الأكل، فأكلت ثمرة

^{١٣٣٧} (١) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٠٧ - ٣٠٨.

واحدة، و أقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جر كان عنده، و استلقى على مرفقه له، ثم قال: من أين جئت؟ قلت: من المسجد. قال:

كيف خلفت ابن عمك؟- فظننته يعنى عبد الله بن جعفر- فقلت: خلفته يلعب مع أترابه. قال: لم أعن ذلك، إنما عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان، و هو يقرأ القرآن. قال: يا عبد الله عليك دماء البدن ان كتمتها هل بقى فى نفسه شىء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال:

ص: ٤٩٥

أ يزعم أن النبى نصّ عليه؟ قلت: نعم، و أزيدك: سألت أبى عمّا يدّعيه، فقال:

صدق. فقال: لقد كان من النبى فى أمره ذرو من القول لا يثبت حجّة، و لا يقطع عذرا، و لقد كان يربع فى أمره وقتنا ما، و لقد أراد فى مرضه أن يصرح باسمه، فمنعت من ذلك إشفاقا و حيطة على الإسلام، لا و رب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبدا، و لو وليها لانتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم النبى أنّى علمت ما فى نفسه، فأمسك و أبى الله إلّا إمضاء ما حتم^{١٤٣٨}.

و روى أبو بكر الأنبارى فى (أماليه): أنّ عليّا عليه السّلام جلس إلى عمر فى المسجد، و عنده ناس فلمّا قام عرض واحد بذكره و نسبه إلى العجب و التيه، فقال عمر: حق لمثله أن يتيه، و الله لو لا سيفه لمّا قام عمود الإسلام، و هو بعد أفضى الامّة و ذو سابقتها و ذو شرفها. فقال له ذلك القائل: فما منعكم عنه؟

قال: كرهناه على حداثة السنّ و حبه بنى عبد المطلب^{١٤٣٩}، إلى غير ذلك ممّا لو أردنا استقصاءها لطلال الكلام.

ثمّ ما وضعوا له على لسان غيره عليه السّلام أكثر و أكثر، و قد نقل ابن أبى الحديد الأشهر منها، من كتاب مسلم و البخارى عن عائشة قالت: إنّ النبى قال: كان فى الامم محدثون فإن تكن فى امتى فعمر^{١٤٤٠}.

و عن سعد بن أبى وقاص قال: استاذن عمر على النبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و عنده نساء من قريش، يكلمته عالية أصواتهن، فلمّا دخل ابتدرن الحجاب، فدخل و النبى يضحك، فقال: عجبت من هؤلاء اللاتي كنّ عندى، فلمّا سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: أنت أحقّ أن يهينك - ثم قال لهنّ: أى عدوات أنفسهن

ص: ٤٩٦

^{١٤٣٨} (١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ١٢: ٢٠-٢١.

^{١٤٣٩} (٢) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ١٢: ٨٢.

^{١٤٤٠} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٢: ١٧٧.

أ تهبني ولا تهبني النبي؟ قلن: نعم أنت أغلظ وأفظ - فقال النبي: والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجأ إلا سلك فجأ غير فجك^{١٤٤١}.

و من غير الكتابين خبرا (أن السكينة لتتطق على لسان عمر) و خبرا (أن الله ضرب بالحق على لسان عمر و قلبه) و خبرا (أن بين عيني عمر ملكا يسدده و يوقفه) و خبرا (لو لم ابعث فيكم لبعث عمر) و خبرا (لو كان بعدى نبى لكان عمر) و خبرا (لو نزل إلى الأرض عذاب لما نجا إلا عمر) و خبرا (ما أبطأ عنى جبرئيل إلا ظننت أنه بعث إلى عمر) و خبرا (سراج أهل الجنة عمر) و خبرا (إن شاعرا أنشد النبي شعرا، فدخل عمر فأشار النبي إلى الشاعر أن اسكت، فلما خرج عمر قال له: عد فعاد، فدخل عمر فأشار النبي إليه بالسكوت مرة ثانية، فلما خرج عمر سأل الشاعر النبي عن الرجل، فقال: هذا عمر بن الخطاب، و هو رجل لا يحب الباطل) و خبرا (أن النبي قال: وزنت بأمتي فرجحت، و وزن أبو بكر بها فرجح، و وزن عمر بها فرجح ثم رجح)^{١٤٤٢}.

قال ابن أبي الحديد - بعد نقلها -: روي في فضل عمر حديثا كثيرا غير هذا، لكننا ذكرنا الأشهر، و طعن أعداؤه في هذه الأحاديث فقالوا: لو كان محدثا لما اختار معاوية الفاسق لولاية الشام، و لكان الله تعالى قد ألهمه و حدثه بما يواقع معاوية من القبايح و المنكرات و البغي، و التغلب على الخلافة و الاستيثار بمال الفيء و غير ذلك^{١٤٤٣}.

قلت: و ان كان الخبر. (كان عمر محدثا) - بلفظ اسم الفاعل من الافعال - فصحيح، فقد أحدث تحريم المتعتين، و العول، و التعصيب، و التراويح، و غير

ص: ٤٩٧

ذلك مما أبدعه في الدين.

قال ابن أبي الحديد: قالوا: و كيف لا يزال الشيطان يسلك فجأ غير فجءه و قد فرّ مرارا من الزحف في احد و حنين و خبير، و الفرار من الزحف من عمل الشيطان؟^{١٤٤٤} قلت: يمكن تصحيح الخبر بأن إن لقيه سالكا فجأ يطمئن بأنه يعمل عمله فيسلك فجأ آخر لأنه كفاه ذلك الفج.

قال ابن أبي الحديد، قالوا: و كيف يدعى له أن السكينة تنطق على لسانه، أ ترى كانت السكينة تلاج النبي صلى الله عليه و آله و سلم يوم الحديبية حتى أغضبه^{١٤٤٥}.

قلت: و بسكينته التي تنطق على لسانه منع النبي صلى الله عليه و آله و سلم من الوصية، و قال: إن الرجل ليهجر.

^{١٤٤١} (١) المصدر نفسه ١٢: ١٧٧ - ١٧٨.

^{١٤٤٢} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ١٧٨.

^{١٤٤٣} (٣) المصدر نفسه ١٢: ١٧٩.

^{١٤٤٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ١٧٩.

^{١٤٤٥} (٢) المصدر نفسه.

قال ابن أبي الحديد: قالوا: و لو كان ينطق على لسانه ملك أو بين عينيه ملك يسدده و يوقفه، أو ضرب الله بالحق على لسانه و قلبه، لكان نظيرا للنبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، بل أفضل منه، لأن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم كان يؤدي عن ملك، و عمر كان ملك ينطق على لسانه، و زيد ملكا آخر بين عينيه يسدده و يوقفه، و قد كان حكم في أشياء فيخطئ فيها حتى يفهمه إياها على عليه السلام و معاذ بن جبل و غيرهما، حتى قال: (لو لا على لهلك عمر) (و لو لا معاذ لهلك عمر). و كان يشكل عليه الحكم فيقول لابن عباس: غص يا غواص فيفرج عنه. فأين كان الملك السمّد له، و أين الحق الذي ضرب به على لسان عمر؟ و معلوم أن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم كان ينتظر نزول الوحي، و عمر على مقتضى هذه الأخبار، لا حاجة به إلى نزول ملك عليه، لأن الملكين معه في كل وقت، و قد عززا بثالث و هي السكينة،

ص: ٤٩٨

فهو إذن أفضل من النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم.

و قالوا: و الحديث الذي مضمونه: (لو لم ابعث فيكم لبعث عمر)، يستلزم أن يكون النبي عذابا على عمر لأنه لو لم يبعث لبعث، فالتنزيل له عن هذه الرتبة التي ليس وراءها رتبة، ينبغى ألا يكون في الأرض أحد أبغض إليه منه.

و أمّا كونه سراج أهل الجنة، فيقتضى أنه لو لا عمر لكانت الجنة مظلمة لا سراج فيها.

قالوا: و كيف يجوز أن يقال: (لو نزل العذاب لم ينج منه إلا عمر)؟ و الله تعالى يقول: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»^{١٤٤٦}.

قالوا: و كيف يجوز أن يقال إن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم كان يسمع الباطل و يحبه و يشهده، و عمر لا يسمع الباطل و لا يشهده و لا يحبه؟ أ ليس هذا تنزيها لعمر عما لم ينزه عنه النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم؟

قالوا: و من العجب أن يكون النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم أرجح من الامّة يسيرا و كذلك أبو بكر، و يكون عمر أرجح منهما كثيرا^{١٤٤٧}.

ثم أجاب ابن أبي الحديد عن تلك الطعون بمغالطات و تأويلات، كما أنه نقل مطاعنه التي ذكرها الإمامية، و نقل رد المرتضى على قاضي القضاة في دفاعه عنها، و أجاب عنها بمغالطات، و أغرب حيث قال:- و اعلم أن من تصدّى للعيب و جده، و من قصر همته على الطعن على الناس انفتحت له أبواب كبيرة، و السعيد من أنصف و رفض الهوى و تزود التقوى^{١٤٤٨}.

قلت: فإذا كان الأمر كما ذكر، فليكن الطعن على إلهية الأوثان و على نبوة

^{١٤٤٦} (١) الأنفال: ٣٣.

^{١٤٤٧} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ١٧٩ - ١٨٠.

^{١٤٤٨} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ١٨٠ - ١٨٢.

مسيلمه، خلاف التقوى، إلا أن المكابر لا علاج له، وإلا فمن أراد إحراق أهل بيت نبيّه الذين شهد كتاب الله بعصمتهم و طهارتهم، و منع نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم عن وصيته و نسبه إلى الهجر، و أمر بقتل من كان بمنزلة نفس النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم بنص القرآن، و تخلف عن جيش لعن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم المتخلف عنه، و أذى من كان أذاه أذى الله و أذى رسوله - و كل ذلك من المقطوع الذي يقرّ الخصم به - كيف يعقل أن يكون محققاً؟ اللهم إلا أن يقولوا: أن دين محمد صلى الله عليه و آله و سلم كان باطلا، و انما كان دين عمر حقاً، و هو لازم قولهم.

و لقد حاجّ المأمون فقهاءهم في أحاديثهم المفتعلة، و قد نقل ذلك محمد بن بابويه في (عيونه)، و ابن عبد ربه في (عقده) بزيادة و نقصان قال: و اللفظ للأول، أمر المأمون يحيى بن أكنم بجمع أربعين رجلا من أهل الكلام و الحديث من أهل السنة، فجمع فقال لهم المأمون: إننا جمعتمكم لأحتجّ بكم عند الله، فاتقوا الله و انظروا لأنفسكم و إمامكم، لا يمنعكم جلالتي و مكاني من قول الحق حيث كان، و ردّ الباطل على من أتى به، فناظروني بجميع عقولكم.

إنّي رجل أزعم أن عليّا عليه السلام خير البشر بعد النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم، فإن كنت مصيبا فصوبوني، و إن كنت مخطئا فردّوا عليّ، و إن شتمت سألتكم، و إن شتمت سألتموني. فقال له الذين يقولون بالحديث: بل نسألك، فقال قائل منهم: إننا نزعم أن خير الناس بعد النبيّ أبو بكر و عمر، من قبل أن الرواية المجمع عليها جاءت عن النبيّ أنّه قال: اقتدوا بالذين من بعدى أبو بكر و عمر، و علمنا أنّه لم يأمر إلا بالافتداء بخير الناس.

فقال المأمون: الروايات كثيرة، و لا بد أن يكون كلّها حقاً، أو كلّها باطلا، أو بعضها حقاً و بعضها باطلا. فلو كانت كلّها حقاً كانت كلّها باطلا، من قبل أن بعضها ينقض بعضها. و لو كان كلّها باطلا، كان في بطلانها بطلان الدين

و دروس الشريعة، فلما بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار، و هو أن بعضها حقّ و بعضها باطل، فإذا كان كذلك فلا بد من دليل على ما يحقّ لياعتقد و ينفي خلافه.

و روايتك هذه من الأخبار التي أدلتها باطله في أنفسها، و ذلك أن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم أحكم الحكماء، و أولى الناس بالصدق، و أبعده الناس من الأمر بالمحال، و حمل الناس على التدين بالخلاف - إلى أن قال -: فإن كان أبو بكر و عمر مختلفين فكيف يجوز الافتداء بهما؟ و هذا تكليف ما لا يطاق، لأنك إذا اقتديت بواحد فقد خالفت الآخر.

و الدليل على اختلافهما: أن أبا بكر سبى أهل الردة و ردّهم عمر أحرارا، و أشار عمر على أبي بكر بعزل خالد و قتله بمالك بن نويرة، فأبى أبو بكر عليه، و حرم عمر المتعتين و لم يفعل ذلك أبو بكر - إلى أن قال -:

فقال آخر: إن النبيّ قال: (لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً).

فقال المؤمنون: هذا مستحيل من قبل أن رواياتكم ان النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم لما آخى بين أصحابه آخى علياً عليه السلام و قال له: (ما أخرتك إلا لنفسى).

فقال الآخر: إن علياً قال على المنبر: (خير هذه الامّة بعد نبيها أبو بكر و عمر).

قال المؤمنون: هذا مستحيل من قبل أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم لو علم أنّهما أفضل، ما ولى عليهما مرّة عمرو بن العاص و مرّة اسامة بن زيد. و ممّا يكذب هذه الرواية قول عليّ عليه السلام لما قبض النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم: أنا أولى بمجلسه مني بقميصي، و لكنني أشفقت أن يرجع الناس كفّاراً.

فقال آخر: فإنّ أبا بكر أغلق بابه و قال: (هل من مستقيل فأقبله)؟ فقال عليّ:

(قدّمك النبيّ فمن ذا يؤخرك).

ص: ٥٠١

فقال المؤمنون: هذا باطل من قبل أن علياً عليه السلام قعد عن بيعه أبي بكر. و رويتم حتّى قبضت فاطمة عليها السلام، و أنّها أوصت أن تدفن ليلاً لتلّا يشهدا جنازتها.

و أيضاً: إن كان النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم استخلفه فكيف كان له أن يستقيل، و كيف يقول للأنصار: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أبا عبيدة و عمر؟

فقال آخر: إنّ عمرو بن العاص قال: يا نبيّ الله من أحب النساء إليك من النساء؟ قال عائشة، فقال: من من الرجال؟ فقال: أبوها.

فقال: هذا باطل من قبل أنّكم رويتم أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم كان بين يديه طائر مشوى فقال: اللهم ائتنى بأحبّ خلقك إليك، فكان عليّ عليه السلام.

فقال آخر: فإنّ علياً عليه السلام قال: من فضّلني على أبي بكر و عمر جلدته حدّ المفترى.

فقال المؤمنون: كيف يجوز أن يقول عليّ عليه السلام: أجدد الحد على من لا يجب حدّ عليه، فيكون متعدّياً لحدود الله عاملاً بخلاف أمره؟ و ليس تفضيل من فضله عليهما فريّة، و قد رويتم عن إمامكم أنّه قال: وليتكم و لست بخيركم.

فقال آخر: إنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم قال: أبو بكر و عمر سيّدا كهول أهل الجنّة.

قال المؤمنون: هذا الحديث محال، لأنّه لا يكون في الجنّة كهول.

فقال آخر: جاء أن النبي قال: لو لم ابعث فيكم لبعث عمر.

فقال المأمون: هذا محال لأن الله تعالى يقول: «إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ»^{١٤٤٩} - وقال: «وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ»^{١٤٥٠} فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ ميثاقه مبعوثا و من اخذ مؤخرًا؟

ص: ٥٠٢

قال آخر: إن النبي نظر إلى عمر يوم عرفه فتبسّم فقال: إن الله باهى بعباده عامّة و بعمر خاصّة.

فقال المأمون: هذا مستحيل من قبل أن الله لم يكن ليباهى بعمر و يدع نبيّه.

فقال آخر: قال النبي: لو نزل العذاب ما نجا إلّا عمر.

فقال المأمون: هذا خلاف الكتاب لأن الله تعالى يقول: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ»^{١٤٥١}.

فقال آخر: فقد شهد النبي لعمر بالجنة في عشرة من أصحابه.

فقال المأمون: لو كان هذا كما زعمتم لكان عمر لا يقول لحذيفة: نشدتك الله أمن المنافقين أنا؟ فان كان النبي صلى الله عليه و آله و سلّم قد قال له إنك من أهل الجنة و لم يصدقه حتى زكاه حذيفة، فصدّق حذيفة و لم يصدّق النبي صلى الله عليه و آله و سلّم فهو على غير الإسلام، و ان كان قد صدّق النبي صلى الله عليه و آله و سلّم فلم سأل حذيفة؟

قال الآخر: قال النبي صلى الله عليه و آله و سلّم: وضعت في كفة الميزان و وضعت امتي في كفة اخرى فرجحت بهم، ثم وضع مكاني أبو بكر فرجح بهم، ثم عمر فرجح بهم ثم رفع الميزان.

فقال المأمون: إن كانت أجسامهما فمحال أن ترجح بأجسام الامّة، و إن كانت أعمالهما فلم تكن بعد فكيف يرجح بما ليس - إلخ^{١٤٥٢}.

ثم أنّهم كما رووا عنه عليه السّلام الثناء عليه، رووا عن ابن عباس أيضا الثناء عليه، فقال ابن قتيبة في (خلفائه) - بعد ذكر طعن أبي لؤلؤ لعمر - قال عمر لابن عباس: لو أن لي ما طلعت عليه الشمس و ما غربت لافتديت به من هول

^{١٤٤٩} (١) النساء: ١٦٣.

^{١٤٥٠} (٢) الأحزاب: ٧.

^{١٤٥١} (١) الأنفال: ٣٣.

^{١٤٥٢} (٢) عيون الأخبار للصدوق: ٢: ١٨٣ - ١٨٨، و عنه البحار: ٤٩: ١٨٩ - ١٩٥، العقد الفريد: ٥: ٣٤٩ - ٣٥٩، و النقل بتصرّف و تلخيص.

ص: ٥٠٣

المطلع، فقال له ابن عباس: فإن يك ذاك فجزاك الله عنّا خيراً، أليس قد دعا النبي أن يعزّ الله بك الدين و المسلمون محتسبون بمكة، فلما أسلمت كان إسلامك عزّاً أعزّ الله به الإسلام و ظهر النبي و أصحابه، ثم هاجرت إلى المدينة فكانت هجرتك فتحاً، ثم لم تغب عن مشهد شهده النبي من قتال، و مات و هو عنك راض، ثم ارتد الناس بعد النبي صلى الله عليه و آله و سلّم عن الإسلام فوازرت الخليفة على منهاج النبي، و ضربتم من أدبر بمن أقبل حتّى دخل الناس فى الإسلام طوعاً و كرها، ثم قبض الخليفة و هو عنك راض، ثم وليت بخير ما يلى أحد من الناس، مصر بك الأمصار و جبي بك الأموال و نفى بك العدو، و أدخل الله على أهل كل بيت من المسلمين توسعة فى أرزاقهم، ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئاً لك فصبّ الله الثناء عليك صباً- فقال له عمر: أ تشهد لى بهذا يا عبد الله عند الله يوم القيامة؟

قال: نعم، فقال عمر: اللهم لك الحمد^{١٤٥٣}.

و لا نقول إنه حتما موضوع مثل ما رووه عن أمير المؤمنين عليه السلام فيه، فإن ابن عباس لم يكن معصوما و كان يستعمل السياسة، و قد كان أشار على أمير المؤمنين عليه السلام أن يبقى معاوية على الشام، و يولى طلحة البصرة و الزبير الكوفة حتى يستقر أمر خلافته، فأنكره عليه السلام، و خدع أبا موسى بوضع كتاب على لسانه عليه السلام إليه بإبقائه على الإمارة. ففى (جمل المفيد): أنه عليه السلام كتب إلى أبى موسى مع ابن عباس كتابا غلظ فيه، قال ابن عباس: فقلت فى نفسى: اقدم على رجل و هو أمير بمثل هذا الكتاب، ألا ينظر فى كتابى هذا، و نظرت أن أشقّ كتاب أمير المؤمنين عليه السلام و كتبت من عندى كتابا عنه عليه السلام لأبى موسى: (أما بعد فقد عرفت مودّتك إيانا أهل البيت و انقطاعك إلينا، و أنّما نرغب إليك لمّا نعرف من حسن رأيك فينا، فإذا أتاك كتابى هذا فبايع لنا الناس) فدفع إليه

ص: ٥٠٤

الكتاب، فلما قرأه قال لى: أنت الأمير، قلت: بل أنت، فدعا الناس إلى بيعه على عليه السلام فلما بايع الناس قمت و سعدت المنبر فرام إنزالى - إلخ^{١٤٥٤}.

و ابن عباس هو الذى كان يحاجّ عمر و يفحمه فى كون الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام و غاصبته فكيف يثنى عليه لو لا استعماله السياسة.

و من محاجاته معه ما فى (الطبرى) و غيره، عن ابن عمر قال: كنت عند أبى يوما فجرى ذكر الشعر فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا فلان و فلان، فطلع ابن عباس فقال عمر: قد جاء الخبير، من أشعر الناس يا عبد الله؟ قال: زهير بن أبى سلمى. قال: فأنشدنى له ممّا تستجيده. فقال: إنه مدح قوما من غطفان يقال لهم بنو سنان، فقال فيهم:

^{١٤٥٣} (١) الإمامة و السياسة ١: ٢١-٢٣، و النقل بتلخيص.

^{١٤٥٤} (١) الجمل للمفيد: ٢٦٥.

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم

قوم بأولهم أو آخرهم قعدوا

قوم سنان أبوهم حين تنسيهم

طابوا و طاب من الأولاد ما ولدوا

إنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا

مزاون بها ليل إذا جهدوا

محسدون على ما كان من نعم

لا ينزع الله عنهم ما له حسدوا

فقال عمر: قاتله الله لقد أحسن، و لا أرى هذا البيت يصلح إلّا لهذا البيت من هاشم لقرابتهم من رسول الله. فقال له ابن عباس: وفّقك الله فلم تزل موفّقًا، قال: يا بن عبّاس أ تدرى ما منع النَّاس منكُم؟ قال: لا. قال: لكنّي أدري. قال: ما هو؟ قال: كرهت قريش أن تجمع لكم النبوة و الخلافة فتجحفوا النَّاس جحفا، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت و وقتت فأصابت. فقال ابن عباس: أ يميّط الخليفة عنّي غضبه فيسمع. قال: قل ما تشاء. قال: أمّا قولك (إنّ قريشا كرهت) فإنّ الله تعالى قال لقوم: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ»^{١٤٥٥}.

ص: ٥٠٥

و أمّا قولك: إنّنا نجحف بالخلافة، فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقراية، و لكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، الذى قال تعالى فيه:

«وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ»^{١٤٥٦}، و قال له: «وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ»^{١٤٥٧}.

و أمّا قولك إنّ قريشا اختارت فإنّ الله تعالى يقول: «وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ»^{١٤٥٨}، و قد علمت أنّ الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت و أصابت.

فقال عمر: على رسلك يا بن عبّاس أبت قلوبكم يا بنى هاشم إلّا غشا لقريش لا يزول، و حقدا عليها لا يحول.

فقال ابن عباس له: مهلا لا تنسب قلوب بنى هاشم إلى الغشّ فإنّ قلوبهم من قلب رسول الله الذى طهره و زكّاه، و هم أهل البيت الذين قال تعالى فيهم:

^{١٤٥٥} (٢) محمّد: ٩.

^{١٤٥٦} (١) القلم: ٤.

^{١٤٥٧} (٢) الشعراء: ٢١٥.

^{١٤٥٨} (٣) القصص: ٦٨.

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^{١٤٥٩}.

و أمّا قولك (حقدا) فكيف لا يحقد من غضب شيئه و يراه فى يد غيره؟

فقال عمر: أمّا أنت يا عبد الله فقد بلغنى عنك كلام أكره أن اخبرك به فتزول منزلتك عندى.

قال: و ما هو أخبرنى به؟ فان يك باطلا فمثلى أمارا الباطل عن نفسه، و إن يك حقاً فإن منزلتى عندك لا تزول به.

قال: بلغنى أنك لا تزال تقول: اخذ هذا الأمر منا حسدا و ظلما.

قال: أمّا قولك حسدا فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة، فنحن بنو

ص: ٥٠٦

آدم المحسودون. و أمّا قولك ظلما فإن الخليفة يعلم صاحب الحق من هو.

فقال عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك.

فقام، فلما ولى هتف به عمر: أيها المنصرف إنى - على ما كان منك - لراع حقك.

فالتفت ابن عباس فقال: إن لى عليك و على كل المسلمين حقاً برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فمن حفظه فحق نفسه حفظ، و من أضاعه فحق نفسه أضاع^{١٤٦٠}.

ثم مضى، فقال عمر لجلسائه: واهى لابن عباس ما رأيت له لآحى أحدا قط إلا خصمه^{١٤٦١}.

فكيف يثنى عليه هذا التناء مع وضوح عدم واقعية تلك الفقرات، أمّا كون إسلامه عزاً للإسلام فهل كان ذا شجاعة أو عشيرة؟ أمّا كانت شجاعته على الاسراء لا فى الحروب كما قال: اسد على و فى الحروب نعامه.

و لم لم يذهب إلى مكة، لما أراد النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن يرسله قبل الشجرة، مع عدم قتله أحدا من قريش أو غيرهم؟ فاعتذر بخوفه و عدم عشيرة له تمنعه كما تكون بنو امية لعثمان، و أمّا كان عز الإسلام أولا بأمر المؤمنين عليه السلام، فمر كتاب محمد بن أبى بكر إلى معاوية و آثر على عليه السلام النبى صلى الله عليه و آله و سلم على كل حميم و وقاه كل هول، و واساه بنفسه فى كل حرب، فحارب حربه و سالم سلمه، فلم يزل مبتذلا لنفسه ساعات الازل و مقامات الروح.

^{١٤٥٩} (٤) الأحزاب: ٣٣.

^{١٤٦٠} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٢٢٢-٢٢٤، سنة ٢٣، شرح ابن أبى الحديد ١٢: ٥٢-٥٤.

^{١٤٦١} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٢: ٥٥.

و مع أن قريشا كانوا ينظرون إليه نظر الثور إلى الجازر، أخذ عليه السلام سورة (براءة) من أبي بكر، و ذهب بها إلى مكّة وحده، و بلّغ آياتها، و كانت قريش معه عليه السلام كما قال القائل:

(لو يشربون دمي لم يرو شاربهم). ثم بعده حمزة أسد الله و أسد رسوله، الذي

ص: ٥٠٧

كان له تلك الشجاعة المعروفة و تلك العزة الهاشمية، حتّى كان يقدر على ضرب أبي جهل الذي كان أكبر جبارى قريش.

فإن قالوا إسلامه كان سببا لتجاء المسلمين من شره فلعن.

فقالوا: أصحّ ما روى في إسلامه رواية أنس عنه، قال: خرجت متقلدا سيفي فلقيت رجلا من بنى زهرة، فقال: أين تعمد؟ قلت: أقتل محمّدا، قال: و كيف تأمن في بنى هاشم و بنى زهرة؟ فقلت: ما أراك إلّا صبوت، قال: أ فلا أدلك على العجب، إنّ اختك و زوجها قد صبوا، فمشى عمر فدخل عليهما و عندهما رجل من الصحابة يقال له خباب بن الارت، فلمّا سمع حس عمر توارى، فقال عمر:

ما هذه الهيمنة التي سمعتها عندكم؟ و كانوا يقرءون (طه) على خباب، فقالوا:

ما عندنا شيء إنّا هو حديث كنا نتحدّثه بيننا، قال: فلعلّكما قد صبوتما، فقال له ختنه: «أ رأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك». فوثب على ختنه فوطأه و طأ شديدا، فجاءت اخته فدفعته عن زوجها، فنفحها بيده فأدمى وجهها، فجاهرته فقالت: ان الحق في غير دينك ...

ثم إن من المضحك قوله: (فكانت هجرتك فتحا)، فهل كانت المدينة حربا حتّى تكون هجرته فتحا. كما أن قوله: (لم تغب عن مشهد)، أى فائدة فيه؟ إذ كان لم يظهر فيها أثرا سوى الفرار و تولية الدبر.

كما أن قوله: (مات النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو عنك راض) كيف يصح؟ و قد اعترض عمر على النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم في الحديبية، و في مرض موته حتّى أغضبه فأخرجه من عنده، و بعد خروجه مات النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم.

كما أن قوله: (فوازرت الخليفة على منهاج الرسول) كيف يصح؟ و عمر كان معتقدا أن الخليفة خالف الرسول في قضية خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة، و أما قبض الخليفة راضيا عنه فلا ننكره، و كيف لا يكون راضيا عنه

ص: ٥٠٨

و قد جعله خليفة و شكره فردّه عليه جزاء فعله.

كما أن قوله: (و مصّر بك الأمصار)، أى أثر فيه؟ و كان الأكَاسرة و القياصرة أكثر آثارا منه فى ذلك.

و قوله: (ثم ختم الله لك بالشهادة)، فيه أن الشهادة المحققة القتل فى غزوات النبي صلى الله عليه و آله و سلم و قوله: (صبّ الله عليك الثناء صبّا) فيه أنه فرع ما عرفت أصله.

كما أن قول عمر: (و تشهد لى بهذا عند الله يا عبد الله) فيه دلالة على أنه كان شاكّا فى نفسه، ثم هل يحتاج الله إلى شاهد و هو حاكم شاهد؟ و اذا كانت شهادة الاتباع نافعة لم يهلك أحد من الجبابرة.

و من المضحك أن ابن أبى الحديد نقل خبرا: ان ابن عباس قال: قلت لعمر «كنت تقضى بالكتاب و تقسم بالسوية»^{١٤٦٢}، فأعجبه قولى، فاستوى جالسا، فقال: أ تشهد لى بهذا يا بن عباس؟ فكفعت - أى: جينت - فضرب على بين كفى و قال: اشهد.

فالرجل لم يكن عارفا بالكتاب حتى يقض به، و قد ردّت عليه امرأة فى أنفها فطس، لما حظر على الناس الزيادة على مهر السنة، بكون حكمه مخالف الكتاب فقال تعالى: «وَآتَيْنَهُمْ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً»^{١٤٦٣}، فقال عمر: ألا تعجبون من امرأة أصابت و إمام أخطأ.

و من أين قسم بالسوية؟ و من مطاعنه عدم تقسيمه بالسوية، قبح الله ديننا كلّ كذب و افتراء و تناقض و تخليط، و خلاف مقتضى العقول، و ضد كلام الله تعالى و نص الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

ثم كيف يقول أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس: اشهد له بما قلت له، ثم

ص: ٥٠٩

يقول عليه السلام فى أوّل خلافته: غضبونا سلطان نبينا فصارت الإمرة لغيرنا، و صرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، و يتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين منّا لذلك، و خشنت الصدور و جزعت النفوس.

و قد كان ينبغى عند سماع هذا الكلام منه عليه السلام، ان يشق الجيوب و يلطم الخدود لما جرى عليهم، فهل ماتت فاطمة التى كانت بضعة من الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كمدا إلّا من عمر؟ و هل قتل أمير المؤمنين عليه السلام الذى هو بمنزلة نفس الرسول، و الحسان اللذان ابنا الرسول، و شهد القرآن بعصمة جميعهم و طهارتهم من كلّ رجس، إلّا من عمل عمر؟

٢٧

الحكمة (٤٦٧) و قال عليه السلام فى كلام له:

^{١٤٦٢} (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٨: ٥٣ باب ٧٠.

^{١٤٦٣} (٢) النساء: ٢٠.

وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينَ بِجِرَانِهِ قَوْلَ المصنّف:

«و قال عليه السّلام في كلام له عليه السّلام» قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام من خطبة له عليه السّلام طويلة، يذكر فيها قربه من النّبىّ صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم واختصاصه عليه السّلام به صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم، وإفضائه صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلّم بأسراره إليه عليه السّلام، حتى قال عليه السّلام فيها: «فاختار المسلمون بأرائهم رجلا منهم، فقارب و سدّد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا فيه، ثم وليهم بعده وال فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه على عسف وعجرفة كانا فيه، ثم استخلفوا ثالثا لم يكن يملك في أمر نفسه شيئا غلب عليه أهله، فقادوه إلى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم، فلم يزل الأمر بينه وبين الناس يبعد تارة و يقرب اخرى، حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاءوني

ص: ٥١٠

مدب الدبا يريدون بيعتى» و تمام الخطبة معروف^{١٤٦٤}.

«فاقام واستقام» أى: لم يكن عمر مثل عثمان لم يكن يملك أمر نفسه، و كان عمر بالضدّ، كان مستبدا.

«على عسف و عجرفة كانا فيه» كقوله عليه السّلام فى الشقشقية: «حوزة خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسّها و يكثر العنار فيها، فصاحبها كراكب الصعبة، ان أشفق لها خرم و ان أسلس لها تقحم^{١٤٦٥}.

و العسف: الأخذ على غير طريق و العجر فيه الخرق، «حتى ضرب الدين بجرانه» أى: الفتوحات الواقعة فى أيامه، فى فارس و الروم فإن السلطة سبب لاستحكام الأمر.

و جران البعير و الفرس مقدم عنقهما.

ص: ٥١١

الفصل الثلاثون فى بيعته عليه السّلام

ص: ٥١٣

١

الخطبة (٥٤) و من خطبة له عليه السّلام:

^{١٤٦٤} (١) شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ٢١٨.

^{١٤٦٥} (٢) نهج البلاغة الخطبة ١: ٢٨، ٣.

فَتَدَاكُوْا عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ يَوْمَ وُرُودِهَا - قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيَهَا وَ خَلَعَتْ مَتَانِيَهَا - حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ - وَ قَدْ قَلْبْتُ هَذَا الْأَمْرَ بَطْنُهُ وَ ظَهْرُهُ فَمَا وَجَدْتُنِي يَسْعُنِي إِلَّا قِتَالَهُمْ - أَوْ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ؟ مُحَمَّدٌ ص؟ - فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ الْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ الْعِقَابِ - وَ مَوَاتَاتِ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوَاتَاتِ الْآخِرَةِ وَ الْخُطْبَةُ (٢٢٩) وَ مِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي وَصْفِ بَيْعَتِهِ بِالْخِلَافَةِ، وَ قَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ بِالْفَاظِ مُخْتَلَفَةٌ:

وَ بَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا وَ مَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا - ثُمَّ تَدَاكَيْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ - عَلَيَّ حَيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا - حَتَّى انْقَطَعَتْ النَّعْلُ - وَ سَقَطَ

ص: ٥١٤

الرِّدَاءُ وَ وَطِئَ الضَّعِيفُ - وَ بَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بَبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ - أَنْ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَ هَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ - وَ تَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ وَ حَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ أَقُولُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شَرَحَ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ - ج ٤ ص ٨ تا ١٠ بَعْدَ الْأَوَّلِ: ذَكَرَ أَبُو مَخْنَفٍ فِي كِتَابِ (الْجَمَلِ ١ أَبُو مَخْنَفٍ - الْجَمَلِ -):

أَنَّ الْأَنْصَارَ وَ الْمُهَاجِرِينَ اجْتَمَعُوا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لِيَنْظُرُوا مِنْ يَوْلُونَهُ أَمْرَهُمْ حَتَّى غَضَّ الْمَسْجِدَ بِأَهْلِهِ، فَاتَّفَقَ رَأْيُ عِمَارٍ وَ أَبِي الْهَيْثَمِ بْنِ التَّهْيَانِ وَ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ وَ مَالِكِ بْنِ عَجْلَانَ وَ أَبِي أَيُّوبَ عَلَيَّ إِقْعَادَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخِلَافَةِ، وَ كَانَ أَشَدَّهُمْ تَهَالُكَا عَلَيْهِ عَمَّارٌ فَقَالَ لَهُمْ: «أَيُّهَا الْأَنْصَارُ! قَدْ سَارَ فِيكُمْ عِثْمَانُ بِالْأَمْسِ بِمَا رَأَيْتُمُوهُ، وَ أَنْتُمْ عَلَيَّ شَرَفَ مِنَ الْوُقُوعِ فِي مِثْلِهِ إِنْ لَمْ تَنْظُرُوا لِأَنْفُسِكُمْ، وَ إِنْ عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْلَى النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ لِفَضْلِهِ وَ سَابِقَتِهِ» فَقَالُوا حِينَئِذٍ بِأَجْمَعِهِمْ لِبَقِيَّةِ النَّاسِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَ الْمُهَاجِرِينَ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا لَنْ نَأْلُوكُمْ خَيْرًا وَ أَنْفُسَنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَ إِنْ عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَ مَا نَعْرِفُ مَكَانَ أَحَدٍ أَحْمَلُ لِهَذَا الْأَمْرِ مِنْهُ، وَ لَا أَوْلَى بِهِ». فَقَالَ النَّاسُ بِأَجْمَعِهِمْ: قَدْ رَضِينَا وَ هُوَ عِنْدَنَا عَلَيَّ مَا ذَكَرْتُمْ وَ أَفْضَلُ وَ قَامُوا كُلَّهُمْ فَأَتَوْا عَلَيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَاسْتَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ وَ سَأَلُوهُ بِسَطِ يَدِهِ فَقَبَضَهَا، فَتَدَاكُوْا عَلَيْهِ تَدَاكَ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَيَّ وَرُودِهَا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا، فَلَمَّا رَأَى مَا رَأَى سَأَلَهُمْ أَنْ تَكُونَ بَيْعَتُهُ فِي الْمَسْجِدِ ظَاهِرَةً لِلنَّاسِ، وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ كَرِهْنِي رَجُلٌ وَاحِدٌ لَمْ أَدْخُلْ فِي هَذَا الْأَمْرِ.

فَنَهَضَ النَّاسُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ بَايَعَهُ طَلْحَةُ، فَقَالَ قَبِيصَةُ بْنُ ذَوَيْبِ الْأَسَدِيِّ: تَخَوَّفْتُ إِلَّا يَتِمَّ أَمْرُهُ لِأَنَّ أَوَّلَ يَدِ بَايَعَتِهِ شَلَاءٌ، ثُمَّ بَايَعَهُ الزُّبَيْرُ وَ بَايَعَهُ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ، إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمَةَ وَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرِ وَ اسَامَةَ بْنُ زَيْدٍ وَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ وَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ وَ حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ وَ عَبْدِ

ص: ٥١٥

اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ، فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ فَقَالَ لَهُ: بَايِعْ. قَالَ: لَا أَبَايِعُ حَتَّى يَبَايِعَ جَمِيعَ النَّاسِ. فَقَالَ لَهُ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَأَعْطِنِي حَمِيلًا أَنْ لَا تَبْرَحَ. قَالَ: لَا أَعْطِيكَ.

فَقَالَ الْأَشْتَرُ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ هَذَا قَدْ أَمِنَ سَوْطُكَ وَ سَيْفُكَ، فَدَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ.

فقال عليه السّلام: لست اريد ذلك منه على كره، خلوا سبيله، لقد كان صغيرا و هو سيئ الخلق، و هو فى كبره أسوأ خلقا. ثم اتى بسعد بن أبى وقاص، فقال له عليه السّلام: بايع، فقال له: خلّنى فاذا لم يبق غيرى بايعتك، فوالله لا يأتىك من قبلى أمر تكرهه أبدا. فقال عليه السّلام: صدق، خلوا سبيله. ثم بعث إلى محمّد بن مسلمة، فلمّا أتاه قال له: بايع. قال: إنّ النّبى أمرنى اذا اختلف الناس و صاروا هكذا- و شبك بين أصابعه- أن أخرج بسيفى فأضرب عرض أحد، فإذا تقطع اتيت منزلى فكنت فيه، لا أبرحه حتّى تأتيني يد خاطفة أو منية قاضية. فقال عليه السّلام له:

فانطلق اذن فكن كما امرت به. ثم بعث إلى اسامة بن زيد، فلمّا جاء قال له: بايع.

فقال له: إنّى مولاك و لا خلاف منى عليك، و ستأتىك بيعتى إذا سكن الناس.

فأمره بالانصراف، و لم يبعث إلى أحد غيرهم.

و قيل له: ألا تبعث إلى حسان بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن سلام؟ فقال عليه السّلام: لا حاجة لنا فى من لا حاجة له فينا.

ثم قال ابن أبى الحديد: فأما أصحابنا- أى المعتزلة- فإنهم يذكرون فى كتبهم أن هؤلاء الرهط إنّما اعتذروا بما اعتذروا به لمّا ندبهم إلى الشخوص معه فى حرب الجمل، و إنّهم لم يتخلفوا عن البيعة، و إنّما تخلفوا عن الحرب^{١٤٦٦}.

ثم نقل ابن أبى الحديد خبرا شاهدا لقولهم^{١٤٦٧}.

قلت: و روى ذلك (جمل ٢ الشيخ المفيد- الجمل- ص ٨٩ تا ٩٦ المفيد) عن (جمل ١ أبو مخنف- الجمل- أبى مخنف) و عن غيره. و فى آخر خبره: أنّه عليه السّلام قال لسعد و ابن عمر و اسامة: أ لستم على بيعتى؟ قالوا:

ص: ٥١٦

بلى. قال: انصرفوا فسيغنى الله عنكم^{١٤٦٨}.

و قال ابن أبى الحديد أيضا: و روى أبو مخنف عن ابن عباس، قال: لمّا دخل على المسجد و جاء الناس ليبايعوه، خفت أن يتكلّم بعض أهل الشنآن لعلّى عليه السّلام ممّن قتل أباه أو أخاه، أو ذا قرابته فى حياة النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، فيزهده

^{١٤٦٦} (١) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٨-١٠.

^{١٤٦٧} (٢) المصدر نفسه ٤: ١٠.

^{١٤٦٨} (١) الجمل للمفيد: ٨٩-٩٦.

على عليه السّلام في الأمر و يتركه. فكنت أرصد ذلك و أتخوفه، فلم يتكلّم أحد حتّى بايعه الناس كلهم راضين مسلّمين غير مكرهين^{١٤٦٩}.

قول المصنف في الأوّل: «و من خطبة له عليه السّلام» هكذا في (المصرية)^{١٤٧٠}، و الصواب: (و من كلام له عليه السّلام) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٤٧١} و (الخطبة).

ثم إن ابن أبي الحديد زاد: (في ذكر البيعة)^{١٤٧٢}. قوله في الثاني: «و من كلام له عليه السّلام في وصف بيعته عليه السّلام بالخلافة» هكذا في (المصرية و ابن أبي الحديد)^{١٤٧٣}، و لكن ليس في (ابن ميثم) كلمة (بالخلافة)^{١٤٧٤}.

«و قد تقدم منله بألفاظ مختلفة» و مراده في الخطبة (٥٤) كما مرّ هنا، و في الخطبة (١٣٣) كما يأتي في الآتي.

ثمّ الأصل في الأوّل رواية أبي مخنف عن زيد بن صوحان، قال: شهدت عليّاً عليه السّلام بذي قار و هو معتمّ بعمامة سوداء، فقال في خطبة: الحمد لله على كلّ أمر و حال في الغدوّ و الآصال - إلى أن قال - ثم استخلف الناس عثمان فنال

ص: ٥١٧

منكم و نلتم منه، حتى إذا كان من أمره ما كان أ تبتمونى لتبايعونى، فقلت: لا حاجة لى فى ذلك، و دخلت منزلى فاستخرجتمونى، فقبضت يدى فبسطتموها، و تداككنتم علىّ حتّى ظننت أنّكم قاتلى، و أنّ بعضكم قاتل بعض، فبايعتمونى و أنا غير مسرور بذلك و لا جذل - إلخ - و رواه (الإرشاد)^{١٤٧٥}.

و الأصل في الثاني: ما رواه الكليني في (رسائله) فى ما كتب عليه السّلام بعد النهروان، لما سأله عن قوله عليه السّلام فى الثلاثة ليقرأ علىّ الناس - إلى أن قال -:

فلما قتلتموه أبتمونى لتبايعونى فأبيت عليكم و أبيت علىّ، فقبضت يدى فبسطتموها، و بسطتها فمددتموها.

ثم تداككنتم علىّ تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتّى ظننت أنّكم قاتلى، و أنّ بعضكم قاتل بعض، حتى انقطعت النعل و سقطت الرداء، و وطىء الضعيف، و بلغ من سرور الناس ببيعتهم أن حمل اليها الصغير و هدج إليها الكبير، و تحام إليها العليل و حسرت إليها الكعاب.

^{١٤٦٩} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠.

^{١٤٧٠} (٣) نهج البلاغة ١: ٩٩.

^{١٤٧١} (٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦، شرح ابن ميثم ٢: ١٤٣.

^{١٤٧٢} (٥) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦.

^{١٤٧٣} (٦) نهج البلاغة ٢: ٢٤٩، شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣.

^{١٤٧٤} (٧) فى شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٩٩ «بالخلافة» أيضا.

^{١٤٧٥} (١) الإرشاد ١: ٢٤٤ - ٢٤٥، الاحتجاج ١: ١٦١، العقد الفريد ٤: ١٦٢ و ٥: ٦٧، شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٩.

و رواه ابن قتيبة في (خلفائه)، و إبراهيم النخعي في (غاراته)، و ابن رستم الطبري في (مسترشده) باختلاف يسير^{١٤٧٦}.

قوله عليه السلام في الأول: «تداكوا علي»، و في الثاني: «ثم تداكتم علي» الدك:

الدق.

«تداك الإبل الهيم يوم ورودها» في الأول. و «تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها» في الثاني، الأصل فيه قوله تعالى: «فَسَارِبُونَ شَرِبَ الْهَيْمِ»^{١٤٧٧} أي: الإبل العطاش.

قوله عليه السلام في الأول:

ص: ٥١٨

«قد أرسلها راعيها» زيادة كما بعده في بيان تداك الإبل الهيم.

«و خلعت مئانيها» المراد بالمئاني هنا- و هي جمع المئناة بالكسر:-

العقالات.

«حتى ظننت أنهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لدي» من شدة ازدحامهم للتسابق على البيعة معي.

«و قد قلبت هذا الأمر بطنه و ظهره» زاد ابن ميثم و ابن أبي الحديد: (حتى منعى النوم)^{١٤٧٨}، و نسختها الصحيحة، فتركه في (المصرية)^{١٤٧٩} نقص.

«فما وجدتنى يسعنى إلّا قتالهم أو الجحود بما جاءني» هكذا في (المصرية)^{١٤٨٠}، و الصواب: (جاء) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٤٨١}.

«به محمد صلى الله عليه و آله و سلم» هكذا في (المصرية)^{١٤٨٢}، و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٤٨٣} و (الخطية): صلى الله عليه و آله و سلم.

^{١٤٧٦} (٢) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ١٥٦، و الغارات للنخعي ١: ٣١٠، المسترشد: ١٠٠ طبع الحيدرية، النجف.

^{١٤٧٧} (٣) الواقعة: ٥٥.

^{١٤٧٨} (١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦، و ليست هذه الفقرة في شرح ابن ميثم ٢: ١٤٣.

^{١٤٧٩} (٢) نهج البلاغة ١: ٩٩.

^{١٤٨٠} (٣) نهج البلاغة ١: ٩٩.

^{١٤٨١} (٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦، و لكن في شرح ابن ميثم ٢: ١٤٤ «جاءني» أيضا.

«فكانت معالجة القتال» أى: مزاولته.

«أهون علىّ من معالجة القتال» أى: مزاولته.

«أهون علىّ من معالجة العقاب» فيمكن الغلبة في القتال، و لا يمكن الغلبة على عقاب الله تعالى.

«و موتات الدنيا أهون علىّ من موتات الآخرة» الموتات بالضم: جمع الموتة بالضم و هى: الصرع و الغشوة.

و فى (صفيين نصر): خرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصفيين: يا أبا الحسن ابرز لى. فخرج على عليه السلام إليه فقال له الرجل: إن لك قدما فى الإسلام و هجرة، فهل لك فى أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخير هذه

ص: ٥١٩

الحروب، حتى ترى من رأيك فترجع إلى عراقك و نرجع إلى شامنا؟ فقال عليه السلام له: «لقد عرفت أنه إنّما عرضت هذا نصيحة و شفقة، و لقد أهمني هذا الأمر و أسهرني، و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلّا القتال أو الكفر بما انزل على محمد صلى الله عليه و آله و سلم، أن الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الأرض و هم سكوت مذعنون، لا يأمرن بالمعروف و لا ينهاون عن المنكر، فوجدت القتال أهون علىّ من معالجة الأغلال فى جنهم». فرجع الشامى و هو يسترجع^{١٤٨٤}.

قوله عليه السلام فى الثانى: «حتى انقطعت» هكذا فى (المصرية)^{١٤٨٥}، و الصواب:

(انقطع) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٤٨٦}، و إن كان (انقطعت) أيضا صحيحا لكون النعل مؤنثا.

«النعل و سقطت» هكذا فى (المصرية)^{١٤٨٧}، و الصواب: (و سقط) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٤٨٨} أيضا.

«الرداء و وطىء الضعيف» فى (صفيين نصر) - بعد ذكر شرح خفاف بن عبد الله لمعاوية قتل عثمان - فقال له معاوية: ثم مه؟ قال: ثم تهافت الناس علىّ علىّ عليه السلام بالبيعة، تهافت الفراش حتى ضلت النعل و سقط الرداء و وطىء الشيخ^{١٤٨٩}.

^{١٤٨٢} (٥) نهج البلاغة ١: ٩٩.

^{١٤٨٣} (٦) كذا فى شرح ابن ميثم ٢: ١٢٤، و لكن فى شرح ابن أبى الحديد ٤: ٦ أيضا.

^{١٤٨٤} (١) وقعة صفيين لنصر بن مزاحم: ٤٧٤ - ٤٧٥.

^{١٤٨٥} (٢) نهج البلاغة ٢: ٢٤٩.

^{١٤٨٦} (٣) فى شرح ابن أبى الحديد ١٣: ٣: «انقطعت» فى المتن و «انقطع» فى الشرح، و لكن فى شرح ابن ميثم ٤: ٩٩ «انقطعت» أيضا.

^{١٤٨٧} (٤) فى نهج البلاغة ٢: ٢٤٩ «سقط» أيضا.

^{١٤٨٨} (٥) فى شرح ابن ميثم ٤: ٩٩، و شرح ابن أبى الحديد ١٣: ٣ «سقط» أيضا.

^{١٤٨٩} (٦) وقعة صفيين لنصر بن مزاحم: ٦٥.

«و بلغ من سرور الناس ببيعتهم إِيَّاي أن ابتهج» أى: سرّ.

«بها الصغير و هدىج» الهدج: مشى الشيخ فى ارتعاش، قال: (و هدىجانا

ص: ٥٢٠

لم يكن من مشيتي) ^{١٤٩٠}.

«إليها الكبير و تحامل» أى: حمل نفسه على المشى.

«نحوها» أى: جانيها.

«العليل و حسرت» أى: كشفت.

«إليها» هكذا فى (المصرية) ^{١٤٩١}، و يصدقه (ابن أبى الحديد) ^{١٤٩٢}، و لكن فى (ابن ميثم) ^{١٤٩٣}: «عن ساقها».

«الكعاب» بالفتح، قال الجوهري: و هى الجارية حين يبدو ثديها للنهود كالكالب ^{١٤٩٤}.

و الكل الثلاثة و الأربعة بيان لوصف شدة شوق الناس إلى بيعته عليه السلام.

٢

من الخطبة (١٣٧) منها:

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَى إِقْبَالِ الْعُودِ الْمَطْفِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا - تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ - قَبِضْتُ يَدِي فَبَسَطْتُهَا - وَ نَارَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُهَا -
اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَ ظَلَمَانِي - وَ نَكَنَّا بَيْعَتِي وَ أَلْبَا النَّاسَ عَلَيَّ - فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا وَ لَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أُبْرَمَا - وَ أَرْهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا
أَمَلَا وَ عَمَلَا - وَ لَقَدْ اسْتَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ - وَ اسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوَقَاعِ - فَغَمَطَا النُّعْمَةَ وَ رَدَّأَ الْعَافِيَةَ

ص: ٥٢١

^{١٤٩٠} (١) لسان العرب ١٥: ٤٨ مادة (هدج).

^{١٤٩١} (٢) نهج البلاغة ٢: ٢٥٠.

^{١٤٩٢} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٣: ٣.

^{١٤٩٣} (٤) فى شرح ابن ميثم ٤: ٩٩ «إليها» أيضا.

^{١٤٩٤} (٥) الصحاح ١: ٢١٣، مادة: (كعب).

قول المصنف «منها» هكذا في جميع النسخ^{١٤٩٥}، و الظاهر أن المصنف توهم أنه قال في أول عنوانه: (و من خطبة له عليه السلام) مع أنه قال: (و من كلام له عليه السلام).

قوله عليه السلام «فأقبلتم إلى إقبال العوذ المطافيل على أولادها» نظير قوله عليه السلام في سابقه: (فتداكوا على تداك الإبل الهيم يوم ورودها، قد أرسلها راعيها و خلعت مثنائها)^{١٤٩٦}، شبه ثمّة شوق الناس في بيعته بإبل عطاش مخلاة السرب، مطلقة العنان يوم سقيها، كيف ترد الماء، و شبهه هنا بإبل معها أطفالها و هي قريبة العهد بالنتاج، كيف تقبل على ولدها.

و قال ابن أبي الحديد: (العوذ): إذا ولدت عن قريب و (المطافيل): التي زال عنها اسم العياد و معها طفلها، و قد تسمى المطافيل عودا إلى أن يبعد العهد بالنتاج مجازا، و على هذا قال عليه السلام: (العوذ المطافيل) و إلّا فالاسمان لا يجتمعان حقيقة^{١٤٩٧}.

قلت: ما ذكره غلط، كيف لا يجتمع الاسمان (العوذ) و (المطافيل) و قد قال في (الجمهرة): و العوذ المطافيل من الإبل الحديثات العهد بالنتاج التي معها أولادها، و الظباء المطافيل التي معها أولادها و هي قريبة عهد بالنتاج^{١٤٩٨}.

و كيف لا يجتمعان و قد أكثر الشعراء من الجمع بينهما، قال الأعشى:

عوذا تزجّي خلفها أطفالها^{١٤٩٩}

الواهب المائة الهجان و عبدها

و قال الأخطل يصف سحابا:

ص: ٥٢٢

كما رجعت عوذ ثقال تطفل^{١٥٠٠}

إذا زعزعته الريح جرّ ذبوله

^{١٤٩٥} (١) نهج البلاغة ٢: ٢٨، و لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٦، و شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨: منه.

^{١٤٩٦} (٢) نهج البلاغة ١: ٩٩، الخطبة ٥٤.

^{١٤٩٧} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨.

^{١٤٩٨} (٤) جمهرة اللغة ٢: ٩٢٠، مادة: (طفل).

^{١٤٩٩} (٥) جمهرة اللغة: و قال في هامشه: البيت للأعشى في ديوانه: ٢٩، و قد استشهد به سيبويه ١: ٩٤ على عطف «عبدها» على «المائة» و هو مضاف إلى غير الألف و اللام.

^{١٥٠٠} (١) لسان العرب ٨: ١٧٥، مادة: (طفل).

و قال أبو ذؤيب في وصف تكلم امرأة:

جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

و إن حديثا منك لو تبذلينه

تشاب بماء مثل ماء المفاصل^{١٥٠١}

مطافيل أبارك حديث نتاجها

و الأصل في وهمه قول (الصحيح) في (عوذ): العوذ: الحديثات النتاج من الطباء و الإبل و الخيل، واحدتها عائد، مثل حائل و حول، تقول: هي عائد بينة العوذة، و ذلك إذا ولدت عشرة أيام أو خمسة عشر يوما، ثم هي مطفل بعد ...^{١٥٠٢}.

فإن حمل على أن مراده أن المطفل أعم، و إلّا فهو غلط منه، و كيف لا، و قد قال نفسه في (طفل): و الطفل: الطبي معها طفلها و هي قريبة عهد بالنتاج، و كذلك الناق، ة و الجمع مطافل و مطافيل. ثم استشهد بيبي أبي ذؤيب المتقدمين^{١٥٠٣}.

«تقولون البيعة البيعة» أي: ليس لنا همّ إلّا ببيعتك و لا نرضى إلّا ببيعتك.

«قبضت يدي» هكذا في (المصرية)^{١٥٠٤}، و الصواب: (كفى) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٥٠٥} و (الخطبة).

«فبسطتموها» روى (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد في جعل المأمون الرضا عليه السلام وليّ عهده: أن المأمون أمر ابنه العباس فبايعه أول الناس، فرفع الرضا عليه السلام يده فتلقى بظهرها وجه نفسه و بطنها وجوههم، فقال له المأمون:

ص: ٥٢٣

ابسط يدك للبيعة. فقال عليه السلام: إن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هكذا كان يبايع. فبايعه الناس ...^{١٥٠٦}.

«و نازعتكم يدي فجذبتموها» هكذا في (المصرية)^{١٥٠٧}، و الصواب:

(فجاذبتموها) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٥٠٨} و (الخطبة).

^{١٥٠١} (٢) أوردتهما الجوهري في الصحاح ٥: ١٧٥١، مادة: (طفل).

^{١٥٠٢} (٣) الصحاح ٢: ٥٦٧، مادة: (عوذ).

^{١٥٠٣} (٤) الصحاح ٥: ١٧٥١، مادة: (طفل).

^{١٥٠٤} (٥) نهج البلاغة ٢: ٢٨.

^{١٥٠٥} (٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨، و لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٦ «يدي» أيضا.

^{١٥٠٦} (١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٦.

^{١٥٠٧} (٢) نهج البلاغة ٢: ٢٨.

في (خلفاء القتيبي): قال أبو ثور: كنت فيمن حاصر عثمان، فكنت آخذ سلاحى وأضعه وعلّى عليه السّلام ينظر الىّ، لا يأمرنى ولا ينهانى، فلمّا كانت البيعة له خرجت في أثره والناس حوله يبائعونه، فدخل حايطا من حيطان بنى مازن فألجئوه إلى نخلة وحاولوا بينى وبينه، فنظرت إليهم وقد أخذت أيدى الناس ذراعه يختلف أيديهم على يده ...^{١٥٠٩}.

ثم قوله عليه السّلام هنا: «قبضت كفى...» كقوله عليه السّلام فى سابقه: «و بسطتم يدي فكففتها...»^{١٥١٠} دال على قول الامامية: إنّ الإمامة بالنص من النبىّ صلى الله عليه وآله وسلم، لا ببيعة الناس «و إنّ الإمام كالكعبة يؤتى ولا يأتى»^{١٥١١}، فلم يكن هو عليه السّلام ولا المعصومون من عترته يكثرثون ببيعة الناس لهم، و إنّما كانوا يدعون الناس أحيانا إلى أنفسهم إتماما للحجّة، فهو عليه السّلام بعد قتل عثمان يمدّ الناس يده لأن يبائعوه فيقبضها، - كما أنّه عليه السّلام يوم الشورى يعرض ابن عوف عليه البيعة بشرط العمل بسنة الشيخين، فيطوى الكشح عنها، دلالة على بطلان أمرهم - و كان الحسين عليه السّلام يقول لمن تبعه: قد رفعت بيعتى عن أعناقكم. و كان الرضا عليه السّلام لم يقبل ولاية عهد المأمون حتى أكرهه.

ففى (مقاتل أبى الفرج): أنّ المأمون قال للفضل بن سهل وأخيه: إنى

ص: ٥٢٤

عاهدت الله إن ظفرت بالمخلوع أن اخرجها إلى أفضل آل أبى طالب، و ما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل، فأرسلهما إليه عليه السّلام فى ذلك فأبى، فأحضره المأمون و قال له كالمتهدّد: إنّ عمر جعل الشورى فى ستّة أحدهم جدك، و قال:

من خالف فاضربوا عنقه، و لا بد من قبول ذلك ...^{١٥١٢}.

و فى (الطبرى): أنّ الرضا عليه السّلام أخبر المأمون بخلع أهل بغداد له، و بيعتهم لعمّه ابن شكله - و إن كان الفضل ستر ذلك عنه - و قال عليه السّلام: لأنّ الناس ينقمون منك مكانه، و مكان أخيه منك، و مكان بيعتك لى من بعدك^{١٥١٣}.

و فى (صفين نصر): أنّ عليّا عليه السّلام كتب إلى معاوية: و اعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا و لامتنوا به علينا، و لكنته قضاء ممّن امتن به علينا على لسان نبيّه الصادق المصدّق، لا أفلح من شك بعد العرفان و البيّنة، اللهم احكم بيننا و بين عدونا^{١٥١٤}.

^{١٥٠٨} (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٨، و لكن فى شرح ابن ميثم ٣: ١٦٦ «فجذبتموها» أيضا.

^{١٥٠٩} (٤) الإمامة و السياسة لابن قتيبة ١: ٤٦ - ٤٧.

^{١٥١٠} (٥) نهج البلاغة ٢: ٢٤٩، الخطبة ٢٢٩.

^{١٥١١} (٦) كفاية الأثر فى النصّ على الأئمة الاثنى عشر: ٢٤٨.

^{١٥١٢} (١) مقاتل الطالبين: ٣٧٥.

^{١٥١٣} (٢) تاريخ الطبرى ٨: ٥٥٥، سنة ٢٠١.

^{١٥١٤} (٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٩ - ١١٠.

«اللهم إنهما» أى: طلحة و الزبير.

«قطعانى و ظلمانى و نكتا بيعتى و أبا» أى: حرّضا.

«الناس علىّ فاحلل ما عقدا و لا تحكّم لهما ما أبرما» أى: أحكما.

«و أَرهما المساءة فيما أملا و عملا» روى أبو مخنف فى (جملة): أنّه لما رجعت رسل على عليه السّلام من عند طلحة و الزبير و عايشة يؤذونه بالحرب، قام فقال: اللهمّ إنّ طلحة نكت بيعتى، و ألب على عثمان حتّى قتله، ثم عضهنى و رمانى، اللهمّ فلا تمهله. اللهمّ إنّ الزبير قطع رحمى و نكت بيعتى و ظاهر علىّ عدوى، فاكفنيه اليوم بما شئت^{١٥١٥}.

ص: ٥٢٥

و روى المدائنى عن عبد الله بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز اريد العراق فى أوّل إمارة على عليه السّلام، فمررت بمكة فاعترمت، ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد النبىّ إذ نودى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس و خرج على عليه السّلام متقلدا سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله و صلّى على رسوله، ثم قال:

أما بعد، فإنّ الله تعالى لما قبض نبيه صلّى الله عليه و آله و سلّم، قلنا: نحن أهله و ورثته و عترته و أولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، و لا يطمع فى حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا صلّى الله عليه و آله و سلّم، فصارت الإمرة لغيرنا و صرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف، و يتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين منّا لذلك، و خشنت الصدور و جزعت النفوس.

و ايم الله لو لا مخافة فرقة المسلمين، و أن يعود الكفر و يبور الدين، لكنّا على غير ما كنّا لهم، فولى الأمر و لاء لم يألوا الناس خيرا، ثم استخرجتمونى من بيتى فبايعتمونى على شأن منى لأمركم، و فراسة تصدقنى ما فى قلوب كثير منكم، و بايعنى هذان الرجلان فى أوّل من بايع - تعلمون ذلك - و قد نكتا و غدرا و نهضا إلى البصرة بعائشة، ليفرقا جماعتكم و يلقيا بأسكم بينكم، اللهمّ فخذهما بما عملا أخذة رابية، و لا تنعش لهما صرعة و لا تقلهما عثرة و لا تمهلها فواقا، فإنهما يطلبان حقّا تركاه، و دما سفكاه، اللهمّ إننى اقتضيك وعدك، فإنك قلت و قولك الحق: «**ثُمَّ بُعِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ**»^{١٥١٦}، اللهمّ فأنجز لى موعدى، و لا تكلنى إلى نفسى إنك على كلّ شىء قدير^{١٥١٧}.

قال ابن الحديد: دعاؤه عليه السّلام على طلحة و الزبير بإراءتهما المساءة، استجيب ألا أنّه مساءة الدّنيا لا الآخرة، فإنّ الله وعدهما على لسان نبيّه بالجنة

^{١٥١٥} (٤) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ١: ٣٠٥ - ٣٠٦.

^{١٥١٦} (١) الحج: ٦٠.

^{١٥١٧} (٢) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة ١: ٣٠٧ - ٣٠٨.

بالتوبة التي نقلت عنهما، و لولاها لكانا من الهالكين^{١٥١٨}.

قلت: أمّا قوله (إنّ الله وعدهما على لسان نبيّه بالجنّة) فسبحانك هذا بهتان عظيم، إن كان خبرهم في العشرة المبشّرة حقًا، كان الإسلام باطلا، فمن العشرة طلحة و الزبير و ابن عوف و عثمان، و كل من الأولين يشهد على الأخير بالنفاق و الكفر، و الأخير يشهد على كلّ من الأولين كذلك، كما إنّ طلحة و الزبير قتلا آفا من المسلمين بغير حق، و أفسدا في الأرض فسادا أثره باق إلى آخر الدهر، و قاتلا من هو نفس النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بصريح التنزيل، و لم يندما عن فعلهما حتّى قتلا و إنّما ترك الزبير قتاله عليه السّلام، و لو كان تاب للحقّ به عليه السّلام، كما تاب الحرّ الرياحي من قتاله مع الحسين عليه السّلام، كما إنّ طلحة إنّما نقل عنه أنّه لمّا أصابه سهم قال: «اللهمّ خذ منّي لعثمان»^{١٥١٩}، فإن صح النقل فقد تاب عن قتله عثمان، لا عن قتاله أمير المؤمنين.

«و لقد استتبتهما» من تاب يثوب، أى: طلب منهما الرجوع، و يروى (و لقد استتبتهما)^{١٥٢٠}.

«قبل القتال و استأنيت» أى: ترفقت و انتظرت.

«بهما أمام الوقاع» أى: الحرب.

«فغمطا» بالكسر و الفتح، أى: حقرا.

«النعمة و ردّ العافية» فى (المروج): بعث على عليه السّلام من يناشدهم الله فى الدماء، فأبوا إلّا الحرب، فبعث رجلا من أصحابه يقال له مسلم، معه مصحف يدعوهم إلى الله فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إليه عليه السّلام. و قالت امّ مسلم:

يتلو كتاب الله لا يخشاهم

يا ربّ إنّ مسلما أتاهم

^{١٥١٨} (١) شرح ابن أبى الحديد

^{١٥١٩} (٢) طبقات ابن سعد ٣: ٢٢٢-٢٢٣، تاريخ المدينة المنورة ٤: ١١٦٩-١١٧٠.

^{١٥٢٠} (٣) نهج البلاغة ٢: ٢٨.

و حمل عليه السّلام و حمل معه الناس، فما كان القوم إلّا «كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ»^{١٥٢٢}.

و كما استتابهما في البصرة قبل القتال، استتابهما قبل الخروج من المدينة، فرووا- و قد نقله ابن أبي الحديد عند قوله عليه السّلام (يزعم انه قد بايع بيده)^{١٥٢٣}:- أن معاوية كتب إلى الزبير: «إني قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا، فدونك الكوفة و البصرة لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب، و قد بايعت لطلحة من بعدك، فادعوا الناس إلى الطلب بدم عثمان». فأقرأ الزبير الكتاب طلحة فأجمعا على نقض البيعة، فدخلوا عليه عليه السّلام فاستأذناه في العمرة، فقال: ما العمرة تريدان! فحلما ما يريدان غيرها. فقال لهما: إنما تريدان الغدرة و نكث البيعة، فحلما لا يريدان النكث. فقال لهما: فأعيدا البيعة ثانية. فأعادها بأشد ما يكون من الأيمان و الموثيق، فاذن لهما فلما خرجا قال عليه السّلام: و الله لا ترونها إلّا في فئة يقتلان فيها. فقالوا: فمر بردهما عليك. فقال عليه السّلام: «لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا»^{١٥٢٤} أما و الله لقد علمت أنّهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، و يأتيان من وردا عليه بأشأم يوم، و لقد أتيتني بوجهي فاجرين و رجعا بوجهي غادرين ناكثين، و الله لا يلقىاني بعد اليوم إلّا في كتيبة خشناء، يقتلان فيها نفسهما، فبعدا لهما و سحقا^{١٥٢٥}.

ص: ٥٢٨

٣

الكتاب (٧) و من كتاب له عليه السّلام إليه أيضا:

أَمَا بَعْدُ فَقَدْ أَتَيْتَنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ وَ رِسَالَةٌ مُحِبَّرَةٌ - نَمَقَّتْهَا بَضَلَالِكَ وَ أَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ - وَ كِتَابٌ أَمْرِي لَيْسَ لَهُ بَصْرٌ يَهْدِيهِ - وَ لَا قَائِدٌ يُرْشِدُهُ قَدْ دَعَاهُ الْهُوَى فَأَجَابَهُ - وَ قَادَهُ الضَّلَالُ فَاتَّبَعَهُ - فَهَجَرَ لَأَعْطَا وَ ضَلَّ خَابِطًا مِنْهُ لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُنْتَنَى فِيهَا النَّظَرُ - وَ لَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ - الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ وَ الْمُرَوِّى فِيهَا مُدَاهِنٌ أَقُولُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شرح نهج البلاغة - ج ١٤ ص ٤٢ و ٤٣: هذا الكتاب كتبه على عليه السّلام جوابا عن كتاب كتبه معاوية إليه في أثناء حرب صفين، بل في أواخرها - و كتاب معاوية: أما بعد، فان الله تعالى يقول في محكم كتابه: «وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ تَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ»^{١٥٢٦} و انى احذرک الله أن تحبط عملک و سابقتك بشق عصا هذه

^{١٥٢١} (١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٧٠، أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٢٤١.

^{١٥٢٢} (٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٧٥، و الآية ١٨ من سورة إبراهيم.

^{١٥٢٣} (٣) نهج البلاغة ١: ٣٨، الخطبة ٨.

^{١٥٢٤} (٤) الأنفال: ٤٢.

^{١٥٢٥} (٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٣١-٢٣٣، و النقل بتلخيص.

^{١٥٢٦} (١) الزمر: ٦٥.

الامة و تفريق جماعتها، فاتق الله و اذكر موقف القيامة، و اقلع عما أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين، و انى سمعت النبى صلى الله عليه و آله و سلم يقول: (لو تمالأ أهل صنعاء و عمان على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبهم الله على مناخرهم فى النار)، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين و سادات المهاجرين، بله ما طحنت رحاء حربه من أهل القرآن، من شيخ كبير و شاب غرير، كلهم بالله مؤمن و له مخلص و برسوله مقرّ عارف، فان كنت أبا حسن أنما تحارب على الإمرة و الخلافة، فلعمري لو

ص: ٥٢٩

صحت خلافتك لكنت قريبا من ان تعذر فى حرب المسلمين، و لكنّها ما صحّت لك و انى بصحّتها، و أهل الشام لم يدخلوا فيها و لم يرتضوا بها، و خف الله و سطواته و اتق بأسه و نكاله، و اغمد سيفك عن الناس، فقد و الله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلا كالتمد فى قرارة الغدير.

فكتب عليه السلام اليه: أما بعد- إلى قوله: و ضل خابطا. فأما أمرك لى بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها، و أستعيز بالله أن أكون من الذين إذا امروا بها أخذتهم العزة بالإثم، و أما تحذيرك إياى أن يحبط عملى و سابقتى فى الإسلام، فلعمري لو كنت الباغى عليك لكان لك أن تحذرنى ذلك، و لكنى وجدت الله تعالى يقول: «فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبَغُّوا حَتَّى تَفِىءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»^{١٥٢٧}، فنظرنا إلى الفئة الباغية فوجدناها الفئة التى أنت فيها، لأن بيعتى بالمدينة لزمتهك و أنت بالشام، كما لزمتهك ببيعة عثمان بالمدينة و أنت أمير لعمر بالشام.

و أما شقّ عصا هذه الامة فأنا أحقّ أن أنهاك عنه، فأما تخويفك لى من قتل أهل البغى، فإن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أمرنى بقتالهم و قتلهم- و قال لأصحابه: «ان فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»- و أشار إلى- و أنا أولى من أتبع أمره. و أما قولك: إن بيعتى لم تصحّ لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها، كيف؟! و أنما هى بيعة واحدة تلزم الحاضر و الغائب، لا يستثنى فيها النظر و لا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، و المروى مداهن، فارب على ظلعك، و انزع سربال غيىك، و اترك ما لا جدوى له عليك، فليس لك عندى إلا السيف، حتى تفىء إلى أمر الله صاغرا، و تدخل فى البيعة راغما^{١٥٢٨}.

و قال ابن ميثم ابن ميثم- شرح نهج البلاغه- ج ٤ ص ٣٥٥ و ٣٥٦: كتابه عليه السلام جواب كتاب معاوية إليه (و أنما كان أهل

ص: ٥٣٠

الحجاز الحكّام على الناس حين كان الحق فيهم، فلما تركوه صار أهل الشام الحكّام، و ليس حجّتك عليهم كحجّتك على أهل البصرة، و لا حجّتك على كحجّتك على طلحة و الزبير، لأن أهل البصرة بايعوك و لم يبايعك أهل الشام، و ان طلحة و الزبير

^{١٥٢٧} (١) الحجرات: ٩.

^{١٥٢٨} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٤٢-٤٣.

بايعاك و لم ابايعك، و أمّا فضلک فی الإسلام، و قرابتک من الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، و موضعک من بنى هاشم، فلست أدفعه) فكتب علىّ عليه السّلام جوابه:

أمّا بعد فإنّه أتاني كتابك كتاب امرىء - إلى قوله «خابطاً» ثم بعده - زعمت أنّه إنّما أفسد علىّ بيعتك خطيبتى فى عثمان، و لعمرى ما كنت إلّا رجلاً من المهاجرين، أوردت كما أوردوا و أصدرت كما أصدروا، و ما كان الله ليجمعهم على ضلال و لا يضر بهم بعمى، و أمّا ما زعمت أنّ أهل الشام الحكام على أهل الحجاز، فهات رجلين من قريش الشام يقبلان فى الشورى أو تحل لهم الخلافة، فإن زعمت ذلك كذبك المهاجرون و الأنصار، و إلّا فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز، و أمّا ما ميّزت بين أهل الشام و أهل البصرة و بينك و بين طلحة و الزبير، فلعمرى ما الأمر فى ذلك إلّا واحد - ثم بعده - لأنّها بيعه عامة - إلى آخره - ثم - و أمّا فضلى فى الإسلام و قرابتى من الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و شرفى فى بنى هاشم، فلو استطعت دفعه لفعلت^{١٥٢٩}.

قال ابن ميثم: و أمّا قوله عليه السّلام (فقد أتتني - إلى - بسوء رأيك)، فهو صدر كتاب آخر فى جواب معاوية بعد الكتاب الذى ذكرناه، و ذلك أنّ معاوية لمّا وصل إليه هذا الكتاب منه عليه السّلام، كتب إليه ثانياً: (أمّا بعد فاتّق الله يا علىّ و دع الحسد، فإنّه طالما لم ينتفع به أهله، و لا تفسد سابقتك بشرة من حديثك، فإن الأعمال بخواتيمها، و لا تلحدن بباطل فى حق من لا حق لك فى حقه، فإنك إن تفعل لا تضلل إلّا نفسك، و لا تمحق إلّا عملك، و لعمرى إنّ ما مضى لك من

ص: ٥٣١

السوابق الحسنة لحقيقة أن تردك و تردعك عمّا اجترأت عليه من سفك الدماء، و إجلاء أهل الحقّ عن الحل و الحرم، فاقراً سورة الفلق و تعوّد بالله من شرّ ما خلق و من شر نفسك الحاسد إذا حسد، قفل الله بقلبك و أخذ بناصيتك و عجل توفيقك، فأنى أسعد الناس بذلك. فكتب عليه السّلام إليه:

أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة - إلى - بسوء رأيك - ثم بعده - و كتاب ليس ببعيد الشبه منك، حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حق، و لو لا علمي بك، و ما قد سبق من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فيك، ممّا لا مردّ له دون إنفاذه، لو عظمتك، و لكن عظمتى لا تنفع من حقت عليه كلمة العذاب، و لم يخف العقاب، و لم يبرح لله وقارا، و لم يخش له حذارا، فشأنك و ما أنت عليه من الضلالة و الحيرة و الجهالة، تجد الله فى ذلك لك بالمرصاد من دنيائك المنقطعة و تمنيك الأباطيل، و قد علمت ما قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فيك و فى امّك و أبيك^{١٥٣٠}.

قال ابن ميثم: و المصنّف أضافه إلى هذا الكتاب، كما هو عادته فى عدم مراعاة أمثال ذلك^{١٥٣١}.

^{١٥٢٩} (١) شرح ابن ميثم ٤: ٣٥٥.

^{١٥٣٠} (١) شرح ابن ميثم ٤: ٣٥٥ - ٣٥٦.

^{١٥٣١} (٢) المصدر نفسه ٤: ٣٥٦.

قلت: لم يذكر أحدهما مستندا، لكن ما ذكره ابن ميثم - من كون قوله عليه السّلام: (كتاب امرىء ليس له بصر يهديه) إلى آخر العنوان، أوّل جوابه عليه السّلام عن كتاب ذكره ابن ميثم - صحيح فذكره (كامل المبرد - كامل - المبرد) و (خلفاء ابن قتيبة - الإمامة و السياسة - ج ١ ص ١٠١ و ١٠٢ ابن قتيبة) و (عقد ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج ٥ ص ٨١ ابن عبد ربه) و (صفين نصر بن مزاحم - وقعة صفين - نصر) ١٥٣٢.

و أما كون قوله عليه السّلام: فقد أتتني منك موعظة موصلة - إلى -: (و أمضيتها بسوء رأيك) جوابا عن كتاب ذكره أيضا فلم أتحققه.

ص: ٥٣٢

و فى (صفين نصر) ذكر كتاب معاوية: (و دع الحسد ...) ١٥٣٣، لكن لم يذكر جوابه.

قوله عليه السّلام: «أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة» أى: مرقعة أكثر فيها من الوصلة، و موعظته الموصلة له عليه السّلام مثل ما عرفت فى كتابه إليه عليه السّلام: أما بعد فاتق الله يا على - إلخ - فى ما نقله ابن ميثم ١٥٣٤ و يقول تعالى: «و لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ» ١٥٣٥ فيما مرّ عن ابن أبى الحديد ١٥٣٦.

«و رسالة محبرة» أى: منقشة.

«نمقتها» أى: نقشتها.

«بضالك و أمضيتها بسوء رأيك» كقوله (و اقرأ سورة الفلق و تعوّد بالله من شرّ ما خلق).

و نظير كلامه عليه السّلام قول أبى دلامة:

جعلوا عليها طينة كالعقرب

كتبوا إلى صحيفة مطبوعة

ففككتها عن مثل ريح الجورب

فعلمت أنّ الشرّ عند فكائها

يوعدنى بتلمظ و تناوب

و إذا شبيهه بالأفاعى رقشت

١٥٣٢ (٣) الإمامة و السياسة ١: ١٠١ - ١٠٢، العقد الفريد ٥: ٨١.

١٥٣٣ (١) وقعة صفين: ١١٠.

١٥٣٤ (٢) شرح ابن ميثم ٤: ٣٦٦.

١٥٣٥ (٣) الزمر: ٦٥.

١٥٣٦ (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٤٢.

و ممّا يناسب قوله عليه السّلام (موعظة و موصلة)، ما فى (السير) أن المهدي لَمَّا تقلّد الخلافة بعد أبيه، وفد عبيد الله بن الحسن الهاشمي عليه معزياً و مهنتاً، فتكلّم بكلام أعده و قال: سلوا أبا عبيد الله وزير المهدي عمّا تكلمت، فسئل أبو عبد الله عنه فقال: لم يعد الهاشمي بكلامه أن أخذ مواعظ الحسن البصرى و رسائل غيلان، فلقح بينهما كلاماً. فأخبر عبيد الله بما قال أبو عبيد

ص: ٥٣٣

الله فيه، فقال: لله أبوه، فو الله ما أخطأ حرفاً و لا تجاوزت ما قال.

هذا، و فى (المعجم): لَمَّا ورد عضد الدولة بغداد فى سنة (٣٦٧)، نقم على الصابى أشياء من مكتوباته عن الخليفة و عن بختيار عزّ الدولة فحبسه، فسئل فيه و عرف بفضله و قيل له: مثل مولانا لا ينقم على منله ما كان منه، فإنّه كان فى خدمة قوم لا يمكنه إلّا المبالغة فى نصيحتهم، و لو أمره مولانا بمثل ذلك إذا استخدمه ما أمكنه المخالفة. فقال عضد الدولة: قد سوغته نفسه فإن عمل كتابا فى مآثرنا و تاريخنا أطلقته، فشرع فى محبسه بكتاب (التاجى فى أخباره) و قيل: إن بعض أصدقائه دخل عليه فى الحبس و هو فى تبييض و تسويد فى هذا الكتاب، فسأله عمّا يعمل، فقال: أباطيل انمّقا و أكاذيب ألفقا، فأنهى الرجل ذلك إلى عضد الدولة، فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة، فأكبّ عبد العزيز بن يوسف و نصر بن هارون على الأرض يقبلانه و يشفعون إليه فى أمره حتى أمر باستحيائه و أخذ أمواله^{١٥٣٧}.

و قالوا: كتب عبد الحميد لمروان الحمار كتابا إلى أبى مسلم الخراسانى، حمل على جمل لعظمه و كثرته و تهويلا على أبى مسلم، و قال: ان قرأه خاليا نحب قلبه، و ان قرأه فى ملاء خذلوا.

فلمّا وصل الكتاب إلى أبى مسلم أحرقه و لم يقرأه، و كتب على قطعة بياض إلى مروان:

إليك ليوث الغاب من كلّ جانب

محا السيف أسطار البلاغة و انتحت

يهون عليها العتب من كلّ عاتب

فإن تقدموا نعمل سيوفا شحيذة

«و كتاب» هكذا فى (المصرية)^{١٥٣٨}، مثله (ابن أبى الحديد)^{١٥٣٩}، و لكن فى

^{١٥٣٧} (١) معجم الأدباء ٢: ٢١ - ٢٢.

^{١٥٣٨} (٢) نهج البلاغة ٣: ٩.

ص: ٥٣٤

(ابن ميثم) ١٥٤٠: (كتاب).

«امرىء ليس له بصر يهديه» «لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا» ١٥٤١.

«و لا قائد يرشده» «وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» ١٥٤٢.

«قد دعاه الهوى فأجابه» «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» ١٥٤٣.

«و قاده الضلال فاتبعه» «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ» ١٥٤٤.

«فهجر» أى: هذى من (هجر المريض)، و الكلام مهجور، قيل: و منه قوله تعالى حكاية عن رسوله صلى الله عليه و آله و سلم: «إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا» ١٥٤٥.

«لا غطا» فى (الصحاح)، اللغظ بالتحريك: الصوت و الجلبة ١٥٤٦.

«و ضل خابطا» من (خبط البعير الأرض بيده) ضربها، و منه (خبط عشواء) و هى الناقة التى فى بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئا.

قول المصنف «منه» هكذا فى (المصرية) ١٥٤٧، و الصواب: (و من هذا الكتاب) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) ١٥٤٨.

و قوله عليه السلام: «لأنها بيعة واحدة لا يتنى» من تناه تثنية، أى: جعله اثنين.

«فيها النظر و لا يستأنف» أى: لا يجدد.

١٥٣٩ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٤١.

١٥٤٠ (١) فى شرح ابن ميثم ٤: ٣٥٤ «و كتاب» أيضا.

١٥٤١ (٢) الأعراف: ١٧٩.

١٥٤٢ (٣) الكهف: ١٧.

١٥٤٣ (٤) الجاثية: ٢٣.

١٥٤٤ (٥) القصص: ٥٠.

١٥٤٥ (٦) الفرقان: ٣٠.

١٥٤٦ (٧) الصحاح ٣: ١١٥٧، مادة: (لغظ).

١٥٤٧ (٨) نهج البلاغة ٣: ٩.

١٥٤٨ (٩) شرح ابن أبى الحديد ١٤: ٤٤، شرح ابن ميثم ٣: ٣٥٤.

«فيها الخيار» أى: الاختيار.

ص: ٥٣٥

«الخارج منها طاعن» على المؤمنين.

«و المروى فيها» فى (الصحيح): رويت فى الأمر إذا نظرت فيه و فكرت يهمز و لا يهمز^{١٥٤٩}.

«مداهن» أى: مصانع.

فى (عيون ابن بابويه)، عن الحاكم البيهقى، عن محمد الصولى، عن أحمد بن محمد بن إسحاق، عن أبيه قال: لما بويح الرضا عليه السلام بالعهد، اجتمع الناس إليه يهنتونه فأوما إليهم فأنصتوا، ثم قال عليه السلام - بعد ان استمع كلامهم -: الحمد لله الفعّال لما يشاء لا معقب لحكمه، و لا راد لقضائه، يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور، و صلى الله على محمد و آله فى الأولين و الآخرين، و على آله الطيبين الطاهرين، إن أمير المؤمنين عضده الله بالسداد و وفقه للرّشاد، عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل أرحاما قطعت، و آمن نفوسا فزعت، بل أحيها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت، مبتغيا رضى رب العالمين، لا يريد جزاء إلا من عنده، و سيجزى الله الشاكرين و لا يضيع أجر المحسنين، و أنه جعل إلى عهده، و الإمرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حل عقدة أمر الله تعالى بشدها، و فصم عروة أحبّ الله إنباتها، فقد أباح حريمه و أحلّ محرمه، إذ كان بذلك زاريا^{١٥٥٠} على الإمام، منتهكا حرمة الإسلام، بذلك جرى السالف فصر منه على الفلتات و لم يتعرّض بعدها على العزمات، خوفا على شتات الدين و اضطراب جبل المسلمين، و تقرب أمر الجاهلية و رصد المنافقين فرصة تنتهز و بائقة تبندر، و ما أدري ما يفعل بى و لا بكم، إن الحكم إلا لله يقص الحق و هو خير الفاصلين^{١٥٥١}.

ص: ٥٣٦

٤

الخطبة (٨) و من كلام له عليه السلام يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك:

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَ لَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ - فَقَدْ أَقْرَبَ بِالْبَيْعَةِ وَ ادَّعَى الْوَلِيَجَةَ - فَلَيَاتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ - وَ إِيَّا فُلَيْدُخْلُ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ أَقُولُ: الذى وقفت عليه كون العنوان كلام الحسن عليه السلام ابنه عليه السلام، فى (جمل ٣ الشيخ المفيد - الجمل - ص ٣٢٢ تا ٣٢٧ المفيد): لما تقرّر فى الجمل أمر الكتائب فى الفريقين، و قام ابن الزبير خطيبا فى ذمّ أمير المؤمنين عليه السلام و تهمته بقتل عثمان، و بلغه عليه السلام ذلك، قال للحسن ابنه عليه السلام: قم يا بنى فاخطب، فقام فحمد الله و أثنى عليه، و قال: أيها

^{١٥٤٩} (١) الصحاح ٦: ٢٣٦٤، مادة: (روى).

^{١٥٥٠} (٢) زاريا أى: عاتبا ساخطا غير راض. الصحاح ٦: ٢٣٦٨، مادة: (زى).

^{١٥٥١} (٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٤ - ١٤٥ ح ١٧، و عنه البحار ٤٩: ١٤١.

الناس! قد بلغتنا مقالة ابن الزبير، و قد كان أبوه و الله يتجنى على عثمان الذنوب، و قد ضيق عليه البلاد حتى قتل، و إن طلحة راکز رايته على بيت ماله و هو حيّ.

و أمّا قوله: إن عليًا ابتز الناس أمرهم، فإن أعظم حجّته لأبيه زعم أنّه بايعه بيده و لم يبايعه بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة و ادّعى الوليعة، فليأت على ما ادّعا ببرهان و أنّي له ذلك^{١٥٥٢}؟

و قال ابن أبي الحديد عند قوله عليه السّلام (فتداكوا عليّ): قال الزبيريون عبد الله بن مصعب، و الزبير بن بكار و من وافقهم من تيم بن مرة عصبية لطلحة:

إنهما بايعا مكرهين، و إن الزبير كان يقول: بايعت و اللجّ - أي: سيف الأشر - في قفّي - أي: عنقي^{١٥٥٣}.

قلت: كون بيعة الزبير و السيف في عنقه، رواية السيف الوضّاع، و إن صاحب السيف كان حكيم بن جبلة لا الأشر، ففي رواية له: جاء حكيم بن

ص: ٥٢٧

جبلة بالزبير حتّى بايع، فكان الزبير يقول جاءني لص من لصوص عبد القيس و اللجّ على عنقي - و إنّما قال سيف الوضّاع: إنّ بيعة طلحة كانت بإجبار الأشر، ففي رواية اخرى له: فبعث البصريون إلى الزبير بصريا - و كان رسولهم حكيم بن جبلة العبدى في نفر فجاءوا به يحدونه بالسيف، و إلى طلحة كوفيا الأشر في نفر فجاءوا به يحدونه بالسيف - و في رواية اخرى له:

(ذهب الأشر فجاء بطلحة يتلّه تلا عنيفا) - و بالجملة، حيث إنّ سيفا الوضّاع ادّعى افتراء أن الكوفيين لم يريدوا غير بيعة الزبير، و البصريين غير بيعة طلحة و لم يحصل مرادهم، بل مراد المصريين الذين أرادوا بيعة عليّ عليه السّلام اضطر إلى ان يجعل مكره الزبير بصريًا حكيمًا و مكره طلحة كوفيًا الأشر.

و أما الزبيريون فقالوا بعدم بيعة الزبير أصلا و أنّه أراد قتله عليه السّلام.

ففي (الطبرى): عن الزبير بن بكار، عن عمّه مصعب، عن أبيه عبد الله بن مصعب، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير قال: لمّا بايع الناس عليًا عليه السّلام جاء إلى الزبير فاستأذن، فأعلمت الزبير فسل السيف و وضعه تحت فراشه ثم قال: ايذن له. فأذنت له فدخل، فسلم على الزبير و هو واقف بنجوه ثم خرج، فقال الزبير: قم في مقامه هل ترى من السيف شيئا؟

^{١٥٥٢} (١) الجمل للمفيد: ٣٢٧ - ٣٢٢.

^{١٥٥٣} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧.

فقتت في مقامه فرأيت ذباب السيف فأخبرته فقال: ذاك أعجل الرجل. فلما خرج عليّ سأله الناس فقال: وجدت أبرّ ابن اخت. فظنّ الناس خيرا. فقال عليّ: إنه بايعه^{١٥٥٤}.

و المكابر المعاند لا علاج له، و لو كان عليه السّلام أكرههما أو لم يبايعه الزبير، كيف يخطب الناس في مقام بعد مقام بأن بيعتني كانت بإجبار من الناس لي، أفلم يكن أحد يقوم ويقول له: أنت أكرهت طلحة و الزبير. و كيف و مخالفوه كانوا مقرّين بذلك، فكتب معاوية إليه عليه السّلام: إن طلحة و الزبير بايعاك و أنا ما

ص: ٥٣٨

بايعتك. و كتب سعد إلى معاوية: و لو كان طلحة و الزبير لزمنا بيعتهما لكان خيرا لهما، إلى غير ذلك ممّا لو أردنا استقصاءه لطال، و غاية ما يمكن الزبيريون أن يدّعوه للزبير كما في العنوان، و ادّعاه أولا ابنه أنّه بايع بيده فقط، و جوابه ما قاله عليه السّلام هو و ابنه. فلو كان مثله مسموعا لزم إمكان نقض جميع العقود و العهود.

٥

الحكمة (٢٠٢) وَ قَالَ ع وَ قَدْ قَالَ لَهُ؟ طَلْحَةُ؟ وَ؟ الزُّبَيْرُ؟- نُبَايَعَكَ عَلِيٌّ أَنَا شُرَكَاءُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ- لَا وَ لَكِنَّا شَرِيكَا فِي الْقُوَّةِ وَ الْإِسْتِعَانَةِ- وَ عَوْنَانِ عَلَيَّ الْعَجْرُ وَ الْأَوْدُ أَقُول: هذا مربوط بما مرّ في أوّل هذا الفصل من كلامه عليه السّلام في وصف بيعته، و الأصل فيه كما عرفت ما كتبه للناس لما سألوه عن الثلاثة، و فيه برواية (رسائل الكليني): فبايعتكم عليّ كتاب الله تعالى و سنّة نبيّه صلى الله عليه و آله و سلّم، و دعوت الناس إلى بيعتي فمن بايعني طائعا قبلت منه، و من أبى تركته، فكان أوّل من بايعني طلحة و الزبير فقالا: نبايعك عليّ أنا شركاؤك في الأمر، فقلت:

لا و لكنكما شركائي و عوناي في العجز، فبايعاني عليّ هذا الأمر، و لو أبيا لم اكرههما كما لم اكره غيرهما. و كان طلحة يرجو اليمن و الزبير العراق، فلما علما أنّي غير مولّيهما استأذناني للعمرة يريدان الغدرة.

و في (خلفاء ابن قتيبة- الإمامة و السياسة- عنوان (اختلاف طلحة و الزبير عليّ كرم الله وجهه) ج ١ ص ٥١ ابن قتيبة)- في عنوان (اختلاف طلحة و الزبير عليّ كرم الله وجهه)-: ذكروا ان الزبير و طلحة أتيا عليّا بعد فراغ البيعة فقالا له: هل تدري عليّ ما بايعناك؟ قال: نعم، عليّ السمع و الطاعة و عليّ ما بايعتم عليه أبا بكر و عمر و عثمان، فقالا: لا، و لكننا بايعناك عليّ أنا شريكاك في الأمر. قال

ص: ٥٣٩

عليّ عليه السّلام: لا و لكنكما شريكان في القوّة و الاستقامة و العون عليّ العجز و الأود، و كان الزبير لا يشكّ في ولاية العراق و طلحة في اليمن، فلما استبان لهما أنّ عليّا عليه السّلام غير مولّيهما شيئا أظهرها الشكاة، فتكلّم الزبير في ملأ من قريش

^{١٥٥٤} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣١-٤٣٢، سنة ٣٥.

فقال: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب و سببنا له القتل، و هو جالس في بيته و كفى الأمر، فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا- و قال: ما اللوم إلّا لنا، كُنّا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا و بايعناه، فأعطيناه ما في أيدينا و منعنا ما في يده، فأصبحنا أخطأنا ما رجونا^{١٥٥٥}.

و في (نقض الاسكافي لعثمانية الجاحظ) روى: أنّ طلحة و الزبير قالوا له عليه السّلام وقت البيعة: نبايعك علىّ أنا شركاءك في هذا الأمر. فقال لهما: لا، و لكنكما شريكاي في الفياء، لا أستأثر عليكما و لا على عبد حبشي مجدع بدرهم فما دون، لا أنا و لا ولداي هذان، فإن أبيتم إلّا لفظ الشركة فأنتم عونان لي عند العجز و الفاقة، لا عند القوّة و الاستقامة.

قال الاسكافي: فاشترطا ما لا يجوز في عقد الإمامة، و شرط عليه السّلام لهما ما يجب في الدين و الشريعة.

و قد روى أيضا: أنّ الزبير قال في ملأ من قريش: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب و سببنا له القتل، و هو جالس في بيته و كفى الأمر، فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا. و قال طلحة: كُنّا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا و بايعناه، فأعطيناه ما في أيدينا، و منعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا اليوم ما رجوانه أمس، و لا نرجو غدا ما أخطأنا اليوم^{١٥٥٦}.

ص: ٥٤٠

و في (تاريخ اليعقوبي اليعقوبي- تاريخ اليعقوبي- ج ٢ ص ١٧٩ و ١٨٠): أتى عليّا عليه السّلام و طلحة و الزبير فقالوا له: قد نالتنا جفوة بعد النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم فأشركنا في أمرك، فقال: أنتم شريكاي في القوّة و الاستقامة و عوناي على العجز و الأود^{١٥٥٧}.

قوله عليه السّلام «لا»، أي: لم تكن بيعتكم إياي على كونكما شريكاي في أمر الخلافة.

«و لكنكما شريكان في القوّة و الاستعانة» هكذا في جميع النسخ^{١٥٥٨}، و (الاستعانة) تصحيف من المصنّف، و الصواب: (و الاستقامة)، كما عرفته من نقل (خلفاء ابن قتيبة) و (نقض الاسكافي) و (تاريخ اليعقوبي)^{١٥٥٩}، و لأنّ في مقابله (الأود)، و مقابل (الأود) الاستقامة لا (الاستعانة) فإنّه مقابل (الاستغناء).

و قال ابن أبي الحديد: الاستعانة هنا الفوز و الظفر، كانوا يقولون للقامر يفوز قدحه (قد جرى ابناعيان) و هما خيطان يخطان في الأرض يزجر بهما الطير، و استعان الإنسان إذا قال وقت الظفر و الغلبة هذه الكلمة^{١٥٦٠}.

^{١٥٥٥} (١) الإمامة و السياسة ١: ٥١.

^{١٥٥٦} (٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١١: ١٦.

^{١٥٥٧} (١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٩ - ١٨٠.

^{١٥٥٨} (٢) نهج البلاغة ٣: ١٩٨، شرح ابن ميثم ٥: ٣٤٦، شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٢.

^{١٥٥٩} (٣) مضت آنفا مداركه.

قلت: ما قاله غلط في غلط، فانه استند إلى قول (الصحاح): (ابناعيان خطان يخطان في الأرض يزجر بهما الطير، و إذا علم ان القامر يفوز قدحه قيل جرى ابناعيان)^{١٥٦١}.

فالاستعانة لو فرض وجوده في كلامه، هل هي إلا بمعنى الاستعانة في قوله تعالى: «وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ»^{١٥٦٢}، لا بمعنى مصطلح عند القامرين في

ص: ٥٤١

الجاهلية، مع أن (الصحاح) إنما قال: (و إذا علم القامر يفوز قدحه قيل جرى ابناعيان)، لا كما قال ابن أبي الحديد: استعان الإنسان، إذا قال وقت الظفر و الغلبة هذه الكلمة. مع أنه أي ربط للاستعانة بمثل (ابناعيان) و الاستعانة من العون، و ابناعيان من العين و بينهما بون، ذكر (الصحاح) و (القاموس) الأول في الأول^{١٥٦٣} و الثاني في الثاني^{١٥٦٤}، و قد عرفت كلام (الصحاح)، و في (القاموس):

ابناعيان - ككتاب - طائران أو خطان يخطهما العائف في الأرض، ثم يقول ابناعيان أسرع البيان و إذا علم...^{١٥٦٥}، مع أنك قد عرفت أن أصل الاستعانة تصحيف من المصنّف.

«و عونان على العجز و الأود» بالتحريك مصدر أود الشيء بالكسر أي:

اعوج.

ثم الظاهر أن طلحة و الزبير لما رأيا أن عمر كان شريك أبي بكر في خلافته، و بنى امية لا سيما مروان كانوا شركاء عثمان في خلافته، طمعا منه عليه السلام ذلك.

٤

الخطبة (٢٠٥) و من كلام له ع كلم به؟ طلحة؟ و؟ الزبير؟ - بعد بيعته بالخلافة و قد عتبا عليه من ترك مشورتها، و الاستعانة في الأمور بهما:

^{١٥٦٠} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٢.

^{١٥٦١} (٥) الصحاح ٦: ٢١٧٢، مادة: (عين).

^{١٥٦٢} (٦) الفاتحة: ٥.

^{١٥٦٣} (١) الصحاح ٦: ٢١٦٩، مادة: (عون)، القاموس المحيط ٤: ٢٥٠ مادة: (عون).

^{١٥٦٤} (٢) الصحاح ٦: ٢١٧٢، مادة: (عين)، القاموس المحيط ٤: ٢٥٢، مادة: (عين).

^{١٥٦٥} (٣) القاموس المحيط ٤: ٢٥٢، مادة: (عين).

لَقَدْ تَقَمَّتُمَا يَسِيرًا وَ أَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا - أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُمَا عَنْهُ - وَ أَيُّ قِسْمٍ اسْتَأْثَرْتُمْ عَلَيَكُمَا بِهِ - أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - ضَعَفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهَلْتُهُ أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ -

ص: ٥٤٢

وَ اللَّهُ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رُغْبَةٌ - وَ لَا فِي الْوَلَايَةِ إِرْبَةٌ - وَ لَكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَ حَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا - فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ مَا وَضَعَ لَنَا - وَ أَمَرْنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ - وَ مَا اسْتَنْنَ؟ النَّبِيُّ ص؟ فَاقْتَدَيْتُهُ - فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذَلِكَ إِلَيَّ رَأْيِكُمَا وَ لَا رَأْيَ غَيْرِكُمَا - وَ لَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهْلْتُهُ فَاسْتَشِيرِكُمَا وَ إِخْوَانِي الْمُسْلِمِينَ - وَ لَوْ كَانَ ذَلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَ لَا عَنْ غَيْرِكُمَا -

وَ أَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ الْأُسُوءَةِ - فَإِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكَمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي - وَ لَا وَلِيَّتُهُ هُوَ مِنِّي - بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَ أَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ص؟

قَدْ فُرِغَ مِنْهُ - فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا قَدْ فَرَغَ اللَّهُ مِنْ قِسْمِهِ - وَ أَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ - فَلَيْسَ لَكُمَا وَ اللَّهُ عِنْدِي وَ لَا لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى -

أَخَذَ اللَّهُ بِقُلُوبِنَا وَ قُلُوبِكُمْ إِلَى الْحَقِّ - وَ أَلْهَمْنَا وَ إِيَّاكُمْ الصَّبْرَ ثُمَّ قَالَ ع رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ - أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ - وَ كَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ أَقُولُ: رَوَاهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْإِسْكَافِيُّ فِي (نَقْضِ الْعِثْمَانِيَّةِ أَبُو جَعْفَرٍ الْإِسْكَافِيُّ - نَقْضِ الْعِثْمَانِيَّةِ -) فَقَالَ - بَعْدَ ذِكْرِ قِصَّةِ بَيْعَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ -: ثُمَّ بَعَثَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْمَارَ بْنَ يَاسِرٍ وَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ حَنْبَلٍ إِلَى طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ وَ هُمَا فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَاتِيَاهُمَا فَدَعَاهُمَا فَقَامَا حَتَّى جَلَسَا إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُمَا: نَشَدْتُمَا اللَّهَ هَلْ جِئْتُمَانِي طَائِعِينَ لِلْبَيْعَةِ، وَ دَعَوْتُمَانِي إِلَيْهَا وَ أَنَا كَارِهِ لَهَا؟ قَالَا: نَعَمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: غَيْرِ مُجْبِرِينَ وَ لَا مَقْسُورِينَ فَاسْلَمْتَا لِي بَيْعَتِكُمَا وَ أَعْطَيْتُمَانِي عَهْدِكُمَا؟ قَالَا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا دَعَاكُمَا بَعْدَ إِلَيَّ مَا أَرَى؟ قَالَا: أَعْطَيْنَاكَ بَيْعَتَنَا عَلَى أَنْ لَا تَقْتَضِيَ الْأُمُورَ وَ لَا

ص: ٥٤٣

تَقْطَعُهَا دُونَنا، وَ تَسْتَشِيرُنَا فِي كُلِّ أَمْرٍ وَ لَا تَسْتَبِدُّ بِذَلِكَ عَلَيْنَا، وَ لَنَا مِنَ الْفَضْلِ عَلَى غَيْرِنَا مَا قَدْ عَلِمْتَ، وَ أَنْتَ تَقْسِمُ وَ تَقْطَعُ الْأُمُورَ وَ تَمْضِي الْحُكْمَ بِغَيْرِ مَشَاوَرَتِنَا وَ لَا عِلْمِنَا. فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَقَدْ تَقَمَّتُمَا يَسِيرًا وَ أَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا، فَاسْتَغْفِرَا اللَّهَ يَغْفِرُ لَكُمَا، أَلَا تُخْبِرَانِي أَدَفَعْتُمَا عَنْ حَقٍّ وَاجِبٍ لَكُمَا فَظَلَمْتُمَا إِيَّاهُ؟ قَالَا: مَعَاذَ اللَّهِ. قَالَ: فَهَلْ اسْتَأْثَرْتُمْ مِنْ هَذَا الْمَالِ لِنَفْسِي بِشَيْءٍ؟ قَالَا: مَعَاذَ اللَّهِ. قَالَ: أَوْ قَرَعَ حُكْمٌ أَوْ حَقٌّ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَجَهَلْتُهُ أَوْ ضَعَفْتُ عَنْهُ؟ قَالَا:

مَعَاذَ اللَّهِ. قَالَ: فَمَا الَّذِي كَرِهْتُمَا مِنْ أَمْرٍ حَتَّى رَأَيْتُمَا خِلَافِي؟ قَالَا: خِلَافَكَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي الْقِسْمِ، إِنَّكَ جَعَلْتَ حَقَّنَا فِي الْقِسْمِ كَحَقِّ غَيْرِنَا، وَ سَوَّيْتَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ مَنْ لَا يَمَاتِلُنَا فِيمَا أَفَاءَ اللَّهُ تَعَالَى بِأَسْيَافِنَا وَ رِمَاحِنَا، وَ أَوْجَفْنَا عَلَيْهِ بِخَيْلِنَا، وَ ظَهَرَتْ عَلَيْهِ دَعْوَتُنَا، وَ أَخَذَنَاهُ قَسْرًا عَمَّنْ لَا يَرَى الْإِسْلَامَ إِلَّا كَرِهًا. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أما ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة، ولكنكم دعوتموني إليها و حملتموني عليها، فخفت أن أردكم فتختلف الأمة، فلما أفضت إليّ نظرت في كتاب الله و سنة رسوله، فأمضيت ما دلّاني عليه و أتبعته، و لم احتج إلى رأيكما فيه و لا رأي غيركما، و لو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه و لا في السنة برهانه، و احتجج إلى المشاورة فيه تشاورتكما.

و أما القسم و الاسوة فإن ذلك أمر لم أحكم فيه بادية بدء، قد وجدت أنا و أنتم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يحكم بذلك، و كتاب الله ناطق به، و هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

و أمّا قولكما: جعلت فينا ما أفاءته سيوفنا و رماحنا سواء بيننا و بين غيرنا، فقديمًا سبق إلى الإسلام قوم و نصره بأسيا فهم و رماحهم، فلا فضلهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في القسمة و لا آثرهم بالسبق، و الله سبحانه موف السابق و المجاهد يوم القيامة أعمالهم، و ليس لكما و الله عندي و لا لغيركما إلّا

ص: ٥٤٤

هذا، أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحقّ و ألهمنا و إياكم الصبر - ثمّ قال -: رحم الله امرأ رأى حقًا فأعان عليه، و رأى جورا فردّه و كان عونًا للحقّ على من خالفه.

و رواه ابن عقدة الحافظ بأسانيده، كما نقله محمّد بن الحسن الطوسي في أواخر (أماليه الشيخ الطوسي - الأمالى - ج ٢ ص ٣٣٧ تا ٣٤١) ١٥٦٦.

قوله عليه السلام: «لقد نقمتما» أي: أنكرتما و عتبتما.

«يسيرا و أرجأتما» أي: أخرتما.

«كثيرا» نقمهما اليسير ما عرفت من طلبهما شيئا ليس لهما فيه حق، و إرجأؤهما الكثير ترك طاعتها الإمام الواجب الإطاعة.

قال ابن أبي الحديد: روى الجاحظ أن طلحة و الزبير أرسلا إلى عليّ عليه السلام قبل خروجهما محمّد بن طلحة و قالوا له: لا تقل له يا أمير المؤمنين، و لكن قل له يا أبا الحسن، لقد فال فيك رأينا و خاب ظننا، أصلحنا لك الأمر و وطننا ليك الإمرة، و أجلبنا على عثمان حتى قتل، فلما طلبك الناس لأمرهم أسرعنا إليك و بايعناك، و قدنا إليك أعناق العرب، و وطىء المهاجرون و الأنصار أعقابنا في بيعتك، حتى إذا ملكت عنانك، استبددت برأيك عنّا و رفضتنا رفض التريكة، و أذللتنا إذلاله الإمام، و ملكت أمرك الأشتر و حكيم بن جبلة و غيرهما من الأعراب و نزاع الأمصار، فكنا في ما رجونا منك و أمئناه من ناحيتك كما قال الأول:

فلما أبلغه محمد بن طلحة ذلك قال علىّ عليه السلام له: قل لهما فما الذى يرضيكما؟ فذهب و جاء فقال: إنهما يقولون ولّ أحدنا البصرة و الآخر الكوفة.

ص: ٥٤٥

فقال: لاه الله إذن يحلم الاديم و يستسرى الفساد، و تنتقض علىّ البلاد من أقطارها، و الله إنى لا آمنهما و هما عندى بالمدينة، فكيف آمنهما و قد وليتهما العراقيين؟ اذهب إليهما و قل لهما: أيها الشيخان احذرا من الله و نبيه على امته، و لا تبغيا المسلمين غائلة و كيدا، و قد سمعنا قول الله تعالى: «تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ»^{١٥٦٧}. فقام و لم يعد إليه و تأخرا عنه عليه السلام أياما، ثم جاءه فاستأذناه للخروج إلى مكة للعمرة، فأذن لهما بعد أن أحلفهما ألا ينقضا بيعه، و لا يغدرا به، و لا يشقّا عصا المسلمين، و لا يوقعا الفرقة بينهم، و أن يعودوا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة، فحلفا على ذلك كلّ ثم خرجا ففعلا ما فعلا^{١٥٦٨}.

و روى أنّهما لما خرجا قال علىّ عليه السلام: و الله ما يريدان العمرة و إنّما يريدان الغدرة، «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَ مَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا»^{١٥٦٩}.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): كان الزبير لا يشك فى ولاية العراق، و طلحة فى اليمن، فلما استبان لهما أنّ عليا عليه السلام غير موليهما شيئا أظهرهما الشكاة، فتكلم الزبير فى ملاء من قريش فقال: هذا جزاؤنا من على قمنا له فى أمر عثمان، حتى أثبتنا عليه الذنب، و سببنا له القتل، و هو جالس فى بيته و كفى الأمر، فلما نال بنا ما أراد جعل دوننا فوقنا. و قال طلحة: ما اللوم إلّا لنا، كنا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا و بايعناه و أعطيناه ما فى أيدينا و منعنا ما فى يده^{١٥٧٠}.

«ألا تخبرانى أى شىء لكما فيه حقّ دفعتمكما عنه و أى» هكذا فى

ص: ٥٤٦

^{١٥٦٧} (١) القصص: ٨٣.

^{١٥٦٨} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٦.

^{١٥٦٩} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٧، و الآية ١٠ من سورة الفتح.

^{١٥٧٠} (٤) الإمامة و السياسة ١: ٥١.

(المصرية) ^{١٥٧١}، ولكن في (ابن ميثم) ^{١٥٧٢}: (أو أي)، وفي (ابن أبي الحديد) ^{١٥٧٣}: (أم أي).

«قسم» أي: تقسيم.

«استأثرت» أي: استبددت.

«عليكما به» كما كان عثمان يستأثر نفسه و أقاربه على الناس.

«أم أي حق رفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته أم أخطأت بابه» كما في المتقدمين عليه فقالوا: أمر عمر برجم حامل، فقال له معاذ: إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على بطنها. فرجع عن حكمه وقال: لو لا معاذ لهلك عمر ^{١٥٧٤}.

و أمر أيضا برجم مجنونة فقال له عليّ عليه السلام: إن القلم مرفوع عن المجنون حتى يفيق ^{١٥٧٥}. فقال: «لو لا عليّ لهلك عمر» ^{١٥٧٦}.

«و الله ما كانت لي في الخلافة رغبة» فهو عليه السلام كان إماما بتعيين النبي صلى الله عليه وآله و سلم له من قبل الله تعالى، وليست الخلافة و السلطنة جزء للإمامة كالنبوة و إن كانت حقها.

«و لا في الولاية» على الناس.

«إربة» أي: حاجة.

«و لكنكم دعوتوني إليها و حملتموني عليها فلما أفضت» أي: الخلافة.

«إلى نظرت إلى كتاب الله و ما وضع لنا و أمرنا بالحكم به فاتبعته و ما استن»

ص: ٥٤٧

هكذا في (المصرية) ^{١٥٧٧}، و الصواب: (و ما استسن) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) ^{١٥٧٨} و (الخطبة).

^{١٥٧١} (١) نهج البلاغة ٢: ٢١٠.

^{١٥٧٢} (٢) في شرح ابن ميثم ٤: ٩ «و أي» أيضا.

^{١٥٧٣} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٧.

^{١٥٧٤} (٤) ذكره العلامة الأميني رحمه الله مع مصادره في الغدير ٦: ١٣٢ فراجع.

^{١٥٧٥} (٥) مسند أحمد ١: ١٤٠ و ١٥٤، فضائل الصحابة ٢: ٧١٩، المناقب للخوارزمي: ٨٠.

^{١٥٧٦} (٦) هذه الكلمة قالها عمر بن الخطاب في موارد شتى، انظر في تبين مواضعها ملحقات إحقاق الحق ٨: ١٨٢-١٩٢.

^{١٥٧٧} (١) نهج البلاغة ٢: ٢١٠.

«النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فاقتديته» و هكذا كان مذهبه عليه السّلام في عدم حجّية غير كتاب الله تعالى و سنّة نبيّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

«فلم احتج في ذلك إلى رأيكما و لا رأي غيركما» لأنّ كل شيء مذكور في كتاب الله و سنّة نبيّه، و إن كان باقي الصحابة لم يعرفوا ذلك.

«و لا وقع حكم جهلته فأستشيركما و إخواني المسلمين» كما كان من تقدم عليه كذلك فقالوا: جاءت امرأة إلى عمر فقالت: إنّ زوجي يصوم النهار و يقوم الليل، و إنّني أكره أن أشكوه و هو يعمل بطاعة الله. فقال لها عمر: نعم الزوج زوجك. فجعلت تكرر إليه القول و هو يكرّر عليها الجواب. فقال كعب بن سور لعمر: إنّها تشكو زوجها في مباحته إيّاها عن فراشه. ففطن عمر حينئذ و قال له: قد وليتكم الحكم بينهما. فقال كعب لعمر: إنّ الله أحلّ لزوجها من النساء منّي و ثلاث و رابع، فله ثلاثة أيام و لياليهنّ يعبد فيها ربّه، و لها يوم و ليلة.

فقال له عمر: و الله ما أعلم من أي أمر بك أعجب، أمن فهمك أمرهما، أم من حكمك بينهما، اذهب قد وليتكم قضاء البصرة^{١٥٧٩}.

«و لو كان ذلك» على طريق الفرض.

«لم أرغب عنكما و لا عن غيركما» و إلّا فكان وقوع ذلك منه عليه السّلام محالا.

«و أما ما ذكرتما من أمر الاسوة» أي: المساواة بين الناس في قسمة الغنيمه.

«فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأبي و لا وليته هوى مني، بل وجدت أنا و أنت

ص: ٥٤٨

ما جاء به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد فرغ منه، فلم احتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه و أمضى فيه حكمه» و هذا دليل على كون التفضيل الذي أحدثه عمر بدعة منكرة، فقد عرفت من رواية الإسكافي^{١٥٨٠} أنّه عليه السّلام قال لهما: ما الذي كرهتما من أمرى حتى رأيتما خلافي؟ قالوا: خلافاً عمر في القسم أنّك جعلت حقنا في القسم كحق غيرنا. فقال عليه السّلام لهما: إنّ كتاب الله و سنّة نبيّه على التسوية فكيف يمكن إعمال الرأي في قبالتها.

^{١٥٧٨} (٢) في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٧ و شرح ابن ميثم ٤: ٩ «استن» أيضا.

^{١٥٧٩} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٤٦ - ٤٧.

^{١٥٨٠} (١) مضت آنفا.

وكما رضى عليه السلام بترك حقه لما قال له ابن عوف: ابايعك على أن تعمل بسنة الرجلين، دلالة على بطلان سنتهما، كذلك رضى بتزلزل أمره بخروج طلحة و الزبير عليه فيتعقبه قيام معاوية، دون إجابتهما إلى التفضيل، دلالة على كون فعل عمر مخالفا لصريح القرآن و السنة.

«فليس لكما و الله عندى و لا لغيركما فى هذا» أى: أمر الأسوء.

«عتبى» أى: حق. عودا إلى مقصدكما و ما يرضيكما، لكونها خلاف الشريعة.

«أخذ الله بقلوبنا و قلوبكم إلى الحق» حتى لا نستدعى الباطل.

«و ألهمنا و إياكم الصبر» على العمل بالحق.

«- ثم قال -: رحم الله امرأ» هكذا فى (المصرية)^{١٥٨١}، و الصواب: (رجلا) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٥٨٢} و (الخطبة).

«رأى حقا فأعان عليه» «و تعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ لا تعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَ العُدْوَانِ»^{١٥٨٣}.

ص: ٥٤٩

«أو رأى جورا فردّه» فهو الواجب على كل مسلم.

«و كان عوننا بالحق على صاحبه» هكذا فى النسخ^{١٥٨٤}، و الأصح ما فى رواية الإسكافى^{١٥٨٥}: (و كان عوننا للحق على من خالفه).

٧

الخطبة (١٣٦) و من كلام له عليه السلام:

لَمْ تَكُنْ بِيَعْتِكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً - وَ لَيْسَ أَمْرِي وَ أَمْرُكُمْ وَاحِدًا - إِيَّايَ أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَ أَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ - أَيُّهَا النَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ - وَ أَيُّمُ اللَّهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَ لَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ - حَتَّى أُرِدَّهُ مِنْهُلَ الْحَقِّ وَ إِنْ كَانَ كَارِهًا أَقُولُ: الأَصْلُ فِي هَذَا الْكَلَامِ مَا رَوَاهُ (الإرشاد الشيخ المفيد - الإرشاد - ج ١ ص ٢٤٣ و ٢٤٤): عن الشعبي عنه عليه السلام حين تخلف ابن

^{١٥٨١} (٢) نهج البلاغة ٢: ٢١١.

^{١٥٨٢} (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١١: ٨، و لكن فى شرح ابن ميثم ٤: ١٠ «أمرأ» أيضا.

^{١٥٨٣} (٤) المائة: ٢.

^{١٥٨٤} (١) نهج البلاغة ٢: ٢١١، شرح ابن أبى الحديد ١١: ٨، شرح ابن ميثم ٤: ١٠.

^{١٥٨٥} (٢) مضت آنفا.

عمر و سعد و أسامة و حسان و محمد بن مسلمة عن بيعته، فقال الشعبي: لما توقف هؤلاء عن بيعته، حمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إنكم بايعتموني على ما بويح عليه من كان من قبلي، و إنما الخيار للناس^{١٥٨٦} قبل أن يبايعوا، فإذا بايعوا فلا خيار لهم، و إن على الإمام الاستقامة و على الرعية التسليم، و هذه بيعة عامة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام و أتبع غير سبيل أهله، و لم تكن بيعتكم إياي فلتة، و ليس أمرى و أمركم واحدا، و إنى أريدكم لله و أنتم تريدونى لأنفسكم، و ايم الله لأنصحن للخصم

ص: ٥٥٠

و لأنصحن للمظلوم، و قد بلغنى عن سعد و ابن مسلمة و اسامة و عبد الله و حسان امور كرهتها، و الحق بينى و بينهم^{١٥٨٧}.

و ما رواه الدينورى مرفوعا قال: لما قتل عثمان بقى الناس ثلاثة أيام بلا إمام، و كان الذى يصلّى بالناس العاقفى، ثم بايع الناس عليا عليه السلام فقال: أيها الناس! بايعتموني على ما بويح عليه من كان قبلي، و إنما الخيار قبل أن تقع البيعة، فإذا وقعت فلا خيار، و إنما على الاستقامة و على الرعية التسليم، و إن هذه بيعة عامة من ردها رغب عن دين الإسلام و إنها لم تكن فلتة^{١٥٨٨}.

«لم تكن بيعتكم إياي فلتة» كما كانت بيعة أبى بكر، كما صرح به عمر.

ففى (تاريخ اليعقوبى): استأذن قوم من قريش عمر فى الخروج للجهاد فقال: قد تقدّم لكم مع النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنى آخذ بحلّاقيم قريش على أفواه هذه الحرّة، لا يخرجوا فيسللوا بالناس يمينا و شمالا. فقال له عبد الرحمن بن عوف: و لم تمنعنا من الجهاد؟ فقال: لأن أسكت عنك فلا اجيبك خير لك من أن أجيبك.

ثم اندفع يحدث عن أبى بكر، حتّى قال: كانت بيعة أبى بكر فلتة و قى الله شرّها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه^{١٥٨٩}.

و فى (الطبرى): عن ابن عباس قال: حججنا مع عمر و إنى لفى منزلى بمنى إذ جاءنى عبد الرحمن بن عوف فقال: شهدت اليوم عمر - و قام إليه رجل فقال: إنى سمعت فلانا يقول: لو قد مات عمر لبايعت فلانا - فقال عمر: إنى لقائم العشية فى الناس احذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا الناس أمرهم. فقلت له: إن الموسم يجمع رعاى الناس و غوغاءهم، و هم الذين يقربون من مجلسك و يغلبون عليه، و أخاف أن تقول مقالة لا يعونها و لا

ص: ٥٥١

^{١٥٨٦} (٣) قال العمامة المجلسى رحمه الله فى البحار ٣٢: ٣٣ ما لفظه: «إنما الخيار» أى: بزعمكم و على ما تدعون من ابتناء الأمر على البيعة.

^{١٥٨٧} (١) الإرشاد ١: ٢٤٣ - ٢٤٤، بحار الأنوار ٣٢: ٣٣.

^{١٥٨٨} (٢) الأخيار الطوال: ١٤٠.

^{١٥٨٩} (٣) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٥٧ - ١٥٨.

يحفظونها فيطيروا، و لكن امهل حتى تقدم المدينة و تخلص بأصحاب النبي صلى الله عليه و آله و سلم فتقول فيعوا مقاتلك.
فقال: و الله لأقومن بها أول مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فلما قدمنا المدينة و جاء يوم الجمعة، هجرت للحديث الذي حدثنيه عبد الرحمن - إلى أن قال - فقال عمر على المنبر: بلغني أن قائلًا منكم يقول: لو قد مات عمر بايعت فلانا، فلا يغرنّ امرأ أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتنة، فقد كانت كذلك، غير أن الله وقى شرّها، و ليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر. و أنّه كان من خبره حين توفى النبي أن عليًا و الزبير و من معهما تخلفوا عنّا في بيت فاطمة، و تخلفت عنّا الأنصار بأسرها ...^{١٥٩٠}.

و قال الجاحظ: إن الرجل الذي قال: (لو مات عمر لبايعت فلانا) كان عمّار بن ياسر فإنّه قال: لو قد مات عمر لبايعت عليًا عليه السلام^{١٥٩١}.

و روى ابن الهيثم بن عدى في كتابه - كما نقل الفضل بن شاذان في (إيضاحه) و المرتضى في (شافيه) - و الهيثم من مصنفهم كما ذكره المسعودى في أول (مروجه)^{١٥٩٢} - عن عبد الله بن عباس الهمداني، عن سعيد بن جبير عن ابن عمر - في خبر - قال: أشهد أنّي كنت عند أبي يوما و قد أمرني أن أحبس الناس عنه، فاستأذن عليه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال أبي: دويبة سوء و لهو خير من أبيه. فأوحشني ذلك منه فقلت: يا أبة عبد الرحمن خير من أبيه؟ فقال: و من ليس بخير من أبيه لا أم لك! ائذن له. فدخل فكلّمه في الحطيئة - و قد كان عمر حبسه في شعر قاله - فقال له عمر إن في الحطيئة أودا فدعني أقومه بطول حبسه، فألحّ عبد الرحمن عليه و أبي هو، فخرج عبد الرحمن فأقبل

ص: ٥٥٢

عليّ أبي و قال: أ في غفلة أنت إلى يومك هذا عمّا كان من تقدم احيمق بنى تيم عليّ و ظلمه لي؟ فقلت: لا علم لي بذلك، قال: فما عسيت يا بنى أن تعلم؟ فقلت له:

و الله أحب إلى الناس من ضياء أبصارهم، قال: إن ذلك لكذلك على رغم أبيك، قلت: أ فلا تجلى عن فعله بموقف في الناس تبين ذلك لهم؟ قال: فكيف لي بذلك مع ما ذكرت إذا يرضخ رأس أبيك بالجدل. قال: ثمّ تجاسر و الله فما دارت الجمعة حتى قام خطيبا فقال: أيّها الناس إن بيعة أبي بكر كانت فلتنة، وقى الله شرّها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه^{١٥٩٣}.

و عن مجالد بن سعيد قال: غدوت يوما إلى الشعبي إذ أقبل رجل من الأزدي فجلس إلينا، فأخذ الأزدي في ذكر أبي بكر و عمر، فضحك الشعبي و قال:

^{١٥٩٠} (١) تاريخ الطبرى ٣: ٢٠٣-٢٠٥، سنة ١١، و النقل بتلخيص.

^{١٥٩١} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥.

^{١٥٩٢} (٣) مروج الذهب ١: ٧١.

^{١٥٩٣} (١) الإيضاح: ١٣٥-١٣٨، الشافى ٤: ١٢٦-١٢٩، الصراط المستقيم ٣: ٣٠٢، و النقل بتصرّف و تلخيص.

لقد كان في صدر عمر ضب^{١٥٩٤} على أبي بكر- إلى أن قال بعد ذكر استغراب الأزدي لذلك- فقال الشعبي له: فكيف تصنع بالفلنة التي وقى الله شرها، أ ترى عدواً يقول في عدوٍ يريد أن يهدم ما بنى لنفسه في الناس، أكثر من قول عمر في أبي بكر؟ فقال الأزدي: سبحان الله! أنت تقول ذلك؟ فقال: أنا أقوله قاله عمر على رؤس الأشهاد، فلم أدعه ...^{١٥٩٥}.

و المفهوم من سوق الكلام و مقتضى المقام، أن عمر كان ينكر أن يعقد إمامة بيعة الناس، كما صنعت لأبي بكر و اعتقاده أن الامامة إنما يجب أن تكون إما بنص مفصل كما نصّ أبو بكر عليه، أو مجمل كما صنع هو لعثمان.

و أمّا من دعا الناس إلى بيعته- كما أرادت قريش طلحة و الزبير و غيرهما في أيامه أن يخرجوا من المدينة باسم الجهاد، و كما خرج طلحة و الزبير في أيام أمير المؤمنين عليه السلام باسم العمرة إلى مكة، و يدعو الناس إلى

ص: ٥٥٣

بيعتهم كأبي بكر، و يدل على ذلك قول ابن عوف له في رواية اليعقوبي^{١٥٩٦}: لم تمنعنا من الجهاد؟ و جواب عمر له: لا اجيبك خير لك، و كما أراد عمّار في رواية الطبري^{١٥٩٧} دعوة الناس بعد موت عمر إلى أمير المؤمنين، لعدم جراته على ذلك في أيام عمر- فهو عند عمر أمر منكر ذو مفسد كثيرة، و إنما كانت بيعة الناس لأبي بكر كذلك فلتة و تصادفا و اتفاقا سلموا من عواقبها بأمور:

الأول: اجتماع الأنصار- لمّا رأوا طمع قريش في الإمارة عليهم بمنعهم نبّيهم صلّى الله عليه و آله و سلّم عن الوصيّة، و تخلفهم عن جيش أكد النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بتجهيزه حتى لعن المتخلف عنه- فقالوا: لمّا رأوا ذلك، إن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لبث بضع عشرة سنة في قريش بمكة فما آمن به أكثرهم، و من آمن به منهم ما قدروا أن يمنعوه عن أعدائه، و أمّا استقامت العرب له طوعا و كرها بنصر الأنصار له، فهم أولى بسلطانه من قريش الطامعين.

و الثاني: أن سعد بن عبادة رئيسهم كان مريضا، فقال لابنه قيس: إنّي لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلّهم كلامي، فكان يتكلّم سعد و يحفظ ابنه قوله و يسمعه الناس^{١٥٩٨}، و لذا قال سعد لعمر- لمّا قال اقتلوا سعدا:- أما و الله لو أن لي بكم قوّة أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها و سككها زئيرا يحجرك و أصحابك، و إذن لألحقنك و الله بقوم كنت فيهم تابعا غير متبوع^{١٥٩٩}.

^{١٥٩٤} (٢) الضب: الحقد، تقول: أضب فلان على غلّ في قلبه، أي أضمره. الصحاح ١: ١٦٧، مادة: (ضب).

^{١٥٩٥} (٣) الإيضاح: ١٣٩-١٤٠، الشافى ٤: ١٢٦-١٢٩، و النقل بتصرف.

^{١٥٩٦} (١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٧-١٥٨.

^{١٥٩٧} (٢) تاريخ الطبري ٣: ٢٠٥، سنة ١١.

^{١٥٩٨} (٣) تاريخ الطبري ٣: ٢١٨، سنة ١١، شرح ابن أبي الحديد ٦: ٥.

^{١٥٩٩} (٤) تاريخ الطبري ٣: ٢٢١، سنة ١١.

و الثالث: أن بشير بن سعد الخزرجي ابن عمّ سعد بن عبادة حسده أن يصير أميراً، فبادر إلى بيعه أبي بكر قبل الجميع حتى قبل عمر، فقال له الحباب بن المنذر: عقت عقاق أنفست على ابن عمك الإمارة^{١٦٠٠}.

ص: ٥٥٤

و الرابع: أن الأوس كانوا منافسين للخزرج في الجاهلية و الإسلام، فاغتنموا الفرصة لما رأوا عمل بشير ابن عم سعد معه، فقال اسيد بن حضير رئيس الأوس لهم: و الله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، و لا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد و الخزرج ما كانوا أجمعوا من أمرهم^{١٦٠١}.

و الخامس: أن أمير المؤمنين عليه السلام و بنى هاشم كانوا مشغولين بتجهيز النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و لم يحضر أحد منهم السقيفة، و لو حضروا كيف يعقل أن يحاجّ أبو بكر مع الأنصار و يقول لهم في مقابل نصرتهم له: إن النبي صلى الله عليه و آله و سلم لما بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخصّ الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، و المواساة له، و الصبر معه على شدة أذى قومه و تكذيبهم له؟

و كيف يمكن لعمر أن يقول لهم: و الله لا ترضى العرب أن يؤمروكم و نبئها من غيركم، و لكن العرب لا تمتنع أن تولّى أمرها من كانت النبوة فيهم، و من ذا ينازعنا سلطان محمد و إمارته و نحن أولياؤه و عشيرته إلا مدل بباطل^{١٦٠٢}.

فلما أخرجوا أمير المؤمنين عليه السلام بعد قهرا إلى بيعتهم قال عليه السلام لهم: لا ابايعكم و أنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرابة من النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و تأخذوه منا أهل البيت غصبا، أستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر منهم، لما كان محمد صلى الله عليه و آله و سلم منكم؟ فأعطوكم المقادة و سلموا إليكم الإمارة، فإذا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، نحن أولى برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حيا و ميتا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، و إلا فبوءوا بالظلم و أنتم تعلمون. و حتى إن بشير بن سعد الذي كان أول من

ص: ٥٥٥

بايع أبا بكر، حتى قبل عمر، لما سمعه عليه السلام قال لأبي بكر و عمر نحن أحقّ بهذا الأمر لأننا أهل البيت - إلى آخر ما مر - قال له عليه السلام: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلفت عليك، فقال عليه السلام له: أ فكننت أدع الرسول صلى الله عليه و آله و سلم في بيته لم أذفنه و أخرج انازع بسلطانه.

^{١٦٠٠} (٥) تاريخ الطبرى ٣: ٢٢١، سنة ١١، الإمامة و السياسة ١: ٩.

^{١٦٠١} (١) المصدر نفسه ٣: ٢٢١-٢٢٢، سنة ١١.

^{١٦٠٢} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٧-٨.

و كذلك لما كان عليه السّلام يخرج بفاطمة ليلا إتماما للحجّة لسؤال الأنصار النصر، كانوا يقولون لها: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو أنّ زوجك و ابن عمّك سبق قبل أبي بكر ما عدلنا عنه، فتقول عليها السّلام لهم: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم^{١٦٠٣}.

و لما دعا عمر بالخطب و قال: و الذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنها على من فيها، و قفت فاطمة عليها السّلام على بابها و قالت: لا عهد لى يقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم جنازة بين أيدينا و قطعتم أمركم بينكم^{١٦٠٤}.

و السادس: أن أمير المؤمنين عليه السّلام كان و تر قريش، فلم يرضوا أن ينتقل الأمر إليه عليه السّلام، و لم يكن فيهم أنفسهم من يتصدية بشخصه لكون أكثرهم من الطلقاء و المؤلفة، و كون إسلام أبي بكر أقدم من إسلامهم حتّى من إسلام عمر، و كونه ذا سياسة زائدة مع طبيعة لينه، و صيرورة مصاحبه للنّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فى الغار سببا لاشتهاره و مستمسكا للتلبيس به على العامّة، و كون بنته عايشة- التى لم تكن فى السياسة و الجلالة دون أبيها- فى بيت النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و بواسطتها زيد على مصاحبه غاره أمر النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم له بالصلاة فى مرض موته، و بهما تمسك عمر فى تقديمه. و قد وصف عمر بغض قريش له عليه السّلام كبغض الثور لجازره، فقال يوما لابن عباس: أنتم أهل النّبىّ و بنو عمّه فما

ص: ٥٥٦

تقول منع قومكم عنكم؟ قال: لا أدري و الله ما أضمرنا لهم إلّا خيرا، قال: اللهمّ غفرا ان قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم النبوة و الخلافة، فتذهبوا فى السماء شمخا و بدخا، و لعلكم تقولون إنّ أبا بكر كان أوّل من أخركم، أما إنّه لم يقصد ذلك و لكن حضر أمر لم يكن بحضرتة أحزم مما فعل، و لو لا رأى أبى بكر فىّ لجعل لكم من الأمر نصيبا، و لو فعل ما هناكم مع قومكم أنّهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره.

و السابع: أنّ قريشا كانوا أهل دنيا، و كانوا يريدون الإمارة و السلطنة، و كانوا علموا أنّه إن تصدّى أمير المؤمنين عليه السّلام للأمر لم يجعله إلّا فى المعصومين من عترته، فجعلوه فى أبى بكر و هو نظيرهم ليردّه إليهم، و ليكون لهم به سبب يدعونه، فقال أمير المؤمنين عليه السّلام فى كتاب كتبه ليقرا على الناس لما سألوه عن الثلاثة- و قد رواه ابن قتيبة و التقفى و غيرهما:-

و جعلنى عمر سادس سنّة فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولائتى، لأنّهم كانوا يسمعوننى و أنا احاج أبا بكر و أقول: يا معشر قريش أنا أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان منّا من يقرأ القرآن و يعرف السنّة، فخشوا إن وليت عليهم ألا يكون لهم فى هذا

^{١٦٠٣} (١) المصدر نفسه ١: ١٢.

^{١٦٠٤} (٢) المصدر نفسه.

الأمر نصيب، فتابعوا إجماع رجل واحد حتى صرفوا الأمر منى لعثمان، فأخرجوني منها رجاء أن يتداولوها حين يسوا أن ينالوها، ثم قالوا لى: هلم فبايع و إلاً جاهدناك. فبايعت مستكرها و صبرت محتسبا ...^{١٦٠٥}.

و رووا عن جندب خبرا طويلا و أنه عليه السلام قال لجندب- لما قال له عليه السلام: ادع الناس إلى نفسك-: لا يجيبني من المائة واحد، سأخبرك أن الناس إنما ينظرون إلى قريش فيقولون هم قوم محمد و قبيلته، و أما قريش فى ما بينها

ص: ٥٥٧

فيقولون إن آل محمد يرون لهم على الناس بنبوته فضلا، يرون أنهم أولياء هذا الأمر دون قريش و دون غيرهم من الناس، و أنهم إن ولوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبدا، و متى كان فى غيرهم تداولته قريش بينها، لا و الله لا يدفع الناس هذا الأمر إلينا طائعين أبدا ...^{١٦٠٦}.

و الثامن: أن معين أبى بكر كان مثل عمر تلك الحوزة الخشنة، التى يغلظ كلمها، و يخشن مسها، و لولاه لما تم الأمر له، و قد صرح النظام بأن عمر هو الذى جعل أبى بكر خليفة. فتارة كان عمر يخاصم الحباب بن المنذر بأنه من ينازعنا سلطان محمد و نحن عشيرته، و اخرى يقول: اقتلوا سعدا قتله الله.

و يقوم على رأسه و يقول: لقد هممت أن أطاك حتى يندر عصوك، و اخرى يقول فى الزبير لما خرج بالسيف من عند بنى هاشم: عليكم بالرجل فخذوه.

فوثبوا عليه و أخذوا السيف منه، و انطلقوا به فبايع. و يدعو بالحطب على باب أهل البيت و يقول: و الذى نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنّها، فقيل له إن فيها فاطمة. فقال: و إن، فخرج الهاشميون غيره عليه السلام فبايعوا. و اخرى يقول لأبى بكر مرة بعد مرة: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة- يعنى أمير المؤمنين عليه السلام- فيرسل أبو بكر قنظا بأن خليفة النبى يدعوك فيقول عليه السلام:

سريعا كذب على النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فيجىء عمر بنفسه مع جماعة إلى الباب. و مع أن فاطمة عليها السلام تصيح: يا أبه يا رسول الله ما ذا لقينا بعدك من ابن الخطاب و ابن أبى قحافة- فانصرف عدة منهم لأن قلوبهم كادت تصدع و أكبادهم تنفطر من بكاء فاطمة عليها السلام و كلامها- لم يكثرث عمر بذلك و بقى مع عدة حتى أخرج أمير المؤمنين عليه السلام و مضى به إلى أبى بكر و يقول له عليه السلام: إن لم تباع و الله الذى لا إله إلا هو نضرب عنقك، و كان عليه السلام يصيح مخاطبا للنبى صلى الله عليه و آله و سلم: يا

ص: ٥٥٨

^{١٦٠٥} (١) الإمامة و السياسة ١: ١٥٥، الغارات للنفقى ١: ٣٠٧-٣٠٨.

^{١٦٠٦} (١) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٥٧-٥٨.

«ابن أمّ إنَّ القَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي»^{١٦٠٧} فلم يخله حتى أخذ منه البيعة.

و اخرى يقول للعبّاس - لما قال هو و أبو بكر له بإشارة المغيرة عليهما، أن يجعلا له سهما في الأمر فيضعف علىّ لكون العباس عم النبيّ - إى و الله، و اخرى إنّا لم نأتكم حاجةً منّا إليكم، و لكنّا كرهنا أن يكون الطعن منكم في ما اجتمع عليه العامّة، فيتفاهم الخطب بكم و بهم فانظروا لأنفسكم.

و أيضا لما قدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن بعد النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و قد كان صلّى الله عليه و آله و سلّم و لاه - المدينة لم يبايع - كما في (سقيفة الجوهري) - أبا بكر أيّاما، ثم أتى بنى هاشم و قال: أنتم الظهر و البطن، و الشعار دون الدثار و العصا دون اللحا - إلى أن قال: فولاه أبو بكر الجند الذي استنفرهم إلى الشام، فقال عمر لأبى بكر: أتولّى خالدا و قد حبست عليك بيعته. و قال لبنى هاشم ما قال، ما أرى أن توليه و ما آمن خلفه، فولّى أبو بكر أبا عبيدة و يزيد بن أبى سفيان و شرحبيل بن حسنة و انصرف عن خالد^{١٦٠٨}.

ثم ما ذكرنا من ميل قريش إلى أبى بكر رغبة عن أمير المؤمنين عليه السّلام، و قيام عمر بتلك الامور لإتمام بيعه أبى بكر، هو معنى قول عمر في خطبته في الفلته: (و ليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر)، إلّا أنّك عرفت الحقيقة، و أنّ قطع الأعناق إلى أبى بكر لبيعتة، كان على أنحاء منها: تسابق عمر و أبى عبيدة للبيعة لتواطئهما معه بردّها اليهما، و منها سبقة بشير بن سعد حسدا لابن عمّه سعد بن عبادة أن ينال الإمارة ثمّ جميع الأوس حسدا أن ينالها خزرجى، ثم بيعه باقى طوائف قريش من مخزوم و زهرة و امية و غيرهم طمعا أن ينالوها بواسطته، و ثمّ بيعه بنى هاشم بإحراق البيت و ضرب

ص: ٥٥٩

الأعناق لو لم يبايعوا و باقى الناس بالإكراه.

فرووا عن البراء بن عازب - فى خبر - قال: و إذا قاتل يقول: القوم فى سقيفة بنى ساعدة، و إذا قاتل آخر يقول: قد بويع أبو بكر. فلم ألث و إذ أنا بأبى بكر قد أقبل و معه عمر و أبو عبيدة و جماعة من أصحاب السقيفة، و هم محتجزون بالأزر الصناعيّة لا يمرّون بأحد إلّا خبطوه، و قدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبى بكر يبايعه شاء ذلك أو أنكر...^{١٦٠٩}.

ثم بيعه أمير المؤمنين لم تكن محتاجة إلى قطع الأعناق إليه، بل كانت الأعناق تتقطّع دونها، فتداكوا عليه تداك الإبل الهيم يوم ورودها، قد أرسلها راعيها و خلعت مثنائها، و أقبلوا إليه إقبال العوذ المطافيل على ولدها، حتى كاد أن يقتل بعضهم بعضا، و حتى شق عطفاه و حتى وطىء الحسنان عليهما السّلام - و كان يقبض يده فيسوطها، و يكفها فيجاذبها بدون غرض نفسانى، بل و كان يقبض يده فيسوطها، و يكفها فيجاذبها بدون غرض نفسانى، بل لكونه أقرب الناس إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم حيّا و ميّتا، و أعلم الناس بكتابه و سنته، و سوابقه التى لم يشاركه فيها أحد.

^{١٦٠٧} (١) الأعراف: ١٥٠.

^{١٦٠٨} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٥٨ - ٥٩، السقيفة للجوهري: ٥٢ - ٥٣.

^{١٦٠٩} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢١٩.

ثم إنَّ عمر و إن قال في خطبته: «فمن عاد إلى مثل بيعة أبي بكر فاقتلوه»^{١٦٠}، و أراد بذلك أن تبقى الخلافة فيهم و لا تنتقل إلى أمير المؤمنين عليه السَّلام، فيتداولونها بينهم من يد إلى يد ككرة اللعب - فقد عرفت أنَّه خطب بما خطب لَمَّا سمع ان عمَّارا قال أنه يبايع عليًا عليه السَّلام إن مات عمر - إلَّا ان النَّاس لَمَّا رأوا أن من عيَّنه عمر في شورا و هو عثمان، سار فيهم بما سار، خافوا أن يسير باقي أهل شورا حقيقةً (طلحة و الزبير و سعد) بما عاملهم به عثمان، فبادروا إلى أمير المؤمنين عليه السَّلام بتلك الكيفية، و قد كان عمَّار قال لهم:

رأيتم سيرة عثمان بالأمس، فإن لم تنظروا لأنفسكم تقعون في مثله، فخاب

ص: ٥٦٠

أمل عمر و بطل ما دبر في مدة، لكن آل الأمر إلى انقطاعه بقيام طلحة و الزبير، لكونهما من شوري عمر، ثم قيام معاوية لكونه والي عمر - و لقد كان عمر يتأوّه شديدا حيث يفكر و يدبر ألا يدع يرجع الأمر إليه عليه السَّلام يوما، فيحصل له بسط يد فيوضح الأمر للناس، و يحصل له شيعة فرأى أن ذلك لا يحصل له بتمامه، فكان يتمنى تارة حياة أبي عبيدة الذي كان أبو بكر يقول للناس:

«بايعوا عمر أو أبا عبيدة» و هما يقولان: «كيف تقدمك»، و اخرى حياة سالم مولى أبي حذيفة، و هو من أعوانه و أعوان صاحبه يوم السقيفة.

ثم إنَّ من المضحك أن سيف بن عمر - الذي طريق الطبرى الغالبى إليه (السرى عن شعيب عنه) و طريقه النادر (عبيد الله عن عمر عنه) - أنكر المتواتر من عدم بيعة سعد بن عباد مع أبي بكر فقال ببيعته، و أن الفلتنة تأمل سعد أولا - فقال: لَمَّا قام الحباب و انتضى سيفه، حامله عمر فضرب يده فندر السيف فأخذه، و وثبوا على سعد و تتابع القوم على البيعة، و بايع سعد و كانت فلتنة كفلتات الجاهلية، قام أبو بكر دونها^{١٦١}.

و كيف أراد سيف ستر كون بيعة أبي بكر فلتنة و قد ضرب بها المثل؟

ففي (أدباء الحموى): انفلت ليلة في مجلس صاحب بن عباد صوت من بعض الحاضرين، و صاحب في الجدل فقال: كانت بيعة أبي بكر فخذوا في ما أنتم فيه^{١٦٢}.

قوله عليه السَّلام في رواية (أخبار طوال) أبي حنيفة الدينورى و (إرشاد) المفيد: و إنَّ هذه بيعة عامَّة من ردّها - أو (من رغب عنها) - رغب عن دين الإسلام^{١٦٣}.

^{١٦٠} (٢) الإيضاح: ١٣٥ - ١٣٨، الشافى ٤: ١٢٦ - ١٢٩.

^{١٦١} (١) تاريخ الطبرى ٣: ٢٢٣، سنة ١١.

^{١٦٢} (٢) معجم الأدباء ٦: ٢١٧.

ص: ٥٤١

قال عليه السّلام ذلك لأنّها كانت بمنزلة بيعة الأنصار للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم ليلة العقبة، وبيعة المؤمنين له صلّى الله عليه وآله وسلّم تحت الشجرة.

و قال اليعقوبى: لمّا بايعوا عليّاً عليه السّلام قام عقبه بن عمرو فقال: من له يوم كبيعة الرضوان و الإمام الهدى الذى لا يخاف جوره، و العالم الذى لا يخاف جهله^{١٤١٤}.

هذا و فى (تذكرة) سبط ابن الجوزى: ذكر صاحب كتاب (عقلاء المجانين)، عن أبى هذيل العلاف قال: سافرت مع المأمون إلى الرقة فبينما أنا أسير فى الفرات إذ مررنا بدير فيه مجنون يتكلّم بالحكمة - إلى أن قال -: قال أبو الهذيل قال ذاك المجنون لى: أخبرنى عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم هل أوصى؟ قلت: لا.

قال: فكيف ولى أبو بكر مجلسه من غير وصية؟ فقلت: اختاره المهاجرون و الأنصار و رضى به النّاس، فقال: كيف اختاره المهاجرون و قد قال الزبير لا ابايع الّا عليّاً و كذا العباس، و كيف اختاره الأنصار و قد قالوا: منّا أمير و منكم أمير و لولا سعد بن عبادة - و قال عمر اقتلوا سعدا قتله الله - و كيف تقول رضى به النّاس و قد قال سلمان الفارسى (كرديد نكرديد)، فوجئت عنقه، و قال أبو سفيان لعلّى عليه السّلام: مد يدك ابايعك، و ان شئت ملأتها خيلا و رجالا، ثمّ قعد بنو هاشم عن بيعة أبى بكر ستة أشهر، فأين الإجماع؟! و لمّا قتل عثمان جاء المسلمون و الصحابة ارسالا إلى عليّ ليبايعوه، فلم يفعل حتى قالوا: و الله لئن لم تفعل لنلحقنك بعثمان، فأخبرنى أيما أكد من ضرب سعدا و وجاء عنق سلمان كمن جاء النّاس إليه يكرهونه على البيعة معه؟! قال أبو الهذيل فلم أحر جوابا و سقط فى يدي، فحدثت المأمون حديثه فاستطرفه و بقى زمانا يستعيده منى^{١٤١٥}.

ص: ٥٤٢

«و ليس أمرى و أمركم واحدا إننى اريدكم لله» فى (تاريخ اليعقوبى): لمّا بويع عليّ عليه السّلام قام صعصعة بن صوحان فقال له عليه السّلام: و الله لقد زينت الخلافة و ما زانتك، و رفعتها و ما رفعتك، و لهى إليك أحوج منك إليها.

و قام خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين فقال له عليه السّلام: ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك، و لا كان المنقلب إلّا إليك، و لئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم النّاس إيماناً، و أعلم النّاس بالله و أولى المؤمنين بالرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم، لك ما لهم و ليس لهم ما لك.

و قام ثابت بن قيس خطيب الأنصار فقال له عليه السّلام: و الله لئن كانوا تقدموك فى الولاية فما تقدموك فى الدين، و لقد كانوا و كنت لا يخفى موضعك و لا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون و ما احتجت إلى أحد مع علمك.

^{١٤١٣} (٣) الأخيار الطوال: ١٤٠، الإرشاد: ١: ٢٤٣.

^{١٤١٤} (١) تاريخ اليعقوبى: ٢: ١٧٩.

^{١٤١٥} (٢) تذكرة الخواص: ٦٠-٦٢، و نقله الشارح بتصرّف.

و قام الأشر فقال: أيها الناس! هذا وصي الأوصياء، و وارث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن العناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، و رسوله بجنته الرضوان، من كملت فيه الفضائل، و لم يشك في سابقته و علمه و فضله الأواخر و الأوائل^{١٦١٦}.

«و أنتم تريدوني» هكذا في (المصرية)^{١٦١٧}، و الصواب: (تريدونني) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم^{١٦١٨} و الخطيب).

«لأنفسكم» قال عمار للناس قبل بيعتهم له عليه السلام: أيها الناس رأيتم سيره عثمان بالأمس، فان لم تنظروا لأنفسكم تقعون في مثله.

«أيها الناس أعينوني على أنفسكم، و ايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه»

ص: ٥٦٣

هكذا في (المصرية)^{١٦١٩}، و الصواب: زيادة كلمة (من ظالمه) و كونها حاشية خلطت بالمتن، لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{١٦٢٠}.

«و لأقودن الظالم بخزامة» الخزامة: حلقة من شعر تجعل في وتره أنف البعير يشد بها الزمام، قال الجوهري: و يقال لكل مثقوب مخزوم، و الطير كلها مخزومة لأن وترات انوفها مثقوبة^{١٦٢١}.

«حتى اورده منهل» المنهل: موضع الورد على الماء.

«الحق و إن كان كارها» في (تاريخ اليعقوبي): بايع الناس عليا عليه السلام إلّا ثلاثة من قريش، مروان بن الحكم و سعيد بن العاص و الوليد بن عقبه - و كان لسانهم - فقال: يا هذا إنك وترتنا جميعا، أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبرا، و أما سعيد فقتلت أباه يوم بدر حربا، و أما مروان فشتت أباه و عبت على عثمان حين ضمّه إليه، فبايعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا، و تعفى لنا عمّا في أيدينا و تقتل قتلة صاحبنا. فغضب علي عليه السلام و قال: أمّا ما ذكرت من وترى إياكم فالحق و تركم، و أما قتلى قتله عثمان، فلو لزمى اليوم قتلهم لزمى غدا قتلهم، و أما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حق الله، و أمّا إعفائي عمّا في أيديكم فما كان لله و للمسلمين فالعدل يسعكم^{١٦٢٢}.

^

^{١٦١٦} (١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٩.

^{١٦١٧} (٢) نهج البلاغة ٢: ٢٦.

^{١٦١٨} (٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١، و لكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٤ «تريدوني» أيضا.

^{١٦١٩} (١) نهج البلاغة ٢: ٢٦.

^{١٦٢٠} (٢) كلمة «من ظالمه» ليست في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١، و لكن كانت في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٤.

^{١٦٢١} (٣) الصحاح ٥: ١٩١١، مادة: (خزم).

^{١٦٢٢} (٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٨ - ١٧٩.

الخطبة (٩٢) و من خطبة له عليه السلام لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان:

دَعُونِي وَ التَّمَسُّوا غَيْرِي - فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا - لَهُ وَجُوهٌ وَ أَلْوَانٌ - لَا تَقُومُ لَهُ

ص: ٥٦٤

الْقُلُوبُ - وَ لَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ - وَ إِنِّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ - وَ الْمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ - وَ اعْلَمُوا إِنِّ أَجَبْتُمْكُمْ - رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ - وَ لَمْ أَصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَ عَتَبِ الْعَاتِبِ - وَ إِنِّ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ - وَ لَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَ أَطُوعُكُمْ - لِمَنْ وَ لِيُتِمَّوهُ أَمْرُكُمْ - وَ أَنَا لَكُمْ وَ زِيرًا - خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا أَقُولُ: الأصل في العنوان رواية سيف الذي قد عرفت في (٢٤) من فصل عثمان، ان رواياته كذب و افتعال، إمَّا كلاً و إمَّا جزءاً، و أنه يدخل في كل شيء شيئاً و يضع في مقابل أمر أمراً.

و مما يوضح تصرفه في هذا الخبر إدخاله فيه إكراه طلحة و الزبير على بيعته عليه السلام، مع وضوح أنه عليه السلام لم يكن يجبر أحداً. و أيضاً إدخاله فيه أن أهل البصرة أرادوا جعل الأمر لطلحة، و أن أهل الكوفة أرادوا جعل الأمر للزبير، و لم يرد الأمر له عليه السلام غير أهل مصر، و هو أيضاً واضح البطلان، فأهل البصرة جاءوا كأهل الكوفة جاءوا كلهم كانوا شيعته عليه السلام، كيف لا؟ و رئيس البصريين حكيم بن جبلة العبدى و رئيس الكوفيين الأشتر النخعي.

و هذه رواية سيف في (الطبرى الطبرى - تاريخ الطبرى - ج ٤ ص ٤٣٤ سنة ٣٥) كتب إلى السرى، عن شعيب عن سيف، عن محمد و طلحة قالوا: قالوا - أى أهل الكوفة و البصرة و مصر الذين شهدوا قتل عثمان - لأهل المدينة: أجلناكم يومين، فو الله لئن لم تفرغوا لنقتلن غدا علياً عليه السلام و طلحة و الزبير و اناسا كثيرا، فغشى الناس علياً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام و ما ابتلينا به من ذوى القربى، فقال على: «دعوني و التمسوا غيرى فإننا مستقبلون أمرا له و جوه و له ألوان، لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول» فقالوا: نشدك الله ألا ترى ما نرى، ألا ترى الإسلام، ألا ترى الفتنة، ألا تخاف الله؟ فقال: «قد أجبتكم لما أرى، و اعلموا إن أجبتكم ركبت

ص: ٥٦٥

بكم ما أعلم، و إن تركتموني فأنا كأحدكم إلا أنى أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم».

ثم افترقوا على ذلك و اتعدوا الغد، و تشاور الناس فى ما بينهم و قالوا:

إن دخل طلحة و الزبير فقد استقامت، فبعث البصريون إلى الزبير بصريا و قالوا: احذر لا تحابه - و كان رسولهم حكيم بن جبلة العبدى - فجاءوا به يحدونه بالسيف - و إلى طلحة كوفياً و قالوا له: احذر لا تحابه، فبعثوا الأشتر فى نفر فجاءوا به يحدونه، و أهل الكوفة و أهل البصرة شامتون بصاحبهم، و أهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة، و قد خشع أهل الكوفة و أهل

البصرة أن صاروا أتباعا لأهل مصر و حشوة فيهم- إلى أن قال:- و جاء القوم بطلحة فقالوا: بايع، فقال: إنى إنما بايع كرها. فبايع- إلى أن قال- ثم جىء بالزبير فقال مثل ذلك و بايع، و فى الزبير اختلاف- يعنى هل بايع أو لا^{١٦٢٣}؟

و أخذ قوله: «و أنا لكم وزيرا» من خبر آخر.

و العجب من المصنّف كيف يأخذ من رواياته و يرى اشتغالها على مقطوع الكذب، ألم ينقل كلامه عليه السّلام فى ١٤- ٢ فى كتابه عليه السّلام إلى طلحة و الزبير:

«أنى لم أرد النّاس حتى أردونى، و لم ابايعهم حتى بايعونى، و إنكما ممن أردنى و بايعنى»؟ إلى غير ذلك ممّا نقل.

قول المصنّف:

«و من خطبة له عليه السّلام» هكذا فى (المصرية)^{١٦٢٤}، و الصواب: (و من كلام له عليه السّلام) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٦٢٥} و (الخطبة)، و لأنّه واضح أنّ كلامه عليه السّلام لم يكن خطبة، بل على فرض صحّة نسبته يكون جوابا منه عليه السّلام

ص: ٥٦٦

لهم لما قالوا له: نبايعك.

«لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان» هكذا فى (المصرية)^{١٦٢٦}، و يصدقه (ابن ميثم و الخطبة)^{١٦٢٧} و لكن فى (ابن أبى الحديد)^{١٦٢٨} بدله: (لما أراد النّاس على البيعة)، و قال: و فى بعض النسخ (لما أداره النّاس على البيعة)^{١٦٢٩}.

«رضى الله عنه» هكذا فى (المصرية)^{١٦٣٠}، و هو زائد لعدم وجوده فى (ابن ميثم)^{١٦٣١} و (الخطبة)، و كذا (ابن أبى الحديد)^{١٦٣٢} على ما عرفت نقله، و أيضا واضح أنّ المصنّف لا يقول ذلك، كما أنّ فى (المصرية) فى المتن: (إن أحببتكم)^{١٦٣٣}، و الأصل (أنى إن أحببتكم) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٦٣٤} و (الخطبة).

^{١٦٢٣} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٣٤، سنة ٣٥.

^{١٦٢٤} (٢) نهج البلاغة ١: ١٨٢.

^{١٦٢٥} (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ٧: ٣٣، و لكن فى شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥ «و من خطبة له» أيضا.

^{١٦٢٦} (١) نهج البلاغة ١: ١٨٢.

^{١٦٢٧} (٢) شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥.

^{١٦٢٨} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٣٣.

^{١٦٢٩} (٤) المصدر نفسه.

^{١٦٣٠} (٥) نهج البلاغة ١: ١٨٢.

ثمّ قد عرفت عدم تحقّق العنوان في كلامه عليه السّلام، فلا نحتاج إلى شرحه أو تأويله، و لكن قال ابن أبي الحديد: يحمل أصحابنا كلامه عليه السّلام على ظاهره و يقولون إنّه لم يكن منصّوصا عليه، و إن كان أولى النّاس بها، لأنّه لو كان منصّوصا عليه لمّا جاز أن يقول: «دعوني و التمسوا غيري»، و لا أن يقول:

«و لعلّي أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم» و لا أن يقول: «و أنا لكم وزيرا خير منّي لكم أميرا» و تحمله الإمامية على وجه آخر فيقولون: إنّ الذين أرادوه على البيعة هم كانوا عاقدين ببيعة الخلفاء من قبل، و كان عثمان منعهم

ص: ٥٦٧

أو منع كثيرا منهم عن حقّه من العطاء، لأنّ بني امية استأصلوا الأنام في أيام عثمان، فلمّا قتل قالوا لعلّي عليه السّلام نبايعك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر و عمر، فاستعفاهم و سألهم أن يطلبوا غيره ممّن يسير بسيرتهما، و قال عليه السّلام للناس كلاما تحته رمز و هو قوله عليه السّلام: «إنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان، لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول، و إنّ الآفاق قد أغامت و المحجّة قد تنكرت» قالوا: هذا كلام له باطن و غور عميق، معناه الإخبار عن غيب يعلمه هو و يجهلون هم، و هو الإنذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض، و اختلاف الكلمة و ظهور الفتنة.

و معنى قوله عليه السّلام «الآفاق قد أغامت و المحجّة قد تنكرت»: أنّ الشبهة استولت على العقول و القلوب، و جهل أكثر النّاس محجّة الحق أين هي، فأنا لكم وزيرا عن الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، أفنتى فيكم بشريعتي و أحكامي، خير لكم منّي أميرا محجورا عليه، مدبرا بتدبيركم، فإنّي أعلم أنّه لا قدرة لى أن أسير فيكم بسيرة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم في أصحابي، مستقلا بالتدبير لفساد أحوالكم و تعذر صلاحكم.

و معنى قوله عليه السّلام: «له وجوه و ألوان» أنّه موضع شبهة و تأويل، فمن قائل يقول: (أصاب عليّ) و آخر يقول: (أخطأ).

و كذلك القول في تصويب محاربيه من الجمل و صفين و النهروان، و تخطبتهم فإنّ المذاهب فيه و فيهم تشعبت و تفرقت جدا. قال: و حمل بعضهم كلامه عليه السّلام على محمل آخر، فقال: هذا كلام مستريب شكّ من أصحابي، يقول لهم: «دعوني و التمسوا غيري» على طريق الضجر منهم، و التبرّم بهم، و التسخّط لأفعالهم، لأنّهم كانوا عدولا عنه من قبل و اختاروا عليه، فلمّا طلبوه بعد أجابهم جواب المتسخّط العاتب.

ص: ٥٦٨

^{١٦٣١} (٦) شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥.

^{١٦٣٢} (٧) في شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٣ «رضى الله عنه» أيضا.

^{١٦٣٣} (٨) نهج البلاغة ١: ١٨٢.

^{١٦٣٤} (٩) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٣، و لكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥ إن أجبتكم أيضا.

و حمله بعضهم على محمل آخر فقالوا: إنه أخرجه مخرج التهكم و السخرية أى: «أنا لكم وزيراً خيراً لكم منى أميراً» فى ما تعتقدونه، كما قال سبحانه: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ»^{١٦٣٥} أى: تزعم ذلك لنفسك و تعتقده. و ما ذكره من المحامل ليس ببعيد لو كان الدليل عليه دل^{١٦٣٦}.

قلت: قد عرفت عدم معلومية كونه كلامه عليه السلام و على فرض كونه كلامه عليه السلام فنقول: أمّا ما نقله عن أصحابه أنه لو كان منصوباً عليه لمّا جاز أن يقول: (دعونى و التمسوا غيرى و لعلّى أسمعكم و أطوعكم لمن وليتموه أمركم، و أنا لكم وزيراً خيراً لكم منى أميراً) فهل الإمامة هى السلطنة و الرئاسة، فالإمام كالنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم سواء كان له بسط يد أم لا، و السلطنة إن كانت حقهما إلّا أنّ تلك السلطنة أيضاً من الله، و هم يريدون أن يجعلوه سلطاناً من قبلهم و بيعتهم، و لم يكونوا يعتقدوا أنّ طاعته عليه السلام طاعة الله، و معصيته معصية الله كالنبيّ صلى الله عليه و آله و سلم فلم يكن واجبا عليه عليه السلام قبول رياستهم، فأى مانع أن يقول دعونى و التمسوا غيرى لإمامتكم المصنوعة، و أمّا طاعته لمن ولوه فلو جوب التقيّة.

و أمّا كون كونه وزيراً لهم خيراً لهم من إمارته، لأنّ بامارته كانوا يخرجون عليه فيكفروا، فإنّ طلحة و الزبير صارا بسبب إمارته عليه السلام فى غاية الخزي و الشقاوة، مع أنّ تكلم الإنسان فى مثله على عقيدة خصمه، فقالوا: ان طائفة بجيلة فى صفيين قالوا لأبى شداد قيس بن مكشوح: خذ رايئنا. فقال:

غيرى خير لكم منى، قالوا: ما نريد غيرك. قال: فو الله لئن أعطيتهمونها لا أنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب - يعنى معاوية فكان على رأسه رجل معه ترس مذهب يستره من الشمس -.

ص: ٥٦٩

و أمّا ما نقل عن الإمامية من المحامل، و قال ليست ببعيدة لو دلّ عليها دليل، فيدلّ على المحمل الأوّل من عدم قبوله عليه السلام العمل بسيرة أبى بكر و عمر:

إنّه لمّا قال له ابن عوف يوم الدار: ابايعك على أن تعمل بسنتهما أنكّر عليه، و قال: لا أعمل إلّا بكتاب الله تعالى و سنّة نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم، و لمّا بايعه عليه السلام أصحابه بيعة ثانية بعد التحكيم، أراد رجل خنعمى بيعته على شرط ذلك فأنكر عليه أيضاً، و كونه عليه السلام وزيراً عن الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أمر معلوم بالضرورة، لا ينكره أحد حتّى انّ معاوية كان مقرّاً به، كما فى كتابه إلى محمّد بن أبى بكر، و تواتر به الخبر فى حديث المنزلة^{١٦٣٧}.

^{١٦٣٥} (١) الدخان: ٤٩.

^{١٦٣٦} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٣٣-٣٥.

^{١٦٣٧} (١) انظر فى مصادر هذا الحديث إحقاق الحقّ ٧: ٤٢٨، بحار الأنوار ٣٧: ٢٥٤ الباب ٥٣، الغدير ٣: ١٩٩-٢٠١.

و يدلّ على الثاني: أنّ تسخّطه عليه السّلام على النّاس و عتابه لهم في عدولهم عنه أمر مقطوع من الواضحات، و قد كان يصرّح به في أيّام الثلاثة في غير مقام و يخطب به في أيّامه مقاما بعد مقام، بل كان عليه السّلام قلما يرقى المنبر إلّا و يشكو من مظلوميته.

و يدلّ على الثالث: أنّ كونه عليه السّلام رائي نفسه بمنزلة النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أيضا أمر معلوم، فكان عليه السّلام يقول: «و أنا من رسول الله كالصنو من الصنو و الذراع من العصد»^{١٦٣٨}، و كان يقول: «إنا صنائع الله و النّاس صنائع لنا»^{١٦٣٩} و كيف لا يقول عليه السّلام ذلك و القرآن في قوله تعالى: «وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ»^{١٦٤٠} و «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ»^{١٦٤١} يشهد له بذلك؟! و كان عليه السّلام لا يرى الإمامة لغيره و غير المعصومين من عترته، و لذا

ص: ٥٧٠

أجمعت قريش - على طوائفها - إجماع رجل واحد على صرف الأمر عنه يوم السقيفة و يوم الدار، ليكون لكلّ منهم نصيب من الأمر - و كانوا يريدون أنّ يجعلوه كواحد من عرض النّاس، خواصهم عنادا و حسدا و عامتهم قلّة معرفة، فكان حدّ معرفتهم أنّ أهل الشام لمّا رفعوا المصاحف، بأنّا حكمنا القرآن لم يعرفوا أنّه عليه السّلام مع سوابقه تلك في الإسلام و التقى أحقّ بالخلافة من معاوية مع سوابقه تلك في الكفر و الفجور، ثم كفّره عليه السّلام جمع منهم بمعاهدته في ذلك مع شرطه.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد قال: نذكرها هنا قصّة بيعته عليه السّلام عن كتاب (نقض عثمانية) أبي جعفر الاسكافي قال: لمّا أجمعت الصحابة في مسجد النّبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بعد قتل عثمان للنظر في أمر الإمامه، أشار أبو الهيثم بن التيهان و رفاعه بن رافع و مالك بن العجلان و أبو أيوب الأنصاري و عمّار بن ياسر بعلّى عليه السّلام، و ذكروا فضله و سابقته و جهاده و قرابته، فأجابهم النّاس إليه، فقام كلّ واحد منهم خطيبا يذكر فضل عليّ عليه السّلام، فمنهم من فضّله على أهل عصره خاصّة، و منهم من فضّله على المسلمين كافّة، ثم بويع و صعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة و هو يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة. فحمد الله و أثنى عليه و ذكر محمّدا فصلّى عليه، ثم ذكر نعمة الله على أهل الإسلام، ثم ذكر الدنيا فرهّدهم فيها و ذكر الآخرة فرغّبهم إليها ثم قال:- أمّا بعد فإنّه لمّا قبض رسول الله استخلف النّاس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر فعمل بطريقة ثم جعلها شورى بين ستّة، فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أنكرتم و عرفتم، ثم حصر و قتل، ثم جئتموني فطلبتم إليّ و إنّما أنا رجل منكم لى ما لكم و علىّ ما عليكم، و قد فتح الله الباب بينكم و بين أهل القبلة و أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، و لا يحمل هذا الأمر إلّا أهل الصبر و النصر و العلم

ص: ٥٧١

^{١٦٣٨} (٢) نهج البلاغة ٣: ٨١، الكتاب ٤٥.

^{١٦٣٩} (٣) نهج البلاغة ٣: ٣٤، الكتاب ٢٨.

^{١٦٤٠} (٤) آل عمران: ٦١.

^{١٦٤١} (٥) المائدة: ٥٥.

بمواقع الأمر، وإني حاملكم على منهج نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ومنفذ فيكم ما أمرت به، إن استقمتم لي وباللّ المستعان ألا إن موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته كموضعي منه أيام حياته، فامضوا لِمَا تَمْرُونَ وقفوا عند ما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتى نبينه لكم، فإن لنا عن كل أمر تنكرونه عذرا، ألا وإن الله عالم من فوق سمائه وعرشه أني كنت كارها للولاية على امّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حتى اجتمع رأيكم على ذلك لأنّي سمعته صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أيما والّ وليّ الأمر من بعدى اقيم على حدّ الصراط ونشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلا أنجاه الله بعدله، وإن كان جائرا انتفض به الصراط تترايل مفاصله، ثم يهوى إلى النار فيكون أوّل ما يتقيها به أنفه وحر وجهه، ولكنّي لِمَا اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم - ثم التفت عليه السّلام يمينا وشمالا فقال: - ألا لا يقولن رجل منكم غدا: قد غمّرتهم الدّنيا فاتخذوا العقار وفجّروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عارا وشنارا، إذا ما منعتمهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي كانوا يعلمون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرّما ابن أبي طالب حقوقنا، ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يرى أنّ الفضل له على من سواه لصحبته، فإنّ الفضل النير غدا عند الله وثوابه وأجره على الله، وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتّقين غدا عند الله أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدّنيا للمتّقين أجرا وثوبا وما عند الله خير للأبرار ... ١٦٤٢ .

ص: ٥٧٢

قلت: ورواه ابن عقدة الحافظ، كما نقله محمد بن الحسن الطوسي في أواخر (أماليه) ١٦٤٣ .

هذا، وفي قوله عليه السّلام فيه: وسمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «أيما وال ...» تعريض بهلاك المتقدمين عليه، أمّا كون عثمان جائرا فواضح، كونه معدن كلّ خطيئة، وأمّا عمر فمعلوم أنّه جار في تفضيل العربي على العجمي والصحابي على التابعي.

ففي ذيل هذا الخبر: أنّه عليه السّلام قال لطلحة والزبير: «ما الذي كرهتما من أمرى؟» قالوا: خلافاً عمر في القسم، فقال عليه السّلام لهما: «قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به». وأمّا أبو بكر فواضح جوره في قضية مالك بن نويرة، وتعطيله حدود الله تعالى في حق خالد بن الوليد كما اعترف به عمر «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» ١٦٤٤ و لو لم يكن لشيخهم إلّا تفويض خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكفاهم هلاكه.

٩

١٦٤٢ (١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٦-٣٧.

١٦٤٣ (١) الأمل للطوسي ٢: ٣٣٦-٣٤٢.

١٦٤٤ (٢) ق: ٣٧.

الكتاب (٧٥) و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أول ما بويع له ذكره الواقدي في كتاب (الجميل):

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ؟ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ - إِلَى؟ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ؟ - أَمَا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتَ إِغْدَارِي فِيكُمْ - وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ - حَتَّى كَانَ مَا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ - وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ - وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ - وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ - فَبَايَعَ مَنْ قَبْلَكَ - وَأَقْبَلَ إِلَيَّ فِي وَقْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ

ص: ٥٧٣

قول المصنف:

«و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية» هكذا في (المصرية)^{١٦٤٥} وفيها سقط، و الأصل: (و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية من المدينة) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٦٤٦} و (الخطبة).

«في أول ما بويع له» هكذا في (المصرية)^{١٦٤٧}، و فيها أيضا سقط و الأصل:

(في أول ما بويع به بالخلافة) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)^{١٦٤٨} و (الخطبة) أيضا.

«ذكره» و في نسخة (ابن ميثم)^{١٦٤٩}: (و ذكره).

«الواقدي» محمد بن عمر بن واقد.

«في كتاب (الجميل)» و له كتب كثيرة.

قوله عليه السلام: «أما بعد فقد علمت إغداري فيكم و إعراضي عنكم، حتى كان ما لا بد منه و لا دفع له» قال ابن أبي الحديد: كتابه عليه السلام لمعاوية و لكن مخاطبته لبني أمية جميعا، و المعنى علمت كوني ذا عذر لو لمتكم و ذممتكم في أيام عثمان، و مع ذلك أعرضت عن إساءتكم إلي حتى كان ما لا بد منه من قتل عثمان^{١٦٥٠}.

^{١٦٤٥} (١) نهج البلاغة ٣: ١٤٩.

^{١٦٤٦} (٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨، و لكن ليست في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٢ عبارة «من المدينة».

^{١٦٤٧} (٣) نهج البلاغة ٣: ١٤٩.

^{١٦٤٨} (٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨، و لكن ليست كلمة «بالخلافة» في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٢ عبارة «من المدينة».

^{١٦٤٩} (٥) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٢ «ذكره» أيضا.

^{١٦٥٠} (٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨.

قلت: فى (الطبرى) كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، و يقسمون له لا يمسون عنه أبدا حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله. فلما خاف القتل شاور نصحاءه و أهل بيته، فأشاروا عليه أن يرسل إلى علىّ عليه السلام ليردّهم عنه حتى يأتيه إمداد، فقال لهم عثمان: إنهم لن يقبلوا التعليل

ص: ٥٧٤

و قد كان منى فى قدمتهم الاولى ما كان. فقال مروان: مقاربتهم حتى تقوى أمثل من مكائرتهم على القرب، فطاولهم ما طاولوك، فإنهم بغوا عليك، فلا عهد لهم. فأرسل إلى علىّ عليه السلام و قال له: يا أبا الحسن قد كان من الناس ما رأيت، و كان منى ما قد علمت، و لست آمنهم فارددهم عنى، فإن لهم أن اعطيهم الحق من نفسى و من غيرى. فقال له علىّ عليه السلام: قد كنت أعطيتهم فى قدمتهم الاولى عهدا من الله لترجعنّ عن جميع ما تقموا فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء فلا تغرنى هذه المرّة- إلى أن قال:- فقال له عثمان: أجلنى فى ما بالمدينة ثلاثة أيام. فخرج علىّ عليه السلام إلى الناس فأخبرهم بذلك، فكفّوا عنه و رجعوا، فجعل يتأهب للقتال، و قد كان اتّخذ جندا عظيما من رقيق الخمس، فلما مضت الايام الثلاثة و هو على حاله لم يغيّر شيئا، و لم يعزل عاملا نار به الناس و خرجوا إلى المصريين بذى خشب فأخبروهم فقدموا المدينة- إلى أن قال:- و جاء محمد بن أبى بكر و جماعة حتى انتهى إلى عثمان، و أخذ بلحيته و قال له: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك. فقام رجل من القوم بمشقص حتى وجأه فى رأسه ثم تغادوا عليه حتى قتلوه^{١٦٥١}.

«و الحديث طويل و الكلام كثير» أى: فى قتل عثمان و معاملته مع الناس حتى اضطروا إلى قتله.

«و قد أدبر ما أدبر و أقبل ما أقبل» هكذا فى (المصرية)^{١٦٥٢}، و صدقها ابن أبى الحديد ففسّره بأنه أدبر ذلك الزمان و أقبل زمان آخر^{١٦٥٣}، و نقله (ابن ميثم): (و قد أدبر من أدبر و أقبل من أقبل) و فسّره بأنه يمكن أن يكون المراد خروج طلحة و الزبير، و أن يكون المعنى صار ذا إدبار (من أدبر عنى)

ص: ٥٧٥

و ذا إقبال (من أقبل على)^{١٦٥٤}.

و الظاهر أن صحيحه ما فى (ابن ميثم)^{١٦٥٥} لكون نسخه بخط مصنّفه.

^{١٦٥١} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦٩-٣٧٢، سنة ٣٥، و نقله الشارح بتصرّف و تلخيص.

^{١٦٥٢} (٢) نهج البلاغة ٣: ١٤٩.

^{١٦٥٣} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٦٨.

^{١٦٥٤} (١) شرح ابن ميثم ٥-٢٣٣.

^{١٦٥٥} (٢) شرح ابن ميثم ٥-٢٣٣.

«فبايع من قبلك وأقبل إليّ في وفد من أصحابك» قال ابن أبي الحديد: لكن معاوية لم يبايع ولا قدم، وكيف يبايع و عينه طامحة إلى الملك والرياسة منذ أمره عمر على الشام؟ وكان عالي الهمة تواقا إلى معالي الامور ...^{١٦٥٦}.

قلت: وكان عليه أن يقول وأمره عمر ليستطيع بذلك أن يقوم في قبال أمير المؤمنين عليه السلام إن وصل الأمر إليه يوما، وأن يستأصل أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان يصفه بأنه فتى قريش وابن كريمها الذي لا ينام إلا على الرضا، وأنه يضحك عند الغضب، وأنه يتناول ما فوقه من تحته، وأنه أدهى من كل كسرى وقيصر، يصفه الناس بالدهاء، وقد شكره أبو سفيان في توليته، ولم يكتف بتأميره بل أكمل له الأمر بتدبيره الشورى لعثمان.

ومن المضحك أنه بشوراه جعل طلحة والزبير وسعدا وابن عوف مستعدين للخلاف عليه عليه السلام، بجعلهم نظيره في الشورى، فقام عليه الأولان وتخلف عنه الثالث، ولو كان الرابع حيا لتخلف عنه أيضا، ومع ذلك يقول لهم:

إن اختلفتم في أمر الشورى غلبكم معاوية.

روى معمر بن سليمان عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: سمعت عمر يقول لأهل الشورى: إنكم إن تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم أكلتموها وأولادكم، وإن تحاسدتم وتقاعدتم وتقاطعتم وتدابرتم وتباغضتم غلبكم على هذا الأمر معاوية- وكان معاوية حينئذ أمير الشام^{١٦٥٧}.

ص: ٥٧٦

وكلامه هذا أيضا كان محركا آخر لمعاوية، وكان عمر يعلم أنه كان موافقا أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان لا يرعى غير الله معهم محالا، كما أنه يعلم أن الجماعة الذين جعلهم في مقابله عليه السلام- وحرصهم عليه عليه السلام يكون خلافة النبي صلى الله عليه وآله وسلم طعمة لهم، ولأعقابهم- وإن كان بينهم اختلاف، إلا أنهم متفقون على خلافه عليه السلام، فهل كان فعله وقوله إلا نصبا لمعاوية.

وأما قول ابن أبي الحديد^{١٦٥٨}: وكان معاوية عالي الهمة، تواقا إلى معالي الامور، فالأمر كما ذكر، فمن علو همته حربه، كانت محاربتة كأبيه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى آخر أيامه، وما أسلم ولكن استسلم اضطرارا، وأسر كفره حتى وجد أعوانا مما مهد له صديقهم وفاروقهم وذو نوريهم، فأخذوا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثأر من قتل منهم بيدر واحد.

١٠

الحكمة (١٧) وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه:

^{١٦٥٦} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨-٦٩.

^{١٦٥٧} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٧.

^{١٦٥٨} (١) مضي آنفا.

خَذَلُوا الْحَقَّ وَ لَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ قول المصنف: «و قال عليه السَّلام في الذين اعتزلوا القتال معه» قال ابن أبي الحديد: هم ابن عمر و سعد بن أبي وقاص و سعيد بن زيد و اسامة بن زيد و محمد بن مسلمة و أنس بن مالك و جمع آخر، و قال أبو الحسين من شيوخ المعتزلة في كتاب (غرره): إنه عليه السَّلام لما دعاهم إلى القتال معه، و اعتذروا بما اعتذروا به قال لهم: أ تنكرون هذه البيعة؟ قالوا: لا، لكننا لا نقاتل فقال: «إذا بايعتم فقد قاتلتم» قال: فسلموا من الذم^{١٦٥٩}.

قلت: مع أن أصل بيعتهم غير معلومة و الروايات فيها مختلفة، روايته

ص: ٥٧٧

رواية باطلة فكيف يعقل أن يقول عليه السَّلام لهم: «إذا بايعتم فقد قاتلتم»؟ بدون عذر صحيح و هم الذين ذكر الله تعالى عذرهم في الجهاد في قوله: «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَ لَا عَلَى الْمَرْضَى وَ لَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَ لَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لِيَتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ»^{١٦٦٠}، و اولئك كان لهم معاذير كاذبة فهم مصاديق قوله تعالى: «وَ جَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^{١٦٦١}.

و كيف يصح ما روى؟ و من بايعه عليه السَّلام كان الواجب عليه إطاعته، حتى عند العامة في جميع اموره و أوامره، و كيف سلموا من الذم و قد خذلوا الحق؟

و يكفيهم ذلك خزيا.

و قلنا: إن الروايات في أصل بيعتهم مختلفة، و الأصح روايات العدم لكثرتها و شهرتها، بل ليس بالبيعة إلا خبر واحد قابل للتأويل. فروى الطبرى:

أنهم جاءوا بسعد فقال على عليه السَّلام: بايع، قال: لا ابايع حتى يبايع الناس و الله ما عليك منى بأس، قال: خلوا سبيله، و جاءوا بابن عمر فقال: بايع، قال: لا ابايع حتى يبايع الناس، قال: إننى بحميل. قال: لا أرى حميلا، قال الأشر: خل عنى أضرب عنقه. قال على عليه السَّلام: دعوه أنا حميله إنه ما علمت لسيئ الخلق صغيرا و كبيرا^{١٦٦٢}.

و روى أبو مخنف في (جملة) في خبر: أن المسلمين بايعوا عليا عليه السَّلام إلا محمد بن مسلمة و عبد الله بن عمر و اسامة بن زيد و سعد و كعب بن مالك

^{١٦٥٩} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١١٥.

^{١٦٦٠} (١) التوبة: ٩١ - ٩٢.

^{١٦٦١} (٢) التوبة: ٩٠.

^{١٦٦٢} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٢٨، سنة ٣٥.

ص: ٥٧٨

و حسن بن ثابت و عبد الله بن سلام، فأمر بإحضار ابن عمر فقال له: بايع، فقال: لا ابايع حتى يبايع جميع الناس - إلى أن قال:- فلما انصرف قال عليه السلام: لقد كان صغيرا و هو سيئ الخلق و هو فى كبره أسوأ خلقا، ثم أتى بسعد فقال له:

بايع، فقال له: خلنى فإذا لم يبق غيرى بايعتك، فو الله لا يأتىك من قبلى أمر تكرهه أبدا، فقال: صدق خلوا سبيله.

ثم بعث إلى محمد بن مسلمة فلما أتاه قال له: بايع، قال: إن النبى أمرنى إذا اختلف الناس و صاروا هكذا - و شبك بين أصابعه - أن أضرب بسيفى فأضرب به عرض (أحد) فإذا انقطع أتيت منزلى لا أبرحه. فقال عليه السلام له: فانطلق إذن فكأن كما امرت. ثم بعث إلى اسامة فلما جاء قال له: بايع، فقال: إنى مولاك و لا خلاف منى عليك و ستأتىك بيعتى إذا سكن الناس. فأمره عليه السلام بالانصراف و لم يبعث إلى أحد غيرهم، فقبل له ألا تبعث إلى حسن بن ثابت و كعب بن مالك و عبد الله بن سلام فقال عليه السلام: لا حاجة لنا فى من لا حاجة له فىنا.

و روى أيضا أنه عليه السلام لما تكلم ابن عمر فى البيعة فامتنع عليه، أتاه فى اليوم الثانى فقال له: إنى لك ناصح إن بيعتك لم يرض بها كلهم فلو نظرت لديك و رددت الأمر شورى بين المسلمين. فقال عليه السلام له: ويحك و هل كان ما كان عن طلب منى، ألم يبلغك صنعهم بى، قم عنى يا أحمق ما أنت و هذا الكلام ...

و روى (الإرشاد) عن الشعبي قال: لما اعتزل سعد و من معه و توقفوا عن بيعته عليه السلام قال عليه السلام فى جملة كلام له: «و هذه بيعة عامّة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام، و اتبع غير سبيل أهله - إلى أن قال:-

و قد بلغنى عن سعد و ابن مسلمة و أسامة و عبد الله و حسن امور

ص: ٥٧٩

كرهتها و الحق بينى و بينهم»^{١٦٦٣}.

و روى المسعودى فى (مروجه): أن سدا و اسامة و ابن عمر و محمد بن مسلمة ممن قعد عن علىّ عليه السلام، و أبوا أن يبايعوه هم و غيرهم ممن ذكرنا من القعداء عن بيعته و ذلك أنهم قالوا: إنها فتنة، و منهم من قال لعلىّ عليه السلام: أعطنا سيوفا نقاتل بها معك فإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم و نبت عن أجسامهم، فإذا ضربنا بها الكافرين سرت فى أبدانهم. فأعرض عنهم علىّ عليه السلام و قال: «و لو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم و لو أسمعهم لتوكلوا و هم معرضون»^{١٦٦٤}.

^{١٦٦٣} (١) الإرشاد ١: ٢٤٤-٢٤٣، بحار الأنوار ٣٢: ٣٣.

^{١٦٦٤} (٢) الأنفال: ٢٣، مروج الذهب ٣: ٢٤-٢٥.

و فى (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ عمّار قام إلى علىّ عليه السّلام فقال: ايذن لنا آت ابن عمر لعلّه يخف معنا فى هذا الأمر. فقال عليه السّلام: نعم. فأتاه و قال له: قد بايع عليّا المهاجرون و الأنصار و من إن فضّلناه عليك لم يسخطك، و إن فضّلناك عليه لم يرضك، و قد أنكرت السيف فى أهل الصلاة، و قد علمت أنّ علىّ القاتل القتل و علىّ المحصن الرجم.

فقال له ابن عمر: إنّ أبى جمع أهل الشورى فكان أحقّهم بها علىّ، غير أنّه جاء أمر فيه السيف و لا أعرفه، لكن ما أحبّ أنّ لى الدنيا و ما عليها و أنّى أضمرت عداوة علىّ. فانصرف عنه و أخبر عليّا عليه السّلام بقوله، فقال له: لو أتيت محمّد بن مسلمة. فأتاه فقال له محمّد بن مسلمة: لو لا ما فى يدي من النبىّ لبايعت عليّا، و لكن كان منه أمر ذهب فيه الرأى فقال له عمّار: كيف؟ قال: قال النبىّ إذا رأيت المسلمين يقتتلون - أو إذا رأيت أهل الصلاة - فقال عمار: فإن كان لك (إذا رأيت المسلمين) فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفهما أبدا، و إن كان قال (أهل الصلاة)، فمن سمع هذا معك إنّما أنت أحد الشاهدين،

ص: ٥٨٠

أ فتريد من النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم قولاً بعد يوم حجّة الوداع: «دماؤكم و أموالكم عليكم حرام إلّا بحدث؟» فنقول أنت يا محمّد بن مسلمة لا تقاتل المحدثين. فقال له:

حسبك.

ثم أتى سعدا فكلّمه فأظهر الكلام القبيح. فانصرف إليه عليه السّلام فقال له علىّ عليه السّلام: دع هؤلاء الرهط، أمّا ابن عمر فضعيف، و أمّا سعد فحسود، و أمّا محمّد بن مسلمة فذنبىّ إليه أنّى قتلت أخاه يوم خيبر^{١٦٦٥}.

و فى (أخبار الطوال) للدينورى - بعد ذكر بيعة الناس له -: ثمّ إنّ عليّا عليه السّلام نادى فى الناس بالتأهّب للمسير إلى العراق، فدخل عليه سعد و ابن عمر و محمّد بن مسلمة فقال لهم: قد بلغنى عنكم هنات كرهتها لكم. فقال سعد: قد كان ما بلغك فأعطنى سيفاً يعرف المسلم من الكافر - إلى أن قال -:

فقال الأشتر له عليه السّلام: إنّنا و إن لم نكن من المهاجرين و الأنصار فإنّا من التابعين بإحسان، و إن القوم و إن كانوا أولى بما سبقونا إليه فليسوا بأولى ممّا شركناهم فيه و هذه بيعة عامّة، الخارج منها طاعن مستعتب، فعظ هؤلاء الذين يريدون التخلف عنك باللسان فإن أبوا فأدّبهم بالحبس. فقال علىّ عليه السّلام:

بل أدعهم و رأيهم الذى هم عليه^{١٦٦٦}.

و فى (الاستيعاب): قيل لنافع: ما بال ابن عمر بايع معاوية و لم يبايع عليّا؟ فقال: كان ابن عمر لا يعطى يدا فى فرقه و لا يمنعها من جماعة، و لم يبايع معاوية حتّى اجتمعوا عليه^{١٦٦٧}.

^{١٦٦٥} (١) الإمامة و السياسة ١: ٥٣ - ٥٤.

^{١٦٦٦} (٢) أخبار الطوال: ١٤٠ - ١٤٣، و النقل بتصرّف و تلخيص.

قلت: قبح الله ديننا يستلزم كون عدو النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم أولى بالولاية من

ص: ٥٨١

ولى النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم بل نفسه.

و فى (نقض عثمانية) الإسكافى: لم يميّز ابن عمر بين إمام الرشد و إمام الغيّ، فأنه امتنع من بيعه علىّ عليه السلام، و طرق على الحجاجّ بابه ليلا ليبيع لعبد الملك كيلا يبيت تلك الليلة بلا إمام، زعم لأنّه روى عن النبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «من مات و لا إمام له مات ميتة جاهليّة» و حتّى بلغ من احتقار الحجاجّ له و استزداله حاله أن أخرج رجله من الفراش و قال: اصفق بيدك عليها^{١٦٦٨}.

فهذه روايات تسع دالّة صريحة على عدم بيعتهم. و روى أبو مخنف - كما فى (جمل المفيد) - أنّه عليه السلام لما همّ بالمسير إلى البصرة، بلغه عن سعد و ابن مسلمة و اسامة و ابن عمر تناقلهم عنه، فبعث إليهم فلما حضروا قال لهم:

قد بلغنى عنكم هنات كرهتها لكم، و أنا لا اكرهكم على المسير معى. أستم على بيعتى؟ قالوا: بلى، قال: فما الذى يقعدكم عن صحبتى؟ فقال له سعد: إنى أكره الخروج فى هذه الحرب فاصيب مؤمنا، فإن أعطيتنى سيفا يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك. و قال له اسامة: أنت أعزّ الخلق علىّ و لكنى عاهدت الله ألا اقاتل أهل (لا إله إلا الله) - و ذكر فى قتله رجلا شهد بالوحدانية و ظنّ أنّه قالها تعوذا فى عهد النبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسلم و إنكار النبيّ صَلَّى الله عليه وآله وسلم عليه ذلك - و قال عبد الله بن عمر: لست أعرف فى هذه الحرب بشيء أسألك ألا تحملنى على ما لا أعرف. فقال عليه السلام لهم: ليس كلّ مفتون يعاتب. أستم على بيعتى؟ قالوا: بلى، قال: فانصرفوا فسيغنى الله^{١٦٦٩}.

و لم تقف فى بيعتهم على غير هذا الخبر، مع أنّ أبأ مخنف الذى رواه روى ضده، مع أنّه يمكن حمل قوله: (أستم على بيعتى)، على أنّ المراد عدم

ص: ٥٨٢

الإخلال فى بيعتى، فإنّهم و إن قعدوا عن مشاهدته، إلّا أنّهم لم يخلّوا فى خلافته كطلحة و الزبير و مروان و سعيد بن العاص و الوليد بن عقبه.

و أمّا رواية أبى الحسن المعتزلى فى (غرره) المرفوعة، فهى عين هذا الخبر بدليل أنّ ابن أبى الحديد نقلها عنه فى شرح قوله عليه السلام: (فتداكوا علىّ)، هكذا قال علىّ عليه السلام لهم: ما كلّ مفتون يعاتب، أ عندكم شكّ فى بيعتى؟ قالوا: لا، قال فإذا

^{١٦٦٧} (٣) ابن عبد البر: الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ١: ٢٦٢ فى ترجمة معاوية بن أبى سفيان، دائرة المعارف، حيدر آباد ١٣١٨ للهجرة.

^{١٦٦٨} (١) الإسكافى: نقض العثمانية، ملحق بكتاب العثمانية للجاحظ، ٣٠١ تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربى بمصر، ١٩٥٥ م.

^{١٦٦٩} (٢) الجمل للمفيد: ٩٥ - ٩٦.

بايعتم فقد قاتلتهم^{١٦٧٠}. إلّا أنه لما أراد تنزيه سعد أحد عشرتهم المبشرة، و أحد ستة شورايم و ابن فاروقهم، نقل كلامه عليه السلام عند نفسه بالمعنى فبدل قوله عليه السلام: (انصرفوا فسيغنى الله عنكم) بقوله: (فاذا بايعتم فقد قاتلتهم)، لكنّه كما ترى و هل يصلح العطار ما أفسد الدهر؟! قوله عليه السلام «خذلوا الحقّ و لم ينصروا الباطل» فى (الطبرى): قال عبد خير الخيوانى لأبى موسى: هل كان هذا الرجلان- يعنى طلحة و الزبير- ممن بايع علياً؟ قال: نعم، قال: هل أحدث حدثاً يحل به نقض بيعته؟ قال: لا أدرى، قال: لا دريت فإننا تاركوك حتى تدرى، هل تعلم يا أبا موسى أحداً خارجاً من هذه التى تزعم أنّها فتنة؟ إنّما بقى أربع قرون علىّ عليه السلام بظهر الكوفة، و طلحة و الزبير بالبصرة، و معاوية بالشام و فرقة اخرى بالحجاز، لا يجيبى بها فىء و لا يقاتل بها عدو. فقال له أبو موسى: اولئك خير الناس و هى فتنة، فقال له عبد خير: يا أبا موسى غلب عليك غشك^{١٦٧١}.

١١

الحكمة (٢٤٢) وَ قِيلَ إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ حَوْطٍ؟ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ- أ تَرَانِي أَظُنُّ؟ أَصْحَابَ الْجَمَلِ؟

كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ

ص: ٥٨٣

فَقَالَ ع يَا؟ حَارِثُ؟ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتِكَ وَ لَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحَرَّتْ- إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مِنْ أَتَاهُ- وَ لَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مِنْ أَتَاهُ- فَقَالَ؟ الْحَارِثُ؟- فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَهُ؟ سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ؟ وَ؟ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ؟- فَقَالَ ع إِنَّ؟ سَعْدًا؟ وَ؟ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ؟ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ- وَ لَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ أَقُولُ: رَوَاهُ الْجَاهِظُ فِي (بَيَانِهِ الْجَاهِظُ- الْبَيَانُ وَ التَّبْيِينُ-) وَ الْيَعْقُوبِيُّ فِي (تَارِيخِهِ الْيَعْقُوبِيُّ- تَارِيخُ الْيَعْقُوبِيِّ- ج ٢ ص ٢١٠) فِي الْأَوَّلِ:

نهض الحرث بن حوط الليثى إلى علىّ عليه السلام و هو على المنبر فقال: أ تظن أنا نظن أن طلحة و الزبير كانا على ضلال؟ قال: يا حار إنه ملبوس عليك، إن الحق لا يعرف بالرجال، فاعرف الحق تعرف أهله^{١٦٧٢}- و مثله الثانى و زاد:- و اعرف الباطل تعرف من أتاه^{١٦٧٣}. و رواه إبراهيم الثقفى كما يأتى كاملاً مع اختلاف.

قول المصنف:

^{١٦٧٠} (١) شرح ابن أبى الحديد ٤: ١٠.

^{١٦٧١} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٤٨٥-٤٨٦، سنة ٣٦.

^{١٦٧٢} (١) البيان و التبيين.

^{١٦٧٣} (٢) تاريخ يعقوبى ٢: ٢١٠.

«و قيل ان الحارث بن حوت» هكذا فى (المصريّة) ١٦٧٤، و الصواب: (حوط) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) ١٦٧٥ و (الخطيئة) و كما عرفت من (مستنده). ثم ان ابن أبى الحديد قال: (حوط) بالحاء المهملة و يقال: ان الموجود فى خط الرضى بالمعجمة ١٦٧٤.

قلت: لم يعلم كون خط الرضى بالمعجمة و إلا لذكره ابن ميثم، لكون نسخته بخط مصنفه.

و كيف كان فقال (الجمهرة) فى المهملة: إنهم سمّوا به و لم يذكر فى

ص: ٥٨٤

المعجمة ١٦٧٧، كما أن (القاموس) ذكر فى المهملة جمعا مسمين به ١٦٧٨ - و إن لم يذكر هذا - و لم يذكر فى المعجمة.

«أتاه فقال أترانى أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة» نظير الحارث بن حوط الليثى هذا اريد الفزارى، ففى (صفيين نصر) و غيره، لما خطب علىّ عليه السّلام النّاس و أمرهم بالمسير الى صفيين و قال لهم: سيروا إلى أعداء السنن و القرآن، سيروا إلى بقيّة الأحزاب و قتلة المهاجرين و الأنصار، قام رجل من بنى فزارة يقال له أريد فقال له: أ تريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم؟ كلا و الله إذن لا نفعل ذلك. فقام الأشر فقال: من لهذا؟ و هرب الفزارى و اشتدّ النّاس على أثره فلحقوه فى مكان من السوق تباع فيه البراذين فوطئوه بأرجلهم و ضربوه بأيديهم و نعال سيوفهم حتّى قتل، فقال عليه السّلام: قتيل عميه ديتيه من بيت المال ١٦٧٩.

فقال عليه السّلام «يا حارث» هكذا فى (المصريّة) ١٦٨٠، و الصواب (يا حار) بالترخيم كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) ١٦٨١ و (الخطيئة) و كما فى (مستنده).

«إنك نظرت تحتك و لم تنظر فوقك فحرت» أى: صرت حيرانا من (حار يحار).

«إنك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه» هكذا فى (المصريّة) ١٦٨٢، و الصواب:

١٦٧٢ (٣) نهج البلاغة ٣: ٢١٦.

١٦٧٥ (٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١٤٧ و لكن فى شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «حوت» أيضا.

١٦٧٦ (٥) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١٤٨.

١٦٧٧ (١) جمهرة اللغة ١: ٥٥٢ - حوط.

١٦٧٨ (٢) القاموس المحيط ٢: ٣٥٦، مادة: (حوط).

١٦٧٩ (٣) وقعة صفيين: ٩٤ - ٩٥، شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٧٩.

١٦٨٠ (٤) نهج البلاغة ٣: ٢١٦.

١٦٨١ (٥) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١٤٧ و لكن فى شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «يا حارث» أيضا.

١٦٨٢ (٦) نهج البلاغة ٣: ٢١٦.

ص: ٥٨٥

(فتعرف أهله) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم^{١٦٨٣} و الخطيب و مستنده).

«و لم تعرف الباطل فتعرف من أتاه» هكذا في (المصرية و ابن أبي الحديد)^{١٦٨٤}، و لكن في (ابن ميثم)^{١٦٨٥} أيضا: (فتعرف أهله)، و نسبت ما في المتن إلى نسخة.

و كيف كان فهو كلام في غاية النفاسة نظير قوله عليه السلام: «لا تنظروا إلى من قال و انظروا إلى ما قال»^{١٦٨٦}، فإن الناس الذين ليس لهم معرفة كاملة يجعلون الرجال ميزان الحق و الباطل، و الواجب العكس، فقال تعالى لنبيه صلى الله عليه و آله و سلم: «لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ»^{١٦٨٧} و قد قال تعالى فيه صلى الله عليه و آله و سلم:

«وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ»^{١٦٨٨}.

فالحارث رأى أن عايشة يقال لها أم المؤمنين أخذا من قوله تعالى في حرمة نكاح أزواج نبيه «وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ»^{١٦٨٩} إلا أنه لم يلاحظ قوله تعالى: «بَا نِسَاءِ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا»^{١٦٩٠} «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى»^{١٦٩١}.

كما أنه رأى أن طلحة و الزبير من المهاجرين، و من ستّة الشورى، و لم

ص: ٥٨٦

يلاحظ أنّهما نكنا و أفسدا في الأرض و قتلا آلافا من المسلمين بغير حق، و قد قال تعالى: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ»^{١٦٩٢} و «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»^{١٦٩٣} «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ»^{١٦٩٤}.

^{١٦٨٣} (١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤٧ و لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «من أتاه» أيضا.

^{١٦٨٤} (٢) نهج البلاغة ٣: ٢١٦، شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤٧.

^{١٦٨٥} (٣) في شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «من أتاه» أيضا.

^{١٦٨٦} (٤) غرر الحكم و درر الكلم بشرح الخوانساري ٦: ٢٦٦ ح ١٠١٨٩.

^{١٦٨٧} (٥) الزمر: ٦٥.

^{١٦٨٨} (٦) الحاقّة: ٤٤ - ٤٦.

^{١٦٨٩} (٧) الأحزاب: ٦.

^{١٦٩٠} (٨) الأحزاب: ٣٠.

^{١٦٩١} (٩) الأحزاب: ٣٣.

^{١٦٩٢} (١٠) الفتح: ١٠.

و الحارث و نظرائه- فى نظرهم إلى جانب دون جانب- مصاديق قول الشاعر:

حفظت شيئا و غابت عنك أشياء

. قول المصنف «فقال الحارث فإني اعتزل مع سعيد» هكذا فى (المصرية)^{١٦٩٥} و الصواب: (سعد)، فإن المراد سعد بن أبى وقاص المعروف.

«بن مالك و عبد الله بن عمر فقال عليه السلام إن سعيدا» الكلام فيه كالأول.

«و عبد الله بن عمر» هكذا فى (المصرية)^{١٦٩٦}، و (بن عمر) زائدة لعدم وجوده فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٦٩٧}، و لعدم الاحتياج إليه بعد ذكره فى كلام الخصم كما فى (سعد).

«لم ينصرا الحق» و هو هو عليه السلام، ففى متواتر الخبر و ظاهر العيان و الأثر كونه عليه السلام مع الحق و كون الحق معه عليه السلام^{١٦٩٨} من أوله إلى آخره «و سلامٌ عليه»

ص: ٥٨٧

«يَوْمٌ وُلِدَ وَ يَوْمٌ يَمُوتُ وَ يَوْمٌ يُبْعَثُ حَيًّا»^{١٦٩٩}.

«و لم يخذلا الباطل» و هو أعداؤه عليه السلام من الناكثين و الفاسطين و المارقين، فإنهما و إن لم يعاوناهم لم يعادياهم فلم يحصلتا منهما خذلان كامل.

إلا ان الثقفى رواه- كما فى (أمالى الشيخ)- بلفظ آخر فروى عن أبى الوليد الضبى، عن أبى بكر الهذلى قال: دخل الحرث بن حوط الليثى على أمير المؤمنين عليه السلام و قال له عليه السلام: ما أرى طلحة و الزبير و عائشة أضحوا إلا على حق فقال

^{١٦٩٣} (٢) البقرة: ٢٧.

^{١٦٩٤} (٣) ص: ٢٨.

^{١٦٩٥} (٤) نهج البلاغة ٣: ٢١٦.

^{١٦٩٦} (٥) المصدر نفسه.

^{١٦٩٧} (٦) فى شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١٤٧ و شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «ابن عمر» أيضا.

^{١٦٩٨} (٧) هذا من الأحاديث المتواترة من طرق الخاصة و العامة. جملة من رواه من أعلام العامة فى كتاب الغدير ٣: ١٧٦- ١٨٠، و كتاب التاج الجامع للاصول كتاب الفضائل فى فضل على بن أبى طالب، و إحقاق الحق ١: ٥٨ و ٧: ٤٧٠، و كذا فى بحار الأنوار باب أنه من الحق و الحق معه ٣٨: ٢٦.

^{١٦٩٩} (١) مريم: ١٥.

عليه السّلام: «يا حارث إنك إن نظرت تحتك و لم تنظر فوقك جزت عن الحقّ. إنّ الحقّ و الباطل لا يعرفان بالناس، و لكن اعرف الحقّ باتباع من أتبعه و الباطل باجتنب من اجتنبه» قال: فهلا أكون كعبد الله بن عمر و سعد بن مالك؟

فقال عليه السّلام: إنّ عبد الله و سعدا خذلا الحق و لم ينصرا الباطل متى كانا إمامين فى الخير فيتبعان^{١٧٠٠}؟

هذا و أما سعد فقد مر عنه عليه السّلام فيه أنّه لم يبايعه لكونه حسودا، و روى سليم بن قيس فى كتابه: أنّ سعدا إمام المذبذبين^{١٧٠١}.

و فى (مروج المسعودى): لما حجّ معاوية طاف بالبيت و معه سعد، فلما فرغ انصرف إلى دار الندوة و أجلس سعدا معه على السرير، ثم وقع فى سبّ علىّ عليه السّلام فزحف سعد و قال لمعاوية: أجلستنى معك ثم شرعت فى سبّ علىّ، و الله لئن يكون فىّ خصلة واحدة من خصال كانت لعلّى عليه السّلام أحبّ إلىّ من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس، و الله لأن يكون النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لى ما قال له يوم خيبر: «لأعطين الراية غدا رجلا يحبّه الله و رسوله و يحبّ الله و رسوله ليس بفرار يفتح الله على يديه» أحبّ إلىّ من أن يكون لى ما طلعت عليه

ص: ٥٨٨

الشمس. و الله لأن يكون النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال لى ما قال له فى غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبى بعدى» أحبّ إلىّ من أن يكون لى ما طلعت عليه الشمس، و ايم الله لا دخلت لك دارا ما بقيت.

و نهض.

و وجدت فى كتاب على بن محمّد بن سليمان النوفلى، فى الأخبار عن ابن عايشة و غيره: أنّ سعدا لما قال هذه المقالة لمعاوية و نهض ليقوم شرط له معاوية و قال له: اقعد حتّى تسمع جواب ما قلت، فما كنت عندى قط ألام منك الآن، فهلا نصرت عليّا؟ و لم قعدت عن بيعته؟ فإنّى لو سمعت من النبىّ فيه مثل الذى سمعت فيه لكنت خادما لعلّى ما عشت.

فقال سعد: و الله إنى لأحق بموضعك منك.

فقال معاوية: يابى عليك بنو عذرة- و كان سعد فيما يقال لرجل من بنى عذرة.

و فى ذلك يقول السيّد الحميرى:

^{١٧٠٠} (٢) الأمالى للشيخ الطوسى ١: ١٣٣-١٣٤، بحار الأنوار ٢٢: ١٠٥.

^{١٧٠١} (٣) كتاب سليم بن قيس الهلالي العامرى، ١٥٢، طبع التجف الأشرف.

سائل قريشا بها إن كنت ذا عمه
 إن يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن
 إن أنت لم تلق تيمياً أبا صلف
 أو من بنى عامر أو من بنى أسد
 و رهط سعد و سعد كان قد علموا
 قوم تداعوا زنيما ثم سادهم

من كان أثبتها في الدين أوتادا
 إن أنت لم تلق للأبرار حسادا
 و من عدى لحق الله جحادا
 رهط العبيد ذوى جهد و أوغادا
 عن مستقيم صراط الله صدادا
 لولا خمول بنى زهر لَمَا سادا^{١٧٠٢}

و أما ابن عمر ففى (الطبرى): أن عمر لما تمنى حين وفاته حياةً أبى عبيدة و سالم مولى أبى حذيفة حتى يستخلفهما، قيل له: فابنك؟ قال: كيف

ص: ٥٨٩

استخلف رجلا عجز عن طلاق امرأته^{١٧٠٢}؟

و فى (مسترشد الطبرى) الإمامى مخاطبا للعامّة: و من فقهاؤكم و رواة أخباركم ابن عمر الذى قعد عن بيعه علىّ عليه السّلام ثم مضى إلى الحجّاج فطرّقه ليلا فقال: هات يدك لا بايعك لأمير المؤمنين عبد الملك فإنى سمعت النبىّ يقول:

«من مات و ليس عليه إمام فميتته جاهليّة» حتى أنكرها عليه الحجّاج مع كفره و عتوه^{١٧٠٤}.

و مرّ عن الإسكافى: أنّه بلغ من احتقار الحجّاج له أن أخرج رجله من الفراش، و قال اصفق بيدك عليها.

١٢

الحكمة (١٤) و قال عليه السّلام:

^{١٧٠٢} (١) مروج الذهب ٣: ٢٣ - ٢٤، و النقل بتصرّف و تلخيص.

^{١٧٠٣} (١) تاريخ الطبرى ٤: ٢٢٧ - ٢٢٨، سنة ٢٣.

^{١٧٠٤} (٢) ابن رستم الطبرى: المسترشد: ١٦ ط الحيدرية، النجف.

مَا كُلُّ مُفْتُونٍ يُعَاتَبُ أَقُولُ: قد عرفت في العنوان التاسع من رواية أبي مخنف التي نقلها (جمل الشيخ المفيد - الجمل - المفيد):
أنه عليه السلام قال - لسعد و ابن عمر و اسامة و محمد بن مسلمة لما اعتذروا عن تخلفهم عنه: «ما كل مفتون يعاتب أستم
على بيعتي؟» قالوا:

بلى. قال: «فانصرفوا فسيغنى الله عنكم». و قلنا ثمة أن تبديل أبي الحسين المعتزلي ذيل الخبر: (فانصرفوا فسيغنى الله عنكم)
بقوله: (فاذا بايعتم فقد قاتلتهم)، من تصرفاته في الخبر دفعا للطعن عن سعد و ابن عمر، مع أنك قد عرفت أن عدم بيعتهم
متواترة، و أن الخبر شاذ و لو لم نطرحه لا بد من تأويله بكون المراد بكونهم على بيعته عليه السلام عدم إخلالهم بخلافته عليه
السلام.

ثم إن المراد بقوله عليه السلام: (ما كل مفتون يعاتب)، أن المفتون إنما يعاتب

ص: ٥٩٠

إذا كانت الفتنة عن التباس الأمر عليه، فيعاتب و يقال له: ويحك الأمر حقيقته كذا و كذا، و إما إذا كانت عن تلبيس على نفسه
لمرض في قلبه، فلا يعاتب لأن العتاب لا يفيد و مثلهم المغيرة فيأتي أنه عليه السلام قال: «المغيرة عمدا لبس على نفسه
ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته».

و مر أنه عليه السلام قال لعمار - لما ذهب إلى ابن عمر و ابن مسلمة و سعد و حاجهم و أفحمهم و انصرف إليه عليه السلام:-
دع هؤلاء الرهط، أما ابن عمر ضعيف، و أما سعد فحسود، و ذنبي إلى محمد بن مسلمة أتى قتلت أخاه يوم خيبر.

و مر في الحادي عشر: أن سعدا لما ذكر لمعاوية أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال فيه عليه السلام يوم خيبر: «لأعطين
الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله». و يوم تبوك: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي
بعدي» قال له معاوية: ما كنت قط عندى الأم منك الآن لعدم بيعتك معه مع ذلك.

و في (خلفاء ابن قتيبة): أن معاوية لما كتب إلى سعد: (قد نصر عثمان طلحة و الزبير و هما شريكا في الأمر و الشورى) كتب
إليه سعد: أن أهل الشورى ليس منهم أحد أحق بها من صاحبه، غير أن عليا كان له من السابقة ما لم يكن فينا، و شاركنا في
محاسننا و لم نشاركه في محاسنه، و كان أحقنا كلنا بالخلافة، و لكن مقادير الله التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه و قدره، و قد
علمنا أنه أحق بها منا و لكن لم يكن بد من الكلام في ذلك و التساجر ... ١٧٠٥.

هكذا يقول سعد في حقه و لا يبايعه، فأى عتاب يفيد.

ص: ٥٩١

و أمّا قوله: (و لكن مقادير الله التي صرفتها عنه) فيقال له: كل شيء يقع في الدنيا بمقادير الله، و لكن الذي صرفتها عنه عليه السلام تدابير المنافقين لا مقادير الله.

١٣

الحكمة (٤٠٥) وَ قَالَ ع؟ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ؟ - وَ قَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ؟ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ؟

كَلَامًا - دَعَاهُ يَا؟ عَمَّارُ؟ - فَإِنَّهُ لَنْ يَأْخُذَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا - وَ عَلَى عَمَدٍ لَبَسَ عَلَى نَفْسِهِ - لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ غَاذِرًا لِسَقَطَاتِهِ وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَ قَدْ سَمِعَهُ يَرِاجِعُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَلَامًا:

أقول: رواه (أمالى الشيخ المفيد - الأمالى - ص ٢١٧ المفيد) و (خلفاء ابن قتيبة - الإمامة و السياسة - ج ١ ص ٥٠ ابن قتيبة)، فى الأول: مسندا عن مالك بن أنس عن عمه أبى سهل عن أبيه قال: إنى لواقف مع المغيرة عند نهوض على عليه السلام من المدينة إلى البصرة إذ أقبل عمّار فقال له: هل لك فى الله عزّ و جلّ يا مغيرة، فقال: و أين هو لى يا عمّار؟ قال: تدخل فى هذه الدعوة فتلحق بمن سبقك و تسود من خلفك.

فقال له المغيرة: أو خير من ذلك؟ قال عمّار: و ما هو؟ قال: ندخل بيوتنا و نغلق علينا أبوابنا حتى يضىء لنا الأمر، فنخرج و نحن مبصرون، و لا تكون كقاطع السلسلة أراد الضحك فوقع فى الغنم. فقال له عمّار: هيهات هيهات أجهل بعد علم و أعمى بعد علم و أعمى بعد استبصار و اسمع لقولى، فو الله لن ترانى إلّا فى الرعيل الأول، فطلع عليهما أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أبا اليقظان ما يقول لك الأعور، فإنه و الله دائما يلبس الحقّ بالباطل و يموه فيه، و لن يتعلّق من الدين إلّا بما يوافق الدنيا، ويحك يا مغيرة إنّه دعوة تسوق من يدخل فيها إلى الجنة.

ص: ٥٩٢

فقال له المغيرة: صدقت يا أمير المؤمنين إن لم أكن معك فلن أكون عليك^{١٧٠٦}.

و فى الثانى: دخل المغيرة على على عليه السلام فقال عليه السلام له: هل لك يا مغيرة فى الله؟ قال: فأين هو يا أمير المؤمنين؟ قال تأخذ سيفك فتدخل معنا فى هذا الأمر فتدرك من سبقك و تسبق من معك، فأنى أرى امورا لا بد للسيف أن تشحذ لها و تقطف الرءوس بها. فقال المغيرة: إنى و الله ما رأيت عثمان مصيبا و لا قتله صوابا، و إنّها لمظلمة تتلوها ظلمات، فاريد إن أذنت لى أن أضع و أنا فى بيتى، حتى تنجلي الظلمة و يطلع قمرها فنسرى مبصرين تقفو آثار المهتدين و نتقى سبيل الجائرين.

فقال عليه السلام له: لقد أذنت لك فكمن من أمرك على ما بدا لك.

فقام عمّار فقال له: معاذ الله يا مغيرة تقعد أعمى بعد أن كنت بصيرا، يغلبك من غلبته و يسبقك من سبقته، انظر ما ترى و ما تفعل، فأما أنا فلا أكون إلّا في الرعيّل الأوّل.

فقال له المغيرة: يا أبا اليقظان إيّاك أن تكون كقاطع السلسلة فرّ من الضحاء فوق في الرمضاء.

فقال علىّ عليه السّلام لعمّار: دعه فإنّه لم يأخذ من الآخرة إلّا ما خالطته الدّنيا، أما و الله يا مغيرة إنّها المثوبة تؤدى من قام فيها إلى الجنّة و لمّا اختار بعدها، فإذا غششتنا فتم في بيتك.

فقال المغيرة: أنت و الله يا أمير المؤمنين أعلم منّي و لئن لا اقاتل معك لا اعين عليك، فإن يكن ما فعلت صوابا فيّأه أردت، و إن خطأ فمنه نجوت، و لى ذنوب كثيرة لا قبل لى بها إلّا الاستغفار منها^{١٧٠٧}.

ص: ٥٩٣

قول المصنف: «و قال عليه السّلام لعمار بن ياسر و قد سمعه يراجع المغيرة بن شعبه كلاما» قد عرفت من الروايتين أن مراجعة عمّار للمغيرة كلاما إنّما كانت فى دعوة عمّار للمغيرة إلى بيعة أمير المؤمنين عليه السّلام و مساعدته على أعدائه، و إنّ المغيرة ما قبل ذلك، و قال لعمّار: مثلك فى نصرتك له كمن فر من الضحاء فوق فى الرمضاء، بمعنى أنك فررت من ضغطة أيام عثمان فتقع بمساعدته عليه السّلام فى ضغطات معاوية التى هى أكثر.

قوله عليه السّلام: «دعه يا عمّار فإنّه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربه من الدّنيا» هكذا فى (المصرية)^{١٧٠٨} و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٧٠٩}: (إلّا ما قاربه الدّنيا) و حينئذ فالمراد لم يأخذ من الدّين إلّا ما قاربه الدّنيا إليه، و أما دين لم تقاربه الدّنيا إليه، فلا يكثر المغيرة به. و يمكن أن يكون (قاربه) فى (الخطبة): «قاربه الدنيا».

و صدق عليه السّلام حتى أن أصل إسلام المغيرة إنّما كان كذلك.

ففى (الآغانى)- و نقله ابن أبى الحديد أيضا-: أن المغيرة كان يحدث حديث إسلامه قال: خرجت مع قوم من بنى مالك- و نحن على دين الجاهلية- إلى المقوقس ملك مصر فدخلنا إلى الاسكندرية و أهدينا للملك هدايا كانت معنا- و كنت أهون أصحابى على الملك- فقبض هدايا القوم و أمر لهم بجوائز، و فضّل بعضهم على بعض و قصر بى فأعطانى شيئا قليلا لا ذكر له. و خرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم و هم مسرورون، و لم يعرض علىّ أحد منهم مواساة، فلمّا خرجوا حملوا معهم خمرا فكانوا يشربون منها فأشرب معهم، و نفسى تأبى أن تدعنى معهم و قلت: ينصرفون إلى الطائف و يخبرون قومى بازدراء الملك إيّاي، فأجمعت على قتلهم، فقلت إنى أجد صداعا

^{١٧٠٧} (٢) الإمامة و السياسة ١: ٥٠.

^{١٧٠٨} (١) نهج البلاغة ٣: ٢٥٠.

^{١٧٠٩} (٢) فى شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ٨ و شرح ابن ميثم ٥: ٤٤٠ «إلّا ما قاربه من الدنيا» أيضا.

فوضعوا شرابهم و دعوني، فقلت: رأسى يصدع و لكن اجلسوا فأسقيكم فلم ينكروا من أمرى شيئاً، فجلست أسقيهم فلما دبت فيهم اشتبهوا الشرب فجعلت أصرف لهم الكأس و انتزع الكأس فأهدتهم الخمر حتى ناموا ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً و أخذت جميع ما كان معهم و قدمت بالمدينة فوجدت النبيّ في المسجد و عنده أبو بكر و كان عارفاً بى، فلما رأنى قال: ابن أخى عروة، قلت: نعم، قد جئت أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسوله، فقال أبو بكر: أمن مصر أقبلت؟ قلت: نعم، قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بينى و بينهم بعض ما يكون بين العرب و نحن على دين الشرك فقتلتهم و أخذت أسلابهم، و جئت بها إلى النبيّ ليخمسها فإنها غنيمة من المشركين، فقال النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم: أمّا إسلامك فقبلته و لا تأخذ من أموالهم شيئاً و لا نخمسها، لأنّ هذا غدر و الغدر لا خير فيه، فأخذنى ما قرب و ما بعد، فقلت: أنما قتلتهم و أنا على دين قومى ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة، فقال: الإسلام يجب ما قبله - و كان قتل منهم ثلاثة عشر رجلاً و احتوى على ما معهم - فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف فنداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن حمل عمه عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية^{١٧١٠}.

و قال ابن أبى الحديد: و لما جاء عروة بن مسعود إلى النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم عام الحديبية، نظر إلى المغيرة قائماً على رأس النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم متقلداً سيفاً، فقال: من هذا؟ فقيل له: ابن أخيك المغيرة. قال: و أنت ها هنا يا غدر، و الله إننى إلى الآن ما غسلت سواتك^{١٧١١}.

و قال أيضاً: قال أصحابنا البغداديون: من كان إسلامه على هذا الوجه، و كانت خاتمته ما قد تواتر به الخبر من سبه على المنابر - إلى أن مات -

علياً عليه السلام، و كان المتوسط من عمره الفسق و إعطاءه البطن و الفرج سؤلها و ممالأة الفاسقين، كيف نتولاه و لا نكشف فسقه و أى عذر لنا فى الإمساك عنه^{١٧١٢}.

قلت: لم ينحصر كشف فسقه بل نفاقه بمعتزلة بغداده، بل كشف ذلك قبلهم عبد الرحمن بن عوف أحد عشرتهم و ستهم و عثمان بن عفان أحد عشرتهم و ستهم و إمامهم الثالث و ذو نوريهم.

أمّا الأوّل ففي الجوهرى فى (سقيفته) و عوانة فى (شوراه): أنه لما بايع ابن عوف عثمان قال المغيرة لعثمان: أما و الله لو بويع غيرك لما بايعناه. فقال له ابن عوف: كذبت و الله لو بويع غيره لبايعته، و ما أنت و ذاك يا بن الدباغة؟ لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقرّباً إليه و طمعا فى الدنيا^{١٧١٣}.

^{١٧١٠} (١) الأغاني ١٦: ٨٠-٨٢، شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ٩-١٠، و النقل بتصوّف و تلخيص.

^{١٧١١} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ٨.

^{١٧١٢} (١) المصدر نفسه ٢٠: ١٠.

و أمّا الثاني ففي (الطبرى): أنّ النَّاسَ لَمَّا استسَفروا عليّاً عليه السَّلامَ بينهم وبين عثمان، دخل على عثمان و قال له: ممّا أنكر النَّاسَ عليك توليتك الفسقةَ كابن عامر و الوليد بن عقبة. فقال له عثمان: انشدك الله يا علىّ هل تعلم أنّ المغيرةَ بن شعبةَ ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنّ عمر و لاه؟ قال: نعم، قال: فلم تلومنى إن وليت ابن عامر فى رحمته ...^{١٧١٤}.

و ان كان فاروقهم أنكر نفاقه حيث جعله من المهاجرين لَمَّا دافع عنه فى زناه، و مانع الشاهد الرابع من أداء شهادته حتى لا يبرجم.

ففى (الأغانى) لأبى الفرج - بعد ذكر أداء أبى بكره و نافع و شبل بن معيد شهادتهم فى رؤيتهم زنا المغيرةَ، كالميل فى المكحلة - : فأمر عمر أن ينحوا و لا يجالسهم أحد من أهل المدينة، و انتظر قدوم زياد فلَمَّا رآه مقبلاً قال: إنى

ص: ٥٩٦

لأرى رجلاً لن يخزى الله على لسانه رجلاً من المهاجرين^{١٧١٥}.

و فى حديث ابن شبه عن السرى، عن عبد الكريم بن رشيد عن أبى عثمان قال: لَمَّا جاء الثالث فشهد بزنا المغيرةَ، كان عمر كأنما نثر الرماد على وجهه، فلَمَّا جاء زياد جاء شاب يخطر ببديه، فرفع عمر رأسه إليه و قال له: ما عندك أنت يا سلح العقاب - و صاح أبو عثمان صيحةً تحكى صيحةَ عمر - قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى علىّ لصيحتة - فقال زياد لعمر: أما أن أحقّ ما حقّ القوم فليس عندى، و لكنى رأيت مجلساً قبيحاً و سمعت نفساً حثيثاً و ابتهاراً، و رأيت متبطنها، فقال عمر أ رأيت يداخل و يخرج كالميل فى المكحلة؟

قال: لا^{١٧١٦}.

و فى كثير من الروايات: قال زياد: رأيت رافعا برجليها و رأيت خصييه مترددين بين فخذيها و سمعت خفراً شديداً و نفساً عالياً، فقال عمر: أ رأيت يداخله و يخرج كالميل فى المكحلة؟ قال: لا. فقال عمر: الله أكبر قم يا مغيرةَ إليهم فاضربهم. فاضربهم - فقال أبو بكره بعد أن ضرب: أشهد أنّ المغيرةَ فعل كذا و كذا، فهمّ عمر بضربه. فقال له علىّ عليه السَّلام: إن ضربته رجمت صاحبك.

و حجّ عمر بعد ذلك مرّةً فوافق الرقطاء التى رمى بها المغيرةَ بالموسم فرآه - و كان المغيرةَ يومئذ بالموسم - فقال عمر للمغيرةَ: أ تعرف هذه؟ قال:

^{١٧١٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٥٣.

^{١٧١٤} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤.

^{١٧١٥} (١) الأغانى ١٦: ٩٥-٩٧، و النقل بتلخيص.

^{١٧١٦} (٢) المصدر نفسه ١٦: ٩٧-٩٨.

نعم، هذه ام كلثوم بنت عليّ، فقال له: ويحك أ تتجاهل عليّ؟ و الله ما أظن أبا بكره كذب عليك، و ما رأيتهك إلّا خفت أن ارمى بحجارة من السماء- و كان عليّ بعد ذلك يقول: إن ظفرت بالمغيرة لأتبعته أحجاره^{١٧١٧}.

و فى (نقض الاسكافى): كان المغيرة يسبّ عليّا عليه السّلام على منبر الكوفة

ص: ٥٩٧

لأنّه بلغه أيّام عمر أن عليّا قال: لئن رأيت المغيرة لأرجمنه بأحجاره^{١٧١٨}.

و فى (مفاخرات الزبير بن بكار): اجتمع عمرو بن العاص و الوليد بن عقبه و عتبة بن أبى سفيان و المغيرة بن شعبة عند معاوية- و قد كان بلغهم عن الحسن بن عليّ عليه السّلام قوارص- فقالوا لمعاوية: إنّ الحسن قد أحيا أباه ابعت إليه فليحضر لنسبه و نسب أباه و نوبّخه و نخبّه أن أباه قتل عثمان- إلى أن قال:- فتكلّم المغيرة فشتّم عليّا عليه السّلام و قال: و الله ما أعيبه فى قضية يخون و لا فى حكم يميل و لكنّه قتل عثمان- فقال له الحسن عليه السّلام: و أما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع فى مثل هذا، و إنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكى فإنّي طائرة عنك، فقالت النخلة و هل علمت بك واقفة علىّ فأعلم بك طائرة عنى؟ و الله ما نشعر بعداوتك إيّانا و لا اغتمنا إذ علمنا بها و لا يشقّ علينا كلامك، و إنّ حدّ الله فى الزنا لثابت عليك، و لقد درأ عمر عنك حقّا الله سائله عنه، و لقد سألت النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها؟ فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا، لعلمه بأنك زان ...^{١٧١٩}.

و لم يكتف عمر بمنع زياد عن شهادته حتى لا يرجم، بل رفع درجته، فإنّه و إن عزله عن البصرة لكون زناه فيها، إلّا أنّه و لاه الكوفة التى كانت أهم، حتى صار مثلا بين الناس (غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة عزله عن البصرة و و لاه الكوفة).

إلّا أن عمر كان معذورا فى ذلك، فعل ذلك به شكرا له لحمله له و لصاحبه على طلب الخلافة و مساعدته لهما فى ذلك.

فروى الجوهري فى (سقيفته): أنّ المغيرة مرّ بأبى بكر و عمر و هما جالسان على باب النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم حين قبض فقال لهما: ما يقعدكما؟ قالوا: ننتظر هذا

ص: ٥٩٨

^{١٧١٧} (٣) المصدر نفسه.

^{١٧١٨} (١) أورده ابن أبى الحديد فى نهج البلاغة ٢: ٦٩.

^{١٧١٩} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٦: ٢٨٥-٢٩٤، و النقل بتصرّف و تلخيص.

الرجل يخرج فنبايعه- يعنجان عليًا عليه السّلام- فقال لهما المغيرة: أ تريدون أن تنظروا خيل الحلبه من أهل هذا البيت و سعوها في قريش تتسع، فقاما إلى سقيفة بني ساعدة^{١٧٢٠}.

و لكن في أخبارنا أن إبليس تمثل بصورة المغيرة يوم السقيفة و قال:

أيها الناس لا تجعلوها كسرانية و لا قيصرانية و سعوها تتسع و لا تردوها في بني هاشم^{١٧٢١}.

و في (خلفاء ابن قتيبة)- بعد ذكر امتناع أمير المؤمنين عليه السّلام عن بيعة أبي بكر و لحوقه بقبر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و خطابه للنبي: يا «ابن أمّ إنَّ القومَ استضعفوني وَ كادُوا يُقتلونني»^{١٧٢٢}، و قول فاطمة عليها السّلام لأبي بكر: «و الله لا دعون الله عليك في كلّ صلاة أصليها». و قولها له و لعمر- بعد تقريرهما بأنّ سخطها من سخط الله-: «أشهد الله و ملائكته أنّكما أسخطتماني و لأشكونكما إليه إذا لقيتهم»- فقال المغيرة لأبي بكر: أرى أن تلقوا العباس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيبا يكون له و لعقبه، و تكون لكما الحجّة على علي ا و بني هاشم إذا كان العباس معكم^{١٧٢٣}.

و فعل ذلك به لاحتياجه بنفسه إليه بعد، و ليبقى بعده و يساعد ولاة الأمر بعده على استيصال أهل بيت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ.

ففي (الطبري): لمّا ولى معاوية المغيرة الكوفة سنة (٤١) قال له: أردت إيصاءك بأشياء كثيرة و أنا تاركها اعتمادا على بصرك بما يرضيني و يسعد سلطاني، و يصلح به رعيتي، و لست تاركا إيصاءك بخصلة، لا تتحمّ عن شتم

ص: ٥٩٩

علىّ و ذمه، و العيب على أصحابه و الإقصاء لهم، و ترك الاستماع منهم و عن الترحم على عثمان و إطراء شيعته و الإذناء لهم و الاستماع منهم. فقال له المغيرة: قد جربت و جربت، و عملت قبلك لغيرك فلا يذمم بي دفع و لا رفع و لا وضع ...^{١٧٢٤}.

و من اطمينان المغيرة بعمر لمّا قال في الموسم للمغيرة- و كان رأى ثمّة تلك المرأة: أ تعرفها؟ استهزأ به المغيرة و قال: له: هي امرأتك- كما مر، و عمر و إن قال له: ما رأيتهك إلّا خفت أن ارمى بحجارة من السماء، إلّا أنّه كان جوابا ظاهريا، مع أنّه كان إقرارا من عمر بإبطاله الحدّ في حقّه و إلّا لم خاف^{١٧٢٥}.

^{١٧٢٠} (١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٣، السقيفة و فدك: ٦٨.

^{١٧٢١} (٢) الجوهرى: السقيفة و فدك: ٦٨ مكتبة نينوى، طهران، و أورده المجلسى في بحاره ٢٨: ٢٠٥.

^{١٧٢٢} (٣) الأعراف: ١٥٠.

^{١٧٢٣} (٤) الإمامة و السياسة ١: ١٢-١٥، و النقل بتصرّف و تلخيص.

^{١٧٢٤} (١) الطبري، تاريخ الامم و الملوك ٣: ٢١٨ دار الكتب العلمية، بيروت في حوادث، سنة ٤٥١ و ذكره ابن الاثير في الكامل ٣: ٤٧٢ دار صادر.

^{١٧٢٥} (٢) الأغاني ١٦: ٩٩.

ثم إن المغيرة اجترأ أن يقول لعمر: هي امرأتك لكونها بنته عليه السلام، لعلمه بعداوته معه و أنه نكحها إذلالاً له عليه السلام، و لو كان المغيرة تسمى امرأة أخرى لعمر و لو كانت في غاية الدناءة ما احتل عمر ذلك له مع منزلته تلك عنده.

و من اطمينانه بعمر لَمَّا لم يأت زياد بلفظ الميل في المكحلة و إن أتى بمعناه، قال المغيرة لزياد حين أراد اداء شهادته: و الله لو كنت بين بطنى و بطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منها^{١٧٢٤}.

و من اطمينانه بعمر أنه لَمَّا دعا بالشهود فتقدم أبو بكره فقال له عمر:

أ رأيت بين فخذيها؟ فقال أبو بكره: نعم، و الله لكأنى أنظر تشريم جدرى بفخذيها، فقال له المغيرة: لقد ألطفت النظر - أ ليس كل ذلك إقراراً من المغيرة في حضور عمر؟! و قد أراد المغيرة في قوله لزياد: «لو كنت بين بطنى و بطنها ما رأيت أين سلك ذكرى منها» إفهام زياد أن الاستشهاد مجرد صورة، و عمر

ص: ٤٠٠

معه فلا يؤدى زياد شهادته^{١٧٢٧}.

و من اطمينانه بعمر أنه لَمَّا شخص من البصرة إلى عمر رأى: في طريقه جارية فأعجبته فخطبها إلى أبيها، فقال له: أنت على هذه الحال - يعنى يذهبون بك لإجراء الحد عليك و يرجموك - فقال لأبيها: و ما عليك أن أعف، فهو الذى نريد، و إن اقتل ترثنى. فزوجه و قدم بها على عمر فقال له: إنك لفارغ القلب طويل الشبق^{١٧٢٨}.

و كيف لا يكون فارغ القلب و كان مطمئناً به؟ و لَمَّا ضرب الثلاثة الحد قال لهم المغيرة: الله أكبر الحمد لله الذى أخزاكم.

و عمر و إن كان قال له: اسكت أخزى الله مكانا و اراك، إلا أنه قال ذلك لئلا يفتضح بدفاعه عنه، مع أن الظاهر أنه دعا على مكان وقع العمل من المغيرة، لعدم كونه مكانا يواريه حتى يروه و يحصل له كلفة.

و ممَّا يدل على إعماله الغرض فى أمره أنه ضرب أبا بكره ضرباً شديداً فوق الحد، حتى أمرت أمه بشاة فذبحت و جعلت جلدها على ظهره^{١٧٢٩}.

هذا و قد قال حسّان فى هجو المغيرة فى عمله هذا:

^{١٧٢٤} (٣) الأغاني ١٦: ٩٨.

^{١٧٢٧} (١) الأغاني ١٦: ٩٦ - ٩٨، و النقل بتلخيص.

^{١٧٢٨} (٢) الأغاني ١٦: ١٠٠.

^{١٧٢٩} (٣) الأغاني ١٦: ٩٨ - ٩٩.

لو أنّ اللوم ينسب كان عبدا

قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدين و الإسلام لَمَّا

بدت لك غدوة ذات النصف^{١٧٣٠}

و كيف لا يدافع عمر عنه و هو سمى عمر أمير المؤمنين؟ فقال الزبير بن بكار: لَمَّا ولى عمر قال: كان أبو بكر يقال له خليفة النبي، فكيف يقال لى خليفة خليفة النبي بطول هذا؟ فقال له المغيرة: أنت أميرنا و نحن المؤمنون^{١٧٣١}.

ص: ٦٠١

و أقول: صدق المغيرة فى كونه، أمير المؤمنين مثله ممّن لم يؤمن إلّا بهواه، فالمغيرة هو الذى قال يوما فى مجلس معاوية لإرضائه: أنّ النبيّ لم ينكح عليّا ابنته حبّا له، و لكنّه أراد أن يكافىء بذلك إحسان أبى طالب إليه.

و هو الذى لَمَّا بويع معاوية، أقام خطباء يسبّون أمير المؤمنين عليه السّلام لإرضاء معاوية قبل أن يأمر معاوية.

و هو الذى حرّض معاوية على إلحاق زياد به و مفسده فى الإسلام لا تخفى، كما أنّه هو الذى حرّضه على جعله يزيد ولى عهده لئلا يعزله، لكبر سنّه، فأذى ذلك إلى قتل الحسين عليه السّلام و أهل بيته و سبى حريمه.

ثمّ إنّ ابن أبى الحديد إنّما قال: و أى عذر لنا فى الإمساك عنه^{١٧٣٢}؟ كما مر، لأنّ كثيرا من علمائهم أمسكوا عنه لرعاية فاروقهم، فهذا ابن عبد البرطوى الكشح فى عنوانه له عن كيفية إسلامه، و عن ذكر شناعه و اقتصر على كونه من دهاء العرب، و أنّه أشار على أمير المؤمنين عليه السّلام بإبقاء معاوية على الشام و تولية طلحة و الزبير البصرة و الكوفة، ليستقر أمر سلطنته فلم يقبل منه^{١٧٣٣}.

و أشدّ منه ما عليه حشويّتهم و أصحاب حديثهم، ينسبون إلى أنبياء الله الامور العظام من القتل و الزنا، فإذا تكلم واحد فى معاوية و عمرو بن العاص و المغيرة و أضرابهم من المنافقين و الجبابرة و قتلة أولاد الانبياء، قالوا: مبدع بسبّ الصحابة و يشتم السلف - قبحهم الله و أخزاهم -.

^{١٧٣٠} (٤) الأغانى ١٦: ١٠٠.

^{١٧٣١} (٥) لم يشر الزبير بن بكار الى هذا الموضوع فى أخبار الموقيات بل اكتفى بمخاطبة المغيرة بن شعبة لعمر بلقب أمير المؤمنين راجع صفحة ٦٢٠ رقم (٤٠٣) و

يذكر ابن هلال العسكرى فى الأوائل: ١٠٣ أن عمرو بن العاص هو أوّل من سمى عمر بأمر المؤمنين.

^{١٧٣٢} (١) شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ١٠.

^{١٧٣٣} (٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٨٨ - ٣٩١.

و نقل ابن أبي الحديد. عن أبي المعالي الجويني، منهم: تحريم التعرّض لذكر الصحابة و إنّ ما ينقله الشيعة من المشاجرة لم تثبت، و أنّهم كانوا كبنى

ص: ٦٠٢

أمّ واحدة و لم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه و لا وقع بينهم اختلاف^{١٧٣٤}.

و المكابر المنكر للبديّهيات لا يحتاج إلى جواب، و لكنه نقل جوابهم عن النقيب في كلام طويل^{١٧٣٥}.

هذا و من مصاديق قوله عليه السّلام في المغيرة: (لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربته الدّنيا) ما رواه (الأغانى) أيضا: أنّه كان بين المغيرة و مصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع فضرع له المغيرة و تواضع في كلامه حتّى طمع فيه مصقلة، فاستعلى عليه و شتمه و قذفه، و قال له: و الله إنّى لأعرف شهبى في حمزة ابنك فقدمه إلى شريح- و هو القاضى يومئذ- فأقام عليه البيّنة فضربه الحدّ، فألى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة ما دام حيا، و خرج إلى بنى شيبان فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة، ثم دخل الكوفة فتلقاه قومه و سلّموا عليه، فما فرغ عن التسليم حتّى سألهم عن مقابر تقيف فأرشدوه إليها، فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة فقال: ما هذا؟ قالوا: ظلّنا أنّك تريد أن ترجم قبره، فقال: ألقوا ما فى أيديكم. فألقوه، و انطلق حتّى وقف على قبره ثم قال: و الله لقد كنت ما علمت نافعا لصديقك ضارّا لعدوك، و ما مثلك إلّا كما قال مهلهل فى أخيه كليب:

و خصيما ألدّ ذا معلاق

إنّ تحت الأحجار حزما و عزما

ينفع منه السليم نفث الراق^{١٧٣٦}

حيّة فى الوجار أربد لا

«و على عمد لبس» بالتخفيف و التشديد.

«على نفسه ليجعل الشبهات عاذرا لسقطاته» فتخلف عن أمير المؤمنين عليه السّلام لأنّه كان يعلم أن معاوية لا يطيعه، و أنّ طلحة و الزبير يخرجان

ص: ٦٠٣

^{١٧٣٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٠-١٢، و النقل بتلخيص.

^{١٧٣٥} (٢) المصدر نفسه ٢٠: ١٢.

^{١٧٣٦} (٣) الأغانى ١٦: ٩٢.

عليه عليه السّلام، و لم يساعد طلحة و الزبير لعلمه بعجزهما عنه عليه السّلام، و لم يساعد معاوية حتّى وقع التحكيم و رأى اختلاف أهل العراق عليه عليه السّلام، و اتّفاق أهل الشام على معاوية و أطمأن بذلك فلحق به.

و فى (غارات النقفى): ذكر المغيرة عند علىّ عليه السّلام و جدّه مع معاوية فقال عليه السّلام: و ما المغيرة إنّما كان إسلامه لفجره و غدره بنفر من قومه فهرب و أتى النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم كالعائد بالإسلام، و الله ما رأى عليه أحد منذ ادّعى الإسلام خضوعا و لا خشوعا، ألا و إنّ أمّه كانت من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة، يجانبون الحقّ، و يوفدون الحرب، و يوازرون الظالمين^{١٧٣٧}.

و فى (جمل المفيد): الأحنف لما بعث إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فى الجمل أنّى مقيم على طاعتك فى قومى، فإن شئت أتيتك و مائتين من أهل بيتى، و إن شئت جلست عنك أربعة آلاف سيف من بنى سعد، قال رجل له عليه السّلام: من هذا؟

قال: أدهى العرب و خيرهم لقومه. فقال: كذلك هو و إنّى لا مثل بينه و بين المغيرة، لزم الطائف فأقام بها ينتظر على من يستقيم الأمر، فقال الرجل: إنّى لأحسب أنّ الأحنف لأسرع إلى ما يحب من المغيرة، فقال عليه السّلام: أجل ما يبالي المغيرة أى لواء رفع، لواء ضلالة أو هدى^{١٧٣٨}.

هذا و فى (تاريخ الطبرى): أنّ المغيرة كان يدّعى أنّه أحدث النّاس عهدا بالنّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و يقول للنّاس: إنّى أخذت خاتمى فألقيته فى القبر و قلت: إنّ خاتمى سقط منى و إنّما طرحته عمدا لأمسّ النّبىّ لأكون آخر النّاس عهدا به، فدخل نفر من العراق على علىّ عليه السّلام زمان عمر أو عثمان و قالوا: جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن نخبرنا به. فقال عليه السّلام: أظن أنّ المغيرة يحدثكم، أنّه أحدث النّاس عهدا

ص: ٦٠٤

بالنّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم. قالوا: أجل عن ذا جئناك نسألك. قال: كذب^{١٧٣٩}.

و فى (ذيله): لما ألقى المغيرة خاتمه فى القبر نزل علىّ عليه السّلام، و قد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه، و قال له: لا يتحدث النّاس أنّك نزلت فى القبر و لا تحدّث أنّ خاتمك فى قبره^{١٧٤٠}.

و فيه قال قبيصة بن جابر الأسدى: لو أنّ المغيرة جعل فى مدينة لا يخرج من أبوابها كلّها إلّا بالعدر لخرج منها^{١٧٤١}.

^{١٧٣٧} (١) الغارات ٢: ٥١٧.

^{١٧٣٨} (٢) الجمل للمفيد: ٢٩٥-٢٩٦.

^{١٧٣٩} (١) تاريخ الطبرى ٣: ٢١٤، سنة ١١.

^{١٧٤٠} (٢) ذيل تاريخ الطبرى ١١: ٥١٣.

^{١٧٤١} (٣) تاريخ الطبرى ٥: ٣٣٧، سنة ٦٠.

و فى (المعارف): أوّل من رشا فى الإسلام المغيرة، قال: ربّما عرق الدرهم فى يدي أرفعه ليرفأ ليسهل إذنى على عمر^{١٧٤٢}.

و فى (الكامل) ولىّ عمر جبير بن مطعم الكوفة و قال له: لا تذكره لأحد فسمع المغيرة أنّ عمر خلا بجبير فأرسل امرأته إلى امرأة جبير لتعرض عليها طعام السفر ففعلت، فقالت: نعم ما حيينتى به. فلما علم المغيرة جاء إلى عمر و قال له: بارك الله لك فى من ولىت، فعزله عمر و ولىّ المغيرة^{١٧٤٣}.

ص: ٦٠٥

فهرست المطالب

العنوان رقم الصفحة

تتمّة الفصل الثامن و العشرون - فى كلامه عليه السّلام الجامع لمصالح الدّين و الدّنيا ١

العنوان ٤ من الكتاب ٢٧: «... فاخفض لهم جناحك، و أّن لهم جانبك...» ١

العنوان ٥ من الكتاب ٧٢: «... أمّا بعد فإنّك لست بسابق أجلك...» ٢٨

العنوان ٦ من الكتاب ٧٦: «... سع النّاس بوجهك و مجلسك و حكمك...» ٢٩

العنوان ٧ من الكتاب ٦٩: «... و تمسّك بحبل القرآن و استنصحه...» ٣١

العنوان ٨ من الخطبة ٢٢: «أمّا بعد، فإنّ الأمر ينزل من السّماء إلى الأرض...» ٥٢

الفصل التاسع و العشرون - فى ما يتعلّق بعثمان و عمر ١٣٧

العنوان ١ من الخطبة ٧٥: «... أو لم يمه أمية علمها بى عن قرفى!...» ١٣٩

العنوان ٢ من الخطبة ٧٧: «انّ بنى امية ليفوقونى تراث محمّد صلى الله عليه و آله و سلّم تفويقا...» ١٥٢

العنوان ٣ من الخطبة ١٥: «... و الله لو وجدته قد تزوّج به النّساء...» ١٥٨

العنوان ٤ من الخطبة ٤٣: «انّ استعدادى لحرب أهل الشّام و جرير عندهم...» ١٦٤

^{١٧٤٢} (٤) ابن قتيبة: المعارف: ٥٨٨ دار المعارف مصر.

^{١٧٤٣} (٥) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، ٣: ٢٠ دار صادر.

العنوان ٥ من الخطبة ٣٠: «... لو أمرت به لكنت قاتلا...» ١٨٥

العنوان ٦ من الكتاب ٣٨: «... من عبد الله على أمير المؤمنين، إلى القوم...» ٢١٠

العنوان ٧ من الخطبة ١٦٤: «انّ الناس ورائي و قد استفسروني بينك و بينهم...» ٢١٦

العنوان ٨ من الخطبة ١٥٢: «و قد طلع طالع، لمع لامع، و لاح لائح...» ٢٤١

العنوان ٩ من الخطبة ٢٤: «... يا بن عباس، ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملا...» ٢٥٢

العنوان ١٠ من الخطبة ١٣٥: «... يا بن اللعين الأبتّر، و الشجرة التي لا أصل...» ٢٦٠

ص: ٦٠٦

العنوان ١١ من الخطبة ١٣٠: «... يا أبا ذرّ، أنّك غضبت لله فارح...» ٢٦٩

العنوان ١٢ من الكتاب ١: «... من عبد الله على أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة...» ٣٠١

العنوان ١٣ من الخطبة ١٧٤: «... قد كنت و ما أهدد بالحرب...» ٣٣٢

العنوان ١٤ من الكتاب ٥٤: «... أمّا بعد، فقد علمتما- و إن كتمتما- أنّي لم أرد...» ٣٤٤

العنوان ١٥ من الخطبة ٢٢: «ألا و انّ الشيطان قد ذمر حزبه...» ٣٥٨

- و من الخطبة ١٣٧: «و الله ما أنكروا على منكرا...» ٣٥٩

- و من الخطبة ١٠: «ألا و إنّ الشيطان قد جمع حزبه...» ٣٥٩

العنوان ١٦ من الكتاب ٥٥: «... أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه قد جعل الدنيا...» ٣٨٥

العنوان ١٧ من الكتاب ٦: «... إنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر و عمر...» ٣٩٣

العنوان ١٨ من الكتاب ٩: «... و أمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك...» ٣٩٩

العنوان ١٩ من الكتاب ٦٤: «... و قد أكثرت في قتلة عثمان...» ٤٠٢

العنوان ٢٠ من الكتاب ٢٨: «... ثمّ ذكرت ما كان من أمرى و أمر عثمان...» ٤٠٥

- العنوان ٢١ من الكتاب ٣٧: «... فسبحان الله! ما أشدّ لزومك للأهواء...» ٤١٩
- العنوان ٢٢ من الكتاب ٤٢: «أنى و الله لو لقيتهم واحدا و هم طلاع الأرض...» ٤٢٢
- العنوان ٢٣ من الخطبة ١٥٩: «و لقد أحسنت جواركم...» ٤٤٤
- العنوان ٢٤ من الخطبة ١٤٨: «... يا إخوانه أنى لست أجمل ما تعلمون...» ٤٤٨
- العنوان ٢٥ من الكتاب ٥٨: «... و كان بدء أمرنا أنا التقينا و القوم...» ٤٤٤
- العنوان ٢٦ من الخطبة ٢٢٨: «... لله بلاء فلان، فقد قوم الأود،...» ٤٨٠
- العنوان ٢٧ من الحكمة ٤٤٧: «و وليهم وال فأقام و استقام حتى ضرب...» ٥٠٩
- الفصل الثلاثون - فى بيعته عليه السلام ٥١١
- العنوان ١ من الخطبة ٥٤: «فتدأوا على تداك الإبل الهيم يوم ورودها...» ٥١٣
- من الخطبة ٢٢٩: «و بسطتم يدي فكففتها، و مددتموها فقبضتها...» ٥١٣
- العنوان ٢ من الخطبة ١٣٧: «فاقبلتم إلى اقبال العوذ المطافيل على أولادها...» ٥٢٠
- العنوان ٣ من الكتاب ٧: «... أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة...» ٥٢٨
- العنوان ٤ من الخطبة ٨: «... يزعم أنه قد بايع بيده و لم يبايع بقلبه...» ٥٣٤
- العنوان ٥ من الحكمة ٢٠٢: «... و لكنكما شريكان فى القوة و الاستعانة...» ٥٣٨
- ص: ٤٠٧
- العنوان ٦ من الخطبة ٢٠٥: «... لقد نعمتما يسيرا، و أرجأتما كثيرا...» ٥٤١
- العنوان ٧ من الخطبة ١٣٤: «... لم تكن بيعتكم إياي فلتة...» ٥٤٩
- العنوان ٨ من الخطبة ٩٢: «... دعونى و التمسوا غيرى فأنا مستقبلون أمرا...» ٥٣٤
- العنوان ٩ من الكتاب ٧٥: «... من عبد الله على أمير المؤمنين إلى معاوية...» ٥٧٢

العنوان ١٠ من الحكمة ١٧: «خذلوا الحقّ و لم ينصروا الباطل ...» ٥٧٤

العنوان ١١ من الحكمة ٢٦٢: «... يا حارث، أنّك نظرت تحتك ...» ٥٨٢

العنوان ١٢ الحكمة ١٤: «ما كلّ مفتون يعاتب» ... ٥٨٩

العنوان ١٣ من الحكمة ٤٠٥: «ما كلّ مفتون يعاتب» ٥٨٩

العنوان ١٣ من الحكمة ٤٠٥: «دعه يا عمّار، فإنّه لن يأخذ من الدّين ...» ٥٩١